

الإكليل  
على مدارك التنزيل  
وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ  
لِلْإِمَامِ النَّسْفِيِّ

تأليف

الشيخ محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي في  
المتوفى ١٣٣٣ هـ

استنسخه وصنعه

الشيخ محيي الدين أسامة البيرقدار

المجلد الرابع

من أول سورة التوبة إلى آخر سورة الإسراء



دار الكتب العلمية

Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah

DKI

أسستها محمد باقر باقر سنة 1971 بيروت - لبنان  
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon  
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب : على مدارك التنزيل وحقائق التأويل الإكليل

Title : Al-Iklil 'ala madârik al-Tanzîl  
wa ḥaqâ'iq al-Ta'wîl

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of The Holy Qur'an

المؤلف : محمد عبد الحق الحنفي (ت ١٣٣٣م)

Author : Muhammed Abd Al-Haq Al-Hanafi (D.1333 H.)

المحقق : محيي الدين أسامة البيرقدار

Editor : Muhiyiddin Ossama Al-Bayrqdar

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

عدد الصفحات : (7 أجزاء) 4608

قياس الصفحات : 17\* 24 cm

سنة الطباعة : 2012 A.D. -1433 H.

بلد الطباعة : لبنان

الطبعة : الأولى (لوان) 1<sup>st</sup> Edition : (2 colors)

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah  
Beirut-Lebanon No part of this publication may be  
translated, reproduced, distributed in any form or by any  
means, or stored in a data base or retrieval system, without  
the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah  
Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction  
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation  
préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à  
des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية  
بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضخيد الكتاب  
كاملاً أو مجزاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر  
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

**Dar Al-Kotob  
Al-ilmiyah**

Est. by Mohamad Ali Baydoun  
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,  
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.,  
Tel : +961 5 804 810/11/12  
Fax: +961 5 804813  
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,  
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عزمون، القبة ميني دار الكتب العلمية  
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢  
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣  
ص ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان  
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



## ( سورة التوبة )

(مدنية وهي مائة وتسع وعشرون آية، كوفي ومائة وثلاثون غيره)

لها أسماء: براءة، التوبة، (المقشقة)، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدممة، لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي (تبريء) منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها (وتثيرها وتحفر) عنها، (وتفضحهم) و(تنكلهم) و(تشردهم) و(تخزيهم) و(تدمدم عليهم). وفي ترك (التسمية) في ابتدائها أقوال؛ فعن علي وابن عباس ؓ، (إن بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الأمان). وعن عثمان ؓ أن رسول الله ﷺ كان

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة التوبة مدنية) أي بالاتفاق، وقيل: إلا آيتين في آخرها: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، فإنهما نزلتا بمكة، (وهي مائة وتسع وعشرون آية، كوفي ومائة وثلاثون غيره) وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمان وثمانون حرفاً. اهـ خازن. قوله: (المقشقة) . . . الخ. كلها بصيغة الفاعل. قوله: (تبريء) من التفعيل. قوله: (وتثيرها) أي تُظهرها. قوله: (وتحفر) أي تبحث. قوله: (تفضحهم) من الباب الثالث. قوله: (تنكلهم) من التَّنْكِيل، أي تُعاقبهم، أي تُخبر وتبين عقابهم في الآخرة. قوله: (تشردهم) أي تطردهم وتفرّقهم. قوله: (تخزيهم) من الأفعال بالخاء المعجمة والزاي المعجمة. قوله: (تدمدم عليهم) أي تُهلكهم. قوله: (التسمية) أي البسملة. قوله: (إن بسم الله أمان) لكونه مفتاح سلم ورحمة وبركة. قوله: (وبراءة نزلت لرفع الأمان) لأنها نزلت بالسيف ونبذ العهد والبراءة من عصمة المعاهدين ليس فيها

إذا نزلت عليه سورة أو آية قال: اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا، وتوفي رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أين نضعها، وكانت قصتها تشبه قصة الأنفال لأن فيها ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود، فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهي سبع. وقيل: اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فقال بعضهم: الأنفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال، وقال بعضهم: هما سورتان (فتركت بينهما فرجة) لقول مَنْ قال هما سورتان، وتركت بسم الله نقول مَنْ قال هما سورة واحدة.

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١)

﴿بَرَاءَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ من لا ابتداء الغاية متعلق بمحذوف، وليس بصلة كما في قولك: «برئت من الذين» أي هذه براءة واصله من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول: «كتاب من فلان إلى فلان». أو مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم﴾ كقولك: «رجل من بني تميم في الدار» والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم.

﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ﴾ (٢)

﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ فسيروا في الأرض كيف شئتم. والسيح: السير على (مهل). رُوِيَ أَنَّهُمْ عَاهَدُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ فَنَكَثُوا إِلَّا نَاسًا مِنْهُمْ - وَهُمْ (بنو ضمرة وبنو كنانة) - فنبذ العهد إلى الناكثين وأَمَرُوا أَنْ يَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ آمِنِينَ أَيْنَ شَاءُوا لَا يَتَعَرَّضُ لَهُمْ، وَهِيَ

أمان، فلا يليق أن يكتب في أول سورة افتتحت بالمقاتلة ونبذ العهود. قوله: (فتركت بينهما فرجة)... الخ. رعاية للجانبين، فإن قيل: ما حكمها شرعاً؟ قلنا: الحكم فيها استحباب تركها. وأما القول بحُرْمَتِهَا ووجوب تركها كما نقل عن بعض مشائخ الشافعية، فليس بثابت. اهـ قنوي.

قوله: (مهل) في مختار الصحاح: المَهْل - بفتحين - التَّؤَدَةُ. اهـ. قوله: (بنو ضمرة وبنو كنانة) في لسان العرب: بنو ضمرة من كنانة رهط عمرو بن أمية الضمري. اهـ. وأيضاً فيه كنانة قبيلة من مُضَر، وهو كنانة بن حزيمة بن مدركة بن



الأشهر الحُرْم في قوله: ﴿إِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها. وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان، وكان الأمير فيها (عتاب بن أسيد)، وأمر رسول الله ﷺ أبا بكر (على موسم) سنة تسع، ثم أتبعه عليًا ركب (العضباء) ليقراها على (أهل الموسم) فقبل له: (لو بعثت بها إلى أبي بكر). فقال: (لا يؤذي عني إلا رجل مني).

إلياس بن مُضَر، وبنو كنانة أيضًا من تغلب بن وائل، وهم بنو عَكْب يقال لهم: قريش تَغْلِب. اهـ.

قوله: (عتاب بن أسيد) الصحابي، هو أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمد عَتَاب بن أسيد - بفتح الهمزة - ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العنسي، أسلم يوم الفتح واستعمله النبي ﷺ على مكة حين انصرف عنها بعد الفتح وسنه يومئذ عشرون سنة. روى عنه ابن المسيب وعطاء بن أبي رباح وروايتهما عنه مرسله لم يدركاه بلا شك، ولم يزل عتاب على مكة حتى توفي بها. قال الواقدي وآخرون منهم أولاد عتاب أنه توفي باليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وقال آخرون: جاء نعي أبي بكر إلى مكة يوم دُفِن عتاب، وتوفي أبو بكر يوم الإثنين لثمان، وقيل: لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان عتاب خيرًا مباركًا وفاضلاً، وأم عتاب زينب بنت عمرو بن أمية بن عبد شمس.

قوله: (على موسم) أي أهل موسم والموسم زمان الحج، وأمير الموسم أمير الحاج المنسوب من قِبَل الإمام. قوله: (العضباء) - بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والباء الموحدة، بوزن حمراء الناقة المشقوقة الأذن - وهي لقب ناقة رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ولم يكن في أذنيها شق، كما في بعض كتب اللغة وشروح الكشاف. قوله: (أهل الموسم) أي الحجاج. قوله: (لو بعثت بها إلى أبي بكر) أي ليت بعثت، فلو للتمني، فلا يقتضي الجواب، أو على ظاهره، فجوابه محذوف، أي لو بعثت لكان أسهل. قوله: (لا يؤذي عني إلا رجل مني) أي قريب مني نسبًا وذلك بوحى كما في حديث. اهـ شهاب. أي لا ينبغي أن يبعث بها إلى أبي بكر؛ إذ لا يؤذي عني إلا رجل مني، وأبو بكر ليس مني ومن أهل بيتي، وإن كان أفضل وزيري. اهـ فتوي. وقد جرت العادة أن لا يتولى تقرير العهد

فلما دنا) علي سمع أبو بكر (الرجاء) فوقف وقال: (هذا رجاء ناقة رسول الله ﷺ). فلما لحقه قال: (أمير أو مأمور؟) قال: مأمور. فلما كان (قبل التروية) خطب أبو بكر وحثهم على مناسكهم وقال عليّ يوم النحر عند جمرة العقبة فقال: يا أيها الناس، إني رسول رسول الله إليكم فقالوا: بماذا؟ (فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية)، ثم قال: (أمرت بأربع: أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة، وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده)، فقالوا عند ذلك: يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا،

ونقضه إلا رجل من الأقارب، فلو تولاه أبو بكر لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يُعرف فينا من نقض العهود، فربما لم يقبلوا، فأرسل إليهم بتولية ذلك عليًا. اهـ شيخ زاده ﷺ. **قوله:** (فلما دنا) أي قُرب من أبي بكر رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (الرجاء) - بضم الراء والمدّ - صوت الإبل. **قوله:** (هذا) أي هذا الصوت (رجاء ناقة رسول الله ﷺ) وفي إرسالها أمر خطير، فوقف حتى لَحِقَهُ. **قوله:** (أمير) أي أنت أمير الحاج بدلًا مني (أو مأمور) بانقياد إلينا كسائر أصحابنا، وقيل: أو أنت مأمور بأمرٍ آخر. **قوله:** (قبل التروية) وهو السابع من ذي الحجة، ويوم التروية ثامن ذي الحجة سُمي بها لأنهم يسقون إبلهم في هذا اليوم، والتروية لسقي الماء بقدر ما يزيل العطش. **قوله:** (فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية) أي من أول هذه السورة. **قوله:** (أُمرت بأربع) ... الخ. أي بأن أخبر بها مناديًا. **قوله:** (أن لا يقرب) هذا (البيت) أي أن لا يدخله للحج أو العمرة، هذا مذهبنا والتفصيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: الآية ٢٨] الآية، (بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان) وَمَنْ يطوف بالبيت عريانًا هم المشركون؛ ففي الحقيقة يرجع إلى الأول، (ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة)، وكان العلم بأنه لا يدخل الجنة كافر لم يكن حاصلًا للمشركين قبل ذلك، أو المراد أنه لا يقبل منهم بعد ذلك إلا الإيمان، أو السيف. قال الطيبي: فهو من باب لا أرينك ههنا، أي أُمِرْتُ بأن أنادي بأن يتصفوا بما يستعدوا به أن يكونوا أهلًا للجنة؛ إذ لا يقبل منهم سوى هذا، أو إخبارهم بأن عداوة المؤمنين للكفرة ومفارقتهم لهم ثابتة في الدنيا والآخرة، (وأن يتم) على صيغة البناء للمجهول (إلى كل ذي عهد عهده) بالرفع قائم مقام فاعله،

وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن (بالرمح) وضرب بالسيوف؛ والأشهر الأربعة: شوال (وذو القعدة) وذو الحجة والمحرم، (أو عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر)، وكانت حرماً لأنهم أومنوا فيها وحرّم قتلهم وقتالهم، (أو على التغليب) لأن ذا الحجة والمحرم منها. والجمهور على إباحة القتال في الأشهر الحرم وأن ذلك قد نسخ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُعْجِزٌ لِلَّهِ﴾ لا تفوتونه وإن أمهلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب.

﴿وَأَذَّنَ رَبُّكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ حَيْزٌ لَكُمْ وَإِنْ قَوْلَيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُعْجِزٌ لِلَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

﴿وَأَذَّنَ رَبُّكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ﴾ ارتفاعه كارتفاع ﴿بَرَاءَةٌ﴾ على الوجهين، ثم الجملة معطوفة على مثلها، والأذان بمعنى الإيدان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء، والفرق بين الجملة الأولى والثانية أن الأولى إخبار بثبوت البراءة، والثانية إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت. وإنما علق البراءة بالذين عاهدوا من المشركين، وعلق الأذان بالناس، لأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم، وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد، ومن

وتمام العهد تكميل زمانه؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا إِلَهُهُمْ عَهْدَهُ﴾ [التوبة: الآية ٤]. قوله: (بالرمح) الرماح: جمع رمح في لسان العرب: الرُمح من السلاح معروف. قوله: (وذو القعدة) بفتح القاف وكسرهما. قوله: (أو عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر)؛ لأن التبليغ كان يوم النحر، وهذا القول أصوب، وعليه الأكثرون. قوله: (أو على التغليب) عطف على لأنهم أومنوا، أي إطلاق اسم الأشهر الحرم على عشرين من ذي الحجة إلى عشر من ربيع الآخر من جهة تغليب ما هو منها على ما هو ليس منها. واعلم أن الصحيح الناطق به الأحاديث الصّحاح الواقع عليه الاتفاق أن الأشهر الحرم أربعة: ثلاث متتابعات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد: رجب، والاختلاف المذكور إنما هو في هذه الأربعة المشار إليها بقوله: ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: الآية ٢].

(نكث) من المعاهدين ومَنْ لم ينكث ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ يوم عرفة (لأن الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج)، أو يوم النحر لأن فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمي، ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي بأن الله حذف صلة الأذان تخفيفاً ﴿وَرَسُولُهُ﴾ عطف على المنوي في ﴿بَرِيءٌ﴾ أو على الابتداء وحذف الخبر أي ورسوله بريء، (وقرىء بالنصب عطفاً على اسم «أن»)، والجرّ على الجوار، أو على القسم كقولك

قوله: (نكث) في مختار الصحاح: نكث العهد والحبل نقضه، وبابه نصر. اهـ. قوله: (لأن الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج)؛ لأن مَنْ أدرك الوقوف فقد أدرك الحج، ومَنْ فاته فقد فاتة الحج. قوله: (وقرىء) شاذاً (بالنصب عطفاً على اسم «أن») وقارئه عيسى بن عمر وزيد بن عليّ وابن أبي إسحق رضي الله عنه، «والجرّ على الجوار أو على القسم؛ كقوله: لعمرك» قارئه الحسن رضي الله عنه. في فتح القدير للشوكاني رحمته الله: وقرىء رضي الله عنه بالجرّ على أنّ الواو للقسم، رُوي ذلك عن الحسن، وهي قراءة ضعيفة جداً؛ إذ لا معنى للقسم برسول الله صلى الله عليه وسلم ههنا مع ما ثبت من النهي عن الحلف بغير الله. وقيل: إنه مجرور على الجوار. اهـ بحروفه. وقال العلامة التفتازاني رحمته الله: قوله: وبالجرّ على الجوار هو في غاية السماجة، وليس جوار المشركين مما يحسن، بل يجوز عطف رسوله. وأمّا القسم بالرسول، فجائز من الله، ولهذا مثل بقوله: لعمرك، إلا أنه في مثل هذا الموضع الملتبس كان ينبغي أن لا يجوز، والوجه ردّ قراءة الجرّ. اهـ. وهذه القراءة يبعد صحتها للإيهام، حتى أنه يُحكى أن أعرابياً... الخ. وفي جمع الجوامع عن أبي مليكة رضي الله عنه قال: قدم أعرابي في زمان عمر قال: مَنْ يقرئني مما أنزل الله على محمد؟ فأقرأه رجل براءة، فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بالجرّ، فقال له أعرابي: أوقد برىء الله من رسوله، إن يكن الله بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه؛ فبلغ عمر مقالة الأعرابي، فدعاه فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت مَنْ يقرئني فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، فقلت: أوقد برىء الله من رسوله، إن يكن الله بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه؛ فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي، قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ

«لعمرك». وحُكي أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأها فقال: إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا منه بريء، (فلبسه الرجل) إلى عمر فحكى الأعرابي قراءته فعندها أمر عمر بتعلم العربية ﴿فَإِنْ تُبْتِغُوا مِنَ الْكُفْرِ وَالْغَدْرِ﴾ ﴿فَهُوَ﴾ (أي التوبة) ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإصرار على الكفر ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن التوبة أو تبتم على التولي والإعراض عن الإسلام ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُّعْجِزٌ لِلَّهِ﴾ غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه ﴿وَنَشِيرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آلِيمٍ﴾ مكان بشارة المؤمنين بنعيم مقيم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ استثناء من قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ والمعنى: براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا

الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ [التوبة: الآية ٣] بالضم، فقال الأعرابي: فأنا والله أبرأ مما برىء الله ورسوله منه؛ فأمر عمر بن الخطاب ؓ أن لا يقرئ الناس إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود، فوضع النحو، ابن الأنباري في الوقف والابتداء كراي أخرجه ابن الأنباري وابن عساكر. اهـ. وفي إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: واتفقوا على الرفع في ﴿ورسوله﴾ عطفًا على الضمير المستكن في برىء، أو على محل أن واسمها في قراءة من كسر إن. نعم روى زيد عن يعقوب النصب عطفًا على اسم أن، وليس من طرفنا. اهـ. وقوله في قراءة من كسر أن في الإتحاف، وعن الحسن كسر همزة «إن الله برىء» على إضمار القول. اهـ. وفي تفسير التيسابوري: ﴿ورسوله﴾ بالنصب روح وزيد، والباقون بالرفع. اهـ. وأيضًا فيه: قوله: ﴿ورسوله﴾ بالرفع مبتدأ محذوف الخبر، أي ورسوله أيضًا كذلك، أو هو معطوف على المنوي في برىء، أو برىء هو ورسوله، وجاز العطف من غير تأكيد بالمنفصل المفصل، وقرئ بالجر على الجوار، أو على أن الواو للقسام؛ كقوله سبحانه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: الآية ٧٢]. قوله: (فلبسه الرجل) في القاموس: لَبَّيه تلييبًا جمع ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة، ثم جره. وقال العلامة الفتازاني ؒ: لبيته إلى القاضي إذا جمعت ثيابه عند نحره، ثم جررته إلى الخصومة، وأصله الأخذ بالثياب. قوله: (أي التوبة) أي الضمير المقدر المفهوم من تبتم كاعدلوا هو.

إلا الذين عاهدتم منهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ﴾ من شروط العهد أي وقوا بالعهد ولم ينقضوه. (وقرىء «لم ينقضوكم» أي عهدكم) وهو أليق لكن المشهورة أبلغ لأنه في مقابلة التمام ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ ولم يعاونوا عليكم عدوًا ﴿فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ (فأدوه إليهم) تامة كاملاً ﴿إِلَىٰ مِدَّتِهِمْ﴾ (أي تمام مدتهم، والاستثناء بمعنى الاستدراك) كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين: لكن الذين لم ينكثوا فأتَمُّوا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن (قضية) التقوى ألا يسوي بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك.

﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِنَّا تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْنَا الزَّكَاةَ فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿فَإِذَا أَسْلَخَ﴾ مضى أو خرج ﴿الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ التي أبيح فيها للناكثين أن يسبحوا ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين نقضوكم وظاهروا عليكم ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ من حل أو حرم ﴿وَاخْذُوهُمْ﴾ وأسروهم، والأخذ: الأسر ﴿وَأَحْضُرُوهُمْ﴾ وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ كل ممر و(مجتاز)

**قوله:** (وقرىء) شاذًا («لم ينقضوكم») بالضاد المعجمة، وهي على حذف المضاف، (أي) ينقضوا (عهدكم) فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقارئه عطاء بن السائب الكوفي وعكرمة وأبو زيد، وقرأ الجمهور: ﴿يَنْقُضُوا شَيْئًا﴾ [التوبة: الآية ٤] بالصاد المهملة، وهو يتعدى إلى واحد وإلى اثنين، ويجوز هنا جعله متعديًا إلى اثنين بأن يكون كم مفعولاً أولاً، وشيئاً مفعولاً ثانياً، وإلى واحد، فيكون شيئاً منصوباً على المصدر، أي شيئاً من النقصان. **قوله:** (فأدوه إليهم) أي أتموا، بمعنى أدوا، ولذلك عدى بالي. **قوله:** (أي تمام مدتهم) إشارة إلى تقدير مضاف؛ لأن مدتهم لا يصح أن تكون غاية، بل الغاية آخرها، وهو المراد بالتمام؛ لأنه ما يتم به الشيء، وهو جزؤه الأخير، وقيل: المدة بمعنى آخرها، وهو تكلف. **قوله:** (والاستثناء بمعنى الاستدراك) أي استثناء منقطع وسماه استدراكاً لأنه يقدر بلكن. **قوله:** (قضية) أي مقتضى.

**قوله:** (مجتاز) في لسان العرب: الاجتياز: السلوك، والمجتاز مُجتاب الطريق.

ترصدونهم به، (وانتصابه على الظرف). ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عن الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر، أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ بستر الكفر والغدر بالإسلام ﴿رَحِيمٌ﴾ برفع القتل قبل الأداء بالالتزام.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٧﴾

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ ﴿أَحَدٌ﴾ مرتفع بفعل شرط مضمير يفسره الظاهر أي وإن استجارك أحد استجارك، والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن فأمنه ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر على أن المستأمن لا يؤذى وليس له الإقامة في دارنا ويمكن من العود ﴿ذَلِكَ﴾ أي الأمر بالإجارة في قوله: ﴿فَأَجِرْهُ﴾ ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام وما حقيقة ما تدعو إليه، فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا أو يفهموا الحق ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ ﴿كَيْفَ﴾ استفهام في معنى الاستنكار أي مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم. ثم استدرك ذلك بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ أي ولكن الذين عاهدتم منهم ﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ولم يظهر منهم نكت كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم ﴿فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ﴾ ولم يظهر منهم نكت أي فما أقاموا على وفاء العهد ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء. و«ما» شرطية أي فإن استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن التربص بهم من أعمال المتقين.

قوله: (وانتصابه على الظرف) أي انتصاب كل على الظرفية، وكل وإن لم يكن ظرفاً لكن لها حكم ما يُضاف إليه؛ لأنه عبارة عنه.

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ تكرر لاستبعاد ثبات المشركين على العهد، وحذف الفعل لكونه معلوماً أي كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم أي يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا﴾ (لا يراعوا حلفاً ولا قرابة) ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهداً ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بالوعد بالإيمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر والباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ الإيمان والوفاء بالعهد ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ناقضون العهد أو متمردون في الكفر، لا مروءة تمنعهم عن الكذب، ولا شمائل (تردعهم) عن النكث كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من (التفادي) عنهما.

﴿أَشْتَرُوا بِإِيمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَسَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿أَشْتَرُوا﴾ استبدلوا ﴿بِإِيمَانِهِمْ﴾ بالقرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضاً يسيراً (وهو) إتباع الأهواء والشهوات ﴿فَوَسَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بنس الصنيع صنيعهم ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ ولا تكرر، لأن الأول على الخصوص حيث قال: ﴿فِيكُمْ﴾ والثاني على العموم لأنه قال: ﴿فِي مُؤْمِنٍ﴾ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عن الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾

قوله: (لا يراعوا حلفاً ولا قرابة) وفي نسخة صحيحة: حلفاً أو قرابة. وعبارة الكشف: لا يراعوا حلفاً، وقيل: قرابة. اهـ. والحلف ككتف القسم. قوله: (تردعهم) أي تمنعهم. قوله: (التفادي) التجانب والتباعد، يقال: تفادى الرجل عن كذا إذا تحاماه واحترز عنه.

قوله: (وهو) أي الثمن القليل الذي اختاره المشركون عن اتباع أحكام القرآن.



(فهم إخوانكم على حذف المبتدأ) ﴿فِي الدِّينِ﴾ لا في النسب ﴿وَنُقْضِلُ الْأَيْتِ﴾ ونبينها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون فيتفكرون فيها (وهذا اعتراض)، كأنه قيل: وإن من تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضاً على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها.

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا آيَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ ﴿١١﴾

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ أي نقضوا العهود المؤكدة بالإيمان ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ وعابوه ﴿فَقَتَلُوا آيَةَ الْكُفْرِ﴾ فقاتلوهم، فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك، أو (زعماء) قريش الذين هموا بإخراج الرسول (وقالوا): إذا طعن الذمي في دين الإسلام طعننا ظاهراً جاز قتله لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده) وخرج من الذمة.

قوله: (فهم إخوانكم على حذف المبتدأ) والجملة الاسمية في محل الجزم على جواب الشرط. قوله: (وهذا اعتراض) أي جملة معترضة<sup>(١)</sup> حيث وقعت بين كلامين متناسبين، فإنه تعالى بين أولاً حال من لا يراقب في الله إلّا ولا ذمة وينقض العهد ويقول بلسانه ما يأبى عنه قلبه ويتعدى ما حد له، ثم بين أنهم إن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فحينئذ ثبت لهم أحكام الإيمان جميعاً، وبين الله تعالى هذا المعنى بقوله: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: الآية ١١]. ثم بين أنهم إن نكثوا أيمانهم، أي نقضوا عهدهم بما بأن ارتدوا عن الإيمان والعياذ بالله تعالى على أن يحمل العهد على مبايعة الإسلام بقرينة ذكره في مقابلة قوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ [التوبة: الآية ٥] الآية، بأن نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، واستمروا عليه بشهادة أن الآية وردت في ناقضي العهد، وأنه تعالى جعلهم صنفين: أحدهما من تاب منهم، والآخر من أقام على نقض عهده، فلما كانت الشرطيتان متناسبتين كانت جملة قوله: ﴿وَنُقْضِلُ الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١] معترضة بينهما. قوله: (زعماء) أي رؤساء. قوله: (وقالوا) إذا طعن الذمي في دين الإسلام طعننا ظاهراً جاز قتله؛ لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن، فإذا طعن فقد نكث عهده). قال

(١) بين فإن تابوا وإن نكثوا للتأكيد، كما اعترضت فيه. اهـ شهاب. ١٢ منه عم فيضهم.

الجصاص في أحكام القرآن: إن الآية تدلّ على أن أهل الذمة ممنوعون من إظهار الطعن في دين الإسلام، وهو يشهد لقول مَنْ قال من الفقهاء: إن مَنْ أظهر شتم النبي ﷺ من أهل الذمة فقد نقض عهده ووجب قتله. وقال أصحابنا: يُعزّر ولا يُقتل، وهو قول الثوري والمنقول عن مالك والشافعي، وهو قول الليث قتله. وأفتى به ابن الهمام كما في شرح الهداية، وفيه كلام مفصل في الفروع. وفي التفسيرات الأحمديّة: ذكر في كتب الفقه في بيان نقض العهد: أن نقض العهد عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه إنما يكون بأن غلب على موضع لحربنا أو لحق بدار الحرب لا بأن امتنع من الجزية أو زنى بمسلمة أو قتلها أو سب النبي عليه السلام، فلا يُقتل الذمي بسب النبي عليه السلام. بل يُعزّر. على ما في الفتاوى. وعند الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله: سب النبي عليه السلام أيضًا ناقض للعهد، فيُقتل الذمي إن سب النبي عليه السلام، وظاهر عبارة القرآن يقتضي هذا الحكم؛ لأنه قال: ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا﴾ [التوبة: الآية ١٢]. ولا شك أن ليس طعن في الدين أكبر من سب النبي عليه السلام؛ إذ فيه إهانة الشرع وهتك حرمة الإسلام، والحق أن يكون فتوى أهل العلم في زماننا على هذا؛ إذ ليس في التعزير الذي قال أبو حنيفة رحمه الله: تهديد بحسب ما كان ذلك في القتل. مع أن في الرواية عن شرح ابن الهمام أن أبا يوسف رحمه الله معهم. وأمّا سب المسلمون، فموجب للقتل بالإجماع، وإن تاب بعده وأصلح، فينبغي أن يُقتل البتة إذا أظهر، وقد ذكر في تحقيقه المحشي الحلبي على شرح الوقاية كلامًا مشبعًا طويلاً نافعا، فليرجع إليه. اهـ. وفي الدر المختار: (وينتقض عهدهم بالغلبة على موضع للحرب أو باللاحاق بدار الحرب)، زاد في الفتح: أو بالامتناع عن قبول الجزية (أو بجعل نفسه طليعة للمشركين)، بأن يبعث ليطلع على أخبار العدو، فلو لم يبعثوه لذلك لم ينتقض عهده، وعليه يحمل كلام المحيط. (وصار) الذمي في هذه الأربع صور (كالمرتد) في كل أحكامه، (إلا أنه) لو أسر (يُسْتَرْق) والمرتد يُقتل (ولا يُجبر على قبول الذمة)، والمرتد يُجبر على الإسلام (لا) ينتقض عهده (بقوله: نقضت العهد)، زيلعي. (بخلاف الأمان) للحربي، فإنه ينتقض بالقول، بحر. (ولا بالإباء عن) أداء (الجزية)، بل عن قبولها، كما مر.

(﴿أَيُّمَّةٌ﴾ بهمزتين: كوفي وشامي، الباقون: بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة)، أصلها «أأممة» لأنها جمع إمام كعماد وأعمدة. فنقلت حركة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة وأدغمت في الميم الأخرى. فمن حَقَّق الهمزتين أخرجهما على الأصل، وَمَنْ قلب الثانية ياء فلكسرتها ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ وإنما

ونقل العيني عن الوقعات قتله بالإباء عن الأداء، قال: وهو قول الثلاثة، لكن ضَعَّفه في البحر. (و) لا (بالزنى بمسلمة، وقتل مسلم) وإفتان مسلم عن دينه وقطع الطريق (وسب النبي ﷺ)؛ لأن كفره المقارن له لا يمنعه، فالطاريء لا يرفعه، فلو من مسلم قتل، كما سيجيء. (ويؤذَّب الذمِّي ويعاقب على سبه دين الإسلام أو القرآن أو النبي ﷺ، حاوي وغيره. قال العيني: واختار في السب أن يُقتل. اهـ. وتبعه ابن الهمام. قلت: وبه أفتى شيخنا الخير الرملي، وهو قول الشافعي، ثم رأيت في معروضات المفتي أبي السعود أنه ورد أمر سلطاني بالعمل يقول: أئمتنا القاتلين بقتله إذا ظهر أنه معتاده، وبه أفتى ثم أفتى في بكر اليهودي، قال لبشر النصراني: نبيكم عيسى ولد زنى بأنه يقتل لسبه للأنبياء عليهم الصلاة والسلام. اهـ.

قلت: ويؤيده أن ابن كمال باشا في أحاديثه الأربعينية في الحديث الرابع والثلاثين: «يا عائشة لا تكوني فاحشة»، ما نصه: والحق أنه يُقتل عندنا إذا أعلن بشتمه عليه الصلاة والسلام، صرح في سير الذخيرة حيث قال: واستدل محمد لبيان قتل المرأة إذا أعلنت بشتم الرسول بما روي أن عمر بن عدي لما سمع عصماء بنت مروان تؤذي الرسول، فقتلها ليلاً مدحه ﷺ على ذلك، انتهى فليحفظ. اهـ بحروفه.

قوله: (﴿أَيُّمَّةٌ﴾ بهمزتين كوفي) أي عاصم وحمزة وعلي الكسائي (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (والباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة) . . . الخ. في السمين: قوله: ﴿أئمة الكفر﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿أئمة﴾ بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين ولا ألف بينهما، والكوفيتون وابن ذكوان عن ابن عامر بتحقيقهما من غير إدخال ألف بينهما، وهشام كذلك، إلا أنه أدخل بينهما ألفاً، هذا هو المشهور بين القراء السبعة، ونقل الشيخ عن نافع قارئ أهل المدينة

أثبت لهم الإيمان في قوله: ﴿وَإِنْ نَكُوثًا أَيْمَنَهُمْ﴾ لأنه أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال: ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ على الحقيقة وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لا تكون يمينًا، ومعناه عند الشافعي رحمه الله أنهم لا يوفون بها لأن يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث. («لا إيمان» شامي) أي لا إسلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْا﴾ متعلق بـ ﴿فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ وما بينها اعتراض أي ليكون غرضكم في مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعدما وجد منهم من العظائم. وهذا من غاية كرمه على المسيء. ثم حرص على القتال فقال:

﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكُوثًا أَيْمَنَهُمْ وَهَكُوتًا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرَّةً كَتَبْنَا لَهُمْ الْقِتَالَ فَقَالُوا لَا نَحْشَوُهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣)

﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكُوثًا أَيْمَنَهُمْ﴾ التي حلفوها في المعاهدة ﴿وَهَكُوتًا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ من مكة ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرَّةً﴾ بالقتال والباديء أظلم فما يمنعكم من أن تقتلوه، وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها، ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب ﴿الْعُقَابُ﴾ توبيخ على الخشية منهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ بأن تخشوه فقاتلوا أعداءه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فاحشوه (أي إن قضية الإيمان الكامل أن لا يخشى المؤمن إلا ربه) ولا يبالي بمن سواه. ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد

وابن كثير قارئ أهل مكة، وأبي عمرو بن العلاء رأس النخاة البصريين أنهم يُبدلون الثانية ياء صريحة، وأنه قد نُقل عن نافع المدني بينهما، أي بين الهمزة والياء. اهـ. وفي الإتحاف: ورد طعن الزمخشري ومن تبعه كالبيضاوي، في وجه الإبدال. اهـ. قوله: («لا إيمان») بكسر الهمزة مصدر آمن (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالفتح جمع يمين، وأجمعوا على فتح الثانية.

قوله: (أي أن قضية الإيمان الكامل أن لا يخشى المؤمن إلا ربه) القضية هنا بمعنى المقتضى، أي مقتضى إيمان المؤمن الذي يتحقق أنه لا ضار ولا نافع إلا الله، ولا يقدر أحد على مضرة ونفع إلا بمشيئة الله أن لا يخاف إلا من الله، ومن خاف الله خاف منه كل شيء والحصر من حذف متعلق أحق المقتضى للعموم، أي أحق من كل شيء بالخشية، فلا ينبغي أن يخشى سواه.

لهم الأمر به بقوله:

﴿قَتَلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٤)

﴿قَتَلُوهُمْ﴾ ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم ويصح نياتهم بقوله: ﴿يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ قتلاً ﴿وَيُخْزِيهِمْ﴾ أسراً ﴿وَيَضْرِكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يغلبكم عليهم ﴿وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ طائفة منهم (وهم خزاعة عيبة رسول الله ﷺ).

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلاً على صحة نبوته ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضاً، فقد أسلم ناس منهم (كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل)

قوله: (وهم خزاعة) هم حلف رسول الله ﷺ الذين عاهدوا قريشاً عام الحُدَيْبِيَّةِ على أن لا يُعِينُوا عليهم بني بكر، وكان فيهم قوم مؤمنون (عبيبة رسول الله ﷺ) أي موضع سرّه، وفي الحديث: «كانت خزاعة عيبة رسول الله ﷺ مؤمنهم وكافرهم»، وهو في الأصل ظرف يجعل فيه الثياب. اهد تفتازاني رحمه الله. وفي القاموس: الخزع كالمنع القطع كالتخزيع والتخلف عن الصّحب، والخزاعة القطعة تفتطع من الشيء، وبلا لام حي من الأزد سمو لأنهم تخزعوا عن قومهم، وأقاموا بمكة. اهد. قال مجاهد والسدي: أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ حيث أعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم، ثم شفى الله صدور خزاعة من بني بكر حتى أخذوا ثأرهم منهم بالنبي ﷺ وأصحابه، رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «ارفعوا السيف إلا خزاعة من بني بكر إلى العصر»، ذكره البغوي رحمه الله.

قوله: (كأبي سفيان) صخر بن حرب، والد يزيد ومعاوية وأمّ حبيبة أولاد أبي سفيان وإخوتهم.

قوله: (عكرمة بن أبي جهل) الصحابي، ابن عدو الله، هو أبو عثمان عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن

و(سهيل بن عمرو)، وهي ترد على المعتزلة قولهم: «إن الله تعالى شاء أن يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم». ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان ﴿حَكِيمٌ﴾ في قبول التوبة.

﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ «أم» منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحساب أي لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ (أي بطانة) من الذين يضادون رسول الله ﷺ والمؤمنين ولما معناها التوقع. وقد دلت على أن تبين ذلك متوقع كائن. وأن الذين

يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي المخزومي، وكان أبو جهل يُكنى في الجاهلية أبا الحكم فسماه النبي ﷺ أبا جهل، وكان أبو جهل وابنه عكرمة من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ، فقتل الله أبا جهل يوم بدر كافراً، وبقي عكرمة ثم هداه الله تعالى، فأسلم عكرمة بعد الفتح بقليل وحسن إسلامه. ثم كان من صالحى المسلمين، ولما أسلم قال: يا رسول الله، لا أدع مالاً أنفقته عليك إلا أنفقت في سبيل الله مثله. واستعمله النبي ﷺ على صدقة هوازن عام حجة الوداع. وله في قتال أهل الردة أثر عظيم. روى عن النبي ﷺ أحاديث رضي الله تعالى عنه.

**قوله: (سهيل بن عمرو) الصحابي.** هو أبو يزيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن ودة بن نصر بن حنبل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري أحد سادات قريش وأشرفهم وخطبائهم، أسره المسلمون يوم بدر وعلى يديه انبرم<sup>(١)</sup> الصلح يوم الحديبية، ثم أسلم يوم الفتح، وهو والد أبي جندل رضي الله تعالى عنهما.

**قوله: (أي بطانة) أي صديقاً معتمداً عليه.**

(١) في المصباح: أبرمت العقد إبراماً أحكمته، فأنبرم. اهـ ١٢ منه عم فيضهم.

لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين ﴿وَلَوْ يَتَذَوَّبُوا﴾ معطوف على ﴿جَهْدُوا﴾ داخل في حيز الصلة كأنه قيل: ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله، والمراد بنفي العلم بنفي المعلوم كقولك: «ما علم الله مني ما قيل في». تريد ما وجد ذلك مني، والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر فيجازيكم عليه.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (ما صخ لهم) وما استقام ﴿أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ («مسجد الله» مكّي وبصري) يعني المسجد الحرام، (وإنما جمع في القراءة بالجمع لأنه قبلة) المساجد وإمامها فعامله كعامل جميع المساجد، ولأن كل بقعة منه مسجد، أو أريد جنس (المساجد وإمامها) وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس، وهو أكد إذ طريقه طريق الكناية كما تقول: «فلان لا يقرأ كتب الله» فإنه أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ باعترافهم بعبادة الأصنام وهو حال من الواو في ﴿يَعْمُرُوا﴾ والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين

قوله: (ما صخ لهم). وإنما لم يحمل على نفي الوجود، كما هو الظاهر، ليطابق الواقع، فإنهم عمروها كما يدل عليه قوله الآتي، فلا وجه للحمل على نفي الوجود. قوله: («مسجد الله») بالتوحيد (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بالجمع. قوله: (وإنما جمع في القراءة بالجمع؛ لأنه قبلة المساجد) حاصله: إنما جمع للتعظيم كالملائكة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٢] الآية، ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩] الآية. وجه التعظيم ما ذكره المصنف رحمه الله. (وإمامها) بكسر الهمزة، جعل المسجد الحرام كالإمام للمساجد لتوجه محاربيها إليه توجه المقتدي لجهة إمامه، فيكون التعبير عنه بالجمع مجازاً، علاقته ما ذكر وأما فتح همزة إمامها فركبك مفوّت للمبالغة، والمعنى الذي قصده المصنف رحمه الله: فلا تغتر بمن قال إن معناه واحد.

عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ دائمون.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (١١)

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ عمارتها (رُمَ ما استرم) منها (وقمها) وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم تبني له المساجد من أحاديث الدنيا، لأنها بنيت للعبادة والذكر (ومن الذكر درس العلم) ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ولم يذكر الإيمان بالرسول ﷺ (لما علم أن الإيمان بالله قرينة الإيمان بالرسول لاقتراحهما في الأذان والإقامة وكلمة الشهادة وغيرها، أو دل عليه بقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾) وفي قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ تنبيه على الإخلاص، (والمراد الخشية

قوله: (رُمَ ما استرم) في مختار الصحاح: رَمَ الشيء يَرِم - بضم الراء وكسرهما - رُمًا ومَرَمَةً أصلحه. اهـ. قوله: (قمها) في المصباح: قم البيت قَمًا من باب قتل كنسه. اهـ. قوله: (ومن الذكر درس العلم) أي العلوم الشرعية دون العلوم المنسوبة إلى الفلاسفة، لا سيما العلم الإلهي. اهـ قنوي رحمه الله. قوله: (لما علم أن الإيمان بالله قرينة الإيمان بالرسول لاقتراحهما في الأذان والإقامة وكلمة الشهادة وغيرها). فإنه أينما جرى ذكر الله تعالى يكون ذكره عليه الصلاة والسلام مقارنًا لذكره تعالى، فلما كانا مزدوجين صارا كأنما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه. فكان الإيمان به عليه الصلاة والسلام مندرجًا تحت ذكر الإيمان بالله تعالى. قوله: (أو دل<sup>(١)</sup> عليه بقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾)؛ لأن الصلاة لا تتم إلا بالأذان والإقامة والتشهد، وهذه الأشياء مشتملة على ذكر النبوة، فاكتمى بذكر إقامتها عن ذكر الإيمان به عليه الصلاة والسلام؛ لأن إقامتها تُوجب الإيمان به عليه الصلاة والسلام، ولأن الصلاة والزكاة لما ذكرتا بلام العهد، والمعهود من الصلاة والزكاة عند المسلمين ليس إلا الأعمال التي أتى بها رسول الله ﷺ، وإتيان تلك الأعمال يستلزم الإيمان به عليه الصلاة والسلام. قوله: (والمراد الخشية

(١) بالدلالة الاستلزامية، وجه الدلالة أن إقامة الصلاة إنما يكون بتصديق مبلّغها، وكذا الكلام في سائر المبررات. اهـ قنوي رحمه الله. ١٢ منه عم فيضهم.



في أبواب الدين) بأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف، إذ المؤمن قد يخشى (المحاذير) ولا (يتمالك) أن لا يخشاها. وقيل: كانوا يخشون الأصنام ويرجونها: فأريد نفي تلك الخشية عنهم ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء و(حسم لأطماعهم) في الانتفاع بأعمالهم لأن ﴿عَسَىٰ﴾ كلمة إطماع، والمعنى إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها عند الله دون من سواهم.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩)

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩) السقاية والعمارة مصدران من (سقى) وعمر كالصيانة والوقاية، ولا بد من مضاف محذوف تقديره:

في أبواب الدين)... الخ. جواب عما يقال: كيف قيل: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: الآية ١٨]، والحال أن المؤمن يخشى مما يؤذيه ويضره، كالظلمة والسباع المهلكة ونحوها، ولا يتمالك أن لا يخشى شيئاً منها؟

وتقرير الجواب: أن المعنى - والله أعلم - أنه تعالى إذا كلف العبد بشيء من الأمور المتعلقة بالدين كالحج والجهاد ونحوهما، وعرض له ما يمنعه من إقامة ذلك الأمر بأن يضره ويفوت عليه شيئاً من حقوق نفسه على تقدير إقامة ذلك الأمر الذي كلف به ينبغي أن لا يخاف مما يفوت عليه حق نفسه، بل يجتهد في إقامة حق الله تعالى خوفاً من غضبه وعقابه ولا يختار على رضى الله رضى غيره خوفاً من ذلك الغير، كما قال تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: الآية ١٣]، وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُون﴾ [آل عمران: الآية ١٧٥]، فإن الخوف من المضار النفسانية أمر جبلي لا محذور فيه، إنما المحذور ترجيح حق نفسه على حق الله تعالى، وأن يجعل فوات حظ نفسه كعذاب الله. قوله: (المحاذير) جمع محذور. قوله: (يتمالك) أي يقدر. قوله: (حسم) أي قطع (لأطماعهم) جمع طمع.

قوله: (سقى) من باب رمى. وعمر بالتخفيف من باب كتب؛ لأن عمر المشددة إنما يقال في عمر الإنسان لا في العمارة.

أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله . وقيل : المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة (ابن الزبير «سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام») والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوي بينهم ، وجعل تسويتهم ظلماً بعد ظلمهم بالكفر لأنهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما . نزلت جواباً لقول العباس حين أسر (فطفق) علي ؓ يوبخه بقتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسننا . ف قيل : أو لكم محاسن؟ فقال : نعمر المسجد ونسقي الحاج و(نفك العاني) . وقيل : افتخر العباس بالسقاية و(شيبة) بالعمارة ، وعلي ؓ بالإسلام والجهاد ، فصدق الله تعالى علياً .

**قوله: (ابن الزبير)**، أي عبد الله بن الزبير بن العوام هو أبو بكر . ويقال : أبو حبيب - بضم الخاء المعجمة - القرشي الأسدي المكي المدني الصحابي ابن الصحابي ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما ، وأبوه الزبير أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وحواري النبي ﷺ ، وهو أول مولود وُلد للمهاجرين في المدينة بعد الهجرة ، وفرح المسلمون بولادته فرحاً شديداً ؛ لأن اليهود كانوا يقولون : قد سحرناهم ، فلا يُولد لهم ؛ فأكذبهم الله تعالى ، فحنَّكه رسول الله ﷺ بتمرٍ لأكْهأ ، فكان ريق رسول الله ﷺ أول شيء نزل في جوفه ، وسماه عبد الله ، وكانه أبا بكر بكنية جدّه أبي بكر الصديق ، وسماه باسمه . روى له عن رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون حديثاً ، اتَّفَقوا على ستّة ، وانفرد مسلم بحديثين . روى عنه أخوه عروة وابن مُليكة وعباس بن سهل وثابت البناني وعطاء وعبيدة السلماني وخلائق آخرون .

**قوله: (سقاة الحاج) - بضم السين - جمع ساقٍ . (وعمرة المسجد الحرام) - بفتحيتين - جمع عامر . قوله: (طفق) أي جعل . قوله: (نفك العاني) أي الأسير والفلَك الإِطلاق .**

**قوله: (شيبة)** بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدي الحنظلي من أهل مكة ، يُكنى أبا عثمان ، وقيل : أبا صفية ، وأبوه عثمان يُعرف بالأوقص قتلَه عليّ يوم أحد كافراً ، وأسلم شيبة يوم الفتح ، وقيل : أسلم يوم حنين ، وكان شيبة من خيار المسلمين ودفع له رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة وإلى ابن عمّه عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وقال :

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ أولئك ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ من أهل السقية والعمارة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ لا أنتم والمختصون بالفوز دونهم ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ («يُبَشِّرُهُمْ» حمزة) ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ﴾ تنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرفة ﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ في الجنات ﴿نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ لا ينقطع. لما أمر الله النبي ﷺ بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولأخيه ولقرابته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه، ومنهم من تتعلق به زوجته أو ولده فيقول تدعنا بلا شيء فنضع فيجلس معهم ويدع الهجرة فتزل.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْتُكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ قَدْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ أي آثروه (واختاروه) ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْتُكُمْ﴾ أي ومن يتول الكافرين

«خذوها خالدة مخلدة تالدة إلى يوم القيامة يا بني أبي طلحة، لا يأخذها منكم إلا ظالم»، وهو جد هؤلاء بني شُيْبة الذين يلون حجابة البيت الذين بأيديهم مفتاح الكعبة إلى يومنا هذا. توفي سنة تسع وخمسين، وقيل: بل توفي أيام يزيد بن معاوية وذكره بعضهم في المؤلفة وحسن إسلامه. اهـ أسد الغابة باختصار.

قوله: («يُبَشِّرُهُمْ») بفتح الياء وسكون الباء وضّم الشين والتخفيف من الثلاثي، (حمزة) والباقون بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة. قوله: ﴿نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم (يعني أن المقيم استعارة للدائم. اهـ شهاب رحمه الله).

قوله: (واختاروه) عطف تفسير.

﴿قُلْ لَّيْسَ بِكُمْ عَشِيرَاتُكُمْ﴾ ③ قَدْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ أَقَارِبُكُمْ و«عشيراتكم» أبو بكر ﴿وَأَمْوَالٌ أُقْرِفْتُمْوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَبَحْرَةٌ تَحْشُونَ كِسَادَهَا﴾ فوات وقت (نفاقها) ﴿وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ وهو عذاب عاجل أو عقاب أجل أو فتح مكة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ والآية (تنعي) على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين، إذ لا تجد عند أورع الناس ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والأموال والحظوظ.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَرْثُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ ④

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ كوقعة بدر وقرظلة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة. وقيل: إن المواطن التي نصر الله فيها النبي ﷺ والمؤمنين ثمانون موطنًا، ومواطن الحرب مقاماتها و(مواقفها) ﴿وَيَوْمَ﴾ أي واذكروا يوم ﴿حُنَيْنٍ﴾ واد بين مكة والطائف) كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفًا، وبين (هوازن وثقيف) وهم أربعة آلاف، فلما التقوا قال رجل من المسلمين: (لن نغلب اليوم من قلة، فسألت رسول الله عليه الصلاة والسلام) ﴿إِذْ﴾ بدل من

قوله: («عشيراتكم») بالألف بعد الراء جمع سلامة؛ لأن لكل منهم عشيرة (أبو بكر) شعبة عن عاصم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والباقون بغير ألف على الأفراد، أي عشيرة كل منكم. قوله: (نفاقها) - بفتح النون - بمعنى رواجها، والرواج ضد الكساد. قوله: (تنعي) أي تخير.

قوله: (مواقفها) بقاف بعدها فاء، أي محلّ مضاف الحرب والوقوف لها. قوله: ﴿حُنَيْنٍ﴾ واد بمكة والطائف) على ثلاثة أميال من مكة. اهـ شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قوله: (هوازن وثقيف) هما قبيلتان معروفتان. قوله: (لن نغلب اليوم) - مجهول - (من قلة) من أجلها صفة لمحذوف أي لن نغلب اليوم غلبة ناشئة من قلة، والمراد إثبات الغلبة بالكثرة كنايةً. قوله: (فسألت رسول الله ﷺ)، وإنما ساءته عليه الصلاة والسلام تلك الكلمة لأن فيها اعتمادًا على الكثرة واعتبارًا لها، ولا يليق بهم الاعتماد إلا على الله ونصرته، فلذلك أعلمهم الله تعالى بقوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ

﴿يَوْمَ﴾ ﴿أَعْبَجْتُمْ كُرُتُكُمْ﴾ فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود، فانهزموا حتى بلغ (فلهم) مكة وبقي رسول الله ﷺ وحده وهو ثابت (في مركزه) ليس معه إلا عمه العباس آخذًا بلجام دابته، (وأبو سفيان) بن الحارث ابن عمه آخذًا بركابه فقال للعباس: «(صح) بالناس» وكان (صيتًا)، فنادى: (يا أصحاب الشجرة) فاجتمعوا وهم يقولون: لبيك، لبيك نزلت الملائكة عليهم الشياب (البیض) على

كُرُتُكُمْ فَلَمْ تُقْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿[التوبة: الآية ٢٥]﴾ أنهم ليسوا بكثرتهم يغلبون، وإنما يغلبون بنصر الله إياهم، فلما نظروا في ذلك اليوم إلى كثرتهم انهزموا ثم تداركهم بنصره حين التجؤوا إليه تعالى وتضرعوا. قوله: (فلهم) الفل - بفتح وتشديد - المنهزم يقع على الواحد وغيره. قوله: (في مركزه) أي مقره ومحله الأول. قوله: (وأبو سفيان) بن الحارث ابن عمه ﷺ، فإنه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، واختلفوا في اسمه، فقال هشام بن الكلبي وإبراهيم بن المنذر والزيبر بن بكار وغيرهم: اسم أبي سفيان هذا المغيرة، وقال آخرون: اسمه كنيته لا اسم له غيره، وهو أخو النبي ﷺ من الرضاعة، أرضعتها حليمة، وكان يشبه النبي ﷺ هو وجعفر بن أبي طالب والحسن بن علي وقثم بن العباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وكان شاعرا أسلم وحسن إسلامه وشهد مع النبي ﷺ حنينًا وأبلى فيها بلاء حسنًا، وهو من فضلاء الصحابة، وقال أبو سفيان عند موته: لا تبكوا علي. فلم أفعَل خطيئة منذ أسلمت. توفي بالمدينة سنة عشرين، وصلى عليه عمر بن الخطاب، وقيل: توفي سنة خمس عشرة ٥٥.

قوله: (صح) أمر من الصيحة بوزن بع. قوله: (صيتًا) بتشديد الياء، أي جهوري الصوت شديده، وهو بيان لسبب تخصيصه بالأمر. قوله: (يا أصحاب الشجرة) المذكورين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح. الآء ١٨]، كأنه رضي الله تعالى عنه قصد بها النداء تذكيرهم ببيعتهم والتنبيه على أن من كان حاله هذا، فكيف يفِر مع أن النبي ﷺ في مركزه. قوله: (البیض) في المصباح: شيء أبيض ذو بياض، وهو اسم فاعل، والأنثى بیضاء، والجمع بیض، والأصل بضم الباء لكن كُسرت لمجانسة الياء. اهـ

(خيول بلق)، فأخذ رسول الله ﷺ كفاً من تراب فرماهم به ثم قال: «انهزموا ورب الكعبة» فانهزموا وكان من دعائه ﷺ يومئذٍ «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان» وهذا دعاء موسى ﷺ يوم انفلاق البحر ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «ما» مصدرية والباء بمعنى «مع» أي مع رُحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك: «دخلت عليه بثياب السفر» أي متلبساً بها، والمعنى لم تجدوا موضعاً لفراكم عن أعدائكم فكانها ضاقت عليكم ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدِيرِينَ﴾ ثم انهزمت.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ رحمته التي سكنوا بها وأمنوا ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف أو خمسة أو ستة عشر ألفاً ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر و(سبي النساء والذراري) ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ وهم الذي أسلموا منهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ بستر كفر العدو بالإسلام ﴿رَحِيمٌ﴾ بنصر الولي بعد الانهزام.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَمِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَهُ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَليمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ أي ذوو (نجس) وهو مصدر. يقال: نجس نجساً و(قدر وقذراً) لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، ولأنهم

باختصار. قوله: (خيول) جمع خيل. قوله: (بلق) في مخنر الصحاح: البلق سواد وبياض، وكذا البلقة - بالضم - يقال: فرس أبلق وفرس بلقاء. اهـ.

قوله: (سبي النساء) السبي الأسر (والذراري) جمع ذرية.

قوله: (نجس) - بالكسر - نجساً - بفتحين - قوله: (قدر وقذراً) من باب

تعب.

لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾) فلا يحجوا ويعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ وهو عام تسع من الهجرة حين أقر أبو بكر ؓ على الموسم، ويكون المراد من نهى القربان النهي عن الحج والعمرة وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام

**قوله:** ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ قيل: المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد، وقيل: جميع الحرم. وهو الأقرب؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: الآية ٢٨]؛ وذلك لأن موضع التجارات ليس هو عين المسجد، فلو كان المقصود من هذه الآية المنع من المسجد خاصة لما خافوا بسبب هذا المنع. وإنما يخافون العيلة إذا منعوا من حضور الأسواق والمواسم. يؤكد هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الأنعام: الآية ١]، مع أنهم أجمعوا على أنه إنما رفع الرسول عليه الصلاة والسلام من بيت أم هانئ، ويؤيده قوله عليه السلام: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب». وهي من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق طولاً، ومن جذة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام عرضاً. واعلم أن جملة بلاد الإسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام: القسم الأول الحرم، فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذمياً كان ومستأثماً؛ لظاهر هذه الآية: وإذا جاء رسول من دار الكفر إلى الإمام، والإمام في الحرم لا يأذن له في دخوله، بل يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم، وإن دخل مُشرك في الحرم متواريًا فمرض فيه أخرجناه مريضاً، وإن مات وذفين ولم نعلم نيشناه وأخرجناه عظامه إذا أمكن، هذا مذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه. وجوز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم، وإنما يُمنع من الحج والعمرة. والقسم الثاني من بلاد الإسلام: الحجاز، فيجوز للكافر دخولها بالإذن، ولكن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لئن عشت إلى قابل لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً». فمضى رسول الله ﷺ وأوصى، فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب». فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عمر في خلافته، وأجل لمن يقدم منهم تاجرًا ثلاثاً. والقسم الثالث: سائر بلاد الإسلام

وسائر المساجد عندنا، وعند الشافعي رحمته الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره. (وقيل: نهى المشركين أن يقربوه راجع إلى نهى المسلمين عن تمكينهم منه) ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً﴾ أي (فقراً) بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من (الإرفاق) والمكاسب ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر (حجيج) الإسلام ﴿إِنْ شَاءَ﴾ هو تعليم لتعليق الأمور بمشيئة الله تعالى لتنتقطع الآمال إليه

يجوز للكافر أن يُقيم فيها بذمة أو أمان، ولكن لا يدخل المساجد إلا بإذن مسلم. اهـ شيخ زاده رحمته الله.

قوله: (وقيل: نهى المشركين أن يقربوه راجع إلى نهى المسلمين عن تمكينهم منه)، قال صاحب الكشف: وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحرم كله، وأن على المسلمين أن لا يمكّنوهم من دخوله، ونهى المشركين عن أن يقربوا راجع إلى نهى المسلمين عن تمكينهم منه. وقيل: المراد أن يُمنعوا عن تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويفرقوا عن ذلك، هذا لفظه.

ويُفهم منه أن للآية محملاً سوى الحمل على الحج والعمرة، أعني المنع عن التولي، وعلى كليهما يمكن حمل عبارة الهداية وإن كان بعيداً بحسب اللفظ، حيث قال: ولنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أنزل وفد ثقيف في مسجده وهم كفار، ولأن الخبث في اعتقاده، فلا يؤدي إلى تلوّث المسجد، والآية محمولة على الحضور استيلاء واستعلاء أو طائفين عُرّة، كما كانت عاداتهم في الجاهلية، هذا لفظه. فقوله: استيلاء واستعلاء إشارة إلى الوجه الأخير، وقوله: أو طائفين عُرّة إلى الوجه الأخير. وقوله: أو طائفين عُرّة إلى الوجه الأول، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (فقراً) أي عيلاً من عال، بمعنى افتقر. قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: الآية ٨]. قوله: (الإرفاق) جمع رفق، وهو المنفعة. قوله: (حجيج) جمع حاج. قوله: ﴿إِنْ شَاءَ﴾ قيده بالمشيئة، مع أن القيد بها ينافي ما هو المقصود من الآية، وهو إزالة خوفهم من العيلة لفوائد، الفائدة الأولى: أن لا يعتمد على حصول هذا المطلوب الموعود، بل يكون الإنسان أبداً متضرعاً إلى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات. والثانية: أن الإغناء الموعود ليس يجب



﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في تحقيق آمالكم، أو عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم وأراد ونزل في أهل الكتاب.

﴿قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

﴿قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ لأن اليهود مشنية والنصارى مثلثة ﴿وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون أن لا أكل في الجنة ولا شرب ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنّة، أو لا يعملون بما في التوراة والإنجيل ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ ولا يعتقدون دين الإسلام الذي هو الحق. يقال: فلان يدين بكذا إذا اتخذه دينه ومعتقده ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بيان للذين قبله، وأما المجوس فملحقون بأهل الكتاب في قبول الجزية، وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركي العرب لما روي (الزهري) أن النبي ﷺ صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ إلى أن يقبلوها، وسميت جزية لأنه مما يجب على

عليه تعالى، بل هو متفضل به في ذلك، ولا يتفضل به إلا عن مشيئته وإرادته. والثالثة: التنبيه على أن الموعود ليس بموعود بالنسبة إلى جميع الأشخاص، بل بالنسبة إلى جميع الأمكنة والأزمان، وكان إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لاحظ هذه الحكمة في دعائه بقوله: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: الآية ١٢٦]، فإن من التبعية في ذلك الدعاء بمنزلة قيد إن شاء في هذا الوعد. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (الزهري)، هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري المدني، وهو تابعي رضي الله تعالى عنه. قوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾. . . الخ. ولما كان ههنا بيان الجزية، لا بد من بيان قدرها، وبيان من يجب عليه، ومن لا يجب عليه؛ فاعلم أنه قد ذكر في كتب الفقه أن الجزية نوعان: جزية يقع عليها الاتفاق والصّحاح، فيقدر بحسب ذلك. وجزية يتدّى الإمام بوضعها، وذلك على الغني ثمان وأربعون درهماً يأخذ في كل شهر أربعة دراهم؛ وعلى المتوسط نصفها، وهو أربعة وعشرون درهماً؛ وعلى فقير يكسب ربعها، وهو اثنا عشر درهماً، أو لا يجب على فقير لا يكسب ولا على

أهلها أن يجزوه أي يقضوه، أو هي جزاء على الكفر على التحميل في تذليل ﴿عَنْ يَدٍ﴾ أي عن يدٍ (مواتية) غير ممتنعة ولذا قالوا: أعطى بيده إذا انتقاد، وقالوا: نزع يده عن الطاعة. أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقدًا غير نسيئة لا مبعوثًا على يد أحد ولكن عن يدي المعطي إلى يد الآخذ ﴿وَهُمْ صَغُرُونَ﴾ أي تؤخذ منهم على (الصغار والذل) وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيًا غير راكب، ويسلمها وهو قائم، والمتسلم جالس، وأن (يتلثل) تلتلة و(يؤخذ بتلبيبه ويقال له: أد) الجزية (يا ذمي) وإن كان يؤديها و(يزخ في قفاه) وتسقط بالإسلام.

صبي وامرأة ومملوك وأعمى وزمن وراهب لا يخالط. وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه: أقلّ الجزية في كل سنة، دينار، سواء فيه الغني والفقير، فيجب على كلّ منهما هذا المقدار على السواء، نصر به في البيضاوي. ودلائل كل ذلك مذكورة في موضعها بتمامها. **قوله:** (مواتية) بالمشناة الفوقية من المواتاة، بمعنى الموافقة. **قوله:** (الصغار) - بالفتح - الذلّ. **قوله:** (الذل) - بضمّ - ضدّ العزّ. **قوله:** (يتلثل) تلتلة في مختار الصحاح: تلتله زعزعه وأقلعه وزلّله. **قوله:** (يؤخذ بتلبيبه) في لسان العرب: التليب من الإنسان ما في موضع اللبّ من ثيابه، ولب الرجل جعل ثيابه في عنقه وصدّره في الخصومة ثم قبضه وجره وأخذ بتلبيبه كذلك، وهو اسم كالتمتين. التهذيب: يقال: أخذ فلان بتليب فلان إذا جمع عليه ثوبه الذي هو لابسّه عند صدره وقبض عليه يجره. اهـ. **قوله:** (ويقال له: أد يا ذمي) ذكر في كتب الفقه: أنه ميّز الذي في زيّه ومركبه وسرجه وسلاحه، فلا يركب خيلاً ولا يعمل بسلاح ويظهر الكستي، وهو الخيط الذي يكون معهم، ويركب على سرج كإكاف، وميّزت نساؤهم في الطريق لئلا تشبهه بنساء المسلمين، ويُعلّم على دورهم، أي يجعل على بيوتهم كيلاً يتوهم السائل أنه بيت المسلم، فيستغفر له؛ فانظروا يا أيها المؤمنون هل في هذا الزمان ذميّ؟ وتفكروا يا أيها المسلمون إن هم إلا حربيّ وما يعقلها إلا العالمون، وقد طال الكلام في زماننا في بيان الذميّ والحربيّ بالإفراط والتفريط، والحقّ ما بيّنه بعض مشائخنا سلّمه الله تعالى في بعض رسائله، فطالعّه إن شئت، وقد ذكر في تحقيقهما الأعظم الثاني كلامًا لا مزيد عليه، فليرجع إليه. اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله:** (يزخ في قفاه) في لسان العرب: زخّ في قفاه يزخّ زخاء دفع، وقال ابن دريد: كل دفع

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَتِلْكَ أَلْفُ اللَّهِ أَنْ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ (كلهم أو بعضهم) ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ مبتدأ وخبر  
كقوله: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ وعزير اسم أعجمي. ولعجمته وتعريفه

زخ. اهـ.

**قوله: (كلهم أو بعضهم)** روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ جماعة من اليهود: سلام بن مشكم، والنعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله؟ فأنزل الله هذه الآية. وقال عبيد بن عمير: إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء، وهو الذي قال: إن الله فقير، ونحن أغنياء؛ فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد، وإنما نُسب ذلك إلى اليهود ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ [التوبة: الآية ٣٠] جرياً على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد، تقول العرب: فلان يركب الخيل، وإنما يركب فرساً واحداً، وتقول العرب: فلان يجالس الملوك، ولعله لم يجالس إلا واحداً منهم، وروى عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: إنما قالت اليهود ذلك من أجل أن عزيراً كان فيهم، وكانت النوراة عندهم والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأنسهم التوراة ونسخها من صدورهم، فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرذ إليه التوراة، فبينما هو بصلي مُبتهلاً إلى الله عز وجل نزل نور من السماء، فدخل جوفه، فعدت إليه، فأذن في قومه، وقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة وردّها إليّ، فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله، ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت، فوجدوه مثله، فقالوا: ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله. وقال الكلبي: إن بخت نصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني إسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزيراً إذ ذاك صغيراً فلم يقتله لصغره، فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزيراً ليحدث لهم التوراة، ويكون لهم آية بعدما أماته الله مائة

امتنع صرفه. (ومن نُونُ. وهو عاصم وعلي - فقد جعله عربيًا ﴿وَقَالَتِ  
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْزَهُمْ) أي قول لا

سنة. قال: فأتى ملك بإناء فيه ماء فشرب منه فمثلت له التوراة في صدره. فلما  
أتاهم قال: أنا عزير. فكذبوه وقالوا: إن كنت كما تزعم. فأمل علينا التوراة،  
فكتبها لهم من صدره. ثم إن رجلاً منهم قال: إن أبي حدثني عن جدي أن التوراة  
جُعِلَتْ في خابية ودُفِنَتْ في كرم. فانطلقوا معه حتى أخرجوها، فعازضوها بما  
كُتِبَ لهم عزير فلم يجدوه غادر حرقاً، فقالوا: إن الله لم يقذف التوراة في قلب  
عزير إلا أنه ابنه؛ فعُتِدَ ذلك قالت اليهود: عزير ابن الله؛ فعلى هذين القولين أن  
هذا القول كان فاشياً في اليهود جميعاً، ثم إنه انقطع وأُندرس. فأخبر الله به عنهم  
وأظهره عليهم. ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك، فإن خبر الله عز وجل أصدق وأثبت  
من إنكارهم. اهـ خازن.

**قوله: (ومن نون) أي قرأ بالتنوين مكسوراً على الأصل. (وهو عاصم وعلي)**  
الكسائي. وكذا يعقوب البصري. وليس من السبعة (فقد جعله عربيًا) من التعزير.  
وهو التعظيم، فهو اسم أمكن، والباقون بغير تنوين. **قوله: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى  
الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾** قال في الخازن: وأما قول النصارى المسيح ابن الله، فكان  
السبب فيه أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى على نبيينا وعليه الصلاة  
والسلام إحدى وثمانين سنة يصلون إلى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم  
وبين اليهود حرب. وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من  
أصحاب عيسى على نبيينا وعليهم الصلاة والسلام، ثم قال بولص لليهود: إن كان  
الحق مع عيسى، فقد كفرنا والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا  
الجنة، فإني سأحتال وأضتهم حتى يدخلوا النار معنا. ثم إنه عمد إلى فرس كان  
يقاتل عليه، فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة، ووضع التراب على رأسه، ثم انه أتى  
إلى النصارى فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عدوكم بولص، فقد نوديت من السماء  
أنه ليس لك توبة حتى تنتصر، وقد ثبت وأتيتكم، فدخلوه الكنيسة ونصروه  
وأدخلوه بيتاً منها لم يخرج منه سنة حتى تعلم الإنجيل. ثم خرج وقال: قد نوديت  
أن الله قبل توبتك، فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم، ثم إنه عمد إلى ثلاثة رجال  
اسم الواحد منهم: نسطور، والآخر يعقوب، والآخر ملكاد؛ فعلم نسطور أن

(ويعضده) برهان ولا يستند إلى بيان، فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته (كالألفاظ المهمة) ﴿يُضْهِتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم، ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعاً يعني أن الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم، يعني أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث، أو الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ قول اليهود ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ لأنهم أقدم منهم ﴿يُضْهِتُونَ﴾ (عاصم). وأصل المضاهاة

عيسى ومريم والإله ثلاثة، وعلم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان، ولكنه ابن الله، وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال؛ فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له: أنت خالستي وادع الناس لما علمتكم، وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد، ثم قال لهم: إني رأيت عيسى في المنام وقد رضى عني، وقال لكل واحد منهم: إني سأذبح نفسي تقرباً إلى عيسى، ثم ذهب إلى المذبح فذبح نفسه، وتفرق أولئك الثلاثة؛ فذهب واحد إلى الروم، وواحد إلى بيت المقدس، والآخر إلى ناحية أخرى، وأظهر كل واحد منهم مقالته، ودعا الناس إليها، فتبعه على ذلك طوائف من الناس، فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال، فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله.

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله، بعد أن حكى هذه الحكاية: والأقرب عندي أن يقال: لعله ذكر لفظ الابن في الإنجيل على سبيل التشریف، كما ورد لفظ الخليل في حق إبراهيم على سبيل التشریف، فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية، والجهال قبلوا ذلك منهم، وفشا هذا المذهب الفاسد في أتباع عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، والله أعلم بحقيقة الحال. اهـ.

**قوله:** (ويعضده) أي يعينه. **قوله:** (كالألفاظ المهمة)، فإن القول بأن له تعالى ولذا ليس له معنى يقبله العقل للعلم بأنه تعالى منزّه عن الحاجة والشهوة والصاحبة، فما هو إلا مجرد لفظ يقال بالفم كالمهمّل. **قوله:** ﴿يُضْهِتُونَ﴾ بكسر الهاء وهمزة مضمومة بعدها واو (عاصم)، والياقون بضم الهاء وواو بعدها، فهما بمعنى واحد، وهو المشابهة، وفيه لغتان: ضاهأت وضاهيت.

**قوله:** (امرأة ضهياء) بالمد كحمرء. **قوله:** (الزجاج) هو أبو إسحاق

المشابهة، والأكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم («امرأة ضهياء») وهي التي أشبهت الرجال بأنها لا تحيض كذا قاله (الزجاج)، ﴿فَلِلَّهِمُ اللَّهُ﴾ أي هم (أحقاء) بأن يقال لهم هذا ﴿أَنْتَ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣١)

﴿اتَّخَذُوا﴾ أي أهل الكتاب ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ علماءهم ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ نساكهم ﴿أَرْبَابًا﴾ آلهة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله كما يطاع الأرباب في أوامرهم ونواهيهم ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عطف على ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ أي اتخذوه ربًا حيث جعلوه ابن الله ﴿وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ يجوز الوقف عليه لأن ما بعده يصلح ابتداء يصلح وصفًا لواحدًا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنزيه له عن الإشراك.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢)

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد ﷺ بالتكذيب

إبراهيم بن محمد النحوي رحمه الله. قوله: (أحقاء) جمع حقيق، بمعنى خليق، أي لائق.

قوله: ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ علماءهم ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ نساكهم (الأحبار جمع خبر، وقيل: جمع جبر - بالكسر - وقيل: هما لغتان بمعنى، وهو الفقيه العالم ذمياً كان أو مسلماً، بعد أن يكون من أهل الكتاب. قال أهل المعنى: الجبر العالم الذي صناعته يحبر المعاني بحسن البيان عنها، والزاهد الذي تمكنت الخشية والرغبة من قلبه وظهرت آثار الرهبة على وجهه ولسانه، فصار الأحبار مختصاً بعلماء اليهود من ولد هارون على نبينا وعليه الصلاة والسلام، والرهبان بعلماء النصارى أصحاب الصوامع. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

بحال مَنْ يريد أن ينفخ في (نور عظيم منبث) في الآفاق، يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الإشراق ليطفئه بنفخه. (أجرى ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ﴾ مجرى «لا يريد الله») ولذا وقع في مقابله ﴿يُرِيدُونَ﴾ وإلا لا يقال: كرهت أو أبغضت إلا زيذاً.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصْذَوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِئْسَ لَهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٌ ﴿٣٤﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَىٰ﴾ بالقرآن ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ليعليه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على أهل الأديان كلهم، أو ليظهر

قوله: (نور عظيم) مُستفاد من إضافة النور إلى الله تعالى. قوله: (منبث) أي منشئ. قوله: (أجرى ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ﴾ مجرى «لا يريد الله») الخ. يعني الاستثناء المفرغ، وإن اختصر بالنفي إلا أنه قد يُمال مع المعنى القرائن ومناسبة المقامات، فيجري بعض الإجابات مجرى النفي في صحة التفرغ معها؛ كما قيل في قوله تعالى: ﴿فَشَرُّوْا مِنْهُ إِلَّا قَلِيْلًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٩]، وهذا ما يقال: إنه لا يجري في الإثبات إلا أن يستقيم المعنى، ولو اكتفى بمجرد جعل المثبت بمعنى نفي مقابله لجرى في كل مثبت ككرهت بمعنى ما أردت، وأبغضت بمعنى ما أجبته، وهكذا.

قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ليعليه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ قال أبو هريرة والضحاك: ذلك عند نزول عيسى على نبيِّنا وعليه الصَّلاة والسَّلام، فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام، ويدلّ على صحة هذا التأويل ما رُوِيَ عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى على نبيِّنا وعليه الصَّلاة والسَّلام، قال: قال النبي ﷺ: «ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام». وأخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللَّات والعُزَّى»، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أظنّ حين أنزل الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣٣] أن ذلك تام، قال:

دين الحق على كل دين ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ﴾ استعمار الأكل للأخذ ﴿وَالْبَاطِلُ﴾ أي (بالرشا) في الأحكام ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ (سفلتهم) ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحرار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميتين فيهم: أخذ الرشا وكنز الأموال و(الضن) بها عن الإنفاق في سبيل الخير. ويجوز أن يُراد المسلمون الكانزون غير المنفقين، ويقرون بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظًا. وعن النبي ﷺ: «ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان باطنًا، وما بلغ أن يزكي فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهرًا» ولقد كان كثير من الصحابة ؓ (كعبد الرحمن بن عوف)

«إنه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ربحًا طيبة تتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم». قوله: (بالرشا) جمع رشوة. في المصباح: الرشوة - بالكسر - ما يُعطيه الشخص الحاكم وغيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد، وجمعها رشى مثل سدره وسدر، والضم لغة، وجمعه رُشَى - بالضم أيضًا - ورشوته رشوا من باب قتل: أعطيته رشوة فارثشى، أي أخذ. اهـ. قوله: (سفلتهم) في مختار الصحاح: السفلة - بكسر الفاء - السُّقاط من الناس. يقال: هو من السفلة ولا تقل: هو سفلة؛ لأنها جمع، والعامّة تقول: رجل سفلة من قوم سفل. وبعض العرب يخفف، فتقول: فلان من سفلة الناس، فتثقل كسرة الفاء إلى السين. اهـ. قوله: (الضن) في مختار الصحاح: ضنَّ بالشيء يضمن - بالفتح - ضنًا - بالكسر - وضنانه - بالفتح - أي بخل، فهو ضنين. اهـ.

قوله: (كعبد الرحمن بن عوف) الصحابي. هو أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري المدني، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن، وأمه الشفا بنت عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة. وُلد بعد الفيل بعشر سنين. أسلم عبد الرحمن قديمًا قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهو أحد الثمانية السابقة إلى الإسلام. وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر. وأحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد الستة الذين هم أهل شورى الذين



و(طلحة يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية، لأن الإعراض اختيار للأفضل والاقتناء مباح) لا يذم صاحبه ﴿وَلَا يُفْقَوْنَهَا فِي سَبِيلِ

أوصى إليهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم بالخلافة، وقال: إن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ، وكان من المهاجرين الأولين، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله، أعتق في يوم إحدى وثلاثين عبداً. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وستون حديثاً، اتفقا منها على حديثين، وانفرد البخاري بخمسة. رَوَى عنه ابن عمر وابن عباس وجابر وأنس وجبير بن مطعم وغيرهم من الصحابة وخلائق من التابعين منهم بَنُو إبراهيم وحמיד ومصعب بنو عبد الرحمن. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: إحدى وثلاثين، وهو ابن ثنتين وسبعين، وقيل: خمس وسبعين، وقيل: ثمانٍ وسبعين. ودُفِنَ بالبقيع رضي الله تعالى عنه.

**قوله:** (طلحة) بن عبيد الله الصحابي، أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وسمّاه رسول الله ﷺ طلحة الخير وطلحة الجود، وهو من المهاجرين الأولين، ولم يشهد بدرًا، ولكن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره كمن حضر، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه إذا ذكر أحداً قال: ذلك يوم كان كله لطلحة. رُوِيَ لطلحة عن رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون حديثاً، اتفقا منها على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة. قُتِلَ رضي الله تعالى عنه يوم الجمل لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ستٍ وثلاثين، وهذا لا خلاف فيه، وكان عمره أربعاً وستين سنة، وقيل: ثمانياً وخمسين، وقيل: اثنين وستين، وقبره بالبصرة مشهور يُزار ويُتبرك به. رَوَى عنه بَنُو موسى وعيسى ويحيى وعامر بن سعد وخلائق غيرهم من التابعين رضي الله تعالى عنهم. **قوله:** (يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية؛ لأن الإعراض اختيار للأفضل، والاقتناء مباح)...

﴿اللَّهُ﴾ الضمير راجع إلى المعنى لأن كل واحد منهما دنانير ودراهم، فهو كقوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: الآية ٩]. أو أريد الكنوز والأموال، أو معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله:

(فإني وقيار بها لغريب)

وقيار كذلك. وخصا بالذكر من بين سائر الأموال لأنهما (قانون التمول) وأثمان الأشياء. وذكر كنزهما دليل على ما سواهما ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

الخ. في مختار الصحاح: قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنيئها أيضا قنية - بكسر القاف وضمتها فيهما - إذا اقتنيئتها لنفسك لا للتجارة، واقتناء المال وغيرها اتخاذه. اهـ. قوله:

(فإني وقيار بها لغريب)

أوله:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ

وهو لضابئ بن الحارث البُرْجمي، وقيار قيل: هو اسم جمل ضابئ بن الحارث، وقيل: هو اسم لفرسه، يقول: مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ بَيْتَهُ وَمَنْزَلَهُ فَلَسْتُ مِنْهَا وَلَا لِي بِهَا مَنْزَلٌ. وكان عثمان رضي الله تعالى عنه حبسه لفرية افتراها، وذلك أنه استعار كلبًا من بعض بني نهشل يقال له قرحان، فطال مكثه عنده وطلبوه، فامتنع عليهم فعرضوا له وأخذوه منه فغضب فرمى أمتهم بالكلب، وله في ذلك شعر معروف، فاعتقله عثمان وحبسه إلى أن مات عثمان رضي الله تعالى عنه، وكان هم بقتل عثمان لما أمر بحبسه، ولهذا يقول:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عَثْمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ

اهـ لسان العرب.

قوله: (قانون التمول) القانون لفظ رومي معرب جمعه قوانين، وهو في الأصل بمعنى المسطر، ثم استعمل بمعنى الأصل. اهـ شهاب رحمه الله.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَكُوفَ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

ومعنى قوله: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أن النار تحمى عليها أي توقد، وإنما ذكر الفعل لأنه مسند إلى الجار والمجرور، أصله يوم تحمى النار عليها، فلما حذفت النار قيل: ﴿يُحْمَىٰ﴾ لانتقال الإسناد عن النار إلى عليها كما تقول: «رفعت القصة إلى الأمير» فإن لم تذكر القصة قلت: «رفع إلى الأمير» ﴿فُتَكُوفَ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وخصت هذه الأعضاء لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير (عبسوا)، وإذا ضمهم وإياه مجلس (ازوروا) عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم. أو معناه يكونون على الجهات الأربع مقاديمهم وماخيرهم وجنوبهم ﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ﴾ يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وهو توبيخ ﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ﴾ (أي وبال المال الذي كنتم تكذبونه، أو وبال كونكم كانزين).

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ آفَقِينَ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقِيلُوا لِمُشْرِكِي كَافَّةً كَمَا يُقِيلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ من غير زيادة، والمراد بيان أن أحكام الشرع تبني على الشهور القمرية المحسوبة بالأهلة دون الشمسية ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيما أثبتته وأوجبه من حكمته أو في اللوح ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

قوله: (عبسوا) بابه جلس. قوله: (ازوروا) فعل ماض من باب احمر احمرًا، والازورار الانحراف، أي انحرفوا وعدلوا.

قوله: (أي وبال المال الذين كنتم تكذبونه) إشارة إلى موصولية ما، وتقدير العائد بتقدير المضاف.

قوله: (أو وبال كونكم كانزين) إشارة إلى أن ما مصدرية، وقدر المضاف؛ إذ نفس الكنز ليس بمذوق.

وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴿٣٦﴾ (ثلاثة سرود: ذو القعدة) للعود عن القتال، و(ذو الحجة) للحج، (والمحرم) لتحريم القتال فيه، وواحد فرد وهو رجب لترجيح العرب إياه أي لتعظيمه ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْنَا﴾ أي الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية يعني أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسيء فغيروا ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ في الحرم أو في الاثني عشر ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بارتكاب المعاصي ﴿وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ حال من الفاعل أو المفعول ﴿كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ جميعاً ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي ناصر لهم حتّم على التقوى بضمان النصرة لأهلها.

قوله: (ثلاثة سرود) أي متوالية من سرود<sup>(١)</sup> العدد تابعه. قوله: (ذو القعدة) بكسر القاف وفتحها. اهـ قنوي رحمته الله.

قوله: (ذو الحجة) بكسر الحاء.

قوله: (والمحرم) لا يستعمل بغير الألف لكونه علماً بالعلبة، ولا يجوز في الأعلام التصرف والتغير.

قوله: ﴿وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾... الخ. اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم، فقال قوم: كان كبيراً حراماً ثم نُسخ بقوله: ﴿وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: الآية ٣٦]، يعني في الأشهر الحرم وفي غيره، وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني والزهرّي وسفيان الثوري، قالوا: لأن النبي ﷺ غزا هوازن بحنين وثقيفاً بالطائف وحاصرهم في شِوَال وبعض ذي القعدة، وقال آخرون: إنه غير منسوخ. قال ابن جريج: حلف بالله عطاء بن أبي رباح ما يحل للناس أن يغزوا في الحزم ولا في الأشهر الحرم، وما نُسخ إلا أن يُقاتلوا فيها. اهـ خازن.

(١) في المصباح: سردت الحديث سرّداً من باب قتل، أتيت به على الولاء، وقيل لأعرابي: أتعرف الأشهر الحرم؟ فقال: ثلاثة سرود وواحد فرد. اهـ منه. عمّ فيضهم.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْسِنُونَ عَامًا وَيُكْذِبُونَ عَامًا لِيُؤْطَقُوا عَذَابَ اللَّهِ فَيَحْلُوتَ مَا حَزَمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ بالهمزة) مصدر نساء إذا أخره، وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر. وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شقَّ عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرًا آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم، فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ أي هذا الفعل منهم زيادة في كفرهم ﴿يُضَلُّ﴾ كوفي غير أبي بكر ﴿بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالنسيء. والضمير في ﴿يُحْلُوتُ عَامًا وَيُكْذِبُونَ عَامًا﴾ للنسيء أي إذا أحلوا شهرًا من الأشهر الحرم عَامًا رجعوا فحرموه في العامل القابل ﴿لِيُؤْطَقُوا عَذَابَ اللَّهِ﴾ ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين. واللام تتعلق بـ ﴿يُحْسِنُونَ﴾ و«يحرمونه» (أو بـ «يحرمونه») فحسب (وهو الظاهر) ﴿فَيَحْلُوتَ مَا حَزَمَ اللَّهُ﴾ أي فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حَزَمَ الله من القتال. أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها ﴿زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ﴾ زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ حال اختيارهم الثبات على الباطل.

قوله: ﴿النَّسِيءُ﴾ بالهمزة) المضمومة الممدودة بعد الياء، وهو قراءة الجمهور. وقرأ ورش بإبدال الهمزة ياء وإدغام الياء التي قبلها فيها، فيصير اللفظ بياء مشددة. قوله: ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتح الضاد مبنياً للمفعول من أضل معدى ضل (كوفي غير أبي بكر) شعبة عن عاصم، أي حفص وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ يعقوب بضم الياء وكسر الضاد مبنياً للفاعل من أضل، وفاعل يضل ضمير البارئ تعالى، أو الذين كفروا والمفعول محذوف، أي أتباعهم. والباقون بفتح الياء وكسر الضاد بالبناء للفاعل من ضل، وفاعله الموصول. قوله: (أو يحرمونه) فحسب، أي فقط (وهو الظاهر)، وهو مقتضى مذهب البصريين، فإنهم يعملون الثاني من المتنازعين لقربه. ومذهب الكوفيين يقتضي أن تكون متعلقة بيحلونه؛ لأنهم يعملون الأول لسبقه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا﴾ اخرجوا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ﴾ تشاقلتم وهو أصله إلا أن التاء أدغمت في التاء فصارت ثاء ساكنة، فدخلت ألف الوصل لئلا يبدأ بالساكن أي تباطأتم ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ ضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بـ «إلى» أي ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه، أو ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم، وكان ذلك في غزوة تبوك استنفروا في وقت عسرة وقحط و(قيظ) مع بعد ﴿الشُّقَّةُ﴾ وكثرة العدو فشق عليهم ذلك. وقيل: ما خرج رسول الله ﷺ في غزوة (إِلَّا وَرَى عَنْهَا) غيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام (العدة) ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ بدل الآخرة ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ في جنب الآخرة ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾ إلى الحرب ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا﴾ (سخط) على المتشاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين، وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوماً آخرين خيراً منهم وأطوع، وأنه غني عنهم في نصره دينه لا يقدر تشاقلهم فيها شيئاً. وقيل: الضمير في ﴿وَلَا تَضُرُّهُ﴾ للرسول ﷺ لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعدته

قوله: (قيظ) شدة حر الصيف. قوله: ﴿الشُّقَّةُ﴾ بالضم والكسر مسافة بعيدة يشق قطعها. قوله: (إِلَّا وَرَى عَنْهَا) أي سرّها وأظهر غيرها. قوله: (العدة) بالضم الاستعداد والتأهب، والعدة ما أعدته من مال أو سلاح أو غير ذلك، والجمع عدد مثل غرفة وغرف. اهـ مصباح.

قوله: (سخط) في مختار الصحاح: السَّخَط - بفتحين - والسَّخَط بوزن القفل ضد الرضا، وقد سَخِطَ أي غضب، وبابه طرب، فهو ساخط. اهـ.

كائن (لا محالة) ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من التبديل والتعذيب وغيرهما ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ إلا تنصروه فسينصروه من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد، فدلّ بقوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (أسند الإخراج إلى الكفار) لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكانهم أخرجوه ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ أحد اثنين كقوله: «ثالث ثلاثة» وهما رسول الله وأبو بكر، وانتصابه على الحال ﴿إِذْ هُمَا﴾ بدل من ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ﴾ ﴿فِي الْغَارِ﴾ هو (نقب في أعلى ثور وهو جبل في اليمنى مكة) على مسيرة ساعة (مكثا فيه ثلاثاً) ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل ثانٍ ﴿لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بالنصرة والحفظ. قيل: (طلع المشركون) فوق الغار (فأشفق) أبو بكر على رسول الله ﷺ فقال: إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال ﷺ: «(ما ظنك) باثنين الله ثالثهما». وقيل: لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله ﷺ: «اللهم

قوله: (لا محالة) أي لا بد.

قوله: (أسند الإخراج إلى الكفار) مع أنَّ المُسْنَد إليهم ليس إلا الهم بإخراجه أو قتله، وهو عليه الصلاة والسلام، وإنما أخرج بإذن الله تعالى لا بإخراج الكفرة إياه. قوله: (نقب) بفتح النون وسكون القاف، أي ثقب، أي كوة (في أعلى ثور) بفتح الثاء وسكون الواو، فسره المصنف بقوله: (وهو جبل في اليمنى مكة) أي في الجهة اليمنى، والمراد بالجهة اليمنى ما يلي المغرب. اهـ قنوي. قوله: (مكثا فيه ثلاثاً) أي ثلاث ليالٍ. قوله: (طلع المشركون) أي أشرفوا قوله: (فأشفق) أي خاف. قوله: (ما ظنك) باثنين... الخ. أي أنظرَ بهما شراً وضرراً.

أعم أبصارهم» فجعلوا (يترددون) حول الغار ولا (يفطنون) قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا: مَنْ أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك (لسائر الصحابة) ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ ما ألقى في قلبه من الأمانة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه ﴿عَلَيْهِ﴾ على النبي ﷺ أو على أبي بكر لأنه كان يخاف وكان ﷺ ساكن القلب ﴿وَأَيْدُهُمْ يَجُودُونَ لَمْ تَرَوْهَا﴾ هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه، أو أيده بالملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي دعوتهم إلى الكفر ﴿السُّفْلَى﴾ وَكَلِمَةَ اللَّهِ ﴿دَعَوْتَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ ﴿هِيَ﴾ فصل ﴿الْعَلْيَا﴾ ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ بالنصب: يعقوب بالعطف، والرفع على الاستئناف أوجه إذ هي كانت ولم تزل عالية ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يعز بنصره أهل كلمته ﴿حَكِيمٌ﴾ يذل أهل الشرك بحكمته.

﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤١﴾

﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا﴾ في النفور لنشاطكم له ﴿وَوَثِقَالًا﴾ عنه لمشقته عليكم، أو خفافاً لقلّة عيالكُم وثقالاً لكثرتها، أو خفافاً من السلاح وثقالاً منه، أو ركبائنا و(مشاة) أو (شباباً) وشيوخاً، أو (مهازِيل)

قوله: (يترددون) بمعنى يجيئون ويذهبون مَرَارًا. قوله: (يفطنون) من بابي تعب وقتل. قوله: (لسائر الصحابة) في المصباح: اتفق أهل اللغة أن سائر الشيء باقيه، قليلاً كان أو كثيراً. قال الصَّغَانِي: سائر الناس باقيهم، وليس معناه جميعهم كما زعم مَنْ قَصَرَ في اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام. اهـ. قوله: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ بالنصب أي بنصب التاء (يعقوب) البصري، وليس من السبعة (بالعطف) على كلمة الذين. والباقون بالرفع على الابتداء، وهو أبلغ - كما في البيضاوي - لما فيه من الإشعار بأن كلمة الله عالية في نفسها، وإن فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه، ولا اعتبار، ولذا وسط الفصل.

قوله: (مشاة) جمع ماشٍ. قوله: (شباباً) جمع شاب. في مختار الصحاح: الشَّبَاب جمع شاب، وكذا الشُّبَّان والشباب أيضاً: الحداثة. اهـ. قوله: (مهازِيل) في لسان العرب: الهزال نقيض السمن، وقد هزل الرجل والدابة هزالاً على ما لم يُسَمَّ



و(سمانًا، أو صحاحًا ومراضًا) ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ إيجاب للجهاد بهما إن

فاعله، وهزل هو هزلاً وهزلاً. اهـ. وأيضاً فيه: وفي الهزال يقال: هزل الرجل يُهزل، فهو مهزول. اهـ. قوله: (سمانًا) جمع سمين. في لسان العرب: السمن نقيض الهزال، والسمين خلاف المهزول، وشيء سامن وسمين، والجمع سمان. اهـ باختصار. قوله: (أو صحاحًا) جمع صحيح. في المصباح: صَح الشيء يصح من باب ضرب، فهو صحيح، والجمع صحاح، مثل كريم وبرام. اهـ. (ومراضًا) جمع مريض. اهـ لسان العرب. وفي التفسيرات الأحمدية: إن كان معناه صحاحًا ومراضًا كان منسوخًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِیَسْفَرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: الآية ١٢٢]، بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [الثور: الآية ٦١]، ويقول تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يَفْقُوثُ حَرْجٌ﴾ [التوبة: الآية ٩١] الآية، وأنه ناسخ للآيات التي نهى فيها عن القتال، مثل قوله تعالى: ﴿فَاتِمَّا عَلَيْكَ الْبَلْعُ﴾ [آل عمران: الآية ٢٠] وأمثاله.

وقد أورد صاحب البيضاوي كلامًا يدل على أنه إن كان معناه صحاحًا ومراضًا كان منسوخًا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [الثور: الآية ٦١]، حيث قال: أو صحاحًا ومراضًا، ولذلك لما قال ابن أم مكتوم لرسول الله ﷺ: أعلي أن أنفر؟ قال: «نعم» حتى نزل: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ [الثور: الآية ٦١] الآية، وكذلك قال صاحب الكشاف. ثم قال: وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: نُسخت بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ [التوبة: الآية ٩١]، ثم نقل عن صفوان والزهري ما يدل على بقائها، سواء كان ندبًا أو وجوبًا. وفي الحسيني عن أسباب النزول: أنه نزل حين تخلف جماعة عن غزوة تبوك بحيلة حمل الأثقال، ف قيل لهم: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا﴾ [التوبة: الآية ٤١] عن الأحمال. ﴿وَفَقَالَا﴾ [التوبة: الآية ٤١] معها. ولم يتعرض صاحب المدارك والإمام الزاهد بنسخه ولا عدمه على أحد من التقدير، وكلام صاحب الهداية في أول باب الجهاد يدل على أن الآية محمولة على التغير العام من غير نسخ مطلقًا، حيث قال: إلا أن يكون التغير عامًا فيصير من فروض الأعيان؛ لقوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: الآية ٤١] الآية.

أمكن، أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ﴾ الجهاد

وصاحب الإتيان قد جعل الآية منسوخة بالآيات الثلاث مطلقاً، سواء كان بمعنى صحاحاً أو مراضاً أو غيره. وأعم من أن يكون التفسير عاماً أو لا، وأن يكون الأمر للوجوب أو لا، هذا ما قالوا.

وأقول: قد تقرّر بين الفقهاء أنّ التفسير إذا كان عاماً فرض الخروج على المسلمين جميعاً، سوى الأعمى والمقعّد والأقطع وأشباههم، وإذا لم يكن التفسير عاماً يكون الخروج فرض كفاية إن أقامه البعض سقط عن الباقين، وإن تركوا أثموا، فإن لم يكن الآية محمولة على التفسير العام، فإن كان الأمر للوجوب تكون الآية منسوخة بأي معنى أخذ الخفاف والثقال؛ لأن التعميم حاصل على جميع معانيها، أو تكون محمولة على غزوة تبوك خاصة، وإن كان الأمر للندب كانت الآية باقية على جميع من المعاني، وإن كانت الآية محمولة على التفسير العام، والأمر للوجوب؛ فحينئذ تكون منسوخة على تقدير أن يكون معناه صحاحاً ومراضاً، سواء كان بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَسْفَرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: الآية ١٢٢]، وبقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ [الثور: الآية ٦١] الآية، أو بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ [التوبة: الآية ٩١] الآية، وإن كان الأمر للندب حينئذ، ففي نسخها وعدمه احتمال، والأولى عدمه.

واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَسْفَرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: الآية ١٢٢] دالّ بالالتزام على عدم وجوب القتال على المرضى، والآيتان الباقيتان تدلان بالمطابقة على ذلك، وأن المريض في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الثور: الآية ٦١] مقابل للأعمى والأعرج، وهو إما عام منهما أو مبائن لهما، ولكن العرف العام يطلق المريض على الأعمى والأعرج، فيكون عامّاً؛ ولما لم يكن نفي الأخص مستلزماً لنفي الأعم، قال: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الثور: الآية ٦١]، وفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ [التوبة: الآية ٩١] مقابل بالضعفاء، فيكون الضعفاء هم الشيخ الفاني ونحوه. ويشتمل المرضى الأعمى والأعرج أيضاً. وبالجمله، فعلم أنّ المريض لا يفرض عليه الجهاد، وإن كان التفسير عاماً، ولكن المريض قد يُطلق على ذي مرض، مثل الحمى ووجع الرأس؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تركه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ كون ذلك خيراً فبادروا إليه. ونزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٤٢)

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا﴾ هو ما عرض لك من منافع الدنيا. يقال: الدنيا عرض حاضر يأكل منه (البر) والفاجر أي لو كان ما دعوا إليه مغنماً ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطاً مقارباً، والقاصد والقصد المعتدل ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾ لوافقوك في الخروج ﴿وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة (الشاقة) الشاقة ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾. من دلائل النبوة لأنه أخبر بما سيكون بعد (القفول) فقالوا كما أخبر، و﴿بِاللَّهِ﴾ متعلق بـ ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾. أو هو من جملة كلامهم، والقول مراد

[البقرة: الآية ١٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ [النساء: الآية ٤٣]. وقد يُطلق على مثل الأعمى والأعرج والمقعّد والأقطع والزّمين. والمريض المذكور في مقابلة الصحيح في قوله: صحاحاً ومرأضاً إن كان موافقاً للمريض المذكور في الناسخ في أي إطلاقٍ كان، كان نسخه به صحيحاً، وإلا لا.

ومجال الشبهة في هذا المقام كثير، وجعل الصحاح والبراض تفسيراً للخفاف والثقال يناسب أن يكون الصحة والمرض هو ما يطراً على الإنسان مع سلامة الآلات، وكذا آيتان: قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ﴾ [الثور: الآية ٦١] بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ﴾ [الثور: الآية ٦١] يدل على أن المراد هو ما يطراً عليه مع سلامة الآلات، ولكن أبداً. وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرَضِ﴾ [التوبة: الآية ٩١] بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ [التوبة: الآية ٩١] يدل على أنه يشتمل الأعمى والأعرج أيضاً، فيعم كلا المعنيين، ولا يجب عليه الجهاد، والأولى التعميم في الكل على ما لا يخفى؛ هذا كله يخطر بالبال ولم ينص به أحد فيما أرى. والله أعلم بحقيقة الحال، وحقيقة المقال. اهـ.

قوله: (البرز) - بالفتح - خلاف الفاجر. قوله: (الشاقة) البعيدة. في لسان العرب: الشطاط: البعد شطّ داره تُشَطُّ وتُشَطُّ شطّاً وشطوطاً بُغِدَتْ، وكل بعيد شاط. اهـ. قوله: (القفول) الرجوع من السفر، وبابه دخل. اهـ مختار الصحاح.

في الوجهين أي سيحلفون - يعني المتخلفين - عند رجوعك من غزوة تبوك معتردين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا. (وقوله: ﴿لَخَرَجْنَا﴾ سد مسد جوابي القسم و﴿لَوْ﴾ جميعاً). ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان (كانهم تمارضوا) ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بدل من ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾ أو حال منه أي مهلكين، والمعنى أنهم يهلكونها بالحلف الكاذب، أو حال من ﴿لَخَرَجْنَا﴾ أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها على المسير في تلك المشقة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يقولون.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَقٌّ يَبَيِّنُ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ (٤٣)

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ كناية عن الزلة لأن العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب، وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء عليهم السلام ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو، ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا (استأنيت) بالإذن! ﴿حَقٌّ يَبَيِّنُ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ يتبين لك الصادق في العذر من الكاذب فيه. وقيل: شيئان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه الفدية من الأسارى، فعاتبه الله. وفيه دليل

قوله: (وقوله: ﴿لَخَرَجْنَا﴾ سد مسد جوابي القسم، و﴿لَوْ﴾ جميعاً) فإنهما إذا اجتماعاً وتقدّم القسم على الشرط يجعل المذكور بعدهما جواباً للقسم ويحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: فيه مذهبان، أحدهما: أن لخرجنا جواب القسم، وجواب لو محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط إذا تقدم القسم، وهو اختيار ابن عصفور رحمه الله. والآخر: أن لخرجنا جواب لو، وهي وجوابها جواب القسم، وهو اختيار ابن مالك رحمه الله. وأمّا كونه ساداً مسدّ جوابي القسم والشرط، فقيل عليه: إنه لم يذهب إليه أحد من أهل العربية. وأجيب عنه بأن مراده أنه لما حذف جواب لو ودلّ عليه جواب القسم جعل كأنه سدّ مسدّ الجوابين. اهـ. قوله: (كانهم تمارضوا) التمارض أن يُري من نفسه المرض، وليس به. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (استأنيت) استأخرت، من التأنى.

جواز الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام لأنه ﷺ إنما فعل ذلك بالاجتهاد، وإنما عوتب مع أن له ذلك لتركه الأفضل وهم يعاتبون على ترك الأفضل.

﴿لَا يَسْتَفِذُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ ٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَفِذُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَنَّتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَدَّرُونَ ﴿٤٥﴾

﴿لَا يَسْتَفِذُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا ﴿يَأْمُرُوهُمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ﴾ عدة لهم بأجزل الثواب يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلاً ﴿وَأَزَنَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ شكوا في دينهم واضطربوا في عقيدتهم ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَدَّرُونَ﴾ يتحيرون لأن التردد (ديدن المتحير) كما أن الثبات ديدن المتبصر.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ٤٦﴾

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ﴾ للخروج أو للجهاد ﴿عُدَّةً﴾ (أهبة) لأنهم كانوا (مياسير)، ولما كان ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معطياً معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ (نهوضهم) للخروج كأنه

قوله: (ديدن المتحير) الدَّيْنُ والَّذِينَ العادة، تقول: ما زال ذلك ديدنه وذيدونه ودينه ودأبه وعادته وسدمه وهجيزه وهجيراه وإهجيراه ودرايته. اهـ لسان العرب.

قوله: (أهبة) بهمزة مضمومة تليها هاء وموحدة، هي هنا ما يحتاج إليه المسافر؛ كالزاد والراحلة. قوله: (مياسير) في لسان العرب: أَيْسَرَ الرجل إِيسَارًا وَيُسْرًا عن كراع. واللَّحْيَانِي: صار ذا يسار<sup>(١)</sup>، والصحيح أن اليُسْرَ الاسم، والإيسار المصدر، ورجل مُوسِر والجمع مياسير، عن سيبويه. قال أبو الحسن: وإنما ذكرنا مثل هذا الجمع؛ لأن حكم مثل هذا أن يُجمع بالواو والنون في المذكر والألف والتاء في المؤنث. قوله: (نهوضهم) في مختار الصحاح: نهَضَ

(١) اليسار: الغنى. اهـ لسان العرب منه عم فيضهم.

قيل: ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكرهه انبعاثهم ﴿فَثَبَطَهُمْ﴾ فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الأمر بالتزهيد فيه ﴿وَقِيلَ أَقْعُدُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض، أو قاله الرسول ﷺ غضباً عليهم، أو قاله الشيطان بالوسوسة ﴿مَعَ الْفَاعِلِينَ﴾ هو ذم لهم وإلحاق بالنساء والصبيان (والزمنى) الذين شأنهم القعود في البيوت.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْعُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٤٧)

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ﴾ بخروجهم معكم ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ إلا فساداً وشرّاً، والاستثناء متصل لأن المعنى ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً، والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك: «ما زادوكم خيراً إلا خبالاً والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور، وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلاً لأن الخبال بعضه ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ ولسعوا بينكم (بالتضريب) و(النمائ) وإفساد ذات البين. يقال: وضع البعير وضعا إذا أسرع. وأوضعتة أنا. والمعنى ولأوضعوا (ركائبهم) بينكم، والمراد الإسراع بالنمائ لأن الراكب أسرع من الماشي. وخط في المصحف «ولا أوضعوا» بزيادة الألف لأن الفتحة كانت تكتب ألفاً قبل الخط العربي، والخط العربي اخترع قريباً من نزول القرآن وقد بقي من تلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفاً وفتحها ألفاً

قام، وبابه قطع وخضع. اهـ. قوله: (والزمنى) في المصباح: زمن الشخص زمناً وزمانه، فهو زمنٌ من باب تعب، وهو مرض يدوم زماناً طويلاً، والقوم زمناً مثل مرضى. اهـ.

قوله: (بالتضريب) أي الإفساد، من قولهم: ضرب البرد النبات إذا أفسده. اهـ شهاب رحمه الله. قوله: (النمائ) في المصباح: نم الرجل الحديث نمّاً من بابي قتل وضرب سعى به ليوقع فتنة أو وحشة، فالرجل نم تسمية بالمصدر، ونمّام مبالغه، والاسم الثميمة، والثميم أيضاً. اهـ. قوله: (ركائبهم) في لسان العرب: يجمع الركاب ركائب. اهـ. وفي مختار الصحاح: الركاب الإبل التي يسارع عليها، الواحدة راحلة، ولا واحد لها من لفظها. اهـ.

أخرى ونحوه «أو لا أذبحنه» [النمر: الآية ٢١] ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ حال من الضمير في «أوضعوا» ﴿الْفِتْنَةَ﴾ أي يطلبون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ أي نامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ بالمنافقين.

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ﴾ بصد الناس أو (بأن يفتكوا به ﷺ ليلة العقبة، أو بالرجوع يوم أحد) ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل غزوة تبوك ﴿وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ ودبروا لك (الحيل) والمكايد ودوروا الآراء في إبطال أمرك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ وهو تأييدك ونصرك ﴿وَبُظْهِرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وغلب دينه وعلا شرعه ﴿وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ (أي على رغم منهم).

قوله: (بأن يفتكوا به عليه السلام) في مختار الصحاح: الْفَتْكُ: القتل على غرة، أي غفلة - بفتح الفاء وضمها وكسرهما - وقد فَتَكَ به يُفْتِكُ بالضم والكسر. اهـ. (ليلة العقبة) قال العلامة شيخ زاده رَحِمَهُ اللهُ: وقف اثنا عشر رجلاً من المنافقين على ثنية الوداع<sup>(١)</sup> ليلة العقبة ليفتكوا به ﷺ، فأخبره الله تعالى بذلك وسلمه منهم. اهـ. (أو بالرجوع يوم أحد)، فإن ابن أبي انصرف يوم أحد مع أصحابه، وهم ثلاثمائة، وبقي النبي ﷺ مع خَلَص المؤمنين. وهم سبعمائة. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ اللهُ. قوله: (الحيل) جمع جيلة. اهـ لسان العرب. وفي المصباح: الجيلة الحذق في تدبير الأمور، وهو تقليب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود، وأصلها الواو. اهـ. قوله: (أي على رغم منهم) أي المراد بقوله: ﴿وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: الآية ٥٤] لازمه، وهو جعلهم أذلاء مستحقين. اهـ قنوي رَحِمَهُ اللهُ.

(١) موضع معروف شامي المدينة، وهو بفتح المثلثة وكسر التون وتشديد الياء: العقبة، والوداع - بفتح الواو - سُمي بها لأنه يودع الخارج بها. وقيل: الوداع اسم واد خلفها. اهـ شهاب. ١٢ منه عم فيصهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُنْذِرْنِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٤٩)

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُنْذِرْنِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ ولا توقعني في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي فإني إن تخلفت بغير إذنك أثمت، أو لا تلقني في (الهلكة) فإني إذا خرجت معك هلك مالي وعيالي. وقيل: قال (الجد بن قيس) المنافق: قد علمت الأنصار إني (مستهتر) بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر - يعني نساء الروم - ولكني أعينك بمالي فاتركني ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ يعني أن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (الآن لأن أسباب الإحاطة معهم أو هي تحيط بهم يوم القيامة).

قوله: (الهلكة) مثال قصبة بمعنى الهلاك. اهـ مصباح. قوله: (الجد بن قيس) بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، يكنى أبا عبد الله، وهو ابن عم البراء بن معرور. روى عنه جابر وأبو هريرة، وكان ممن يظن فيه النفاق. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُنْذِرْنِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ [التوبة: الآية ٤٩]، وكان قد ساد في الجاهلية جميع بني سلمة، فانتزع رسول الله ﷺ سؤدده، وجعل مكانه في النقاية عمرو بن الجموح، وحضر يوم الجديبية بايع الناس رسول الله ﷺ إلا الجد بن قيس، فإنه استتر تحت بطن ناقته ﷺ، وقيل: إنه تاب وخسنت توبته، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه. اهـ أسد الغابة باختصار.

قوله: (مستهتر) - بفتح التاءين - أي مولع - بفتح اللام - بمعنى كثير الشغف والمحبة، يعني فاحش العشق لهن أو مواقعتهن من غير جل.

قوله: (الآن لأن أسباب الإحاطة معهم، أو هي تحيط بهم يوم القيامة)؛ فعلى الأول المجاز في جهنم حيث استعمل في الأسباب. وعلى الثاني في محيطه حيث استعمل في الاستقبال، أو الكلام تمثيل شَبَّهت حالهم في إحاطة الأسباب بحالهم عند إحاطة النار.



﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَسْتَوِلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿إِنْ تُصِيبَكَ﴾ في بعض الغزوات ﴿حَسَنَةٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿سُؤْهُمْ﴾ وإن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ (نكبة) وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا﴾ الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل (الحزم) ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل ما وقع ﴿وَيَسْتَوِلُوا﴾ عن مقام التحدث بذلك إلى أهاليهم ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أي قضى من خير أو شر ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ أي الذي يتولانا وتولاه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله.

﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بَنًا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بَنًا﴾ تنتظرون بنا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ وهما النصره والشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السوءيين إما ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ وهو (قارعة) من السماء كما نزلت على (عاد وثمود) ﴿أَوْ﴾ بعذاب ﴿بِأَيْدِينَا﴾ وهو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ بنا ما ذكرنا ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ ما هو عاقبتكم.

قوله: (نكبة) في المصباح: النكبة المصيبة، والجمع نكبات مثل سجدة وسجدات. اهـ. قوله: (الحزم) في مختار الصحاح: الحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة. اهـ.

قوله: (قارعة) القارعة: الداهية والمصيبة. قوله: (عاد) قبيلة وهم قوم هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (ثمود) قبيلة، ويصرف ويضمم الثاء، وقرئ به أيضًا. اهـ قاموس. وهم قوم صالح على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٥٣)

﴿قُلْ أَنْفِقُوا﴾ في وجوه البر ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ طائعين أو مكرهين نصب على الحال. ﴿كَرْهًا﴾ حمزة وعلي وهو أمر في معنى الخبر ومعناه ﴿لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ أنفقتم طوعاً أو كرها ونحوه ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٨٠] وقوله:

(أسيئي بنا أو أحسنني لا ملومة دينا ولا مقلية إن نقلت)

أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، ولا نلومك أسأت إلينا أو أحسنت، وقد جاز عكسه في قولك: «رحم الله زيداً»، ومعنى عدم القبول أنه عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها أو لا يشيها الله. وقوله: ﴿طَوْعًا﴾ أي من غير

قوله: ﴿كَرْهًا﴾ بضم الكاف (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بالفتح، وهما لغتان. قوله:

(أسيئي بنا أو أحسنني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن نقلت)

هو لكثير عزة من قصيدته المشهورة، يقول لعزة: امتحني لطف محلّك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة، فلا نلومك. وقال العلامة التفتازاني بحمته: قوله:

أسيئي بنا أو أحسنني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن نقلت

في صورة الأمر تأكيد لعدم تفاوت الحال، كأنه يأمرها بذلك لتحقيق ثباته على العهد وتبين غاية التبين. ولا في لا ملومة بمعنى غير، وإن نقلت التفات. اهـ بحروفه. وقال الجوهري: وتقلّى أي تبغض. قال كثير:

أسيئي بنا أو أحسنني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن نقلت

خاطبها ثم غائب. اهـ لسان العرب. وكثير عزة هو عبد الرحمن بن أبي جمعة، الأسود بن عامر بن عويمر. أبو صخر الخزاعي الشاعر المشهور أحد عشاق العرب، وإنما صغروه لأنه كان شديد القصر. حدث الوقاصي، قال: رأيت كثيراً يطوف بالبيت، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار، فلا تصدقه، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان أو أخيه عبد العزيز رحمهما الله

إلزام من الله ورسوله ﴿كَرِهًا﴾ أي ملزمين. وسمي الإلزام إكراهًا لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقًا عليهم كالإكراه ﴿إِنَّكُمْ﴾ تعليل لرد إنفاقهم ﴿كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ متمردين عاتين.

تعالى يقول له: طأطء رأسك لا يصيبه السقف، وكان يلقب زب<sup>(١)</sup> الذباب، وكان أول أمره مع عزة التي يتعشقها أنه مرّ بنسوة من بني ضمرة ومعه جلب غنم. فأرسلن إليه عزة، وهي صغيرة. فقالت له: يقلن لك النسوة: بعنا كبشًا من هذه الغنم، وأنسئنا بئمنه إلى أن ترجع؛ فأعطاها كبشًا وأعجبته. فلما رجع جاءت امرأة منهنّ بدراهمه فقال: وأين الصبيّة التي أخذت مني الكبش؟ قالت: وما تصنع بها؟ هذه دراهمك، قال: لا آخذ دراهمي إلّا ممّن دفعت إليه. وولّى وهو يقول:

قضى كل ذي دين فوقى عزيمه وعزة ممطول معنى غريمها  
فقلن له: أبئت إلّا عزة، وأبّرزنها له، وهي كارهة. ثم إنها أحبته بعد ذلك أشدّ من حبه لها.

وعن الهيثم بن عديّ أن عبد الملك سأل كثيرًا عن أعجب خبر له مع عزة، فقال: حججت سنة من السنين وحجّ زوج عزة بها، ولم يعلم أحد منّا بصحبه، فلمّا كنّا ببعض الطريق أمرها زوجها باتباع سمن يصلح به طعامًا لأجل رففته، فجعلت تدور الخيام خيمةً خيمةً حتى دخلت إليّ، وهي لا تعلم أنها خيمتي. وكنت أبري سهمًا لي، فلما رأيته جعلت أبري وأنظر إليها ولا أعلم حتى برّيت ذراعي وأنا لا أشعر والدم يجري، فلمّا تبينت ذلك دخلت إليّ فأمسكت بيدي وجعلت تمسح الدم بثوبها. وكان عندي نحي<sup>(٢)</sup> من سمن، فحلفت لتأخذته، فجاءت به إلى زوجها، فلمّا رأى الدّم سألها عن خبره، قال: فكاتمته حتى حلف عليها لتصدقته، فلما أخبرته ضربها وحلف لتشتمني في وجهي، فوقفت عليّ وهو معها فقالت لي: يا ابن الزانية، وهي تبكي ثم

(١) الزبّ - بالضم - الذكر. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) النحي - بالكسر - الرزق أو مكان السمن خاضة، كالنحي والنحي كفتى. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ﴾ (وبالياء: حمزة وعلي) ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ أنهم فاعل «منع» وهم و ﴿أَنْ تُقْبَلَ﴾ مفعولاه أي وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى ﴿جمع (كسلان)﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿لأنهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى، وصفهم بالطوع في قوله: ﴿طَوْعًا﴾ وسلبه عنهم ههنا لأن المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله ﷺ، أو من رؤسائهم، وما طوعهم ذلك إلا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار.

﴿فَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الإعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه، والمعنى فلا تستحسن ما أوتوا من زينة الدنيا فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم ليُعَذِّبَهُم بالمصائب فيها، أو بالإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له، أو بنهب أموالهم وسبي أولادهم، أو بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب ﴿وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ وتخرج أرواحهم. وأصل الزهوق الخروج بصعوبة، ودلت الآية على بطلان القول بالأصلح لأنه أخبر أن إعطاء الأموال والأولاد لهم

انصرفا، فذلك حيث أقول:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة      لدينا ولا مقلية إن تقلب  
هنيئاً مريباً غير داء مخامر      لعزة من أعراضنا ما استحلت

وكانت وفاة كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك رحمهم الله. اهـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص باختصار.

قوله: (وبالياء) التحتية (حمزة وعلي) الكسائي؛ لأن التانيث غير حقيقي، والباقون بالتاء على التانيث. قوله: (كسلان) بفتح الكاف.

للتعذيب والإماتة على الكفر وعلى إرادة الله تعالى المعاصي، لأن إرادة العذاب بإرادة ما يعذب عليه، وكذا إرادة الأمانة على الكفر.

﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنْكُم مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَئِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْقَهُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَخْدُونَ مَلَجًا أَوْ مَعْرَتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَّوَلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنْكُم﴾ لمن جملة المسلمين ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَئِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْقَهُونَ﴾ يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام (تقية) ﴿لَوْ يَخْدُونَ مَلَجًا﴾ مكانًا يلجئون إليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة ﴿أَوْ مَعْرَتٍ﴾ أو (غيرأنا) ﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾ أو (نفقًا يندسون) فيه (وهو) مفتعل من الدخول ﴿لَّوَلُوا إِلَيْهِ﴾ لأقبلوا نحوه ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون إسرارًا لا يرددهم شيء (من الفرس الجموح).

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَّيْمُرُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُكَ اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَمِنْهُمْ﴾ ومن المنافقين ﴿مَّن يَّيْمُرُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾ «إذا» للمفاجأة أي وإن لم يعطوا منها فاجؤوا السخط، وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهل، لأنه ﷺ استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم (فضجر) المنافقون منه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَاهُمُ

**قوله:** (تقية) التقية ما يظهر لأجل انقضاء الضرر، وليس عن اعتقاد. **قوله:** (غيرأنا) بكسر الغين جمع غار، كثيران ونار. **قوله:** (نفقًا) - بفتحيتين - أي حجرة في الأرض. **قوله:** (يندسون) في القاموس: اندس اندفن. **قوله:** (وهو) مفتعل من الدخول، وهو بناء مبالغة في هذا المعنى. والأصل مدتل، فأدغمت الدال في تاء الافتعال كما في آذان من الدين. **قوله:** (من الفرس الجموح) - بالفتح - النفور الذي لا يرده لجام.

**قوله:** (فضجر) في مختار الصحاح: الضجر القلق من الغم وبابه طرب، فهو ضجر ورجل ضجور. اهـ.

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ جواب «لو» محذوف تقديره: ولو أنهم رضوا لكان خيراً لهم، والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا: كفانا فضل الله وصنعه، وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله ﷺ أكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله في أن (يغنمنا ويخولنا) فضله لراغبون.

ثم بين مواضعها التي توضع فيها فقال:

﴿إِنَّمَا أَصْدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٠﴾

﴿إِنَّمَا أَصْدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم كقولك: «إنما الخلافة لقريش» تريد لا تتعدهم ولا تكون لغيرهم، فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها، وأن تصرف إلى بعضها كما هو مذهبا، (وعن حذيفة بن اليمان وابن عباس) وغيرهما من الصحابة والتابعين أنهم قالوا:

قوله: (يغنمنا) في مختار الصحاح: المغنم والغنيمة بمعنى، وقد غنم - بالكسر - غَنَمًا وَغَنَمَ تَغْنِيمًا، أي نَقَلَ. اهـ. قوله: (يخولنا) في مختار الصحاح: خَوَّلَهُ اللهُ الشَّيْءَ تَخْوِيلًا مَلَكَهُ إِيَّاهُ. اهـ.

قوله: (حذيفة بن اليمان) الصحابي، هو أبو عبد الله. أسلم حذيفة وأبوه وهاجر إلى رسول الله ﷺ وشهدا جميعاً أحدًا وقتل أبوه يومئذ قتله المسلمون خطأ، فوهب لهم دمه، وأسلمت أم حذيفة وهاجرت، وكان صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين يعلمهم وحده. توفي بالمدائن سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما بأربعين ليلة، وقتل عثمان يوم الجمعة لثمانية عشرة خلون من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، ولم يدرك حذيفة وقعة الجمل لأنها كانت في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين، ومناقبه وأحواله كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه. قوله: (ابن عباس) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما.

في أي صنف منها وضعتها أجزأتك. (وعند الشافعي) ﷺ: (لا بد من صرفها إلى الأصناف) وهو المروي عن (عكرمة).

**قوله: (وعند الشافعي)**، هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب رضي الله تعالى عنهم، وكان أبوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر، فأُسِرَ وفدى نفسه ثم أسلم، فقيل له: لِمَ لَمْ تُسَلِّمْ قَبْلَ أَنْ تُفْدى نَفْسَكَ؟ فقال: ما كنت أحرم المؤمنين مطعمًا لهم فيَّ، رحمه الله. (لا بد من صرفها إلى الأصناف) أي يجب أن يُقسم زكاة ماله على الموجودين من الأصناف الستة الذين سماهم: ثمانية أقسام قسمة على السَّواء؛ لأنَّ سهم المؤلَّفة ساقط، وسهم العامل ساقط إذا قسم زكاته بنفسه، ثم حصَّة كل صنف من الأصناف الستة لا يجوز أن تُصرف إلى أقل من ثلاثة منهم إنَّ وجد منهم ثلاثة أو أكثر، فلو فاوت بين أولئك الثلاثة جاز، فإن لم يجد من بعض الأصناف إلَّا واحدًا دفع حصَّته ذلك الصنف إليه ما لم يخرج من حدِّ الاستحقاق، فإن انتهت حاجته وفُضِّل شيء رده إلى الباقي. اهـ خازن. وفي السَّراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشيخ الإمام الخطيب الشربيني قدس الله روحه وعمَّ بالرحمة ضريحه: يجب تعميم الأصناف الثمانية في القسم إن أمكن بأن قسم الإمام ولو بنائبه ووجد، والظاهر الآية سواء في ذلك زكاة الفطر وزكاة المال، وإن لم يمكن بأن قسم المالك؛ إذ لا عامل أو الإمام، ووجد بعضهم كأن جعل عاملًا بأجرة من بيت المال، فتعميم مَنْ وجد منهم، وعلى الإمام تعميم آحاد كل صنف من الزكاة الحاصلة عنده؛ إذ لا يتعذَّر عليه ذلك، وعلى المالك أيضًا إن انحصر الآحاد بالبلد بأن سهَّل عادة ضبطهم ومعرفة عددهم ووفى بهم المال، فإن أخلَّ أحدهما بصنفِ ضمن، وإن لم ينحصروا ولم يفِّ بهم المال، ويجب إعطاء ثلاثة فأكثر من كل صنف لذكره في الآية بصيغة الجمع، وهو المراد في سبيل الله وابر السبيل الذي هو للجنس، ولا عامل في قسم المالك، ويجوز حيث كان أن يكون واحدًا إن حصلت به الكفاية، كما يُستغنى عنه فيما مرَّ، وتجب التسوية بين الأصناف غير العامل. لا بين آحاد الصنف، إلا أن يقسم الإمام وتساوى الحاجات، فتجب التسوية؛ لأن عليه التعميم، بخلاف المالك إذا لم ينحصروا ولم يفِّ بهم المال، هذا مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه.

وقال الرازي وغيره: لا دلالة في الآية على قول الشافعي في أنه لا بد من صرفها إلى جميع الأصناف؛ لأنه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الأصناف. وأما أن صدقة زيد بعينها يجب توزيعها على الأصناف كلها، فلا؛ كما أن قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٤١]، يوجب قسم الخمس على الطوائف من غير توزيع بالاتفاق، وما ذهب إليه الشافعي رضي الله تعالى عنه قول عكرمة، وما ذهب إليه الأئمة الثلاثة من جواز صرفها إلى صنف واحد هو قول عمر وحذيفة وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين، وكل على هدى من ربهم. اهـ باختصار.

**قوله: (عكرمة)،** هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله، مولى عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، أصله من البربر من أهل المغرب كان لحصين بن الخير العبدي، فوهبه لابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين ولي البصرة لعلتي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، واجتهد ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تعليمه القرآن والسنن وسمّاه بأسماء العرب. حدّث عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري والحسن بن علي وعائشة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها، وكان ينتقل من بلد إلى بلد. ورؤي أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال له: انطلق، فأقّت الناس. وقيل لسعيد بن جبير: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال: عكرمة. وقد تكلم الناس فيه؛ لأنه كان يرى رأي الخوارج. ورؤي عن جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ورؤي عنه الزهري وعمرو بن دينار والشعبي وأبو إسحق السبيعي وغيرهم. ومات مولاة ابن عباس وعكرمة على الرق ولم يُعتقه، فباعه علي بن عبد الله بن عباس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار، فأتى عكرمة مولاة عليا فقال: بعثت إليك بأربعة آلاف دينار، فاستقاله فأقاله فأعتقه، وقال عبد الله بن أبي الحارث: دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة مؤثّق على باب كنيف، فقلت: أتفعلون هذا لمولاكم؟ فقال: إن هذا يكذب على أبي. اهـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان للقاضي أحمد الشهير بابن خلّكان عليه رحمة الله تعالى المثنان.



وفي تهذيب الأسماء: وهو من كبار التابعين، سمع الحسن بن عليّ وأبا قتادة وابن عباس وابن عمرو وأبا هريرة وأبا سعيد ومعاوية وغيرهم. رَوَى عنه جماعة من التابعين منهم أبو شعثة الشعمي والنخعي والسبيعي وابن سيرين وعمرو بن دينار وخلاتق غيرهم من التابعين وخلاتق من غيرهم. قال ابن معين: عكرمة ثقة، قال: وإذا رأيت مَنْ يتكلم في عكرمة على الإسلام. وقال أبو حاتم: هو ثقة، وإنما أنكر عليه مالك ويحيى بن سعيد لرأيه، وقال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلا يَحْتَجُّ بعكرمة. وقال محمد بن سعد: كان كثير العلم بحرًا من البحور، وليس يُحْتَجُّ بحديثه ويتكلم الناس فيه. وذكر ابن سعد عن عمرو بن دينار، قال: دفع إليّ أبو الشعثة مسائل أسأل عنها عكرمة، وقال: هو البحر، فأسألوه. وقال أحمد بن عبد الله العجلي: عكرمة ثقة، وهو بريء مما يرميه به الناس. وقال عكرمة: إني لأخرج إلى السوق، فأسمع الرجل يتكلم بكلمة فيفتح لي خمسون بابًا من العلم. وقال أبو حاتم: أعلم موالي ابن عباس عكرمة. وقال أبو أحمد بن عدي: لم يمتنع الأئمة من الرواية عن عكرمة، وأدخله أصحاب الصحاح صحاحهم. قال البيهقي: رَوَى له البخاري دون مسلم. اهـ. وفي وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: وتوفي عكرمة في سنة سبع ومائة، وقيل: سنة ست، وقيل: سنة خمس، وقيل: سنة خمس عشرة، والله أعلم. وعمره ثمانون، وقيل: أربع وثمانون سنة. وروى محمد بن سعد عن الواقدي عن الخالد بن القاسم البياضي، قال: مات عكرمة وكثير عزّة الشاعر في يوم واحد سنة خمس ومائة، فرأيتهما جميعًا صليّ عليهما في موضع الجنائز بعد الظهر، فقال الناس: مات أفقه الناس وأشعر الناس رحمهما الله تعالى، وكان موتهما بالمدينة. وقيل: إنّ عكرمة مات بالقيروان، والأوّل أصح. وكان عكرمة كثير الطواف والجولان في البلاد، دخل خراسان وأصبهان ومصر وغيرهما من البلاد.

وعكرمة - بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة - وهو في الأصل اسم الحمامة الأنثى، فسُمّي به الإنسان. وعُمارة بن حمزة مولى المنصور الموصوف بالتّيه من أولاده، وقال الخطيب البغدادي: هو ابن عكرمة المذكور، والله أعلم. اهـ.

(ثم الفقير الذي لا يسأل) لأن عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لأنه لا يجد شيئاً فهو أضعف حالاً منه.

قوله: (ثم الفقير الذي لا يسأل) ... الخ.

فائدة عظيمة:

اختلف العلماء في حدّ الغني الذي يمنع من أخذ الصدقة، فقال الأكثرون: حدّه أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة، وهو قول مالك والشافعي. وقال أصحاب الرأي: حدّه أن يملك مائتي درهم، وقال قوم: من ملك خمسين درهماً أو قيمتها لا تحلّ له الصدقة، لما روي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش» أو «خدوش أو كدوح». قيل: يا رسول الله، وما يُغنيه قال: «خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحق، وقالوا: لا يجوز أن يعطي الرجل أكثر من خمسين درهماً من الزكاة. وقيل: أربعين درهماً، لما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف»، أخرجه أبو داود، وكانت الأوقية في ذلك الزمان أربعين درهماً. اهـ خازن.

وأيضاً فيه: وكل من دفع إليه شيئاً من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق، فلا يزيد الفقير على قدر غناه، وهو ما يحتاج إليه، فإن حصل أدنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيئاً، وإن كان محترفاً لكنّه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته؛ فالاعتبار عند الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ما يدفع الحاجة من غير حدّ. وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: لا يُعطى الفقير أكثر من خمسين درهماً. وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: أكره أن يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم، فإن أعطيته أجزأ. اهـ. وفي الطريقة المحمدية للفاضل المحقق والحبر المدقّق محمد الحنفي رحمه الله في بيان آفات اليد وهي أخذ الزكاة والنذر والعشر والفطر والكفارة واللقطة وما وجب تصدقه من المال الخبيث إن كان غنياً غنى الأضحية، وهو من يملك مائتي درهم أو قيمتها فارغتين عن الدين والحوائج الأصلية. اهـ.

وفي حاشية العالم العلامة الشيخ أحمد الطحطاوي على مراقبي الفلاح: قوله: وعن حاجته الأصلية كثيابه المحتاج إليها لدفع الحرّ والبرد، وكالنفقة ودور السكنى وآلات الحرب والجرفة وأثاث المنزل ودواب الركوب وكتب العلم لأهلها، فإذا كان عنده دراهم أعدها لهذه الأشياء وحال عليها الحول لا تجب فيها الزكاة، وكتب العلم لغير أهلها ليست من الحوائج الأصلية، وإن كانت الزكاة لا تجب على صاحبها بدون نية التجارة، بحر بتصرف. وقوله: وكالنفقة لا زكاة فيها، ولو حال عليها الحول، قال فيه: وهو مخالف لما في المعراج والبائع أن الزكاة تجب في النقد كيف أمسكه للنفقة أو للنماء. اهـ انتهت بحروفها.

وفي حاشية العلامة السيّد أحمد الطحطاوي على الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار: يشترط في التّصاب ذهباً أو فضّة لوجوب الزكاة فيه أن لا يحتاج إلى إنفاقه في الحاجة الأصليّة، وهو يفيد أنه إن كان معه دراهم أمسكها للنفقة لا زكاة فيها، ولو حال عليها الحول. قال في البحر: ويُخالفه ما في المعراج. الدراية والبائع: إن الزكاة تجب في النقد كيف أمسكه للنماء أو للنفقة. اهـ.

وفي ردّ المحتار على الدرّ المختار: قال في البائع: قدر الحاجة هو ما ذكره الكرخي في مختصره، فقال: لا بأس أن يُعطى من الزكاة مَنْ له مسكن وما يتأثّر به في منزله وخادم وفرس وسلاح وثياب البدن وكتب العلم، إن كان من أهله، فإن كان له فضل عن ذلك تبلغ قيمته مائتي درهم حُرّم عليه أخذ الصدقة، لما روي عن الحسن البصري قال: كانوا - يعني الصحابة - يُعطون من الزكاة لمن يملك عشرة آلاف درهم من السلاح والفرس والدار والخدم، وهذا لأن هذه الأشياء من الحوائج اللازمة التي لا بدّ للإنسان منها. وذكر في الفتاوى فيمن له حوانيت ودور للعلّة، لكن غلّتها لا تكفيه ولعياله أنه فقير، ويحلّ له أخذ الصدقة عند محمّد، وعند أبي يوسف: لا يحلّ، وكذا لو له كرم لا تكفيه غلّته، ولو عنده طعام للقوت يساوي مائتي درهم، فإن كان كفاية شهر يحلّ أو كفاية سنة. قيل: لا يحلّ، وقيل: يحلّ؛ لأنه مستحقّ الصرف إلى الكفاية، فيلحق بالعدم وقد أذخر عليه الصّلاة والسّلام لنسائه قوت سنة، ولو له كسوة الشتاء وهو لا يحتاج إليها في الصيف يحلّ، ذكر هذه الجملة في الفتاوى. اهـ.

وظاهر تعليله للقول الثاني في مسألة الطعام اعتماده. وفي التتارخانية عن التهذيب: أنه الصحيح، وفيها عن الصغرى: له دار يسكنها لكن تزيد على حاجته بأن لا يسكن الكلّ يحلّ له أخذ الصدقة في الصحيح، وفيها سئل محمد عمّن له أرض يزرعها أو حانوت يشتغلها أو دار غلّتها ثلاثة آلاف، ولا تكفي لنفقتة ونفقة عياله سنة يحلّ له أخذ الزكاة، وإن كانت قيمتها تبلغ الوفاء، وعليه الفتوى. وعندهما لا يحلّ. اهـ ملخصاً بحروفه.

### فائدة:

في حاشية العلامة الشيخ أحمد الطحطاوي على مراقي الفلاح: يجوز للعامل الأخذ وإن كان غنياً؛ لأنه فرغ نفسه لهذا العمل، فيحتاج إلى الكفاية. قال في المنح: وبهذا التعليل يقوى ما نُسب للواقعات من أن طالب العلم يجوز له أخذ الزكاة، ولو غنياً إذا فرغ نفسه لإفادة العلم واستفادته لعجزه عن الكسب والحاجة داعية إلى ما لا بدّ منه. اهـ انتهت بحروفها.

وفي الدرّ المختار: وعامل يعمّ الساعي والعاشر فيعطى، ولو غنياً لا هاشمياً؛ لأنه فرغ نفسه لهذا العمل، فيحتاج إلى الكفاية، والغنى لا يمنع من تناولها عند الحاجة؛ كابن السبيل. بحر عن البدائع.

وبهذا التعليل يقوى ما نُسب للواقعات من أن طالب العلم يجوز له أخذ الزكاة، ولو غنياً إذا فرغ نفسه لإفادة العلم واستفادته لعجزه عن الكسب، والحاجة داعية إلى ما لا بدّ منه، كذا ذكره المصنف.

(بقدر علمه) ما يكفيه وأعوانه بالوسط، لكن لا يزداد على نصف ما يقبضه. اهـ. وقوله: يعمّ الساعي، هو من يسعى في القبائل لجمع صدقة السوائم. والعاشر من نضبه الإمام على الطرق ليأخذ العُشْر ونحوه من المازّة. اهـ طحطاوي. وقوله: (ولو غنياً) لأن ما يأخذ له شبه بالأجرة وشبه بالصدقة، فلأولّ يحلّ للغني ولا يعطى لو هلك المال أو أذاها صاحب المال إلى الإمام، وللثاني لا يحلّ للهاشمي، ويسقط الواجب عن أرباب الأموال لو هلك المال في يده؛ لأن يده كيد الإمام، بحر. قوله: (لا هاشمياً) في النهاية: ما يفيد صحة توليته، وعبارتها:

استعمل الهاشمي على الصدقة فأجرى له منها رزق لا ينبغي له أخذه، ولو عمل ورزق من غيرها، فلا بأس به. قال في النهر: لكن ما مرَّ أنَّ من شرائط الساعة - يعني ومثله العامل - أن لا يكون هاشميًا هو الذي ينبغي أن يعول عليه. اهـ موضحًا. وعلى رواية أبي عصمة من جواز دفعها للهاشمي يجوز توليته عليها وأخذه الأجر. قوله: (لأنه فرغ نفسه)... الخ. علّة لقوله: ولو غنيًا، كما أفاده صاحب البحر، وهذا التعليل يفيد استحقاق الجزاء بالغًا ما بلغ، سواء هلك في يده أم لا، وهو غير التحقيق، والتحقيق ما قدّمنا من أن له شبهين... الخ. ذكره صاحب البحر. قوله: (وبهذا التعليل) قد علمت أنه غير التحقيق ولا ينتج دعواه، فلا تتقوى به دعوى أخرى. اهـ طحطاوي. قوله: (ما نُسب للواقعات) ذكر المصنّف أنه رآه بخط ثقة مغريًا إليها.

قلت: ورأيت في جامع الفتاوى ونصّه وفي المبسوط: لا يجوز دفع الزكاة إلى مَنْ يملك نصابًا إلا إلى طالب العلم والغازي ومنقطع الحجّ؛ لقوله عليه الصّلاة والسّلام: «يجوز دفع الزكاة لطالب العلم وإن كان له نفقة أربعين سنة». اهـ.

قوله: (من أن طالب العلم) أي الشرعيّ. قوله: (إذا فرغ نفسه) أي عن الاكتساب، قال ط - أي العلامة السيّد أحمد الطحطاوي -: المراد أنه لا تعلق له بغير ذلك، فنحو البطالات المعلومة وما يجلب له النشاط من مذاهب الهموم لا ينافي التفرّغ بل هو سعي في أسباب التحصيل. قوله: (واستفادته) لعلّ الواو بمعنى أو المانعة الخلوّ. ط. قوله: (لعجزه) علّة لجواز الأخذ. (طحطاوي). قوله: (والحاجة داعية)... الخ. الواو للحال، والمعنى: أنّ الإنسان يحتاج إلى أشياء لا غنى له عنها، فحينئذ إذا لم يجز له قبول الزكاة مع عدم اكتسابه أنفق ما عنده ومكث محتاجًا، فينقطع عن الإفادة والاستفادة، فيضعف الدين لعدم مَنْ يتحمّله، وهذا الفرع مخالف لإطلاقهم الحرمة في الغنى، ولم يعتمد أحد. (طحطاوي).

قلت: وهو كذلك، والأوجه تقييده بالفقير، ويكون طلب العلم مرخصًا لجواز سؤاله من الزكاة وغيرها، وإن كان قادرًا على الكسب إذ بدونه لا يحلّ له سؤال، ومذهب الشافعية والحنابلة أنّ القدرة على الاكتساب تمنع الفقر، فلا يحلّ له الأخذ فضلًا عن السؤال، إلا إذا اشتغل عنه بالعلم الشرعيّ. اهـ رد المحتار.

وعند الشافعي رحمته الله على العكس ﴿وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهِمْ﴾ هم السُّعَاة الذين يقبضونها ﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ على الإسلام أشرف من العرب، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على أن يسلموا وقوم منهم أسلموا فيعطيههم تقريراً لهم على الإسلام ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ (هم المكاتبون) يعانون منها ﴿وَالْغَرَمِينَ﴾ الذين ركبتهم الديون ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقراء (الغزاة)

قوله: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾... الخ. قال ابن الهمام: المؤلفة كانوا ثلاثة أقسام: قسم كفار، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم ليتألفهم على الإسلام. وقسم كان يعطيهم ليدفع شرهم. وقسم أسلموا، وفيهم ضعف إسلام، فكان يتألفهم ليقوي إيمانهم. قوله: (هم المكاتبون) الذين يحتاجون لبدل الكتابة ليتأدوا إلى صاحبهم، فيعان في فك رقبتهم منها، هذا عندنا. وعند الشافعي رحمته الله، وهو المنقول عن سعيد بن جبير والزهري والشعبي على ما في شروح الهداية: وعند مالك وأحمد بن حنبل رحمته الله معناه أن يشتري بمال الزكاة عبيد فيعتقون، وقيل: بأن يفدي الأسارى منها، نصر بذلك في البيضاوي أخذاً من كلام صاحب الكشف. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: ﴿وَالْغَرَمِينَ﴾ الذين ركبتهم الديون) غير معصية، ولا يملكون نصاباً فاضلاً عن دينهم، فيعانوا في قدر أداء ديونهم. اهـ التفسيرات الأحمدية. وقال العلامة شيخ زاده رحمته الله: الغارم والغريم وإن كان قد يطلق كل واحد منهما على من له الدَّيْن، إلا أن المراد بالغارم في الآية الذي عليه الدَّيْن، وأصل الغرم في اللغة لزوم ما يشقّ، والغرام العذاب اللازم، ويسمى الدَّيْن غراماً لكونه شاقاً على الإنسان ولازماً له. وفي الصحاح: الغرامة ما يلزم أدائه، وكذلك المغرم والغريم. وقد غرم الرجل الدَّيَّة، والمديون الذي لزمه الدَّيْن بسبب معصيته لا يدخل في الآية؛ لأن المقصود من صرف المال الإعانة، والمعصية لا تستوجب الإعانة، والدَّيْن الذي حصل بسبب غير معصية قسمان: دَيْن حصل بسبب نفقات ضرورية أو في مصلحة، ودَيْن حصل بسبب حمالات وإصلاح ذات بين، والكل داخل في الآية. والحمالة - بالفتح - ما يتحمّله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة، مثل أن تقع حرب بين فريقين بسفك الدماء، فيدخل بينهم رجل يتحمّل ديّات القتل عنهم على نفسه لإصلاح ذات البين. اهـ. قوله: (الغزاة) جمع غَزٍ كقاضٍ وقُضاة.

أو (الحجيج المنقطع بهم) ﴿وَأَنزِلِ السَّيْلَ﴾ المسافر المنقطع عن ماله، وعدل عن اللام إلى «في» في الأربعة الأخيرة للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره، لأن «في» للوعاء، فنبه على أنهم أحقّاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها. وتكرير «في» في قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنزِلِ السَّيْلَ﴾ فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين. (وإنما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين) ليدلّ بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم، (حسماً) لأطماعهم وإشعاراً بأنهم بعداء عنها وعن مصارفها، (فما لهم وما لها، وما سلطهم) على التكلم فيها ولمز قاسمها! وسهم المؤلفة قلوبهم سقط بإجماع الصحابة في صدر خلافة أبي بكر ؓ لأن الله أعزّ الإسلام وأغنى عنهم، والحكم متى ثبت معقولاً لمعنى خاص يرتفع وينتهي بذهاب ذلك المعنى ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ في معنى المصدر المؤكد لأن قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ معناه فرض الله الصدقات لهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمصلحة ﴿حَكِيمٌ﴾ في القسمة.

﴿وَمِنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿وَمِنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد، سُمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة، وإيذاؤهم له هو قولهم فيه ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ قصدوا به المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب والغرّة)، ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال: ﴿قُلْ أُذُنٌ﴾

قوله: (الحجيج) جمع حاج. قوله: (المنقطع بهم) على لفظ اسم المفعول والباء للتعديّة، يقال: هو منقطع به إذا انقطع به السفر دون طلبه لنفاد زاده أو عطب دابته. اهـ تفتازاني رحمه الله. قوله: (وإنما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المسافرين) ومكائدهم. قوله: (حسماً) أي قطعاً. قوله: (ما لهم) أي فما لهم وللصدقات (وما لها) أي وما للصدقات وللمنافقين؛ ففي الكلام حذف واختصار (وما سلطهم) استفهام وتعجيب ثالث.

قوله: ﴿أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ﴾ قرأ نافع بإسكان الذال فيهما، والباقون بالضم. قوله: (الغرّة) - بالكسر - الغفلة.

خَيْرٌ لَّكُمْ ﴿١﴾ كَقَوْلِكَ «رجل صدق» تريد الجودة والصلاح كأنه قيل: نعم هو أذن ولكن نعم الأذن، ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك. ثم فسر كونه أذن خير بأنه ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويقبل من المؤمنين (الخلص) من المهاجرين والأنصار، وعُدي فعل الإيمان بالباء إلى الله، لأنه قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به، وإلى المؤمنين باللام لأنه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: الآية ١٧] كيف ينبو عن الباء ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالعطف على ﴿أَذْنٍ﴾ (﴿وَرَحْمَةً﴾: حمزة) عطف على ﴿خَيْرٌ﴾ أي هو أذن خير وأذن رحمة لا يسمع غيرها ولا يقبله ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾ أي وهو رحمة الذين آمنوا منكم أي أظهروا الإيمان أيها المنافقون حيث يقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين، أو هو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر إلى الإيمان ويشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدارين.

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢﴾

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾ الخطاب للمسلمين، وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم ف قيل لهم ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مؤمنين كما تزعمون، فأحق من أَرْضَيْتُمْ الله ورسوله بالطاعة والوفاء. (وإنما وخذ الضمير) لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شيء واحد كقولك «إحسان زيد وإجماله نعشني» أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك.

قوله: (الخلص) جمع خالص. قوله: (﴿وَرَحْمَةً﴾) بخفض التاء (حمزة) عطف على خير، والجملة ح متعارضة بين المتعاطفتين. والباقون بالرفع.

قوله: (وإنما وخذ الضمير) ... الخ. جواب عما يقال: كيف قيل: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢] بإفراد الضمير، مع أنه ضمير الله ورسوله، فالواجب



﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ۝٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُتَنَفِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُوا بِكُنتُمْ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ﴾ أن الأمر والشأن ﴿مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يجاوز الحد بالخلاف (وهي مفاعلة من الحد) كالمشاقة من الشق ﴿فَأَنَّ لَهُ﴾ على حذف الخبر أي فحق أن له ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ۝٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُتَنَفِقُونَ﴾ خبر بمعنى الأمر أي ليحذر المنافقون ﴿أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ ﴿تُنْزَلُ﴾ بالتخفيف: (مكي وبصري) ﴿تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الكفر والنفاق، والضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم دليله ﴿قُلِ اسْتَهِزُوا﴾، أو الأولان للمؤمنين، والثالث للمنافقين، وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه ﴿قُلِ اسْتَهِزُوا﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون إظهاره من نفاقكم، وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم وفي استهزائهم بالإسلام وأهله حتى قال بعضهم: وددت أني قدمت فجلدت مائة وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا.

تشية الضمير؟ أجب عنه أولاً بأن الإرضاءين متلازمان، فاكتفى بذكر أحدهما لكون ذكره وحده في حكم ذكرهما معاً؛ كقولك: إحسان زيد وإجماله رفعني. وثانياً: بأن قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ﴾ [التوبة: الآية ١٥] مبتدأ و﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢] خبره، و﴿رَسُولِي﴾ [التوبة: الآية ٧] مبتدأ ثانٍ وخبره محذوف لدلالة خبر الأول عليه.

قوله: (وهي مفاعلة من الحد) الذي هو الجهة والجانب، فإن كل واحد من المخالفين والمُعاندين في غير حد صاحبه؛ كما يقال: شاقه إن كان في شق غير شق صاحبه، وعاداه إن كان في عدوة غير عدوة صاحبه.

قوله: ﴿تُنْزَلُ﴾ بالتخفيف، أي بإسكان النون وتخفيف الزاي، (مكي) أي ابن كثير المكي (وبصري) أي أبو عمرو البصري. والباقون بفتح التون وتشديد الزاي.

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾ (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) (بيننا رسول الله ﷺ) يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسرون بين يديه فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها، (هيهات هيهات). فأطلع الله نبيه على ذلك فقال: احبسوا عليّ الركب فاتاهم فقال: قلتم كذا وكذا. فقالوا: يا نبيّ الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك، ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر، أي ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك؟ لقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَبِإِلَهِهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ﴾

قوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾... الخ. المقصود أن الآية بظاهرها تدلّ على أنّ الاستهزاء بالشرائع يوجب الكفر؛ لأنه تعالى ربّه على استهزائهم بقوله تعالى: ﴿فَدَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ٦٦]، وهذا ذكر محيي الستة رضي الله تعالى عنه في ترجمة الأحكام بالتفصيل، ولم أز في غيرها هذا الاستدلال، ونفس المسألة معروفة في علم الكلام، وقد ذكرها سعد الملة والدين بالتفصيل، وقال: إنّ من سخر باسم من أسماء الله تعالى أو بأمر من أوامره أو تمتّى أن لا يكون نبيّ من الأنبياء على قصد استخفاف أو عداوة أو ضحك على وجه الرضاء لمن تكلم بالكفر. أو جلس على مكان مرتفع وحوله جماعة يسألونه مسائل ويضحكونه ويضربونه بالوسائد، أو أطلق كلمة الكفر، استخفافاً لا اعتقاداً، يكفر. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (بيننا رسول الله ﷺ) ... الخ. أصل بيننا بين. فأشبع الفتحة. فصارت ألفاً، ويقال: بيننا وبيننا، وهما ظرفا زمان، بمعنى المفاجأة، ويضافان إلى جملة من فعل وفاعل ومبتدأ وخبر، ويحتاجان إلى جواب يتم به المعنى، والأفصح في جوابهما أن لا يكون فيه إذ وإذا، وقد جاء في الجواب كثيراً، تقول: بينا زيد جالس دخل عليه عمرو، وإذا دخل عليه، وإذا دخل عليه. اهـ لسان العرب باختصار. قوله: (هيهات هيهات)، اسم فعل ماضٍ بمعنى مصدر، أي بعد بعد. اهـ جلالين. وقوله: اسم فعل ماضٍ بمعنى مصدر، أي منزل منزلة المصدر، أي بعداً. اهـ كمالين.

كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿لَمْ يَعْأَ﴾ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه، فجعلوا كأنهم معترفون، باستهزائهم وبأنه موجودٌ فيهم حتى وبخوا بإخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير، وذلك إنما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سرِّكم ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ قد أظهرتم كفركم باستهزائكم ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعد إظهاركم الإيمان ﴿إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ بتوبتهم وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق ﴿نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ مصرين على النفاق غير تائبين منه ((إن يعف تعذب طائفة غير عاصم)).

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٦٧﴾

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ الرجال المنافقون كانوا ثلاثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي كأنهم نفس واحدة، وفيه نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ وتقرير لقوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ بالكفر والعصيان ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ عن الطاعة والإيمان ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ (شحاً) بالمبار والصدقات والإنفاق في سبيل الله ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾

قوله: (لم يعأ) من عبأت بفلان، عبأ بالبيت واعتددت به.

قوله: ((إن يعف)) بياء مضمومة وفتح الفاء مبنياً للمفعول ((تعذب)) بئاء مضمومة وفتح الذاًل كذلك ﴿طَائِفَةٍ﴾ [التوبة: الآية ٦٦] بالرفع نائب الفاعل، ونائب الفاعل في الأول الضرف بعده (غير عاصم)، فعاصم ﴿نعف﴾ بنون العظمة مفتوحة وفاء مضمومة بالبناء للفاعل، و﴿عَنْ طَائِفَةٍ﴾ [التوبة: الآية ٦٦] محلّه النصب به، و﴿نعذب﴾ بنون العظمة وكسر الذاًل، ﴿طائفة﴾ الثاني منصوب مفعول به.

قوله: (شحاً) أي بخلاً.

تركوا أمره أو أغفلوا ذكره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ فتركهم من رحمته وفضله ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد) في الكفر والانسلاخ عن كل خير، (وكفى المسلم زاجراً وأن يلم) بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمهم.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٦٨) ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأُولَئِكَ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّةُ آَعْمَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٦٩)

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود فيها ﴿هِيَ﴾ أي النار ﴿حَسْبُهُمْ﴾ فيه دلالة على عظم عذابها وأنه بحيث لا يزداد عليه ﴿وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ﴾ وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق، والظاهر المخالف للباطن خوفاً من المسلمين وما يحذرونه أبداً من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم الكاف في ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأُولَئِكَ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾ محلها رفع أي أنتم مثل الذين من قبلكم، أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقتكم كما استمتعوا بخلاقتهم أي

قوله: (هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد) ... الخ. الكمال مستفاد من تعريف الجنس في الفاسقين الدال على أنهم هم الجنس كله، ولم لم يحمل عليه لما صحّ الحصر المستفاد من ضمير الفصل وتعريف الخبر؛ لأنه كم من فاسق سواهم، وفسر الفسق بالتمرد؛ لأن الكافر إذا وصف بالفسق دلّ على المبالغة في الخروج عن أمر الله وطاعته. قوله: (وكفى المسلم) فاعله ضمير يعود إلى قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: الآية ٦٧]، (وزاجراً) تمييز أو حال (وأن يلم) متعلق به أي زاجراً عن الإلمام.

تَلَذُّوا (بملاذ الدنيا). والخلق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أي ما خلق للإنسان بمعنى قدر من خير ﴿وَحُضِّمُوا﴾ في الباطل ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ (كالفوج الذي خاضوا، أو الخوض الذي خاضوا). والخوض الدخول في الباطل واللهو، وإنما قدم ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلُقِهِمْ﴾ وقوله: ﴿كَمَا أَسْتَمْتَعُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخُلُقِهِمْ﴾ مغن عنه ليدم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا (والتهائم) بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة، ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ في مقابلة قوله: ﴿وَأَنبَتَتْ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ هو بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وأهل مدين وهم قوم شعيب ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ (مدائن قوم لوط)، واثتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر ﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ﴾ فما صح منه أن

قوله: (بملاذ الدنيا) الملاذ - بتشديد الدال - جمع لذة على خلاف القياس، كالمحاسن جمع حسن على خلاف القياس قوله: (كالفوج الذي خاضوا أو الخوض الذي خاضوا) أي موصوف الذي مفرد اللفظ مجموع المعنى، وهو الفوج، أو الذي صفة للخوض المحذوف، وهو مصدر مفرد، أي كالخوض الذي خاضوه، والضمير للمصدر. قوله: (والتهائم) هو افتعال من اللهو، أي تلهيهم ولعبهم.

قوله: ﴿وَعَادٍ﴾ قوم هود. قوله: ﴿وَتَمُودَ﴾ قوم صالح. قوله: (مدائن قوم لوط)... الخ. عبارة تفسير الكشاف: مدائن قوم لوط، وقيل: قريات قوم لوط وهود وصالح واثتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير والشر. اهـ. فافهم، وأصل معنى الاثتفاك الانقلاب بجعل أعلى الشيء أسفله بالخسف، وهو قد وقع في قريات قوم لوط عليه الصلاة والسلام؛ فإن كانت مرادة به، فهي على حقيقتها،

يَظْلِمُهُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ لَأَنَّهُ حَكِيمٌ فَلَا يِعَاقِبُهُمْ بِغَيْرِ (جُرْمٍ) ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر وتكذيب الرسل.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في التناصر والتراحم ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالطاعة والإيمان ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ عن الشرك والعصيان ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ السنين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في «سأنتقم منك يوماً» ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الشواب والعقاب ﴿حَكِيمٌ﴾ واضح كلا موضعه ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ﴾ يطيب فيها العيش وعن (الحسن البصري) بفتح: قصوراً من اللؤلؤ والياقوت الأحمر (والزبرجد) ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ هو علم بدليل قوله: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ [مریم: الآية ٦١] وقد عرفت أن «الذي» و«التي» وضعاً لوصف المعارف بالجمل وهي مدينة في الجنة ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ وشيء من رضوان الله ﴿أَكْبَرُ﴾ من ذلك كله لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة

وإن كان المراد مُطلق قرى المكذبين، وهي لم تُخسف بأجمعها، فيكون المراد به مجازاً انقلاب حالها من الخير تشبيهاً له بالخسف على طريق الاستعارة؛ كقول ابن الرومي:

وما الخسف أن تلقى أسافل بلدة أعاليتها بل أن تسود الأراذل

وقريات - بالتصغير - جمع قرية، لأن جمع المكبر قرى. اهـ شهاب بفتح.

قوله: (جُرْمٍ) أي ذنب.

قوله: (الحسن البصري) التابعي رضي الله تعالى عنه. قوله: (والزبرجد) هو غير الزمرد.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما وعد أو إلى الرضوان ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وحده دون ما يعده الناس فوزاً.

﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنْفِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ (١٣)

﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ بالحجة ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾

في الجهادين جميعاً (ولا تحابهم)، وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها ﴿وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ جهنم. (أقام رسول الله ﷺ في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن) ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه. منهم (الجلال بن سويد) فقال: والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لأخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا فنحن

قوله: ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ بالحجة، ولا تجوز المحاربة والمجاهدة بالسيف

معهم؛ لأنهم يظهرون الإسلام ويُنكرون الكفر، وحكم شريعتنا أن يحكم بالظاهر؛ لقوله ﷺ: «نحن نحكم بالظاهر»، وقد أمر الله تعالى بالجهاد معهم، وهو عبارة عن بذل الجهد بالصرف عن المنكر والإرشاد إلى الحق، وليس في لفظ جاهد ما يدل على كون ذلك الجهاد بالسيف أو باللسان أو بطريق آخر، فنقول: الآية تدل على وجوب الجهاد مع المنافقين. وأما كيفية تلك المجاهدة؛ فلفظ الآية لا يدل عليها، وإنما تُعرف هي من دليل آخر قد دلت الدلائل المنفصلة على أن المجاهدة مع الكفار يجب أن تكون بالسيف، ومع المنافقين بإظهار الحجة تارة باليد وتارة باللسان؛ فمن لم يستطع فبالقلب. قوله: (ولا تحابهم) من المحابة بمعنى الميل مجزوم بحذف آخر كذا، قيل<sup>(١)</sup>: ولا يبعد أن يكون من المفاعلة من المحبة، والمفاعلة على الوجهين للمبالغة. اهـ قنوي. قوله: (أقام رسول الله ﷺ في غزوة تبوك شهرين)... الخ. أخرجه البيهقي في الدلائل عن عروة بن الزبير. قوله: (ينزل عليه) جملة حالية. قوله: (القرآن) أي طائفة من القرآن، فإن القرآن يطلق على البعض كما يُطلق على المجموع.

قوله: (الجلال بن سويد) بن صامت الأنصاري الأوسي، له صحبة وله ذكر في المغازي، وكان الجلال منافقاً فتاب وحسنت توبته. وقال العلامة الشهاب عليه

(١) أي قائله العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب. ١٢ منه عم فيضهم.

شر من (الحمير). فقال (عامر بن قيس) الأنصاري للجللاس : (أجل) والله إن محمداً صادق وأنت شر من الحمار. وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضر فحلف بالله ما قال، فرفع عامر يده فقال : اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فتزل :

﴿يَخْلُفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرٌ لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

﴿يَخْلُفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ يعني إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير، أو هي استهزاؤهم فقال الجللاس : يا رسول الله والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجللاس وحسنت توبته ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام، وفيه دلالة على أن الإيمان والإسلام واحد لأنه قال : ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من قتل محمد ﷺ أو قتل عامر لردّه على الجللاس. (وقيل : أرادوا أن يتوجوا ابن أبي) وإن لم يرض رسول الله ﷺ ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ وما أنكروا وما عابوا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ

رحمة الله الوهاب : الجللاس بضم الجيم والسين المهملة وتخفيف اللام بوزن غراب، رجل من الصحابة كان منافقاً وقد حُسِّن إسلامه بعد ذلك. اهـ. قوله : (الحمير) جمع حمار. قوله : (عامر بن قيس) الأنصاري الصحابي رضي الله تعالى عنه. قوله : (أجل) أي نعم.

قوله : ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من قتل محمد عليه الصلاة والسلام، قيل : هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين بقتل رسول الله ﷺ، فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه، فجاء جبريل عليه السلام فأخبره وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، فأرسل خذيفة لذلك. قوله : (وقيل : أرادوا أن يتوجوا ابن أبي) أي عبد الله بن أبي من باب التفعيل بتشديد الواو، أي يلبسوه التاج. قال السدي : قال المنافقون : إذا رجعنا إلى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي ابن سلول تاجاً، فلم يصلوا إليه. اهـ.



فَضْلِهِ ﴿وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا حِينَ (قَدِمَ) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فِي (ضَنْكَ) مِنَ (الْعَيْشِ) لَا يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ وَلَا يَحُوزُونَ الْغَنِيمَةَ، (فَأَثَرُوا) بِالْغَنَائِمِ (وَقَتْلَ الْجَلَّاسِ) مَوْلَى فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِدَيْتِهِ اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا) فَاسْتَغْنَى ﴿فَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عَنِ النِّفَاقِ ﴿يَكُ﴾ التَّوْبِ ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي تَابَ عِنْدَهَا الْجَلَّاسُ ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ يَصْرُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ بِالْقَتْلِ وَالنَّارِ ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَنْجِيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَيْتَ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَ وَلَئِنْ كُنَّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥)

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ﴾ رُوِيَ أَنَّ (ثَعْلَبَةَ بْنَ حَاطِبٍ) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي مَالًا فَقَالَ ﷺ: «يَا ثَعْلَبَةُ قَلِيلٌ تُوَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تَطِيقُهُ» فَرَاغَهُ وَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَنْزِلَنَّ رِزْقِي مَالًا لِأَعْطِيَنَّ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَدَعَا

وعبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، وسلول أم عبد الله، ولهذا قال العلماء: الصواب في ذلك أن يقال: عبد الله بن أبي ابن سلول يتنوين أبي، وكتابة ابن سلول بالألف، ويُعرب إعراب عبد الله؛ لأنه صفة له لا لأبي، وكان عبد الله بن أبي رئيس المنافقين، ونزل في ذمّه آيات كثيرة مشهورة، وتوفي في زمن رسول الله ﷺ وكفنه في قميصه قبل النهي عن الصلاة على المنافقين، وإنما صلى عليه لكرامة ابنه وإحساناً وكرماً وحلمًا.

قوله: (قدم) بفتح القاف وكسر الدال المخففة. قوله: (ضنك) - بالفتح - أي ضيق. قوله: (العيش) ما يتعيش به كالمأكل وغيره. قوله: (فأثروا) أي استغنوا وكثرت أموالهم، والثراء كثرة المال. قوله: (وقتلوا للجلّاس مولى) المولى بمعنى القريب، أو المعتق الذي له إرثه؛ (فأمر رسول الله ﷺ بدَيْتِهِ اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا) الدِّية عشرة آلاف درهم، فزيادة الألفين على عادتهم في الزيادة تكريمًا، وكانوا يسمونها شَنْقًا - بفتح الشين المعجمة ونون وقاف - وهو ما زاد على الدية.

قوله: (ثعلبة بن حاطب) بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا، قاله محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة، وهو الذي سأل النبي ﷺ أن يدعو الله أن يرزقه مَالًا. وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، أخرجه ابن عبد البر

له فاتخذ غنماً (فنمت) كما ينمي (الدود حتى ضاقت بها) المدينة، فنزل وادياً وانقطع عن الجمعة والجماعة، فسأل عنه رسول الله ﷺ فقيل: كثر ماله حتى (لا يسمعه وادي) فقال: «(يا ويح ثعلبة)» فبعث رسول الله ﷺ (مصدقين) لأخذ الصدقات (فاستقبلهما الناس بصدقاتهم)، ومرا بثعلبة فسألاه (الصدقة) فقال: ما هذه إلا جزية وقال: ارجعا (حتى أرى رأيي)، فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ

وبن مندة وأبو نعيم ونسبوه كما ذكرنا، كلهم قالوا: إنه شهد بدرًا، وقال ابن الكلبي: ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية - يعني ابن زيد - بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري من الأوس، شهد بدرًا وقتل يوم أحد، فإن كان هذا الذي في هذه الترجمة، فإمّا أن يكون ابن الكلبي قد وهم في قتله أو يكون القصة غير صحيحة، أو يكون وهو هو لا شك فيه. اهـ أسد الغابة باختصار.

وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: وهذا ثعلبة بن حاطب، ويقال: ابن أبي حاطب الأنصاري الذي ذكره ابن إسحق فيمن بنى مسجد الضرار، وليس هو ابن عمرو الأنصاري البدري؛ لأنه استشهد بأحد، ولأنه ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية»، ومن كان بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقًا في قلبه، فينزل فيه ما نزل فهو غيره، كما قال ابن حجر في الإصابة: وإن كان البدري هو المشهور بهذا الاسم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. اهـ.

**قوله: (فنمت) أي زادت. قوله: (الدود) - بدالين مهملتين - معروف. وهو إذا حصل في شيء يتضاعف بسرعة. قوله: (حتى ضاقت بها) أي عليها. قوله: (لا يسمعه وادي) أي وادٍ واحد، بل أودية. قوله: (يا ويح ثعلبة) ويح كلمة ترخم لما ناله من فتنة الدنيا، والمنادى محذوف، أي يا ناس أو يا زائدة للتنبيه، أو المنادى ويح؛ كقوله: يا حسرتي، كأنه نادى ترخمه عليه ليحضر. اهـ شهاب رحمه الله.**  
**قوله: (مصدقين) بتخفيف الصاد المهملة المفتوحة وتشديد الدال المهملة المكسورة، وهم الذين يأخذون الصدقات. قوله: (فاستقبلهما الناس) فمصدقين بصيغة التثنية، وفي نسخة: فاستقبلهم الناس أي استقبلوا (بصدقاتهم) بلا طلب منهم فرحين بما آتاهم الله من فضله، والباء بصدقاتهم إمّا للمصاحبة كما هو الظاهر، أو للتعدي، أي جعل الناس صدقاتهم مستقبلة، وفيه مجاز مع المبالغة.**  
**قوله: (الصدقة) أي الزكاة. قوله: (حتى أرى رأيي) من الرؤية البصرية أو القلبية،**

قبل أن يكلماه: «يا ويح ثعلبة» مرتين، فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال: إن الله منعني أن أقبل منك (فجعل التراب على) رأسه، فقبض رسول الله ﷺ (فجاء بها إلى أبي بكر ﷺ فلم يقبلها، وجاء بها إلى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها، وهلك) في زمان عثمان ﷺ ﴿لَيْتَ أَتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي المال ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ لنخرجن الصدقة والأصل «لنتصدقن» ولكن التاء أدغمت في الصاد لقربها منها ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بإخراج الصدقة.

﴿فَلَمَّا آتَتْهُمْ مِنْ فَضْلِهِ يَخْلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ٧٦ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ٧٧

﴿فَلَمَّا آتَتْهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أعطاهم الله المال ونالوا منهاهم ﴿يَخْلُوا بِهِ﴾ منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ عن طاعة الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ مصرون على الإعراض ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم لأنه كان

والثاني أنسب، والأول أبلغ، والمعنى: ارجعاً فأتفكر حتى أعلم أيّ من العطاء أو الإمساك تقرر فكري ورأيي. قوله: (فجعل التراب على) رأسه حثوه التراب ليس للتوبة، فإن الله تعالى يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، بل للعار في عدم قبول ما أعطاه وظهور حاله في الجملة بين المسلمين. قوله: (فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها، وجاء بها إلى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها) وجه عدم قبول الشيخين صدقته ما مر من الإصرار على النفاق ومتابعة لسيد أرباب الوفاق. اه قنوي. وفي فتح القدير: ثم أتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، اقبل مني صدقتي فقد عرفت منزلتي من الأنصار، فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأقبلها!! فلم يقبلها أبو بكر، ثم وُلِّي عمر بن الخطاب، فأتاه فقال: يا أبا حفص، يا أمير المؤمنين اقبل مني صدقتي، قال: ويثقل عليه بالمهاجرين والأنصار وأزواج النبي ﷺ، فقال عمر: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، أقبلها أن!! فأبى أن يقبلها، ثم وُلِّي عثمان فسأله أن يقبل صدقته، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، وأنا أقبلها منك!! فلم يقبلها منه. اه بحروفي.

قوله: (وهلك) أي مات من غير إظهار التوبة عن نفاقه، بل مات على كفره ونفاقه. كما يشعر به قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ [التوبة: الآية ٧٧] الآية.

سَبَبًا فِيهِ ﴿إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي جزاء فعلهم وهو يوم القيامة ﴿يَمَّا أَخَفُّوْا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَيَمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصديق والصلاح وكونهم كاذبين، (ومنه جعل خلف الوعد ثلث: النفاق).

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ يعني المنافقين ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ م أسروه من النفاق بالعزم على إخلاف ما وعده ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ فلا يخفى عليه شيء ﴿الَّذِينَ﴾ محله النصب أو الرفع على الذم، أو الجر على البدل من الضمير في ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ ﴿يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ يعيبون المطوعين المتبرعين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ متعلق بـ ﴿يَلْمِزُونَ﴾. رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (حَثَّ عَلَى الصَّدَقَةِ) فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال: كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي فقال ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت» فبارك الله له (حتى ضولحت تماضر امرأته عن ربع

قوله: (ومنه جعل خلف الوعد ثلث: النفاق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتّمن خان».

قوله: (حَثَّ عَلَى الصَّدَقَةِ) أي رَغَّبَهُمْ وَحَضَّاهُمْ عَلَيْهَا فِي خُطْبَةٍ خُطِبَهَا قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ. قوله: (عبد الرحمن بن عوف) أحد العشرة الذين شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ رضي الله تعالى عنهم. قوله: (حتى ضولحت تماضر) - بضم التاء وكسر الضاد المعجمة وآخرها راء مهملة - بنت الأصبغ - بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وبعدها باء موحدة مفتوحة ثم غين معجمة - ابن عمرو بن ثعلبة بن حصين كلب الكلبيّة التي طَلَقَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي مَرَضِهِ، فَوَرَّثَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله تعالى عنهم. (امرأته عن ربع

الثلثين على ثمانين ألفاً)، وتصدق (عاصم بن عدي بمائة وسق) من تمر ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على ﴿الْمُطَوِّعِينَ﴾ ﴿لَا يَحْدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم. (وعن نافع «جهدهم») وهما واحد. (وقيل: الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر) فقال: بت ليلتي (أجر بالجرير) على صاعين فتركت صاعاً لعيالي، وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء، وأما صاع أبي عقيل فالله غني عنه ﴿فَيَسْتَحِرُّونَ مِنْهُمْ﴾ فيهبزون ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

الثلثين على ثمانين ألفاً) أي ثمانين ألف درهم يدلّ على أن عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه خلف أربع زوجات، وأن ثمن ماله كان أكثر من ثلاثمائة ألف وعشرين ألف ليصحّ أن يصلح إحدى الزوجات الأربع عن ربع الثمن على ثمانين.

قوله: (عاصم بن عدي) هو أبو عبد الله. ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو عمر، عاصم بن عدي بن الجدّ - بفتح الجيم - ابن العجلان بن الحارثة - بالحاء المهملة - ابن ضبيعة - بضم الضاد المعجمة - الفُضاعي العجلاني حليف الأنصار، شهد أحداً ولم يشهد بداراً بنفسه، كان رسول الله ﷺ استعمله على قباء وأهل العالية وضرب له بسهم، فكان له حكم من شهدها، وهو صاحب عُويمر العجلاني في قصة البعان.

قوله: (بمائة وسق) الوُسُق - بفتح فسكون - ستون صاعاً، والصاع ثمانية أرباط، وهو كَيْل معروف. وهذه القصة رواها ابن جرير عن أبي إسحق. قوله: (وعن نافع «جهدهم») قرأ الجمهور: جهد - بضمّ الجيم - وقرأ ابن هرمز وجماعة بالفتح. اهـ شهاب. قوله: (وقيل: الجُهد) بالضمّ (الطاقة، والجهد) بالفتح (المشقة). قوله: (وجاء أبو عقيل) الأنصاريّ مختلف في اسمه، فقيل: جِيحَاب، قاله قتادة. (بصاع من تمر) ... الخ. رواه البزار من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، والطبراني وابن مردويه عن أبي عقيل، والكلّ سبب للنزول. قوله: (أجر بالجرير) الجرير جبل يجزّ به البعير بمنزلة العذار للدابة، والباء زائدة، أي أجزّ الجرير، والمعنى بتّ أستقي للناس على أجرة صاعين.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠)

ولما سأل (عبد الله بن عبد الله بن أبي) رسول الله ﷺ أن يستغفر لأبيه في مرضه نزل ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (وقد مرّ) أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل: لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية، إذ لو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لأنهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به، والمعنى وإن بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم. وقد

**قوله:** (عبد الله بن عبد الله بن أبي) بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي الصحابي، وأبوه هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، تقدّم ذكره. وكان عبد الله بن عبد الله هذا من فضلاء الصحابة وساداتهم، وكان اسمه الحُباب، وبه كان أبوه يُكنى، فلما أسلم سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستأذن النبي ﷺ في قتل أبيه على نفاقه فيها، واستشهد عبد الله بن عبد الله يوم اليمامة في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه سنة اثنتي عشرة. اهـ تهذيب الأسماء. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: وكانت الخزرج قد أجمعت على أن يتوجوا أباه عبد الله بن أبي ويملكوه أمرهم قبل الإسلام، فلما جاء النبي ﷺ رجعوا عن ذلك، فحسد النبي ﷺ وأخذته العزة، فأضمر النفاق، وهو الذي قال في غزوة بني المصطلق: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ، فقال ابنه عبد الله للنبي ﷺ: هو والله الدليل وأنت العزيز يا رسول الله، إن أذنت لي في قتله قتلته، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها أحد أبرّ بوالده مني، ولكنني أخشى أن تأمر به رجلًا مسلمًا فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي على الأرض حيًّا حتى أقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخل النار؛ فقال النبي ﷺ: «بل تحسن صحبتته وترفق به ما صحبتنا، ولا يتحدث الناس أنّ محمدًا ﷺ يقتل أصحابه، ولكن برّ أباك وأحسن صحبتته». اهـ.

**قوله:** (وقد مرّ) أي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ [التوبة: الآية ٥٣].

وردت الأخبار بذكر السبعين وكلها تدلّ على الكثرة لا على التحديد والغاية، ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الأعداد أن العدد قليل وكثير. فالقليل ما دون الثلاث، والكثير الثلاث فما فوقها، وأدنى الكثير الثلاث وليس لأقصاه غاية. والعدد أيضًا نوعان: شفع ووتر، وأول الأشفاع اثنان، وأول الأوتار ثلاثة. والواحد ليس بعدد. (والسبعة أول الجمع الكثير) من النوعين لأن فيها أوتارًا ثلاثة وأشفاعًا ثلاثة، والعشرة كمال الحساب لأن ما جاوز العشرة فهو إضافة الأحاد إلى العشرة كقولك «اثنًا عشر وثلاثة عشرة» إلى «عشرين». والعشرون تكرير العشرة مرتين، والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك إلى مائة، فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه، وكمال الحساب والكثرة منه، فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لأقصاه فجاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى اليأس من المغفرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بسبب أنهم ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ولا غفران للكافرين ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن الإيمان ما داموا مختارين للكفر والطغيان.

**قوله: (والسبعة أول الجمع الكثير).** الخ. بيانه أن الستة عند الحساب عدد تام، والعدد التام عندهم ما سوى مجموع كسوره المنطقة وما عداه زائدًا أو ناقص، وكسوره سدس وهو واحد وثلاث وهو اثنان ونصف، وهو ثلاثة ومجموعها ستة، فإذا زيد عليها واحد كانت أتم في الكمال، ولذا قال ابن عيسى الربعي: السبعة أكمل الأعداد؛ لأن الستة أول عدد تام، وهي مع الواحد سبعة، فكانت كاملة؛ إذ ليس بعد التمام سوى الكمال، ولذا سمي الأسد سبعة لكمال قوته، والسبعون غاية الغاية؛ إذ الأحاد غايتها العشرات. وقال العلامة القاضي البيضاوي في شرح المصباح: السبعة تستعمل في الكثرة، يقال: سبّع الله أجرك، أي كثّره. وذلك أن السبعة عدد كامل جامع لأنواع العدد كلّها؛ إذ الأعداد إما زوج أو فرد، وإما زوج زوج وإما زوج فرد؛ فالزوج هو الاثنان، والفرد هو الثلاثة، وزوج الزوج هو الأربعة، وزوج الفرد هو الستة. والواحد<sup>(١)</sup> ليس من

(١) وذلك لأن الوحدة تقابل الكثرة لغة وعرفًا، فالمناسب عدم دخول الواحد في العدد لثلاث يفوت المقابلة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ المنافقون الذين استأذنوا رسول الله ﷺ فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك، أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بقعودهم عن الغزو ﴿خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ مخالفة له وهو مفعول له، أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له ﴿وَكُرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله، وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي الإيقان ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين (تثبيطاً) ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوق بسبب ذلك التصون في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِكَيْبُوتٍ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِاخْرُوجْ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَائِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ أي فيضحكون قليلاً على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويبكون كثيراً جزاء في العقبي، إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره. يروى أن أهل النفاق يكون في النار عمر الدنيا (لا يرقاً)

الأعداد عندهم، لكنه منشأ العدد؛ فالسبعة ستة وواحد، فهي مشتملة على جملة أنواع العدد ومنشئها؛ فلهذا استعمل في التكثير. اهـ. وقيل: إنها جامعة للعدد، لأنه ينقسم إلى فرد وزوج وكل منهما إما أول وإما مركب، فالفرد الأول الثلاثة، والمركب الخمسة، والزوج الأول اثنان، والمركب أربعة، وينقسم إلى منطلق كأربعة وأصم كسنة، والسبعة تشتمل جميعها، فإذا أريد المبالغة جعلت آحادها عشرات، ثم عشراتها مئات، وهذه مناسبات ليس البحث فيها من ذاب التحصيل. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (تثبيطاً) التثبيط: التعويق.

قوله: (لا يرقاً) أي لا يسكن، وبابه قطع.



لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من النفاق ﴿إِنْ رَجَعْتَ اللَّهُ﴾ أي ردك من تبوك. وإنما قال: ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ لأن منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك ﴿فَاسْتَدْنُوكَ لِخُرُوجٍ﴾ إلى غزوة بعد غزوة تبوك ﴿فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ (وبسكون الباء: حمزة وعلي وأبو بكر) ﴿وَلَنْ نُّقَاتِلَ مَعِيَ عَدُوًّا﴾ ﴿مَعِيَ﴾ حفص ﴿إِنْ كُنْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أول ما دعيتم إلى غزوة تبوك ﴿فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَائِلِينَ﴾ مع من تخلف بعد.

وسأل ابن عبد الله بن أبي وكان مؤمنًا أن يكفن النبي ﷺ أباه في قميصه ويصلي عليه فقبل، فاعترض عمر ؓ في ذلك فقال ﷺ: «ذلك لا ينفعه وإنني أرجو أن يؤمن به ألف من قومه» فنزل:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَفْسًا عَلَى قَبْرِهِمْ إِسْهَمَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٨٤) وَلَا تَجْعَلْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَدَهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكَاذِبُونَ ﴿٨٥﴾

(﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾) من المنافقين يعني صلاة الجنازة.

قوله: (وبسكون الباء: حمزة وعلي) الكسائي، (وأبو بكر) شعبة عن عاصم. والباقون بالفتح.

قوله: (﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾) ... الخ. هذه الآية صريحة في أنه لا يجوز الصلاة على الكافر بحال؛ إذ قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] الضمير فيه عائد إلى الكافر، ومات مجرور المحل على أنه صفة لأحد، وأبدًا يحتمل أن يكون ظرف ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] أي لا تصل عليهم أبدًا، ويحتمل أن يكون ظرف مات أبدًا؛ لأن إحياء الكفرة للتعذيب دون التمتع، فكأنهم ميتون أبدًا، كذا في الحسيني. والأول هو المذكور في المدارك، والثاني هو المذكور في البيضاوي، وإنما اختاره لأنه على التقدير الأول يجوز أن يكون النفي راجعًا إلى القيد، فيفهم جواز الصلاة عليه في بعض الأحوال، وهو باطل. وقوله تعالى: ﴿وَلَا نَفْسًا عَلَى قَبْرِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] عطف على ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ [التوبة: الآية ٨٤]، أي لا تقف على قبره للدفن أو الزيارة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ [التوبة: الآية ٨٤] إلى آخره تعليل لتأييد الموت، أو لعدم جواز الصلاة والقيام على القبر. ومعنى

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] وهم كفرون؛ لأن الصلاة على الفاسق جائز بإجماع الصحابة والتابعين، ومضى عليه العلماء الصالحون، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وإنما اختلف فيه الروافض خاصة، فيجب حمله على معنى الكفر؛ إذ هو الفسق المطلق، وقد شاع استعماله في القرآن. كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: الآية ١٨] وغيره، ولما علل الله تعالى على عدم جواز الصلاة بمجموع الكفر والموت، وكان حُسن الخاتمة وقُبْحها أمرًا غيبيًا عنا حكمنا بأن من استقرَّ على كلمة الإسلام إلى آخر الوقت يجوز الصلاة عليه، وإن كان يحتمل أن يسبق عليه الكتاب ويخرج من الدنيا كافرًا، ومن استقرَّ على كلمة الكفر إلى آخر الوقت لم يجز الصلاة عليه، وإن كان يحتمل أن يسبق عليه الكتاب فيموت مؤمنًا، ثم في هذا التعليل دليل على جواز الصلاة على المؤمنين؛ لأن سبب عدم جواز الصلاة هو الكفر والموت عليه.

وأما فرضية أو كونه كفاية، فقد ثبت بالسنة المشهورة وليس في القرآن آية يستدل بها على فرضية صلاة الجنائز على المؤمنين سوى هذه. وأما قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٠٣]، فلا يدل عليها، فإن المراد بالصلاة ثمة الدعاء في حالة الحياة؛ إذ الضمير في عليهم راجع إلى قوه مخصوص كانوا أحياء لم يلتفت إليهم رسول الله ﷺ، ولم يأخذ من أموالهم صدقة، فأمر بأخذ الصدقة منهم وبالدعاء والاستغفار لهم وعفو عصيانهم، فهو المراد ثمة لا صلاة الجنائز المعروفة على ما سيجيء.

لا يقال: إن صاحب البيضاوي قد صرح في هذه الآية أيضًا بأن المراد من الصلاة الدعاء والاستغفار للميت كما مر، فكيف يستدل بها على عدم جواز الصلاة على الكافر؟ لأننا نقول: إن الدعاء والاستغفار لما مُنع مطلقًا في حق الميت الكافر كان مُنع صلاة الجنائز التي هي أكمل الدعاء أولى. ولا يلزم في الآية جمع الحقيقة العرفية والمجاز الذي هو الحقيقة اللغوية؛ لأن صلاة الجنائز في الحقيقة دعاء واستغفار، فكان المراد هو الدعاء لا غير، وإنما صلاة الجنائز فرد من أفرادها. والأولى أن مُنع الدعاء والاستغفار مطلقًا يُفهم من آيات أخر، وهذه الآية في دعاء مخصوص هو صلاة الجنائز. ومما ينبغي أن يُعلم في هذا المقام أن الفقهاء ذكروا

(رُوي أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبي ﷺ)  
﴿مَاتَ﴾ صفة لـ ﴿أَحَدٌ﴾ ﴿أَبَدًا﴾ ظرف لـ ﴿تُصَلَّى﴾ وكان ﷺ إذا دفن الميت

أن الصلاة لا تجوز على الكافر بحال، وإن كان له وليّ مسلم، حتى قالوا: إنه فيمن اشتبه عليه أنه مؤمن أو كافر لا يُصَلَّى عليه؛ لأن الصلاة على الكافر لا تجوز بحال، وترك الصلاة على المؤمن جائز في الجملة بخلاف غيرها من الأحكام، فإنه إذا مات كافر وله وليّ مسلم يغسله مثل غسل النجاسة، لا كالغسل المسنون، ويكفّن في خرقة تستر عورته، لا أن يكفنه بالطريق المسنون، ويحفر حفرة ويلقيه فيها، لا أن يحفر القبر ويلحد فيه ويدفن بالطريق المسنون؛ هذا ما قالوا. ولا يردّ عليهم أن الله تعالى كما منعهم عن الصلاة عليه بقوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْتِيكَ بِهِ سُلُوكٌ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] كذلك منعهم عن القيام على القبر للدفن والزيارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] على ما ذكرت آنفاً؛ لأننا نقول: النهي مخصوص بالنبي عليه السلام، أو نقول: إنه نهى عن الدفن والزيارة، وما ذكرت من إلقاء الكفرة في الحفرة إلقاء لا دفن له؛ إذ المطلوب ترك تعظيمهم وترك استغفارهم. وهما موجودان ح. لكن بقي شيء وهو أن المسألة المذكورة تدلّ على أنه إن لم يكن له وليّ مسلم لا يجوز أن يُقبر، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] يدلّ على أنه يجوز أن يُقبر، وإنما المنع قيام المسلم للدفن والزيارة، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (رُوي أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبي ﷺ). في تفسير روح البيان للفاضل الكامل إسماعيل حقي رحمة الله عليه: رُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ رئيس المنافقين عبد الله بن أبيّ ابن سلول دعا رسول الله ﷺ في مرضه، فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويصلي عليه إذا مات ويقوم على قبره، ثم إنه أرسل إليه عليه السلام يطلب منه قميصه ليكفّن فيه، فأرسل إليه القميص الفوقاني، فردّه فطلب الذي يلي جلده، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: تعطي قميصك للرجس النجس، فقال عليه السلام: «إنّ قميصي لا يُغني عنه من الله شيئاً، وأرجو من الله تعالى أن يدخل به ألف في الإسلام»؛ وذلك أنّ المنافقين كانوا لا يفارقون ابن أبيّ، فلما رأوه يطلب منه عليه السلام قميصه يتبرك به، ويرجو أن ينفعه القميص في دفع عذاب الله وجلب رحمته

وقف على قبره ودعا له فقيل : ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا تُوَاوَهُمْ فَتَسْقُوتُ﴾ تعليل للنهي أي أنهم ليسوا بأهل للصلاة عليهم لأنهم كفروا بالله ورسوله

وفضله أسلم ألف من الخزرج ، وإنما قال عليه السلام : «إِنْ قَمِصِي لَا يُغْنِي» لعدم الأساس الذي هو الإيمان ، ومثله إنما يؤثر عند صلاح المحل ، ويدل عليه قوله عليه السلام : «ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ يَتَأَذَى بِجَارِ السُّوءِ كَمَا يَتَأَذَى الْحَيُّ بِجَارِ السُّوءِ» ، وما يُروى : «الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ لَا تَقْدَسُ أَحَدًا ، إِنَّمَا يَقْدَسُ الْمَرْءُ عَمَلُهُ» ، وقد ثبت أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَمَّا قَتَلَ سَفِيَّانَ بْنَ خَالِدِ الْهَذَلِيِّ وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَفَعَ إِلَيْهِ عَصًا كَانَتْ بِيَدِهِ ، وَقَالَ : «تَحْضُرُ بِهِذِهِ فِي الْجَنَّةِ» ، أَيِ تَوَكَّأَ عَلَيْهَا ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْعَصَا عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَوْصَى أَهْلَهُ أَنْ يَجْعَلُوهَا بَيْنَ جِلْدِهِ وَكَفْنِهِ ، ففعلوا . وثبت أنه عليه السلام حلق رأسه الشريف معمر بن عبد الله فأعطى نصف شعر رأسه لأبي طلحة ، وفرّق النصف الآخر بين الأصحاب شعرة وشعرتين ، فكانوا يتبركون بها وينصرون ما داموا حاملين لها ، ولذا قال في الأسرار المحمدية : لو وُضِعَ شعر رسول الله ﷺ أو عصاه على قبر عاصٍ لنجا ذلك العاصي ببركات تلك الذخيرة من العذاب ، وإن كان في دار إنسان أو بلدة لا يصيب سكّانها بلاء ببركته ، وإن لم يشعروا به ، ومن هذا القبيل ماء زمزم والكفن المبلول به وبطانة أسرار الكعبة والتكفن بها وكتابة القرآن على القراطيس والوضع في أيدي الموتى ، انتهى .

أقول : إن قلت : قد ثبت أن في خزانة السلاطين خصوصًا في خزانة آل عثمان شيئًا مما يتبرك به من خرقه النبي عليه السلام وغيرها ، ورأيانهم قد لا يُنصرون ومعهم شيء من لوائه عليه السلام ، ويصيب بلدتهم آفات كثيرة . قلت : ذلك لهتكهم الحُرمة ، ألا ترى أن مكّة والمدينة كان لا يدخلهما طاعون ، فلمّا هتك السكّان حرمتهما دخلهما ، والله الغفور .

فلمّا مات ابن أبي انطلق ابنه ، وكان مؤمنًا صالحًا إلى النبي ﷺ ودعاه إلى جنازة أبيه ، فقال عليه السلام : «ما اسمك؟» قال : الحباب بن عبد الله ، فقال عليه السلام : «أنت عبد الله بن عبد الله ، إن الحباب هو الشيطان» أي اسمه - كما في القاموس - ثم قال : «صلّ عليه وادفنه» ، فقال : إن لم تصلّ عليه يا رسول الله لا يصلّي عليه مسلم ، أنشدك الله أن لا تشمت بي الأعداء ، فأجابه عليه السلام تسليّة

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٨٥) التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم. ولأن كل آية في فرقة غير الفرقة الأخرى.

له ومراعاة لجانبه، فقام ليصلي عليه، فجاء عمر رضي الله تعالى عنه فقام بين رسول الله ﷺ وبين القبلة لئلا يصلي عليه، وقال: أتصلي على عدو الله القاتل كذا وكذا يوم كذا وكذا، وعدّ أيامه الخبيثة؛ فنزلت الآية. وأخذ جبريل عليه السلام بثوبه، وقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَى أَبَدًا﴾ [التوبة: الآية ٨٤]، فأعرض عن الصلاة عليه؛ وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضي الله تعالى عنه، فإن الوحي كان ينزل على وفق قوله في آيات كثيرة منها هذه الآية. وهو منصب عالٍ ودرجة رفيعة له في الدين؛ فلذا قال عليه السلام في حقّه: «لو لم أبعث لبعثت نبيًا يا عمر». وقال: «إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون فإنه إن كان في أمتي هذه فإنه عمر بن الخطاب» رضي الله تعالى عنه. والمحدث - بفتح الدال المشددة - هو الذي يلقي في نفسه الشيء فيخبر به فراسةً، وهي الإصابة في النظر. ويكون كما قال، وكأنه حدّثه الملائكة الأعلى، وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء، ولم يرّد النبي عليه السلام بقوله: «إن كان في أمتي» التردّد في ذلك؛ لأن أمتّه أفضل الأمم وإذا وجد في غيرها محدثون ففيها أولى، بل أراد به التأكيد لفضل عمر، كما يقال: إن يكن لي صديق فهو فلان. يُراد به اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي سائر الأصدقاء، وقد قيل في فضيلة عمر رضي الله تعالى عنه:

له فضائل لا تخفى على أحدٍ إلا على أحد لا يعرف القمر

وكذا في شرح المشارق لابن مالك.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقال: إنه عليه السلام رغب في أن يصلي عليه بعد أن علم أنه كافر مات على الكفر، وأن صلاته عليه دعاء له بالمغفرة، وقد منعه الله من أن يستغفر للمشرّكين، وأعلمه أنه لا يغفر للكفار، وأيضًا الصلاة عليه ودفع قميصه إليه تُوجب إعزازه. وهو مأمور بإهانة الكفار.

فالجواب أن الخبيث لما طلب منه أن يُرسل إليه قميصه الذي يمسّ جده الشريف ليُدفن فيه غلب على ظنّه أنه قد تاب عن نفاقه وآمن؛ لأن ذلك الوقت

﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذَّكَ أُولُوا الظُّلُمِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَائِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ﴾ يجوز أن يراد سورة بتمامها وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه ﴿أَنْ ءَامِنُوا بِاللهِ﴾ بأن آمنوا (أو هي «أن» المفسرة) ﴿وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذَّكَ أُولُوا الظُّلُمِ مِنْهُمْ﴾ ذوو الفضل والسعة ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَائِدِينَ﴾ مع الذين لهم عذر في التخلف (كالمرضى والزمنى) ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ أي النساء جمع «خالفة» ﴿وَطُبِعَ عَلَى

وقت توبة الفاجر وإيمان الكافر، فلما رأى منه إظهار الإسلام وشاهد منه هذه الأمارات الدالة على إسلامه غلب على ظنه أنه صار مسلماً، فرغب في أن يصلي عليه، فلما أتى جبريل وأخبره بأنه مات على كفره ونفاقه امتنع من الصلاة عليه. وقيل: نزلت الآية بعدما صلى ولبث يسيراً، فما صلى بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره. وأما دفع القميص إليه، فذكروا فيه وجوهاً، منها: أن العباس عم النبي عليه السلام لما أخذ أسيراً يوم بدر ولم يجدوا له قميصاً يساوي قدّه، وكان رجلاً طويلاً، كساه عبد الله قميصه، فهو عليه السلام إنما دفع إليه قميصه مكافأة لإحسانه ذلك لا إعزازاً له. ومنها: أنه تعالى أمره أن لا يرّد سائلاً، حيث قال: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: الآية ١٠]، فالضمة بالقميص وعدم إرساله سيما وقد سُئِلَ فيه مخلّ بالكرم. ومنها: أنه لعلّه أوحى إليه أنك إن دفعت إليه قميصك صار ذلك حاملاً لدخول ألف نفر من المنافقين في الإسلام، فعل ذلك بناءً عليه، والله أعلم بحقيقة الحال وما علينا إلا القبول وطىّ المقال، وهو الهادي إلى طريق التحقيق. اهـ.

قوله: (أو هي «أن» المفسرة) لأنه قد تقدّمها ما هو بمعنى القول، وعلى الأول كانت مصدرية على حذف حرف الجرّ، وفي قوله: ﴿اسْتَعِذَّكَ﴾ [التوبة: الآية ٨٦] التفات من الغيبة إلى الخطاب، ومقتضى الظاهر أن يقال: استأذنه بناءً على لفظ رسوله. قوله: (كالمرضى) جمع مريض. قوله: (والزمنى) جمع زمن بفتح الزاي وكسر الميم وهو المقعد.

قُلُوبِهِمْ ﴿ ختم عليهم لاختيارهم الكفر والنفاق ﴾ ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الهلاك والشقاوة.

﴿لَنُكَفِّرَنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٨٩﴾

﴿لَنُكَفِّرَنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ أي إن تخلف هؤلاء فقد (نهض) إلى الغزو من هو خير منهم ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ تناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ. وقيل: الحور لقوله: ﴿فِيهَا خَيْرَاتُ﴾ [الرحمن: الآية ٧٠] ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بكل مطلوب ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٨٩﴾ قوله: ﴿أَعَدَّ﴾ دليل على أنها مخلوقة.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٩٠﴾

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴿ هو من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى، وحقيقته أن يوهم أن له عذراً فيما فعل ولا عذر له، أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل: هم (أسد وغطفان) قالوا: إن لنا عيالاً وإن بنا (جهدا) فأذن لنا

قوله: (نهض) قام، وبابه قطع وخضع.

قوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ في الإتحاف: واختلف في ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ [التوبة: الآية ٩٠]، فيعقوب بسكون العين وكسر الذال مخففة من أعذر يعذر، كأكرم يكرم، وافقه الشنوذى. والباقون بفتح العين وتشديد الذال إما من فعل مضعفاً بمعنى التكلف، والمعنى: أنه يوهم أن له عذراً ولا عذر له، أو من افتعل، والأصل اعتذر، فأدغمت الدال في الذال. قوله: (أسد وغطفان) هما قبيلتان معروفتان من العرب. قوله: (جهدا) الجهد المشقة التي تلحقهم بمفارقة الأهل.

في التخلّف ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ هم منافقو الأعراب الذين لم يجبنوا ولم يعتذروا فظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من الأعراب ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار.

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩١)

(﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ الهرمى) والزمنى ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ هم الفقراء من (مزينه وجهينه وبني عذرة) ﴿حَرَجٌ﴾ إثم وضيق في التأخر ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بأن آمنوا في السر والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ المعذورين الناصحين ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ يغفر تخلفهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾... الخ. قد ذكرت فيما سبق أن ثلاثة آيات ناسخة لقوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: الآية ٤١]، وهذه الآية أولى منها. والمعنى: ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجذون ما يُنْفِقُونَ لفقْرهم - كجهننة وبنو عذرة - ﴿حَرَجٌ﴾ [التوبة: الآية ٩١] إثم في التأخير إذا نصحوا لله ورسوله بالإيمان والطاعة في السر والعلانية، كما يفعل الموالى الناصح، على ما في الكشاف والمدارك، أو بما قدروا عليه فعلاً أو قولاً يعود على الإسلام والمسلمين بالصلاح، على ما في البيضاوي، آخرًا بإظهار معذرتة للتخلّف من أصحابه حتى لا يجترىء به غيره، على ما في الزاهدي. أو بإصلاح الفعل مع إخلاص النية، على ما في الحسيني. وبالجمله، فيوضع من هؤلاء المذكورين الجهاد.

والمرضى في هذه الآية مقابل بالضعفاء، ففعل الضعفاء هم الشيخ الفاني وأمثاله، والمرضى شامل للأعمى والأعرج والمريض جميعًا بخلاف ما في قوله



﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (٩٢)

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ لتعطيتهم (الحمولة) ﴿قُلْتَ﴾ حال من الكاف في ﴿أَتَوْكَ﴾ و«قد» قبله مضمرة أي إذا ما أتوك قائلاً ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا﴾ هو جواب «إذا» ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ أي تسيل كقولك: «تفيض دمعاً» وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض و«من» للبيان كقولك: «أفديك من رجل»، ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز، ويجوز أن يكون ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ﴾ استثناءً كأنه قيل: إذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل: ما لهم تولوا باكين؟ فقيل: ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاغتراض ﴿حَزَنًا﴾ مفعول له ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ لئلا يجدوا ما

تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الشورى: الآية ٦١]، ولهذا وُحِدَ هذا وجمع ثمة، هكذا يخطر بالبال. ومعنى قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: الآية ٩١] ليس عليهم جناح ولا إلى مُعَاتِبَتِهِمْ سَبِيلٌ، فوضع المُحْسِنِينَ موضع المضمَر للدلالة على إحسانهم، وكلام صاحب الهداية يدل على أنَّ المعنى: ما على الناصحين عُرم وحرَجَة، ولذا قال في بيان مذهب أبي يوسف ومحمد ﷺ: أَنَّ مَنْ أَرْسَلَ صَيْدًا مِنْ يَدِ الْمُحْرَمِ لَا ضَمَانَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهٍ عَنِ الْمُنْكَرِ، وما على المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ؛ هذا لفظه. وعند أبي حنيفة ﷺ: يَضْمَنُ لِأَجْلِ الْمُلْكِ عَلَى مَا هُوَ أَصْلُهُ، وَأَصْلُهُمَا فِي سَائِرِ آيَاتِ الْبَدْعِ وَاللَّهُو، وهذا فصل يطول شرحه، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (الهرمي) جمع هَرِم - بفتح الهاء وكسر الراء - وهو الضعيف من كبر السن. قوله: (مُزِينَة وَجْهِيْنَة) بوزن التصغير فيهما (وبني عُذْرَة) مجموعها اسم قبائل.

قوله: (الحمولة) - بالفتح - الإبل التي تحمل. اهـ مختار الصحاح.

ينفقون ومحله نصب على أنه مفعول له، وناصبة ﴿حَزَنًا﴾ والمستحملون (أبو موسى الأشعري وأصحابه، والبكاؤون) وهم ستة نفر من الأنصار.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَبْذِلُونَ أَنفُسَهُمْ رِضًا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٩٣) يَعْتَدُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَدُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أَنْبَاءِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُزَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَاللَّهِ هُوَ فَاعِلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٤)

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَبْذِلُونَ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ وقوله: ﴿رِضًا﴾ استئناف كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء؟ فقيل: رضوا ﴿بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ أي بالانتظام في جملة الخوالف ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله: (أبو موسى الأشعري) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن جماهر بن الأشعر، وهو ثبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان، أبو موسى الأشعري الصحابي الكوفي. قدم على رسول الله ﷺ مكة قبل هجرته إلى المدينة فأسلم ثم هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى رسول الله ﷺ مع أصحاب السفينتين بعد فتح خيبر، فأسهم لهم منها ولم يسهم منها لأحد غاب عن فتحها غيرهم. قال الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داود السجستاني في كتابه شريعة القاري: لأبي موسى مع حُسن صوته بالقرآن فضيلة ليست لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ: هاجر ثلاث هجرات: هجرة من اليمن إلى رسول الله ﷺ، وهجرة من مكة إلى الحبشة، وهجرة من الحبشة إلى المدينة. قال غيره: واستعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعذن وساحل اليمن. روي له عن رسول الله ﷺ ثلاثمائة وستون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على خمسين، واتفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة عشرة. توفي بالكوفة سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين.

قوله: (وأصحابه) من أهل اليمن. قوله: (والبكاؤون) جمع بكاء بصيغة المبالغة. وهم جماعة من الصحابة لم يكن لهم قدرة على ما يركبون للغزو مع النبي ﷺ طلبوا منه ذلك، فلما أجابهم بكوا وحزنوا حزنًا شديدًا، فاشتبهوا بهذا، وتفصيلهم في سيرة ابن هشام.

يَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ ﴿٩٦﴾ يقيمون لأنفسهم عذراً باطلاً ﴿٩٧﴾ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴿٩٨﴾ من هذه (السفرة) ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا ﴿١٠٠﴾ بالباطل ﴿١٠١﴾ لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ ﴿١٠٢﴾ لن نصدقكم وهو علة للنهي عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به ﴿١٠٣﴾ فَقَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴿١٠٤﴾ علة لانتفاء تصديقهم لأنه تعالى إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وما في ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم ﴿١٠٥﴾ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴿١٠٦﴾ وَرَسُولُهُ ﴿١٠٧﴾ (أنسيبون) أم تثبتون على كفركم ﴿١٠٨﴾ ثُمَّ تُرْذَوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠٩﴾ وَالشَّهَادَةُ ﴿١١٠﴾ أي تردون إليه وهو عالم كل سر وعلانية ﴿١١١﴾ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ فيجازيكم على حسب ذلك.

﴿١١٣﴾ سَيَحْيِيهِمْ بِإِذْنِ اللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُغَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَهُم جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١٤﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٥﴾

﴿١١٦﴾ سَيَحْلِفُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُغَرِّضُوا عَنْهُمْ لَتتركوهم ولا توبخوهم ﴿١١٧﴾ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴿١١٨﴾ فأعطوهم طلبتهم ﴿١١٩﴾ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴿١٢٠﴾ تعليل لترك معاببتهم أي أن المعاببة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لأنهم أرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم ﴿١٢١﴾ وَمَأْوَهُم جَهَنَّمُ ﴿١٢٢﴾ ومصيرهم النار يعني وكفتهم النار عتاباً وتوبيخاً فلا تتكلفوا عتابهم ﴿١٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٤﴾ أي يجزون جزاء كسبهم ﴿١٢٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ ﴿١٢٦﴾ أي غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم ﴿١٢٧﴾ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٨﴾ أي فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطاً عليهم وكانوا (عرضة) لعاجل عقوبته وآجلها، وإنما قيل ذلك لئلا يتوهم أن رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم.

قوله: (السفرة) بفتح السين وسكون الفاء. قوله: (أنسيبون) من الإنابة.  
قوله: (عرضة) <sup>(١)</sup> أي نُصْبًا.

(١) العرضة فُعْلَةٌ بمعنى الممعول، كالقبضة يطلق لما يُعْرَضُ دون الشيء، وللمعروض للأمر. اهـ  
بيضاوي. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ. وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ (٩٧)

﴿الْأَعْرَابُ﴾ (أهل البدو) ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل (الحضر) لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والعلماء ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ وأحق بأن لا يعلموا ﴿حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ يعني حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ومنه قوله ﷺ: «إن (الجفاء بالمد والقسوة في الفدادين) يعني الأكره لأنهم يفدون) أي يصيحبون في حروثهم والفديد الصياح ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إمهالهم.

**قوله: (أهل البدو)** إشارة إلى أن الأعراب، وإن كان على صورة الجمع، نحو حجر وأحجار إلا أنه ليس جمعاً لعرب. وإلا لزم أن يكون الجمع أخص من الواحد، فإن العرب هو الصنف الخاص من بني آدم، سواء سكن البوادي أم سكن القرى. وأما الأعراب، فلا يُطلق إلا على من يسكن البوادي فقط، فعلى هذا يكون العرب أعم من الأعراب. وقيل: العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى، والأعراب أهل البدو؛ فعلى هذا هما متباينان. قال أهل اللغة: يقال: رجل عربي إذا كان نسبته إلى العرب، وجمعه العرب، كما يقال: مجوسي ويهودي، ثم تُحذف ياء النسبة في الجمع، فيقال: مجوس ويهود، ورجل أعرابي بالالف إذا كان بدوياً يطلب مساقط العشب والكلأ، سواء كان من العرب أو من مواليهم، ويُجمع على الأعراب والأعرابي إذا قيل له: يا عربي فريح، والعربي إذا قيل له: يا أعرابي غُضب، فمن استوطن القرى العربية فهم عرب، ومن نزل البادية فهم أعراب، ويدل على الفرق قوله: «حب العرب من الإيمان». وأما الأعراب، فقد ذمهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية، فقد ظهر بما قررنا أن الأعراب جمع أعرابي، وقد تقرّر أن الأصل في الجمع المحلّي بالالف واللام أن ينصرف إلى المعهود السابق، فإن لم يوجد المعهود السابق حُمِل على الاستغراق للضرورة؛ إذ لو لم يُحمل عليه لزم الإجمال، فلذلك قال بعض العلماء: المراد بالأعراب ههنا جمع معيّنون من منافقي العرب يُوالون منافقي المدينة، فصرفوا هذا اللفظ إليهم.

وفي التيسير: إن هذه الآية تتصل بقوله: ﴿وَعَجَّ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [التوبة: الآية ٩٠]، أي أن سكان البوادي إذا كانوا كفاراً أو منافقين، فهم أشد كُفراً

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٩٨)

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ أي يتصدق ﴿مَغْرَمًا﴾ (غرامة وخسراناً) لأنه لا ينفق إلا تقيّة من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ أي دوائر الزمان وتبدل الأحوال بدور الأيام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ أي عليهم تدور المصائب

ونفاقاً من أهل الحضرة؛ وذلك لأن أهل البدو يشبهون الوحوش، فهم مجبولون على الامتناع عن الطاعة والانقياد، ولأن استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم يزيد قساوة قلوبهم، ولأن من لم يدخل تحت تأديب مؤدّب ولم يُخالط أهل العلم والمعرفة، ولم يستمع لكتاب الله تعالى ومواعظ رسوله ﷺ بآياته الشافية، كيف يكون مساوياً لمن أصبح وأمسى في ضجة أهل العلم والحكمة، مُستمعاً لمواعظ الأحكام والكتاب والسنة؟ وإن شئت أن تعرف الفرق بين أهل الحضرة والبادية، فقابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانيّة، ومن كانوا أبعد عن سماع القرآن والسُنن وكانوا أجدر وأولى وأحقّ بأن لا يعلموا حدود العبادات والشرائع المنزلة على رسول الله ﷺ.

**قوله: (الحضر) - بفتحيتين -** خلاف البادية. **قوله: (الجفاء بالمدّ)** وهو ضدّ الوفاء، والمراد هنا غلظ الألسنة (والقسوة في الفدادين) بالتشديد (يعني الأكرّة) في المصباح: أكرت الأرض حرثتها، واسم الفاعل أكار للمبالغة، والجمع أكرّة، كأنه جمع أكر وزان كفرة جمع كافر. اهـ. (لأنهم يفدون) في مختار الصحاح: الفديد الصوت، وقد فذّ الرجل يفذّ - بالكسر - فديداً، ورجل فذّاد - بالفتح والتشديد - أي شديد الصوت. اهـ.

**قوله: (غرامة وخسراناً)** إشارة إلى أن المغرم مصدر بمعنى الغرامة، وهي التزام ما لا يلزم، وهو لا يكون إلا بضيايع رأس المال، فلذلك عطف عليه قوله: وخسراناً، وأصلها الملازمة، ومنها الغريم للزومه. **قوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾** التربص الانتظار، والدوائر جمع دائرة وهي ما يُحيط بالإنسان من مصيبة ونكبة، فمعنى تربص الدوائر انتظار المصائب بأن ينقلب الزمان على المسلمين بموت

والحروب التي يتوقعون وقوعها في المسلمين. ﴿السَّوَاءُ﴾ مكِّي وأبو عمرو وهو العذاب، و﴿السَّوَاءُ﴾ بالفتح ذم للدائرة) كقولك: «رجل سوء» في مقابلة قولك: «رجل صدق» ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرونه.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٩٥)

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ ففي الجهاد والصدقات ﴿قُرْبَتٍ﴾ أسباباً للقربة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو مفعول ثانٍ لـ ﴿يَتَّخِذُ﴾ ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أي دعاءه لأنه ﷺ كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم (كقوله: «اللهم صل على آل أبي أوفى») ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾ أي النفقة أو صلوات الرسول ﴿قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ ﴿قُرْبَةٌ﴾ نافع). وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات، وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه، والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه، وكذلك ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي جنته وما في السنين من تحقيق الوعد، وما أدل هذا

الرسول ﷺ، وغلبة الكفار عليهم. قوله: ﴿السَّوَاءُ﴾ بضم السين (مكِّي) أي ابن كثير المكِّي، (وأبو عمرو) البصري، (وهو) أي بمعنى المضموم (العذاب) والضرر والبلاء. والباقون ﴿السَّوَاءُ﴾ بالفتح وهو ذم لسائرة) والإضافة فيه من إضافة الموصوف إلى صفته، وصفت الدائرة بالمصدر في الأصل للمبالغة، كما في نحو: رجل عدل، ثم أضيفت إلى صفتها؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُولُكَ أَمْراً سَوْءاً﴾ (مريم: الآية ٢٨).

قوله. (كقوله) ﷺ (اللهم صل على آل أبي أوفى) أخرجه أصحاب الستة غير الترمذي، أوفى - بفتح الهمزة والفاء والقصر - والد عبد الله وزيد ابني أبي أوفى، اسمه علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن نعلبة بن هوازن بن أسلم بن فضال بن حارثة الأسلمي، من أصحاب بيعة الرضوان. روى له البخاري وهو آخر من بقي من الصحابة رضوان الله عليهم بالكوفة. توفي سنة سبع وثمانين. قوله: ﴿قُرْبَةٌ﴾ (بضم الراء نافع) والباقون بسكونها.

الكلام على رضا الله من المتصدقين، وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ يستر عيب المخلف ﴿رَحِيمٌ﴾ يقبل جهد (المُقل).

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ مِنَ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ مبتدأ ﴿السَّابِقُونَ﴾ صفة لهم ﴿مِنَ الْمُهِجِرِينَ﴾ تبين لهم وهم الذين صلوا إلى (القبلتين)، أو الذين شهدوا بدرًا (أو بيعة الرضوان) ﴿وَالْأَنْصَارِ﴾ عطف على ﴿الْمُهَاجِرِينَ﴾ أي ومن الأنصار (وهم أهل بيعة العقبة الأولى) وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾ من المهاجرين والأنصار فكانوا سائر الصحابة.

قوله: (المُقل) أي الفقير.

قوله: (القبلتين) إحداهما: البيت الحرام، والأخرى: بيت المقدس. قوله: (أو) شهد (بيعة الرضوان) بالحديبية، سُميت بيعة الرضوان لقوله تعالى في حقهم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: الآية ١١٩].

قوله: (وهم أهل بيعة العقبة الأولى) كانت في سنة إحدى عشرة من البعثة، والثانية في سنة اثنتي عشرة، وفي عدد من بايع بها، وذكره بسط في السير. اهـ شهاب رحمه الله. وهي عقبة منى التي يُرمى بها الجمار في الحج. اهـ مجمع البحار. وفي سفينة الراغب ودفينة المطالب للإمام الراغب من شرح البخاري للكرماني عليه الرحمة: اعلم أن رسول الله ﷺ كان يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، فبينما هو عند العقبة إذ لقي رهطاً من الخزرج، فقال: «ألا تجلسون أكلّمكم؟» قالوا: بلى، فجلسوا فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، وكانوا قد سمعوا من اليهود أن النبي عليه السلام قد أظلم رمانه، فقال بعضهم لبعض: والله إنه لذلك، فلا يسبقن اليهود عليكم؛ فأجابوه، فلما انصرفوا إلى بلادهم وذكرهم لقومهم فشا أمر رسول الله ﷺ فيهم، فأتى في العام القابل اثنا عشر رجلاً إلى الأنصار أحدهم عبادة بن الصامت، فلقوا رسول الله ﷺ

بالعقبة، وهي بيعة العقبة الأولى، فبايعوه بيعة النساء، يعني ما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: الآية ١٢]، ثم انصرفوا. وخرج في العام الآخر سبعون رجلاً إلى الحج، فواعدهم عليه السلام العقبة أو سط أيام التشريق، قال كعب بن مالك: لما كانت الليلة التي واعدنا فيها، بتنا أول الليل مع قومنا، فلما استقبل الناس من النوم تسألنا من قُرُشْنَا حتى اجتمعنا بالعقبة، فأتانا رسول الله ﷺ مع عمه العباس، فقال العباس: يا معشر الخزرج، إنَّ محمدًا حيث علمتم، في منعة ونصرة من قومه وعشيرته، وقد أبى إلَّا الانقطاع إليكم، فإن كنتم وافرين بما وعدتموه فأنتم وما تحمّلتم، وإلَّا فاتركوه في قومه؛ فتكلّم رسول الله ﷺ داعيًا إلى الله ومرغبًا في الإسلام وتالياً للقرآن، فأجبناه بالإيمان، فقال: «إني أبايعكم على أن تمنعوني مما منعتكم به آباءكم»، فقلنا: أبسط يديك تُبايعك عليه، فقال عليه السلام: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبًا»، فأخرجنا من كل فرقة نقيبًا، وكان عبادة نقيب بني عوف، وهذه بيعة العقبة الثانية. اهـ.

وفي تفسير الخازن: وأما السابقون من الأنصار، فهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وهي العقبة الأولى، وكانوا ستّة نفر: أسعد بن زُرارة، وعوف بن مالك، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رباب. ثم أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل، وكانوا اثني عشر رجلاً، ثم أصحاب العقبة الثالثة، وكانوا سبعين رجلاً، منهم: البراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، وسعد بن عبادة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة؛ فهؤلاء سبّاق الأنصار. اهـ.

وفي تاريخ الخميس: في السنة الحادية عشرة من النبوة كان ابتداء إسلام الأنصار، رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يخرج ويتبع آثار الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وذو المجاز في الموسم، ويقول: «مَنْ يُؤْمِنُنِي؟ مَنْ يُنْصِرُنِي حَتَّى أبلغ رسالة ربّي، فله الجنة». وفي سيرة مغلطاي: فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة، فيردّونه أقبح ردّ، ويؤذونه ويقولون:



قومك أعلم بك، وكان مَمَّن سَمَّى لنا من تلك القبائل: بنو عامر بن صَعَصَعَة ومحارب بن حفصة وفزارة وغسان ومُرة وحنيفة وسليم وعيس وبنو نضر<sup>(١)</sup> والبكاء وكنده وكعب والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة إلى أن أراد الله إظهار دينه، فساقه عليه الصَّلَاة والسَّلَام إلى هذا الحي من الأنصار، وهو لقب إسلامي لنصرتهم النبي ﷺ، وإنما كانوا يسمّون أولاد قَيْلَة، والأوس والخزرج، فأسلم أسعد بن زُرارة، وقيس بن ذكوان، انتهى كلام مغلطي. فخرج في هذا الموسم يعرض نفسه على القبائل، كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة؛ إذ لقي جماعة من الخزرج فقال: «من أنتم؟» قالوا: من الخزرج، قال: «أفلا تجلسون حتى أكلّمكم؟» قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان أولئك قد سمعوا من اليهود أنه قد أظّلنا زمان نبيّ يُبعث.

وفي المواهب اللدنية: كان من صنع الله أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب، وكان الأوس والخزرج أكثر منهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء، قالوا: إنّ نبياً سيُبعث الآن قد أظّل زمانه نتبعه فنقتلكم معه، فلما كلّمهم قال بعضهم لبعض: والله إنه للنبي الذي يعدكم به اليهود، فلا يسبقنكم إليه، فأسلم منهم ستّة نفر، كلّهم من الخزرج، وهم: أبو أُمّامة أسعد بن زُرارة، وعوف بن الحارث بن رفاعه، وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن ذئاب<sup>(٢)</sup>، فقال لهم النبي ﷺ: «تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربّي»، فقالوا: يا رسول الله، إنّما كانت بعثت العام الأوّل يوم من أيّامنا اقتتلنا به، وإن تقدم، ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع، فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنّا، لعلّ الله يصلح ذات بيننا ندعوهم إلى ما دعوّتنا وموعدنا وموعدك الموسم العام القابل، وانصرفوا إلى بلادهم، ويسمّى هذا ابتداء إسلام الأنصار ومقتضى ما سنذكره بعد المعراج أن

(١) ابن عامر عدي بن نابي. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) قوله: ابن ذئاب، وفي نسخة صحيحة ابن رباب، كما في أسد الغابة: جابر بن عبد الله ابن رباب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

تسمى هذه بيعة العقبة الأولى، كذا في الوفاء. ولما قدموا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم الإسلام، فلم يبق دار من دُور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله ﷺ. اهـ.

وأيضًا في تاريخ الخميس بعد ذكر قصة المعراج: وفي السنة الثانية عشر وقعت بيعة العقبة الأولى، ومقتضى ما قدّمناه قبل المعراج أن تكون هذه الثانية، كذا في الوفاء والمواهب اللدنية. ولما كان العام المقبل الموعد، وخرج رسول الله ﷺ عامئذٍ إلى الموسم، فلقه اثنا عشر رجلًا. وفي الإكليل: أحد عشر رجلًا، وهي العقبة الثانية فيهم خمسة من الستة المذكورة، وهم أبو أمامة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي، ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن ذئاب<sup>(١)</sup> لم يحضرها. والسبعة تتمة الاثني عشر، هم: معاذ بن الحارث، ورفاعة - وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور - وذكوان بن عبد القيس الزرقني، وقيل: إنه رحل إلى رسول الله ﷺ إلى مكة فسكنها معه، فهو مهاجري أنصاري، قُتل يوم أحد، وعُباد بن الصامت بن قيس، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي، والعباس بن عباد بن نضلة، وهؤلاء من الخزرج. والأوس رجلا: أبو الهيثم بن التيهان من بني عبد الأشهل، وعويمر بن ساعدة؛ فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء، أي وفق بيعتهن التي نزلت بعد فتح مكة، وهي أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأثرة علينا أن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم. قال عليه السلام: «فإن وفئتم فلکم الجنة، ومن غشني وفعل من ذلك شيئًا كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه»، ولم يعرض يومئذ القتال. ثم انصرفوا إلى المدينة، وبعث رسول الله ﷺ معهم مُصعب بن عمير إلى المدينة يعلم أهلها الأحكام، ويقرئ القرآن؛ فنزل على أسعد بن زُرارة.

(١) قوله: ابن ذئاب كذا في نسخة. وفي نسخة صحيحة بإسقاط هذا القول. ١٢ منه عم فيضهم.

وفي المواهب اللدنية: أظهر الله الإسلام - أي في المدينة - وكان أسعد بن زُرارة يجتمع بالمدينة بمن أسلم<sup>١</sup> وكتبت الأوس والخزرج إلى النبي ﷺ: ابعث إلينا مَنْ يُقرئنا القرآن، فبعث إليهم مُصعب بن عُمير، فأسلم خلق كثير، وفشا الإسلام فيهم، وكتب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم، فأذن له، فجمع بهم في دار سعد بن خيثمة، وكان أول مَنْ جمع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ، ثم قَدِم مُصعب على رسول الله ﷺ مع السبعين الذين وافوه كما سيجيء في العقبة الثانية، فأقام مصعب بمكة قليلاً ثم قَدِم قبل رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً، فهو أول مَنْ قَدِمها، والله أعلم.

وفي ذي الحجة من السنة الثالثة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاثة أشهر وقعت بيعة العقبة الكبرى، وبعضهم يسميها العقبة الثانية، ومقتضى ما قَدَمناه أن تسمى الثالثة، كذا في الوفاء.

وفي التاريخ الأوسط للبخاري رحمه الله: أنَّ أهل مكة سمعوا هاتفاً يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ، وهو يقول:

فإن يسلم السعدان يُصبحُ محمدٌ بمكة لا يخشى خلاف مخالف  
وفي رواية:

من الأمن من لا يخشى خلاف مخالف

فقالت قریش: لو عَلِمْنَا من السعدان؟ قال عند ذلك:

أيا سعد سعد الأوس إن كنت ناصراً      وب سعد سعد الخزرجين الغطارف  
أجيباً إلى داعي الهدى وتمتّب      على الله في الفردوس منية عارف

قال أهل السير: في السنة الثالثة عشر من النبوة قدم مكة في موسم الحج قريب من خمسمائة نفر، وفي رواية: ثلاثمائة نفر من الأوس والخزرج، وخرج معهم مصعب بن عمير إلى مكة، واتفق منهم سبعون رجلاً. قال ابن سعد: يزيدون رجلاً أو رجلين، وامرأتان<sup>(١)</sup>: نسيبة بنت كعب أم عمارة، وأسماء بنت

(١) قوله: نسيبة هذه - عنح النون وكسر السين - قاله الأمير أبو نصر. ١٢ منه عم فيضهم.

عدي بن عمرو. وقال ابن إسحق: ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان. وقال الحاكم: خمس وسبعون نفسًا لاقوا رسول الله ﷺ، فواعدهم أن يحضروا شعب العقبة في الليلة الثانية من ليالي التشريق للمبايعة.

وفي الصفوة: جاء قوم من أهل العقبة يطلبون رسول الله ﷺ، فقليل لهم: هو في بيت العباس، فدخلوا عليه، فقال لهم العباس: إنَّ معكم من قومكم من هو مخالف لكم، فأخفوا أمركم حتى يتصدع هذا الحاج وتلتقي نحن وأنتم، فنوضح لكم هذا الأمر، فتدخلون فيه على أمرٍ بين؛ فواعدهم رسول الله ﷺ الليلة التي في صبيحتها نفر الآخر. وفي رواية: فواعدوه العقبة من أوسط أيام التشريق، والمعنى واحد أن يوافيهم أسفل العقبة، وأمرهم أن لا ينهبوا نائمًا، ولا ينتظروا غائبًا، ولما فرغوا من الحج، وكانت الليلة الموعودة خرج القوم بعد هذه الناس. وفي المنتقى: باتوا تلك الليلة في رحالهم حتى إذا مضى ثلث الليل خرجوا من رحالهم لميعاد رسول الله ﷺ يتسللون مُستخفين تسلل القطا حتى اجتمعوا في الشعب عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلًا، ومعهم امرأتان: أم عمارة بنت كعب إحدى نساء بني مازن، وأسماء بنت عدي بن عمرو إحدى نساء بني سليم، وقد سبقهم رسول الله ﷺ ومعه العباس وليس معه غيره، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه يحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويوثق له، فلما جلس واجتمعوا له كان أول من تكلم العباس، فقال: يا معشر الخزرج - وكانت الأوس والخزرج تُدعى الخزرج - قد دعوتكم محمدًا إلى ما دعوتُموه، ومحمد من أعز الناس في عشيرته يمنعه والله من كان على قوله، ومن لم يكن كذلك، منعه للحسب والشرف، وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم. وفي وفاء الوفاء: وقد أبى إلا الانحياز إليكم، فإن كنتم أهل قوة وجلد ونظر بالحرب واستقلال بعبادة العرب قاطبة، فإنها سترميكم عن قوس واحدة، فارتؤوا رأيكم واثمروا أمركم، فلا تفرقوا إلا عن اجتماع، فإن أحسن الحديث أصدقه، وأخرى صفوا إلي الحرب كيف تقاتلون عدوكم؟ فسكت القوم وتكلم عبد الله بن عمرو بن حزام، فقال: نحن والله أهل الحرب غُذينا بها ومُرِّنا وورثناها عن آبائنا كابرًا عن كابر، نرمي بالتُّبْل حتى تغنى، ثم نطاعن بالرماح حتى تكسر، ثم نمشي بالسيوف فنضرب بها حتى يموت الأعجل منا، أو من عدونا.

فقال العباس: هل فيكم دروع؟ قالوا: نعم شاملة، وقال البراء بن معرور: قد سمعنا ما قلت، والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه، ولكن نريد الوفاء والصدق وبذل المُهَج وأنفسنا دون رسول الله ﷺ. وعن الشعبي قال: انطلق رسول الله ﷺ بالعباس إلى السبعين عند العقبة تحت الشجرة، فقال العباس: ليتكلم متكلّمكم ولا يطيل الخطبة، فإنّ عليكم من المشركين عيّنًا، وإن يعلموا بكم فيفضحوكم. فقال قائلهم - وهو أسعد -: يا محمّد، سلّ لرُبّك ما شئت، ثم سلّ لنفسك وأصحابك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله إذا فعلنا ذلك. فقال: «أسألكم لربّي أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤوؤونا وتنصرونا وتمنعونا ممّا تمنعون منه أنفسكم»، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «الجنة»، قالوا: فلك ذلك. وفي المنتقى: تكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن ودعا إلى الله تعالى ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم»، قال: «بايعوني»، قالوا: على أيّ شيء نُبائعك يا رسول الله؟ قال: «بايعوني على السّمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله ولا تخافوا لومة لائم، وعلى أن تمنعوني ممّا تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم وأزواجكم»، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق نبيًا لنمنعك ممّا نمنع منه العزيز فينا، فبايعوا رسول الله ﷺ والعباس أخذ بيد رسول الله ﷺ يؤكّد له البيعة على الأنصار، وقالوا: فنحن والله أهل الحرب والحلقة ورثناها كابرًا عن كابر؛ فعرض في الحديث أبو الهيثم بن التّيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الناس - يعني اليهود - حبالًا وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم». وفي رواية: «المحيا محياكم والممات مماتكم، أنتم مّتي وأنا منكم، أّحارب منّ حاربتم وأسالم منّ سالمتم»، وقال: «أخرجوا منكم اثني عشر رجلًا نقيبًا يكونون على قومهم»، فأخرجوا اثني عشر نقيبًا: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، وقال رسول الله ﷺ للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كُفلاء كفالة الحواريين لعيسى ابن مريم؟» قالوا: نعم.

رُوي عن عاصم بن عمرو بن قتادة: أنَّ القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ، قال العباس بن عباد بن نُضلة الأنصاري: يا معشر الخزرج، هل تدرون على ما تُبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأسود والأحمر من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبةً وأشرافكم قتلًا، أسلمتموه، فمن الآن، وهو والله خزي الدنيا والآخرة إن فعلتم، وإن كنتم ترون أنكم وأفون له بما دعوتموه إليه على نهك الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإننا نأخذُه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: «الجنة»، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه.

قال عاصم بن عمرو: والله ما قال العباس ذلك إلا ليشدَّ العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم. وقال عبد الله بن أبي بكر: والله ما قال العباس ذلك إلا ليؤخِّر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي ابن سلول، فيكون أقوى لأمر القوم، فאלله تعالى أعلم أي ذلك كان؟ فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زُرارة كان أول من ضرب على يده، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان، وقال كعب بن مالك: أول من ضرب على يدي رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم تتابع القوم. قال كعب: فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجبابج<sup>(١)</sup>، هل لكم في مذمّم والصباة معه قد جُمِعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا أَرَبُ<sup>(٢)</sup> العقبة»، وفي رواية: «ابن أَرَب العقبة، لأفرغن لك أي عدو الله، ارجعوا إلى رحالكم نصركم الله»، فقال له العباس بن عباد بن نُضلة: والذي بعثك بالحق نئن شئت لنميلنَّ غداً على أهل منى بأسيا فانا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم»، فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنا قد بلغنا أنكم جئتم إلى

(١) قوله: الجبابج: الطبل، وجبل مكة حرسها الله تعالى أو أسواقها أو منحرب منى كان يُلقى به الكروش والضخام من النوق. انتهى قاموس.

(٢) هو شيطان اسمه أَرَب العقبة. ١٢ قاموس.

وقيل: هم الذين اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة والخبر ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بأعمالهم الحسنة ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أفاض عليهم من نعمته الدينية

صاحبنا هذا، فتستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعون على حربنا؟ والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا أن تشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه، وقد صدقوا لم يعلموا، ثم إن قريشاً أتوا عبد الله بن أبي ابن سلول، فذكروا له ما قد سمعوا من أصحابه، فقال: وما كان قومي ليتفوتوا عليّ بمثل هذا وما علمته. ثم إنهم قالوا لرسول الله ﷺ: أخرج معنا، قل: «ما أمرت به». قال رزين: وقد قيل: وقع بين قريش والأنصار كلام في سبب خروج النبي ﷺ معهم، ثم ألقى الرعب في قلوب قريش، فقالوا: ليس يخرج معكم إلا في بعض أشهر السنة ولا تتحدث العرب بأنكم غلبتمونا، فقالت الأنصار: الأمر في ذلك لرسول الله ﷺ، ونحن سامعون لأمره؛ فأنزل الله على رسوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية ٦٢]، أي إن كان كفار قريش يريدون المكر فسيمكر الله بهم، فانصرفت الأنصار إلى المدينة.

وفي سيرة ابن هشام، قال: ونفر الناس من منى، فتفتش القوم الخبر فوجدوه قد كان. قال ابن إسحاق: وخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادَةَ بإذخر، والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وكلاهما كان نقييًّا، وقيل: إن قريشاً بدا لهم فخرجوا في آثارهم، فأدركوا منهم رجلين كانا تخلف في أمر فردّوهما إلى مكة: المنذر والعبّاس بن عبادَةَ، فأدركهما جُبَيْر بن مطعم والحارث بن أمية، فخلصاهما فلحقا بأصحابهما. وفي رواية: إن الرجلين هما المنذر وسعد بن عبادَةَ. فأما المنذر، فأعجز القوم ونجا. وأما سعد، فأخذوه وربطوا يديه إلى عنقه بشنّعة<sup>(١)</sup> رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجملته، وكان ذا شعر كثير، ثم خلّصه منهم جُبَيْر بن مطعم والحارث بن أمية؛ لأنه كان يجير لهما تجارتهما ويمنعهم أن يُظلموا ببلده. اهـ.

(١) الشنّعة - بالكسر - قبال النعل. انتهى قاموس.

والدنيوية ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ عطف على ﴿رَضُوا﴾ ﴿جَنَّتْ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾  
 ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ : مكِّي ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَىٰ الْإِنْفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ﴾  
 تَحْنُ تَعْلَمُهُمْ سَعَدِيَّهِمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يعني حول بلدتكم وهي المدينة ﴿مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ﴾  
 (وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار وكانوا نازلين حولها) ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ عطف  
 على خبر المبتدأ الذي هو «ممن حولكم» والمبتدأ ﴿مُنْفِقُونَ﴾ ويجوز أن يكون  
 جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت «ومن أهل المدينة قوم» ﴿مَرَدُّوا عَلَىٰ﴾  
 الْإِنْفَاقِ أي تمهروا فيه على أن مردوا صفة موصوف محذوف، وعلى الوجه الأول  
 لا يخلو من أن يكون كلاماً مبتدأ، أو صفة لـ ﴿مُنْفِقُونَ﴾ فصل بينها وبينه  
 بمعطوف على خبره، ودل على مهارتهم فيه بقوله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ أي يخفون عليك  
 مع فطنتك وصدق فراستك لفرط (تنوقهم) في (تحامي) ما يشكك في أمرهم. ثم  
 قال: ﴿تَحْنُ تَعْلَمُهُمْ﴾ أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرهم غيره، لأنهم  
 يبطنون الكفر في (سويداء قلوبهم ويبرزون) لك ظاهراً كظاهر المخلصين من

قوله: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ (بمن الجار وخفض تحتها بها كسائر المواضع (مكِّي)  
 أي ابن كثير المكِّي. والباقون بحذف من وفتح تحتها على المفعولية فيه .

قوله: (وهم: جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها)، كذا ذكره  
 جماعة من المفسرين المتأخرين؛ كالبعوي والواحدي وابن الجوزي وما ذكروه  
 مشكل؛ لأن النبي ﷺ دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم، فإن صح نقل المفسرين  
 فيحمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: الآية  
 ١٠١] على القليل؛ لأن لفظة مِّنْ للتبعية، ويحمل دعاء النبي ﷺ لهم على الأكثر  
 والأغلب، وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي ﷺ لهم. اهـ خازن.  
 قوله: (تنوقهم) التنوق: التصنع والتكلف بإظهار النية، وهي الحذق وما يعجب  
 الناظر. قوله: (تحامي) أي اجتناب. قوله: (سويداء قلوبهم) في مختار الصحاح:  
 سواد القلب حَبَّتُهُ، وكذلك أسوده وسوداؤه وسويداؤه. اهـ. قوله: (ويبرزون) أي  
 يظهرون.



المؤمنين ﴿سَنَعْدِيهِمْ مَرَّتَيْنِ﴾ هما القتل وعذاب القبر، (أو الفضيحة) وعذاب القبر، أو أخذ الصدقات من أموالهم (ونهلك أبدانهم) ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ أي عذاب النار.

﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ حَاطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا عَلَىٰ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿وَأَخْرُونَ﴾ أي قوم آخرون سوى المذكورين ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم، ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بشئ ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة، فسبعة منهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين أوثقوا أنفسهم على (سواري المسجد) فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد فصلى ركعتين، وكانت عادته كلما قدم من سفر فراهم موثقين فسأل عنهم، فذكر له أنهم أقسموا أن لا (يحلوا) أنفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلهم فقال: وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أؤمر فيهم فنزلت، فأطلقهم فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا (التي خلفتنا) عنك فتصدق بها وطهرنا فقال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً، فنزل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ ﴿حَاطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ خروجاً إلى الجهاد ﴿وَأَخْرَ سَيِّئًا﴾ تخلفاً عنه، أو التوبة والإثم (وهو من قولهم «بعت الشيء» شاة

قوله: (أو الفضيحة) وذلك ما روي أنه ﷺ قام خطيباً يوم الجمعة، فقال: «اخرج يا فلان، فإنك منافق»، فأخرج من المسجد ناساً وفضحهم. قوله: (ونهلك أبدانهم) أي جعلها ضعيفة قريبة من التلاشي والاضمحلال. عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يريد الأمراض في الدنيا وعذاب الآخرة، فإن مرض المؤمن يفيد تكفير السيئات، ومرض الكافر تعذيب مخض.

قوله: (سواري المسجد) السارية الأسطوانة. اهـ مختار الصحاح. قوله: (يحلوا) بابه رد. قوله: (التي خلفتنا) أي جعلت سبباً لتخلفنا.

قوله: ﴿عَمَلًا صَالِحًا﴾ خروجاً إلى الجهاد ﴿وَأَخْرَ سَيِّئًا﴾ تخلفاً عنه) أي العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله ﷺ إلى سائر الغزوات، والسيئ هو تخلفهم عنه، وغزوة تبوك. قوله: (وهو من قولهم: بعت الشيء

(ودرهما) أي شاة بدرهم، فالواو بمعنى الباء لأن الواو للجمع والباء للإصاق فيتناسبان، أو المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك: «خلطت الماء واللبن» تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بحلاف قولك: «خلطت الماء باللبن» لأنك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به. وإذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما كأنك قلت: «خلطت الماء باللبن واللبن بالماء» ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿وَلَمْ يَذْكُرْ تَوْبَتَهُمْ لِأَنَّهُ ذَكَرَ اعْتِرَافَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى التَّوْبَةِ.

ودرهما) ... الخ. جواب عما يقال: إن الخلط يستدعي مخلوطاً به. وفي الآية قد عطف أحد المخلوطين على الآخر. فما المخلوط به؟ أجاب عنه أولاً بأن الواو مستعار لمعنى الباء بناءً على أنَّ الواو للجمع، والباء للإصاق، والجمع والإصاق من واو واحد، فصَحَّ أَنْ يستعمل ما وُضِعَ لأحدهما فيما وُضِعَ له الآخر بطريق الاستعارة، كما في قولهم: بعت الشيء<sup>(٢)</sup> شاة ودرهماً، أي شاة بدرهم. وثانياً بأن المخلوط به في كل واحد من المخلوطين هو المخلوط في الخلط الآخر؛ لأن الخلط لما اقتضى مخلوطاً به فهو إما الآخر أو غيره. والثاني مُنتَفٍ بالأصل وبالقرينة لدلالة سياق الكلام في مثل قولك: خلطت الماء واللبن على أنَّ كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به. وهو أبلغ من أن يقال: خلطت الماء باللبن، لأنك إذا عيّنت المخلوط به يكون الخلط واحداً يقصد أحدهما أولاً، ويجعل مخلوط بالآخر. وإذا كان بالواو يكون الخلط متعدداً يقصد كل واحد من الخليطين، فيجعل مخلوطاً بالآخر، فيكون الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما، فكأنك قلت: خلطت الماء باللبن واللبن بالماء، فيكون ما قلت بالواو أبلغ مما قلت بالباء.

قوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، قال المفسرون: عسى من الله يدل على الوجوب إلا أن كلامه تعالى ينزل على حسب ما يتعارف الناس، فالسلطان العظيم إذا التمس المحتاج منه شيئاً، فإنه لا يجيب إلا بما يدل على الترخي والطمع، كلعن وعسى تنبيهاً على أن ليس لأحد أن يلزمني شيئاً، وإني لا أفعل ما أفعل إلا

(١) بدل من الشيء، أي درهم. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) بالمد والهمزة آخره، وهمزة بدل من الهاء بدليل جمعه على شيء. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ كفارة لذنوبهم، وقيل: هي الزكاة ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ عن الذنوب وهو صفة لـ ﴿صَدَقَةً﴾ (والتاء للخطاب أو لغيبة المؤنث). والتاء في ﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾ للخطاب لا محالة ﴿بِهَا﴾ بالصدقة والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه، أو بمعنى (الإنماء) والبركة في المال ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ (واعطف عليهم بالدعاء لهم) وترحم، (والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها) ﴿إِنَّ (صَلَاتَكَ)﴾ (كوفي غير أبي بكر). قيل: الصلاة أكثر من الصلوات لأنها للجنس ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائك أو سميع لاعترافهم بذنوبهم ودعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم.

على سبيل التفضل والكرم، فهذا المعنى هو فائدة ذكر عسى ولعل في مثل هذا الموضع. في تفسير البيضاوي: ﴿عَسَى أَن يَتَوَّعَ عَلَيْهِمْ﴾ أن يقبل توبتهم. اهـ. قال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: التوبة إذا أسندت إلى العبد معناها ظاهر، وإذا أسندت إلى الله تعالى فمعناها قبولها؛ لأن أصل معناها العود، فالعبد يعود إلى الطاعة، والله يعود بإحسانه وتفضله عليه. اهـ.

قوله: (والتاء للخطاب) للنبي ﷺ، (أو لغيبة المؤنث) وضمير المؤنث للصدقة. قوله: (الإنماء) وهو الزيادة. قوله: (واعطف عليهم بالدعاء لهم) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معنى الصلاة عليهم أن يدعو لهم، وهو معنى قوله: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى». قوله: (والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها)، قال النووي في شرح مسلم: قال الفقهاء: الدعاء لدافع الزكاة سنة لا واجب، خلافاً لبعض الشافعية عملاً بظاهر الآية، واستحب الشافعي أن يقول في دعائه: آجرك الله فيما أعطيت وجعله لك طهوراً وبارك لك فيما أبقيت، والصحيح أنه لا يستحب، انتهى. قوله: ﴿(صَلَاتَكَ)﴾ (كوفي غير أبي بكر) شعبة عن عاصم، أي حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف، والمراد بها الجنس. والباقون بالجمع وكسر التاء.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٤)

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ المراد المتوب عليهم أي ألم يعلموا قيل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ (إذا صحت) ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ (ويقبلها) إذا صدرت على خلوص النية وهو للتخصيص أي إن ذلك ليس إلى رسول الله ﷺ إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ كثير قبول التوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ يعفو (الحوبة).

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَاللَّهْدَىٰ فَيُنْشِرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥)

﴿وَقُلْ﴾ لهؤلاء التائبين ﴿أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي فإن عملكم لا يخفى - خيراً كان أو شراً - على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم، أو

**قوله: (إذا صحت)** باستجماع شرائطه. فإذا لم يستجمع بشرائطه لا يقبل. وإن أطلق عليه التوبة فقيد إذا صحت احترازي. اهـ قنوي. **قوله: (ويقبلها)** جعل قوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: الآية ١٠٤] استعارة تبعية؛ لأن الآخذ حقيقة هو الرسول ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: الآية ١٠٣]. ثم عيّن لأخذها غيره، كما قال ﷺ لمعاذ رحمه الله تعالى: «خذها من أغنيائهم وردّها إلى فقرائهم». فإنّه يدلّ على أن آخذ تلك الصدقات هو معاذ يأخذها ليصرفها إلى الفقراء، فوجب أن يكون لأخذ المسند إليه تعالى بمعنى القبول. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: يعني أن الآخذ هنا استعارة للقبول والإثابة، لا كناية كما قيل؛ لأن الكريم والكبير إذا قبل شيئاً عوض عنه؛ إذ الآخذ هو الرسول ﷺ. لا الله تعالى، وقد يجعل الإسناد إلى الله تعالى مجازاً مرسلًا. وقيل في نسبة الآخذ إلى الرسول ﷺ في قوله: خذ، ثم إلى ذاته تعالى إشارة إلى أن آخذ الرسول ﷺ قائم مقام آخذ الله تعالى تعظيمًا لشأن نبيه ﷺ؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: الآية ١٠]. فهو على حقيقته، ولا يخفى ما فيه من البعد في ادعاء الحقيقة، وإن كان ما فهمه معنى حسنًا. اهـ. **قوله: (الحوبة)** - بفتح الحاء - الخطيئة.

غير التائبين ترغيباً لهم في التوبة، فقد رُوي أنه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا: هؤلاء الذين تابوا (كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم) فنزلت. وقوله تعالى: ﴿فَسِرِّيَ اللَّهُ﴾ وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة ﴿وَسَرُّدُونَ إِلَىٰ عَلِيِّ الْعَيْبِ﴾ ما يغيب عن الناس ﴿وَالشَّهَدَةِ﴾ ما يشاهدونه ﴿فَيَنْتَظِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تنبئة تذكير ومجازاة عليه.

﴿وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

﴿وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ (بغير همز: مدني وكوفي غير أبي بكر. «مرجئون» غيرهم) من أرجيته وأرجأته إذا أخرته، (ومنه المرجئة) أي وآخرون من المتخلفين

قوله: (كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون، فما لهم) عبارة شيخ زاده رحمه الله: كانوا بالأمس معنا، فما لهم اليوم لا يأتون. اهـ.

قوله: (بغير همز مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وكوفي غير أبي بكر) شعبة عن عاصم، أي حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف. («مرجئون») بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة (غيرهم) أي ابن كثير المكي وأبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري - وليس من السبعة - وابن عامر الشامي، وأبو بكر عن عاصم رحمه الله.

قوله: (ومنه المرجئة) هم الذين لا يقطعون في حق أهل الكبائر بشيء من عقوبة أو عفو، بل يؤخرون الحكم في ذلك إلى يوم القيامة. وأما أهل السنة، فيقطعون بأن حكمهم العقاب بمقتضى الوعيد لا الوجوب، لكن يجوز العفو. اهـ. تفتازاني رحمه الله. وقال العلامة شيخ زاده رحمه الله: وسُميت المرجئة بهذا الاسم لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان الذي هو الاعتقاد في المرتبة. ويقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ومنهم من يقول: المعرفة الإيمان بالله والخضوع والمحبة بالقلب، فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن، ولا يضر معها ترك الطاعة وارتكاب المعاصي، ولا يعاقب عليها، وإليس كان عارفاً بالله، وإنما كفر باستكباره وترك الخضوع لله؟ كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَاسْتَكَبَرْتُ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: الآية ٣٤]. وفي الحواشي القطبية: المُرجئة هم الذين لا يقطعون على أهل الكبائر بشيء من عقوبة أو عفو، بل يؤخرون الحكم

موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم ﴿إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إن أصبروا ولم يتوبوا ﴿وَأِنَّمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا وهم ثلاثة: (كعب بن مالك)، و(هلال بن أمية)، و(مرارة بن الربيع)،

في ذلك إلى يوم القيامة. وقال الإمام: وسُمِّيت المرجئة بهذا الاسم لأنهم لا يجزمون على القول بمغفرة التائب، ولكن يؤخرون الأمر فيها إلى مشيئة الله تعالى. وقال الإمام الأوزاعي: لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان. اهـ.

**قوله:** (كعب بن مالك) الصحابي. هو أبو عبد الله، وقيل: هو أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو بشر كعب بن مالك بن عمرو بن القين بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة - بكسر اللام - ابن سعد بن علي الأنصاري الخزرجي السلمي - بفتح السين واللام - . شهد العقبة وأحدًا وسائر المشاهد إلا بدرًا وتبوك، وهو أحد الثلاثة الذي تاب الله عليهم وأنزل فيهم: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ [التوبة: الآية ١١٨] الآية. زوي لكعب عن رسول الله ﷺ ثمانون حديثًا، اتفقا على ثلاثة، وللبخاري حديث ولمسلم حديثان. جرح كعب يوم أحد أحد عشر جرحًا في سبيل الله، وهو أحد شعراء رسول الله ﷺ، وكانوا ثلاثة: حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك. وكان حسان يقبل على الأنساب، وابن رواحة يُعَيِّرُهُم بالكفر، وكعب يخوِّفُهُم الحرب. توفي بالمدينة في زمن معاوية سنة ثلاث وخمسين، وقيل: سنة خمسين رضي الله تعالى عنه.

**قوله:** (هلال بن أمية) الصحابي، وهو هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف، واسمه مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري الواقفي المدني. شهد بدرًا وأحدًا، وكان قديم الإسلام، وكان يكسر أصنام بني واقف، وكانت معه رايته يوم الفتح، وهو الذي قذف امرأته بشريك بن سمحاء، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم. وذكرهم في سورة براءة رضي الله تعالى عنه.

**قوله:** (مرارة<sup>(١)</sup> بن الربيع)، ويقال: ابن ربيعة الأنصاري العمري الصحابي من بني عمرو بن عوف. شهد بدرًا على الصحيح، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم رضي الله تعالى عنه.

(١) بمضمومة وفتح راء خفيفتين بينهما ألف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾  
﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِرَجَائِهِمْ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي إِرْجَائِهِمْ، وَإِمَا لِلشَّكِّ (وَمَوْ رَاجِعَ إِلَى الْعِبَادِ)  
أَيَّ خَافُوا عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ وَأَرْجَوْ لَهُمُ الرَّحْمَةَ. وَرُوي أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ لَا  
يَسْلُمُوا عَلَيْهِمْ وَلَا يَكْلُمُوهُمْ وَلَمْ يَفْعَلُوا كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ الْفَرِيقُ مِنْ شِدَّةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى  
السَّوَارِي وَإِظْهَارِ الْجُزَعِ وَالْغَمِّ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّ أَحَدًا لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَوَضَوْا أَمْرَهُمْ  
إِلَى اللَّهِ وَأَخْلَصُوا نِيَّتَهُمْ وَنَصَحَتْ تَوْبَتُهُمْ فَرَحِمَهُمُ اللَّهُ.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٠٧)

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ تَقْدِيرُهُ: وَمِنْهُمْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا. ﴿الَّذِينَ﴾ بِغَيْرِ  
وَإِ. مَدْنِي (وَشَامِي)، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ خَبَرَهُ مَحْذُوفٌ أَيَّ جَارِيْنَاهُمْ. رُوي أَنَّ بَنِي  
عَمْرُو بْنَ عَوْفٍ لَمَّا بَنَوْا (مَسْجِدَ قَبَاءَ) بَعَثُوا إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْتِيَهُمْ، فَأَتَاهُمْ  
فَصَلَّى فِيهِ (فَحَسَدْتُهُمْ إِخْوَانَهُمْ - بَنُو غَنَمٍ) بْنَ عَوْفٍ - وَقَالُوا: نَبِيٌّ مَسْجِدًا وَنُرْسِلُ  
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يَصَلِّي فِيهِ وَيُصَلِّي فِيهِ (أَبُو عَامِرِ الرَّاهِبِ) إِذَا قَدِمَ مِنَ الشَّامِ وَهُوَ  
الَّذِي قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَحَدٍ: لَا أَجِدُ قَوْمًا يَقَاتِلُونَكَ إِلَّا قَاتَلْتُكَ مَعَهُمْ،

قَوْلُهُ: (وَالضَّابِطُ مَكَّةَ) فِي أَكْثَرِ النُّسخِ الصَّحِيحَةِ: (ضَابِطُ مَكَّةَ). قَوْلُهُ: (وَهُوَ  
رَاجِعٌ إِلَى الْعِبَادِ) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: أَمَّا وَإِمَّا لِلشَّكِّ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنْزَعٌ عَنْهُ، فَمَا وَجْهُ  
إِيرَادِهِ هُنَا؟ فَأُجَابُ عَنْهُ بِأَنَّ التَّرْدِيدَ بِكَلِمَةِ إِمَّا هُنَا لَشَكِّ الْعِبَادِ، وَمِثْلُهُ كَلِمَةُ أَوْ،  
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الزَّافَةُ: آيَةُ ١٤٧]، وَلَعَلَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّهُ  
يَذْكُرُ﴾ [طه: آيَةُ ٤٤]، فَالْمَعْنَى لِيَكُنْ أَمْرُهُمْ عِنْدَكُمْ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

قَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ﴾ بِغَيْرِ وَإِ مَدْنِي (أَيَّ نَافِعِ الْمَدْنِي، وَكَذَا أَبُو جَعْفَرِ الْمَدْنِي،  
وَلَيْسَ مِنَ السَّبْعَةِ. (وَشَامِي) أَيَّ ابْنِ عَامِرِ الشَّامِي، وَالْبَاقُونَ بَزِيَادَةِ وَإِ قَبْلُهَا، أَيَّ  
قَبْلَ الَّذِينَ. قَوْلُهُ: (مَسْجِدَ قَبَاءَ) - بَضْمُ الْقَافِ وَالْمَدِّ - مَحَلُّ بِقَرَبِ الْمَدِينَةِ، وَيَجُوزُ  
فِيهِ الصَّرْفُ وَعَدَمُهُ. قَوْلُهُ: (فَحَسَدْتُهُمْ إِخْوَانَهُمْ) سَمَاهُمْ إِخْوَانًا لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ أَخَوَيْنِ.  
قَوْلُهُ: (بَنُو غَنَمٍ) بِالْفَتْحِ.

قَوْلُهُ: (أَبُو عَامِرِ الرَّاهِبِ) هُوَ وَالِدُ حَنْظَلَةَ غَسِيلِ الْمَلَائِكَةِ، أَيَّ الَّذِي اسْتَشْهَدَ  
يَوْمَ أَحَدٍ وَغَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ قَدْ تَرَهَّبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَبَسَ الْمَسْوَحَ

فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فبنوا مسجدًا إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي ﷺ: «بنينا مسجدًا (لذي العلة والحاجة) ونحن نحب أن تصلي لنا فيه فقال: «إني (على جناح سفر) وإذا قدمنا من تبوك إن شاء الله صلينا فيه». فلما (قفل) من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فقال: (لوحشي - قاتل حمزة -

وتنصر. فلما قَدِمَ النبي ﷺ المدينة قال له أبو عامر: ما هذا الدين الذي جئت به، فقال له النبي ﷺ: «جئت بالحنيفية دين إبراهيم»، فقال أبو عامر: فأنا عليها، فقال له النبي ﷺ: «إنك لست عليها»، قال أبو عامر: بلى ولكئكَ أدخلت في الحنيفية ما ليس منها، فقال النبي ﷺ: «ما فعلت، ولكن جئت بها بيضاء نقيّة»، فقال أبو عامر: أَمَاتَ اللهُ الكاذبَ مِنَّا طريدًا وحيدًا غريبًا، فقال النبي ﷺ: «آمين»، وسمّاه الناس أبا عامر الفاسق، فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي ﷺ: لا أجد قومًا يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل كذلك إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن يئس أبو عامر وخرج هاربًا إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا ما استطعتم من قوّة وسلاح، وابنوا لي مسجدًا، فإني ذاهبٌ إلى قيصر ملك الروم، فأتني بجندٍ من الروم، فأخرج محمدًا وأصحابه، فبنوا مسجد الضّرار إلى جنب مسجد قباء، فذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَارْصَادًا﴾ [التوبة: الآية ١٠٧] يعني: انتظارًا لمن حارب الله ورسوله، يعني أبا عامر الفاسق، ليصلي فيه إذا رجع من الشام ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة: الآية ٣٠] يعني أن أبا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء المسجد الضّرار. قوله: (لذي العلة) يعني المريض (و) لذي (الحاجة)، يعني مَنْ شغلته حاجة عن المجيء للجماعة حتى ضاق الوقت. قوله: (على جناح سفر) أي آخذين في السفر وشارعين فيه استعارة من جناح الطائر. قوله: (قفل) بمعنى رجع، ومنه القافلة تهاوّلًا.

قوله: (لوحشي) بن حرب الصحابي، كنيته أبو دُسمّة، وهو من سودان مكّة، ويقال له الحبشي، وهو مولى طُعْمَة بن عدي، وقيل: مولى جُبَيْر بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف، (وهو قاتل حمزة) رضي الله تعالى عنه يوم أحد، وشارك في قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة، وكان يقول: قتلت في جاهليّتي خير الناس، وقتلت بعد إسلامي شرّ الناس. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ أربعة أحاديث، وقيل: ثمانية. روى البخاري منها حديثًا في قتله حمزة. روى عنه ابنه حرب بن



ومعن بن عدي وغيرهما): «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه» ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه (كناسة) تلقى فيها (الجيف) و(القمامة)، ومات أبو عامر بالشام) ﴿ضَرَاكَ﴾ مفعول له وكذا ما بعد أي مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ﴿وَكُفِّرَا﴾ وتقوية للنفاق ﴿وَتَقَرَّبَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم ﴿وَارْصَادًا لِّمَنْ﴾ وإعدادا لأجل من ﴿حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهو الراهب أعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله ﷺ (وقيل: كل مسجد بني مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار) ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ متعلق:

وحشي وعبيد الله بن عدي بن الجبار وجعفر بن عمرو بن أمية، قيل: سكن دمشق، والصحيح المشهور أنه سكن حمص.

قوله: (حمزة) بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورَضِي عنه. قوله: (معن بن عدي) بن الجد بن العجلان البلوي حليف الأنصار، وهو أخو عاصم بن عدي، ذكره ابن إسحق فيمن شهد أحدا. وقُتل معن بن عدي يوم اليمامة شهيدا رضي الله تعالى عنه. قوله: (وغيرهما) كمالك بن الدُخْشُم. وعامر بن السَّكَن ﴿﴾. قوله: (كناسة) في مختار الصحاح: الكُنَاسَةُ القمامة. اهـ. وفي المصباح: الكُنَاسَةُ - بالضم - ما يكنس، وهي الزبالة والسبابة والكساحة بمعنى. اهـ. قوله: (الجيف) جمع الجيفة جثة الميت إذا أراح. اهـ مختار الصحاح. قوله: (القمامة) الكناسة. اهـ مختار الصحاح. قوله: (ومات أبو عامر) الراهب (بالشام) غريبا وحيدا. قوله: (وقيل: كل مسجد بني مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب؛ فهو لاحق بمسجد الضرار). قال صاحب الكشف: وعن عطاء: لما فتح الله الأمصار على عمر رضي الله تعالى عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد، وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدَيْن يضارَ أحدهما صاحبه. هذا لفظه. فالعجب من المشايخين المتعصبين في زماننا يبنون في كل ناحية مساجد طلبا للاسم والرسم واستعلاء لشأنهم واقتداءً بأبائهم، ولم يتأملوا ما في هذه الآية والقصة من شناعة حالهم وسوء فعالهم، وقد ذكر علماء الأصول: أن الصلاة في الأرض المغصوبة منهية لغيرها، أعني لشغل ملك الغير، لا لأنها صلاة، ولكن لما لم يتصل المكان بالصلاة اتصال الوقت بها أو بالصوم لم يكن

ب ﴿حَارَبَ﴾ أي من قبل بناء هذا المسجد يعني يوم الخندق ﴿وَلِيَحْلِفُنَّ﴾ كاذبين ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ﴾ ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في حلفهم.

﴿لَا نَقُفُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَحُبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (١٠٨)

﴿لَا نَقُفُ فِيهِ أَبَدًا﴾ للصلاة ﴿لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ السلام لابتداء و﴿أُسَسَ﴾ نعت له وهو مسجد قباء أسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهي (يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء) والخميس وخرج يوم الجمعة، أو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ (من أيام وجوده). قيل: القياس فيه مذموم

الصلاة في المكان المغصوب مكروهًا، كالصلاة في الأوقات المكروهة، ولا فاسدة الصوم في يوم النحر. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قال العلامة الشيخ الأجلّ مولانا أحمد المعروف بملا جين صاحب التفسيرات الأحمدية في المنهية: المقصود من هذا الكلام تتميم مسألة المساجد المذكورة بما يناسبها، والتنبيه على أن قبْح المكان يمثل هذه الوجوه لا يفسد الصلاة ولا يكرهها، وإن كان موجباً للإثم. ونهي الصلاة في مسجد الضرار مخصوص به، فلا يتعدى إلى ملحقاته. اهـ. قوله: (مباهاة) أي مفاخرة.

قوله: (يوم الاثنين) همزته وصل. اهـ مصباح. (والثلاثاء) ممدود. اهـ مصباح. وفي القاموس: بالمدّ ويضمّ. اهـ. (والأربعاء) ممدود، وهو بكسر الباء، ولا نظير له في المفردات، وإنما يأتي وزنه في الجمع وبعض بني أسد يفتح الباء، والضم لغة قليلة فيه. اهـ مصباح. قوله: (من أيام وجوده) قال السُّهيلي نور الله مرقده في الآية من الفقه: صحة ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع عمر رضي الله تعالى عنه حين شاورهم في التاريخ، فاتفق رأيهم على أن يكون من عام الهجرة؛ لأنه الوقت الذي عزّ فيه الإسلام، والحين الذي أمن فيه النبي ﷺ، وبُنيت المساجد وعُبد الله كما يحبّ، فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: الآية ١٠٨] أن ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذي يؤرّخ به الآن، فإن كان الصحابة رضوان الله

لأنه لا ابتداء الغاية في الزمان، و«من» لا ابتداء الغاية في المكان، (والجواب أن من عام في الزمان والمكان) ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ مصلية ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَآلَهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ قيل: لما نزلت مشى رسول الله ﷺ ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء، فإذا الأنصار جلوس فقال: أمؤمنون أنتم؟ (فسكت القوم). ثم أعادها فقال عمر: يا رسول الله إنهم لمؤمنون (وأنا معهم)، فقال ﷺ: «أترضون بالقضاء؟» قالوا: نعم. قال: «أتصبرون على البلاء؟» قالوا: نعم. قال: «أتشكرون في (الرخاء)؟» قالوا: نعم. قال ﷺ: «مؤمنون أنتم (ورب الكعبة)». فجلس ثم قال: «يا معشر الأنصار إن الله ﷻ قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الرضوء وعند الغائط؟» فقالوا: يا رسول الله (نتبع الغائط

تعالى عليهم أجمعين أخذوه من هذه الآية، فهو الظن بهم لأنهم أعلم الناس بتأويل كتاب الله، وأفهمهم بما في القرآن من الإشارات، وإن كان ذلك على رأي واجتهاد، فقد علمه الله وأشار إلى صحته قبل أن يفعل؛ إذ لا يُعقل قول القائل: فعلته أول يوم إلا بالإضافة إلى عام معلوم أو شهر معلوم أو تاريخ معلوم، وليس ههنا إضافة في المعنى إلا إلى هذا التاريخ المعلوم؛ لعدم القرائن الدالة على غيره من قرينة لفظ أو حال، فتدبره ففيه معبر لمن اذكر وعلم لمن رأى بعين فؤاد واستبصر.

قوله: (والجواب أن من عام في الزمان والمكان) هذا مذهب الكوفيين وأنها لا ابتداء مطلقاً، ولهم أدلة من القرآن كهذه الآية. وقوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الرؤ: ٤]، ومن كلام العرب كما فصل في النحو ومنع البصريون دخولها على الزمان وخصوه بمذ ومنذ، وتأولوا الآية بأنها على حذف مضاف، أي من تأسيس أول يوم وقدروا مثله فيما ورد من كلامهم. وقال أبو البقاء: إنه ضعيف؛ لأن التأسيس المقدر ليس بمكان حتى يكون لا ابتداء الغاية وسبقه إليه الزجاج. قلت: إنما فزوا من كونها لا ابتداء الغاية في الزمان، وليس في كلامهم ما يدل على أنها لا تكون لا ابتداء الغاية، إلا في المكان. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (فسكت القوم) سكوتهم حياء من النبي ﷺ. قوله: (وأنا معهم) بضمير المتكلم، أو بكسر الهمزة وضمير الجمع. قوله: (الرخاء) - بالمد - سبعة الرزق وعدم الشدة. قوله: (ورب الكعبة) قسم. قوله: (نتبع الغائط

الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار بالماء فتلا النبي ﷺ: ﴿يَحَالُ يُحْبُوتُ أَنْ يَنْظَهُرُوا﴾. قيل: هو عام في التطهر عن النجاسات كلها. وقيل: هو التطهر من

الأحجار الثلاثة، ثم نتبع الأحجار بالماء؛ فتلا النبي ﷺ: ﴿يَحَالُ يُحْبُوتُ أَنْ يَنْظَهُرُوا﴾. فثبت أن الاستنجاء بالماء أفضل؛ لأنه يحتمل أن يكون مدحهم بالتطهير بمجموع الأحجار والماء، ويحتمل أن يكون لاستعمالهم الماء بعد الأحجار، وإليه مال صاحب الهداية؛ لأنه قال: وغسله أفضل؛ لقوله تعالى فيه: ﴿يَحَالُ يُحْبُوتُ أَنْ يَنْظَهُرُوا﴾ [التوبة: الآية ١٠٨]، وأنزلت في قوم يتبعون الحجارة بالماء. هذا كلامه. فقد أورد الآية دليلاً على كون الاستنجاء بالماء أفضل، ووجه كون الآية دليلاً عليه أن الله تعالى قد بالغ في مدحهم به، وقد ثبت منه كونه محبوباً لله وأدنى درجاته أن يكون مستحباً، فيحمل عليه المتيقن ما لم يدل دليل آخر على كونه فوقه، وهذا إذا لم يجاوز النجس المخرج. أما إذا جاوز النجس المخرج يجب الاستنجاء بالماء. وأما الاستنجاء بالأحجار، فإنه وإن كان ثبوته محتمل الآية بأن يكون المدح للمجموع، لكن لا يفهم منها كونه ستة حين حمل المحبوبة على ما هو الأدنى، وهو الاستحباب، ولهذا قال صاحب الهداية: إن الاستنجاء بالأحجار ستة؛ لأنه واظب النبي عليه السلام عليها، أي مع الشرك أحياناً، وهو دليل الستة؛ هذا ما قالوا.

وبهذه الآية استدلل أهل الأصول على أن مس الذكر غير ناقض للوضوء؛ وذلك لأن الله تعالى قد مدح المستنجين بالماء، ولا شك أن في ذلك مس الذكر، فلو كان مس الذكر ناقضاً للوضوء، كيف يكون المستنجي بالماء أهلاً للمدح؟ وهذا وإن كان استدلالاً غير تام، كما هو ظاهر، لكنه صلح إلزاماً على الشافعي رضي الله تعالى عنه فيما قال: إن مس الذكر ناقض للوضوء قائلاً بأنه مس الذكر فكان حدثاً، كما إذا مشه وهو يبول؛ لأن رتبة الجواب الموافقة بدليل المستدل الفاسد بالفساد، والصحيح بالصحيح، فلا إيراد على الحنفية في أن مس الذكر خارج الوضوء غير مس الذكر إذا خلا فيه.

نعم في هذا المقام شبهة أخرى، وهي أن الفقهاء ذكروا في بيان الاستنجاء بالأحجار والماء أن الستة عند البعض الاستنجاء بالأحجار الثلاث، ولكن المرأة تدبر بالحجر الأول، وتقبل بالثاني، وتدبر بالثالث في كل حال، وهكذا يفعل

الذنوب بالتوبة. ومعنى محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء. ومعنى محبة الله إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل المحب بمحبوبه.

﴿أَفَمَنْ أَسْسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسْسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ فِيهِ نَارَ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٩)

﴿أَفَمَنْ أَسْسَ بُيُوتَهُ﴾ وضع أساس ما بينه ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسْسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه. والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه، خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله شفا جرف هار في قلّة الثبات (والاستمساك). وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازًا عما ينافي التقوى. والشفّا: (الجرف والشفير)،

الرجل إن كان الزمان صيفًا، ويعكس إن كان شتاءً، ثم يأخذ الماء بعدها فضلًا إن لم يجاوز النّجس المخرج، ووجوبًا إن جاوز، وهذا كلّ يدلّ على أنّ المراد من الاستنجاء طلب النّجوّ بعد الغائط في موضع الدّبر، وأن الاستنجاء بالصفة المذكورة إنما يُطلق عليه، والتطهير الذي يكون بعد البول في موضع الحشفة إنما يُطلق عليه الاستبراء، كما يُستفاد من بعض مصنفات شهاب الملة والدين.

وما ذكر أهل الأصول يدلّ على أنه يعمّ التطهير الذي بعد البول، والتطهير الذي بعد الغائط كما لا يخفى وجهه، ولكنّ الحقّ أنّ مراد الفقهاء أيضًا أعمّ؛ كما يدلّ عليه قولهم: والاستنجاء من كلّ حدث أي خارج من السبيلين سنّة.

غاية ما في الباب أن الاستنجاء بعد الغاية لما احتاج إلى زيادة تفصيل عقبه بقولهم: يُدبر بالحجر الأول، ويقبل بالثاني من غير إظهار أنّ هذا طريق الاستنجاء المخصوص. اهـ التفسيرات الأحمدية.

**قوله: (الاستمساك)** الثبات واشتداد بعضه ببعض، كأنه يُمسكه. **قوله: (الجرف)** - بضمّتين وبسكون الراء - البرء التي لم تُطوّ، وقيل: هو الهوة وما يجرفه السيول من الأودية لجرف الماء له، أي أكله وإذها به. **قوله: (الشفير)** في مختار الصحاح: حرف كل شيء شفره وشفيره. كالوادي ونحوه. اهـ. وفي المصباح:

وجرف الوادي: جانبه الذي يتحفر أصله بالماء (وتجرفه السيول) فيبقى (واهياً)،  
والهائر الهائر وهو المتصدع الذي (أشفى) على التهدم والسقوط، ووزنه (فعل) قصر  
عن فاعل كخلف مَنْ خالف، وألفه ليس بألف فاعل إنما هي عينه وأصله «هور»  
فقلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على  
حقيقة الباطل و(كُنه أمره) ﴿أفمن أسس بنيانه﴾، «أمن أسس بنيانه» شامي ونافع  
(«جرف» شامي وحمزة ويحيى) ﴿هَكَارُ﴾ بالإمالة: أبو عمرو) وحمزة في رواية  
ويحيى ﴿فَأَنْهَارٌ يَّهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾ (فطاح به) الباطل في نار جهنم. ولما جعل  
الجرف الهائر مجازاً عن الباطل رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو  
للجرف، وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ من أودية جهنم  
فانهار به ذلك الجرف (فهوى) في قعرها.

شفير كل شيء حرفه كالنهر وغيره. اهـ. قوله: (وتجرفه السيول) أي تأكله وتذهب  
به. قوله: (واهياً) في المصباح: وهى الحائط وهياً من باب وعد ضعف  
واسترخى. اهـ. وأيضاً فيه: وهى الشيء إذا ضعُف أو سقط. اهـ. قوله: (أشفى)  
أي أشرف. قوله: (فعل) بكسر العين. قوله: (كنه أمره) كُنه الشيء نهايته. اهـ  
مختار الصحاح. قوله: ﴿أفمن أسس بنيانه﴾، «أمن أسس بنيانه» في الموضعين  
بضم الهمزة وكسر السين فيهما على البناء للمفعول ورفع النون فيهما على النيابة  
عن الفاعل، (شامي) أي ابن عامر الشامي (ونافع)، والباقون بفتحهما على البناء  
للفاعل، ونصب بنيانه بعدهما مفعول به، والفاعل ضمير من. قوله: (جرف)  
بسكون الراء (شامي) أي ابن عامر الشامي (وحمزة) بن حبيب الزبّات، (وبحيى) بن  
آدم القرشي عن أبي بكر بن عياش عن عاصم. والباقون بالضمة. قوله: ﴿هَكَارُ﴾  
بالإمالة أبو عمرو) البصري وحمزة في رواية، ويحيى بن آدم عن أبي بكر عن  
عاصم. والإمالة أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيراً، وهي  
المحضة. ويقال لها: الكسرى والاضجاع والبطح، وهي المرادة عند الإطلاق،  
وقليلاً وهو بين اللفظين، ويقال له: التقليل وبين بير والصغرى، ويجتنب في  
الإمالة المحضة القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه. قوله: (فطاح به) في مختار  
الصحاح: طاح هلك وسقط. وبابه قال وباع. اهـ. قوله: (فهوى) في مختار  
الصحاح: هوى يهوى كرمى يرمى هوىاً - بالفتح - سقط إلى أسفل. اهـ.

قال (جابر): رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ شامي وحزمة وحفص أي تقطع.

قوله: (جابر) بن عبد الله الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما، هو أبو<sup>(١)</sup> عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام - بالراء - ابن ساردة - بالسین المهملة - ابن تزید - بالتاء المشاة فوق - ابن جُشم بن الخزرج الأنصاري السلمي - بفتح السین واللام - المدني، وهو أحد المُكثَرين الرواية عن رسول الله ﷺ. رَوَى أَلْفُ حَدِيثٍ وخمسمائة حديث وأربعون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على ستين حديثًا، وانفرد البخاري بستة وعشرين، ومسلم بمائة وستة وعشرين، ومناقبه كثيرة. استشهد أبوه يوم أحد فأحياه الله وكلمه: «يا عبد الله ما تريد؟» فقال: أن أرجع إلى الدنيا فأستشهد مرة أخرى. وثبت في صحيح مسلم عن جابر، قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة ولم أشهد بدرا ولا أحدًا، منعني أبي، فلما قُتل أبي يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط. توفي جابر بالمدينة سنة ثلاث وسبعين، وقيل: ثمان وسبعين، وقيل: ثمان وستين، وهو ابن أربع وتسعين سنة رضي الله تعالى عنه، وكان ذهب بصره في آخر عمره وحيث أطلق جابر في هذه الكتب، فهو جابر بن عبد الله، وإذا أراد ابن سمرة قيده.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ بفتح التاء مبني للفاعل (شامي) أي ابن عامر الشامي (وحزمة) بن حبيب (وحفص) عن عاصم، وكذا أبو جعفر المدني ويعقوب البصري، وليس من السبعة. (أي تنقطع) أي أصله تنقطع مضارع تقطع.

(١) في الإصابة في تمييز الصحابة: يُكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد أقوال. وفي تهذيب التهذيب في بيان جابر أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمد. ١٢ منه عم فيضهم.

(غيرهم «تقطع») أي إلا أن تقطع قلوبهم قطعًا وتفرّق أجزاء فحينئذ يسلمون عنه، وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة، (ثم يجوز أن يكون ذكر التقطيع تصوير لحال زوال الريبة عنها، ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها) وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار، أو معناه إلا أن يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندمًا وأسفًا على تفریطهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بعزائمهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في جزاء جرائمهم.

حُذِفَتْ منه إحدى التاءين. (غيرهم) أي الباقيون («تقطع») بضمّ التاء بالبناء للمفعول مضارع قطع بالتشديد.

قوله: (ثم يجوز أن يكون ذكر التقطيع تصوير لحال زوال الرّيبة عنها، ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها) ... الخ. كذا في تفسير الكشاف. وفي تفسير البضاوي: إلا أن تقطع قلوبهم قطعًا، بحيث لا يبقى لها قابليّة الإدراك والإضمار، وهو في غاية المبالغة والاستثناء من أعمّ الأزمنة. وقيل: المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل، أو في القبر، أو في النار. وقيل: التقطع بالتوبة ندمًا وأسفًا. اهـ. قال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قوله: بحيث لا يبقى لها قابليّة الإدراك ... الخ. أي لا يزال بنيانهم رّيبة في كل وقت إلا وقت تقطيع قلوبهم، أو في كل حال إلا حال تقطيعها، وهو كناية عن تمكّن الرّيبة في قلوبهم التي هي محلّ الإدراك وإضمار الشكّ، بحيث لا يزول منها ما داموا أحياء، إلا إذا قطعت ومُزّقت؛ فحينئذ تخرج الرّيبة منها وتزول، والمبالغة في الريبة واضحة، وهذا على التصوير والفرض، فلا تقطيع فيه. وعلى الوجه الذي بعده، فالتقطيع والتمزيق بالموت وتفريق أجزاء البدن، فهو حقيقيّ، ويفيد لزوم الرّيبة ما داموا أحياء. وعلى الثالث المراد: إلا أن يتوبوا ويندموا ندامةً عظيمة تفتّت قلوبهم وأكبادهم، فتقطع القلب مجازًا وكناية عن شدة الأسف، والفرق بين الوجوه ظاهر. لكنه قيل: إياك أن تتوهم أنّ مراده بالأوّل ما في الكشاف، من أنه تصوير لحال زوال الرّيبة عنها؛ إذ ليس في كلامه ما يدلّ عليه، وكأنّه لم يرّض به؛ لأن احتمال الحقيقة في الوجه الثاني يمنع الحمل على التمثيل، لأن المجاز مشروط بالقرينة وقد دفع بأن جعل الكلام محتملاً للحقيقة، والمجاز في كلامهم كثير، ومبناه على أن القرينة لا يجب أن تكون قطعية، بل قد تكون احتمالية؛ فإن اعتبرت جعل مجازًا، وإلا جعل



﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْلِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنُونَ وَنُقْضُوكَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء. وروي: تاجرهم، فأغلى لهم الثمن). وعن (الحسن): أنفسا هو خلقها وأموالاً هو رزقها. ومر برسول الله ﷺ أعرابي وهو يقرؤها فقال: بيع والله مريح لا نقيه ولا نستقيه فخرج إلى الغزو واستشهد ﴿يُقْلِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بيان محل التسليم ﴿يَقْنُونَ﴾

حقيقة وكناية، ومن لا يسلمه قال: يتعين هنا أنه كناية، ولا يخفى أنه ليس في كلام المصنف ما يخالف كلام الكشاف، حتى يقال: إنه لم يرتضه، ومثله من المتكلفات الباردة. اهـ.

قوله: (مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء)؛ إذ لا يمكن حمل الكلام على الحقيقة؛ لأنه لا يجوز أن يشتري الله شيئاً في الحقيقة، فإنه مالك الكل، فإن أنفسنا مخلوقة لله تعالى، وأموالنا رزقه، فأخرج الكلام على صورة الاستعارة التمثيلية زيادة في الدعاء إلى الطاعة. قوله: (وروي: تاجرهم فأغلى لهم الثمن)، كذا في تفسير الكشاف. وفي تفسير العلامة ابن كثير: قال الحسن وقتادة: بايعهم الله فأغلى ثمنهم، انتهى. وقوله: تاجرهم، في غياث اللغات: متاجرة باهم تجارت كردن. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، قال: ثامنهم والله وأغلى لهم.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، قال: ثامنهم والله فأغلى لهم الثمن. وقوله: ثامنهم في لسان العرب: ثامت الرجل في المبيع أثامته إذا قالوته في ثمنه وساوته على بيعه واشترائه، انتهى. قوله: (الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه.

وَيُقْتَلُونَ ﴿١١١﴾ أي تارة يقتلون العدو وطورًا يقتلهم العدو. («فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ» حمزة وعلي) ﴿وَعَدًا عَلَيْهِ﴾ مصدر أي وعدهم بذلك وعدًا ﴿حَقًّا﴾ صفته، أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبتته ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ﴾ وهو دليل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه. ثم قال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا فكيف بأكرم الأكرمين. ولا ترى ترغيبًا في الجهاد أحسن منه وأبلغ ﴿فَأَسْتَبِشِرُوا بَيْنَكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ فافرحوا غاية الفرح فإنكم تبيعون فانيًا بباقي ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ قال (الصادق): ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها.

قوله: («فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ») بناء الأول للمفعول، والثاني للفاعل (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون ببناء الأول للفاعل، والثاني للمفعول، أي تقديم كونهم مقتولين على كونهم قاتلين للإشعار بأن طائفة كثيرة من المسلمين وإن صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعًا للباقيين عن المقاتلة، بل يبقون بعد ذلك مع الأعداء قاتلين لهم بقدر الإمكان، كما قال: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٦]، أي ما وهن من بقي منهم. وقرأ الباقر بتقديم المبني للفاعل على المبني للمفعول للدلالة على أنهم يقتلون ولا يرجعون عنهم، إلا أن يصيروا مقتولين.

قوله: (الصادق) أي جعفر بن محمد الصادق، هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، الهاشمي المدني الصادق، أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. روى عن أبيه والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ونافع وعطاء ومحمد بن المنكدر والزهرري وغيرهم. روى عنه محمد بن إسحاق ويحيى الأنصاري ومالك والسفيانان وابن جريج وشعبة ويحيى القطان وآخرون، واتفقوا على إمامته وجلالته وسيادته. قال عمرو بن المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين. قال البخاري رحمه الله عليه في تاريخه: وُلِدَ جعفر سنة ثمانين، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة هـ.

﴿التَّائِبُونَ الْعَمِدُونَ الْحَمْدُونَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ التَّائِبُونَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَلَكِنْ هُمُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١١٢﴾

﴿التَّائِبُونَ﴾ رفع على المدح أي هم التائبون (يعني المؤمنين المذكورين). أو هو مبتدأ خبره ﴿الْعَمِدُونَ﴾ أي الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة. وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال. وعن (الحسن): هم الذين تابوا من الشرك وتبرءوا من النفاق ﴿الْحَمْدُونَ﴾ على نعمة الإسلام ﴿الْكُفْرُ﴾ الصائمون لقوله ﴿يَكْفُرُونَ﴾: (سياحة أمتي الصيام). أو طلبه العلم) لأنهم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه، أو السائرون في الأرض للاعتبار ﴿الْكُفْرُ﴾ المحافظون على الصلوات ﴿الْكُفْرُ﴾ يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بالإيمان والمعرفة والطاعة ﴿وَالَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ عن الشرك والمعاصي (ودخلت الواو للإشعار بأن السبعة عقد تام). أو للتضاد بين الأمر

قوله: (يعني المؤمنين المذكورين) أي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١١١] وعدّ لهم الجنة أولاً. ثم بيّن في هذه الآية أنّ أولئك هم الموصوفون بهذه الصفات. قوله: (الحسن) البصريّ التابعي رضي الله تعالى عنه. قوله: (سياحة أمتي الصيام). وإنما سمي الصائم سائحاً لأنه يمتنع عن الشهوات كالسائح في الأرض، فإنه يقنع بما تيسر له مما يؤصله إلى مقصده، ولا يتوسّع في استيفاء اللذات واتباع الشهوات؛ لأن الصائم لما امتنع عن الأكل والشرب والوقاع وسدّ على نفسه أبواب الشهوات انفتحت عليه أبواب الحكمة والمعرفة، ومالت نفسه إلى عالم المعقولات، وانتقل من مقام إلى مقام ومن درجة إلى درجة. وهذا الانتقال هو السياحة في عالم الروحانيات، فلذلك شبه الصائم بالسائح في الأرض. وقال عليّ كرم الله وجهه: المراد بقوله تعالى: ﴿الْكُفْرُ﴾ [التوبة: الآية ١١٢] الغزاة في سبيل الله يقطعون المنازل والمراحل إلى أن يصلوا إلى ديار الكفرة، فيجاهدوهم. قوله: (أو ضلبة العلم)... الخ. قاله عكرمة رحمة الله عليه. قوله: (ودخلت الواو للإشعار بأن السبعة عقد تام) وقبل: إنما دخلت الواو فيه لأنها واو الثمانية؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ كَذِبًا﴾ [الكهف: الآية ٢٢]. قال بعض النحويين: هي لغة فصيحة لبعض العرب، يقولون: إذا عدوا واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة. قال القرطبي: وهي

والنهي (كما في قوله: ﴿تَبَيَّنَ وَأَبْكَرَ﴾) [التحريم: الآية ٥] ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ وأمره ونواهي، أو معالم الشرع ﴿وَيَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المتصفين بهذه الصفات.  
(وَهُمْ عَلَيْهِ سَلَامٌ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِأَبِي طَالِبٍ فَنَزَلَ):

﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣)

﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾ أي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك، ثم ذكر عذر إبراهيم فقال:

لغة قريش. قوله: (كما في قوله: ﴿تَبَيَّنَ وَأَبْكَرَ﴾) في سورة التحريم، ﴿عَنِ رَبِّهِ﴾) ﴿إِنْ طَلَّقَكُنْ﴾ [التخريم: الآية ٥] أي طلق النبي أزواجه ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ﴾) بالتشديد والتخفيف ﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾) خبر عسى، والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط ﴿مُسَائِمَتِ﴾) مقررات بالإسلام ﴿مُؤْمِنَتِ﴾) مخلصات ﴿قَتَلَتْ﴾) مطيعات ﴿تَبَيَّنَ عَيْدَاتِ سَبَّحَتْ﴾) صائمات أو مهاجرات ﴿تَبَيَّنَ وَأَبْكَرَ﴾).

قوله: (وَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِأَبِي طَالِبٍ، فنزل)... الخ. في تهذيب الأسماء: أعمامه ﷺ أحد عشر، أحدهم الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطلب، وأبو لهب، وعبد الكعبة، وحُجُل - بحاء مهملة مفتوحة ثم جيم ساكنة - وضرار، والغيداق، أسلم منهم: حمزة والعباس، وكان حمزة أصغرهم سنًا؛ لأنه رضيع رسول الله ﷺ، ثم العباس قريب منه في السن، وكان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطلب، وكان أكبر سنًا من رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

قال العلامة الفاضل الكامل الشيخ إسماعيل حَقِّي رَحِمَهُ اللهُ: بقي ههنا أن الجَمِّ الغفير من العلماء ذهبوا إلى أن النبي ﷺ مرَّ على عقبة الحجون في حَجَّةِ الوداع، فسأل الله أن يحيي أمه، فأحيها فأمنت به ورزها الله تعالى، أي روحها، قال في إنسان العيون: لا يقال على ثبوت هذا الخبر وصحته التي صرح بها غير واحد من الحفاظ، ولم يلتفتوا إلى مَنْ طعن فيه كيف ينفع الإيمان بعد الموت؟ ولا

يُعتَرَضُ؛ لَأَنَّا نَقُولُ: هَذَا مِنْ جُمْلَةِ خُصُوصِيَّاتِهِ ﷺ. وَفِي كَلَامِ الْقُرْطُبِيِّ: قَدْ أَحْيَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدِهِ جَمَاعَةً مِنَ الْمَوْتَى، فَإِذَا ثَبِتَ ذَلِكَ، فَمَا يَمْنَعُ إِيمَانَ أَبُويهِ بَعْدَ إِحْيَائِهِمَا؟ وَيَكُونُ زِيَادَةً فِي كِرَامَتِهِ وَفَضِيلَتِهِ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِحْيَاءُ أَبُويهِ نَافِعًا لِإِيمَانِهِمَا وَتَصْدِيقِهِمَا لَمَّا أَحْيَا، كَمَا أَنَّ رُدَّ الشَّمْسِ لَوْ لَمْ يَكُنْ نَافِعًا فِي بَقَاءِ الْوَقْتِ لَمْ تَرُدَّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ، انْتَهَى.

يقول الفقير: قد أشبعنا الكلام في إيمان أبوي النبي عليه السلام، وكذا إيمان عمه أبي طالب، وجدّه عبد المطلب بعد الإحياء في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْغِلْ عَنْ أَصْحَابِ الْحَجِيرِ﴾ [البقرة: الآية ١١٩]، فارجع إليه. وجاء أن عبد المطلب رفض في آخر عمره عبادة الأصنام، ووحد الله وتوثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها، وجاءت السنة بها، منها الوفاء بالندى، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المؤمودة، وتحريم الخمر والزنى، وأن لا يطوف بالبيت عريان، كذا في كلام سبط ابن الجوزي. وقال في أبكار الأفكار في مشكل الأخبار: إن عبد المطلب قد كان يتعبد في كثير من أحواله بشريعة إبراهيم عليه السلام. ويتمسك بسنن إسماعيل عليه السلام، ولم ينكر نبوة محمد عليه السلام؛ إذ لم يكن قد بُعث في أيامه، ولا يقطع بكفر من مات في زمن الفترة، فلم يكن حكمه حكم الكفار المشركين الذين شهد النبي عليهم السلام بأنهم فحم جهنم، انتهى. قال في السيرة الحلبية: منع الاستغفار لأمه عليه السلام إنما يأتي على القول بأن من بدل دينه أو غيره أو عبد الأصنام من أهل الفترة مُعَذَّب، وهو قولٌ ضعيف مبنيٌّ على وجوب الإيمان والتوحيد بالعقل، والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن لا يجب ذلك إلا بإرسال الرسل، ومن المقرر أن العرب لم يُرسل إليهم رسول بعد إسماعيل عليه السلام، وأن إسماعيل انتهت رسالته بموته كبقية الرسل؛ لأن ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبينا ﷺ، وأن أهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم، وإن غيروا أو بدلوا أو عبدوا الأصنام، والأحاديث الواردة بتعذيب من ذكر أو بدل أو غير أو عبد الأصنام مؤولة، أو خرّجت مخرج الزجر للحمل على الإسلام. ثم رأيت بعضهم رجح أن التكيف بوجوب الإيمان بالله تعالى وتوحيده، أي بعدم عبادة الأصنام، بكفي فيه وجود

رسول دعا إلى ذلك، وإن لم يكن الرسول مرسلاً لذلك الشخص بأن لم يدرك زمنه حيث بلغه أنه دعا إلى ذلك أو أمكنه علم ذلك، وأن التكليف بغير ذلك من الفروع لا بدّ فيه من أن يكون ذلك الرسول مرسلاً لذلك الشخص وقد بلغته دعوته؛ وعلى هذا، فمن لم يدرك زمن نبينا ﷺ ولا زمن من قبله من الرسل مُعَذَّب على الإشراك بالله بعبادته الأصنام؛ لأنه على فرض أن لم تبلغه دعوة أحد من الرسل السابقين إلى الإيمان بالله وتوحيده، ولكنه كان متمكناً من علم ذلك، فهو تعذيب بعد بعث الرسل لا قبله، وحينئذ لا يشكل ما أخرجه الطبراني في الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بعث الله نبياً إلى قوم ثم قبضه إلا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم». ولعل المراد المبالغة في الكثرة، وإلا فلا. أخرج الشيخان عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيرتد بعضها إلى بعض، وتقول: قطّ قطّ» أي حسبي بعزتك وكرمك.

وأما بالنسبة لغير الإيمان والتوحيد من الفروع، فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعثه رسول إليهم، فأهل الفترة وإن كانوا مقرين بالله إلا أنهم أشركوا بعبادة الأصنام، فقد حكى الله عنهم: ﴿لَا يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ يَرْجِعُونَ﴾ [النمر: ١٣] ووجه التفرقة بين الإيمان والتوحيد وغير ذلك أن الشرائع بالنسبة للإيمان بالله والتوحيد كالشريعة الواحدة؛ لاتفاق جميع الشرائع عليه. هذا وقد جاء أنهم - أي أهل الفترة - يُمتحنون يوم القيامة، فقد أخرج البزار عن توبان أن النبي عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، فيسألهم ربهم فيقولون: ربما لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر، ولو أرسلت إلينا رسولاً لكنّا أطوع عبادك، يقول لهم ربهم: أرايتم إن أمرتكم بأمر أن تضعوني؟ فيقولون: نعم، فيأخذ على ذلك مواعيقهم، فيُرسل إليهم: أن ادخلوا النار، فينطلقون حتى إذا رأوها فرغوا ورجعوا، فقالوا: ربنا فرقت منها، ولا نستطيع أن ندخلها، فيقول: ادخلوها داخرين»، فقل النبي ﷺ: «لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً».

قال الحافظ ابن حجر: فالظنُّ بآله ﷺ، يعني الذين ماتوا قبل البعثة، أنهم يُطيعون عند الامتحان إكرامًا للنبي عليه السلام لتقر عينه، ونرجو أن يدخل عبد المطلب الجنة في جماعة من يدخلها طائعًا، إلا أبا طالب، فإنه أدرك البعثة ولم يؤمن به بعد أن طلب منه الإيمان، انتهى كلامه.

ولعله لم يذهب إلى مسألة الإحياء، ولذا قال ما قال في حق أبي طالب:

نا اميدم مكن از سابقه لطف ازل

توجه دانی که پس پرده که خوبست وکه زشت. اهد بحروفه.

وقوله: قد أشبعنا الكلام في إيمان أبي النبي عليه السلام... الخ. عبارته في سورة البقرة هكذا: ﴿وَلَا تُشْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [الآية ١١٩] ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت؟ والجحيم المكان الشديد الحر والقز، ﴿وَلَا تُشْئَلُ﴾ [البقرة: الآية ١١٩] - بفتح التاء وجزم اللام - على أنه نهى لرسول الله ﷺ عن السؤال عن حال أبويه، على ما روي أنه عليه السلام قال: «ليت شعري ما فعل أبوي؟» أي ما فعل بهما، وإلى أي حال انتهى أمرهما، فنزلت.

واعلم أنَّ السلف اختلفوا في أن أبي النبي ﷺ: هل ماتا على الكفر، أو لا؟ وذهب إلى الثاني جماعة متمسكين بالأدلة على طهارة نسبه عليه الصلاة والسلام من ذنس الشرك وشين الكفر وعبادة قريش صنمًا، وإن كانت مشهورة بين الناس، لكن الصواب خلافه؛ لقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٥]. وقوله تعالى في حق إبراهيم: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: الآية ٢٨]. وذهب إلى الأول جمع منهم صاحب التيسير، حيث قال: ولما أمر رسول الله ﷺ بتبشير المؤمنين وإنذار الكافرين كان يذكر عقوبات الكفار، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أين والدي؟ فقال: «في النار». فحزن الرجل فقال عليه السلام: «إن والديك ووالدي ووالدي إبراهيم في النار»؛ فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: الآية ١١٩]، فلم يسأله شيئًا بعد ذلك؛ وهو كقوله: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: الآية ١٠١].

وذهب نفر من هذا الجَمْع بنجاتهما من النار، منهم الإمام القرطبي حيث قال في التذكرة: إن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمرّ على عقبة الحجون، وهو بالك حزين مغتم، فبكيت لبكاء رسول الله ﷺ، ثم إنه طفر، فنزل فقال: «يا حُمَيْراء<sup>(١)</sup> استمسكي» أي زمام الناقة، فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلًا، ثم إنه عاد إلي وهو فرح متبسّم فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، نزلت من عندي وأنت بالك حزين مغتم، فبكيت لبكائك يا رسول الله، ثم إنك عدت إلي وأنت فرح متبسّم، فعمّاذ يا رسول الله؟ فقال: «ذهبت لقبر آمنة أُمّي فسألت الله أن يُحييها فأحيّاها فأمنت».

وروي أن الله أحى له أباه وأمه وعمّه أبا طالب وجده عبد المطلب. قال الحافظ شمس الدين الدمشقي:

حَبَا الله النبيّ مزيدُ فَضْلٍ      على فضل وكان به رؤوفا  
فأحى أمّه وكذا أباه      لإيمان به فَضْلاً لطيفا  
فسلّم فالقديم به قدير      وإن كان الحديث به ضعيفا

وفي الأشباه والنظائر: من مات على الكفر أبيح لعنه. إلا والذي رسول الله ﷺ؛ لثبوت أن الله تعالى أحيّاها له حتى آمنّا، كذا في مناقب الكردي. وذكر أن النبيّ عليه السلام بكى يومًا بكاء شديدًا عند قبر أبويه وغرس شجرة يابسة، وقال: «إن اخضرت، فهو علامة إمكان إيمانهما»، فاخضرت ثم خرجا من قبرهما ببركة دعاء النبيّ ﷺ وأسلما ثم ارتحلا. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سرّه: ومما يدلّ على ذلك أن اسم أبيه كان عبد الله، والله من الأعلام المختصّة بذاته تعالى لم يسمّ به صنم في الجاهلية، فإن اسم بعض أصنامهم الآلات وبعضها العزى، انتهى كلامه.

وليس إحيّاؤهما وإيمانهما به ممتنعًا عقلاً ولا شرعًا، وقد ورد في الكتاب إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يُحيي الموتى.

(١) يعني عائشة رضي الله تعالى عنها، كان يقول لها أحيانًا: يا حُمَيْراء، تصغير الحمراء، يريد البيضاء. اهـ لسان العرب. ١٢ منه عمّ فيضهم.



وكذلك نبينا عليه السلام أحياى الله على يديه جماعة من الموتى، وإذا ثبت هذا، فما يمنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته؟ وما زوي من أنه عليه السلام زار قبر أمه وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت في أن أستغفر لها، فلم يؤذن لي. واستأذنت في أن أزور قبرها، فأذن لي؛ فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت»، فهو متقدم على إحيائهما؛ لأنه كان في حجة الوداع، ولم يزل عليه السلام راقيا في المقامات السنية صاعدا في الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة؛ فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له عليه السلام بعد أن لم تكن.

فإن قلت: الإيمان لا يقبل عند المعاينة، فكيف بعد الإعادة؟

قلت: الإيمان عند المعاينة إيمان بأس، فلا يقبل بخلاف الإيمان بعد الإعادة، وقد دل على هذا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية ٢٨]، وورد أن أصحاب الكهف يبعثون آخر الزمان ويحبسون ويكونون من هذه الأمة تشريفاً لهم بذلك. وورد مرفوعاً: «أصحاب الكهف أعوان المهدي»، فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم من الموت، ولا بدع أن يكون الله تعالى كتب لأبوي النبي عمر، ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفائه تلك اللحظة الباقية، وآمنا فيها فيعتد به، وتكون تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأمة. وذهب خاتمة الحفاظ والمحدثين الإمام السخاوي في هذه المسألة إلى التوقف، حيث قال في المقاصد الحسنة بعدما أورد الشعر المذكور للحافظ الدمشقي: وقد كتبت فيه جزءاً، والذي أراه الكف عن التعرض لهذا إثباتاً ونفيًا، انتهى.

وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد الأئمة المالكية عن رجل قال: إن آباء النبي عليه السلام في النار؟ فأجاب بأنه ملعون؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٧]، وفي الحديث: «لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات». وسئل الإمام الرستغفي عن قول بعض الناس:

﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (١١٤)

﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ أي وعد أبوه إياه أن يسلم (أو هو وعد أباه) أن يستغفر وهو قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾

أن آدم عليه السلام لما بدت منه تلك الرِّثَّة اسودَّ منه جميع جسده، فلما أهبط إلى الأرض أمر بالصيام والصلاة، فصام وصلى فايض جسده. أيصح هذا القول؟ قال: لا يجوز في الجملة القول في الأنبياء عليهم السلام بشيء يؤدي إلى العيب والنقصان فيهم، وقد أمرنا بحفظ اللسان عنهم؛ لأن مرتبتهم أرفع وهم على الله أكرم، وقد قال عليه السلام: «إذا ذكرت أصحابي فأمسكوا». فلما أمرنا أن لا نذكر الصحابة رضي الله تعالى عنهم بشيء يرجع إلى العيب، فلأن نُمسك ونكف عن الأنبياء أولى وأحق؛ فحق المسلم أن يُمسك لسانه عما يُخل بشرف نسب نبينا عليه السلام ليست من الاعتقادات، فلا حظ للقلب منها. وأما اللسان، فحقه أن يُصان عما يتبادر منه النقصان، خصوصًا إلى وهم العامة لأنهم لا يقدرّون على دفعه وتداركه، فهذا هو البيان الشافي في هذا الباب بطرقه المختلفة التقطته من الكتب النفيسة، وقرنت كل نظير إلى مثله، والحمد لله تعالى وحده. اهـ بحروفه في تبين المحارم للعلامة سنان افندي في باب النهي عن الاستغفار للكفار.

روى القرطبي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ أحياناً والديه فأمنّا به، وهما الآن مؤمنان يأكلان ويشربان في الجنة، وصحح القرطبي هذا الحديث وتبعه جماعة من العلماء، في هذا القول انتهى. وأيضاً فيه: ونقل بعضهم أن عيسى عليه السلام إذا نزل من السماء إلى الأرض يحيي والذي رسول الله ﷺ فيجعل والده ﷺ رئيس عسكره في قتال الدجال ومن تبعه من اليهود، والله تعالى أعلم بالصواب. اهـ.

قوله: (أو هو وعد أباه) بفتح الهمزة والباء الموحدة، يعني أن فاعل وعد ضمير إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإياه ضمير عائد على أبيه بدليل ما قرأه حماد الراوية والحسن وابن السميع وابن نهيك ومعاذ القاري، كما في الدر المصون، فإنه قرأوا (أباه) بالموحدة.

[المتحنة: الآية ٤] (دليله قراءة الحسن «وعدها أباه») ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله إعطاء الإسلام الذي به يغفر له ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ﴾ من جهة الوحي ﴿لَهُمْ﴾ لإبراهيم ﴿أَنَّهُ﴾ أن أباه ﴿عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بأن يموت كافراً وانقطع رجاؤه عنه ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وقطع استغفاره ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ﴾ هو المتأوه (شفقاً وفرقاً)، ومعناه أنه (لفرط) ترحمه ورقته كان يتعطف على أبيه الكافر ﴿حَلِيمٌ﴾ هو الصبور على البلاء الصفوح عن الأذى، لأنه كان يستغفر لأبيه وهو يقول لأرجمنك.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١١٦)

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ﴾ أي ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه (محظور)، لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام، ولا يخذلهم إلا إذا قدموا

قوله: (دليله قراءة الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه وغيره، كحماد وابن السميعة وابن نهيك ومعاذ القاري كما في الدرر المصون. («وعدها أباه») بالباء الموحدة، وهذه قراءة شاذة. قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ﴾ لكثير التأوه، وهو أن يقول الرجل عند الشكاية والتوجع: آه من كذا، وأصله: أوه - بسكون الواو وكسر الهاء - فقلبوا الواو ألفاً وقالوا: آه من كذا، وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء، فقالوا: أوه، وربما حذفوا الهاء، فقالوا: أو، وبعضهم يفتح الواو مع التشديد، فيقول: أوه، وبعضهم يقول: أواه - بالمد والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء - لتطويل الصوت بالشكاية. وفي الحديث: «الأواه الخاشع المتضرع»، وقيل: معنى كون إبراهيم عليه السلام أواهاً أنه كلما ذكر لنفسه تقصيراً أو ذكر له شيئاً من شدائد الآخرة كان يتأوه إشفاقاً واستعظماً له. قوله: (شفقاً) محرّكة، أي خوفاً. في القاموس: الشفق - محرّكة - الخوف والشفقة، وشفق وأشفق حذر. اهـ باختصار. قوله: (فرقا) في مختار الصحاح: الفرق الخوف، وقد فرق منه من باب طرب. اهـ. قوله: (لفرط) الغلبة.

قوله: (محظور) بالحاء المهملة والطاء المعجمة، بمعنى ممنوع.

عليه بعد بيان (حظره) وعلمهم بأنه واجب الاجتناب. وأما قبل العلم والبيان فلا، وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين، والمراد بـ ﴿مَا يَتَّقُونَ﴾ ما يجب اتقاؤه للنهي. فأما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ﴾ (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِمَّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٧)

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ أي تاب عليه من إذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ [التوبة: الآية ٤٣] ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ فيه بعث للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ في غزوة تبوك ومعناه في وقتها. والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة من الظَّهر (يعتقب العشرة على بعير واحد). ومن الزاد تزودوا (التمر المدود والشعير المسوس) و(الإهالة الزنخة)، وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان وربما مضى الجماعة ليشربوا عليها الماء، ومن الماء حتى نحروا الإبل وعصروا (كرشها)

قوله: (حظره) بالحاء المهملة والطاء المعجمة، أي منعه.

قوله: (يعتقب العشرة على بعير واحد) أي يتعاقبونه في الركوب واحدًا بعد واحد. قوله: (التمر المدود) في مختار الصحاح: داد الطعام يداد ذودًا بوزن يخاف خوفًا، وأداد ودود وتدويدًا كله بمعنى، أي وقع فيه السوس. اهـ. قوله: (والشعير المسوس) في مختار الصحاح: السوس يقع في الصوف والطعام، وساس الطعام يساس سوسًا بوزن قول إذا وقع فيه السوس، وكذا أساس الطعام وسوس تسويسًا. اهـ. قوله: (الإهالة) بالكسر الودك المذاب. اهـ مصباح. قوله: (الزنخة) في مختار الصحاح: زنخ الدهن تغير، فهو زنخ وبابه طرب. اهـ. قوله: (كرشها) في مختار الصحاح: الكرش بوزن الكبِد، والكرش بوزن الكبِد، الكل مجتزئ بمنزلة المَعْدَة<sup>(١)</sup> للإنسان، وتوثئها العرب. اهـ.

(١) المعدة بوزن الرعدة لغة فيها. اهـ مختار الصحاح. ١٢ منه عم فيضهم.

وشربوه، وفي شدة زمان من (حمارة القبط) ومن (الجذب) والقحط ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ قَرِيبٍ مِّنْهُمْ﴾ عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه. وفي ﴿كَادَ﴾ ضمير الشأن والجملة بعده في موضع النصب وهو كقولهم: «ليس خلق الله مثله» أي ليس الشأن خلق الله مثله ﴿يَزِيغُ﴾ حمزة وحفص ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تكرير للتوكيد ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ خَلَقُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٨)

﴿وَعَلَى الَّذِينَ﴾ أي وتاب على الثلاثة وهم: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، وهو عطف على ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ خَلَقُوا﴾ عن الغزو ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ (برحبها) أي مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرّون فيه (قلقاً) و(جزعاً) ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها خرجت من فرط الوحشة والغم ﴿وَزَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بعد خمسين يوماً ﴿لِيَتُوبُوا﴾ ليكونوا من جملة التوابين ﴿إِنَّ﴾

**قوله:** (حمارة القبط) في لسان العرب: حمارة القبط - بتشديد الراء - وحمارته شدة حرّه - بالتخفيف - عن اللحياني: وقد حُكيت في الشتاء، وهي قليلة، والجمع حمَار. اهـ. وفي مختار الصحاح: القبط حارة الصيف. اهـ. **قوله:** (الجذب<sup>(١)</sup>) ضد الخضب. **قوله:** ﴿يَزِيغُ﴾ (بالياء على التذكير) (حمزة) بن حبيب (وحفص) عن عاصم. والباقون بالتأنيث.

**قوله:** (برحبها) بضم الراء إشارة إلى أنَّ ما مصدرية، والباء للملابسة. **قوله:** (قلقاً) القلق الانزعاج، وقد قَلِقَ من باب طرب، فهو قَلِقٌ، يقال: بات فلان قَلِقًا وأقلقه غيره. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (جزعاً) الجَزَعُ ضد الصبر، وبابه طرب، وقد جَزَعَ وأَجْزَعَ غيره. اهـ مختار الصحاح.

(١) بمعنى القحط. ١٢ منه عم فيضهم.

اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٩﴾ عن (أبي بكر الوراق) أنه قال: التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ في إيمانهم دون المنافقين، أو مع الذين لم يتخلفوا، أو مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولاً وعملاً. والآية تدل على أن الاجتماع حجة لأنه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ المراد بهذا النفي النهي وخض هؤلاء بالذكر وإن استوى كل الناس في ذلك، لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه ﴿وَلَا يَرْغَبُوا﴾ ولا أن (يضمنوا) ﴿بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ عما يصيب نفسه أي لا يختاروا لبقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أمروا بأن يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل شدة ﴿ذَلِكَ﴾ النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ (عطش) ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ (مجاعة) ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في الجهاد ﴿وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا﴾ ولا يدوسون مكاناً من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم

قوله: (أبي بكر) محمد بن عمر الحكيم، (الوراق) أصله من ترمذ، وأقام ببلخ، لقي أحمد بن خضرويه وصحب محمد بن سعد الزاهد ومحمد بن عمر البلخي، له التصانيف المشهورة في أنواع الرياضات والآداب والمعاملات. اهـ لواقع الأنوار في طبقات الأخيار.

قوله: (يضمنوا) في مختار الصحاح: ضَمَّنَ بِالشَّيْءِ يَضُنُّ - بِالْفَتْحِ - ضِمْنًا - بِالْكَسْرِ - وَضْنَانَةً - بِالْفَتْحِ - أَيُّ بَخْلٍ، فَهُوَ ضَمْنٌ بِهِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: ضَمَّنَ يَضُنُّ بِالْكَسْرِ لُغَةً. اهـ. قوله: (عطش) العطش ضد الري، وبابه طرب. قوله: (مجاعة) أي جوع. قوله: ﴿وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا﴾. الخ. قال صاحب الكشف: وبهذه

وَأَرْجُلُهُمْ ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ يَغْضِبُهُمْ وَيَضِيقُ صُدُورَهُمْ ﴿وَلَا يَتَأَلَوْنَ مِنْ عَذْوٍ نَيْلًا﴾ وَلَا يَصِيبُونَ مِنْهُمْ إَصَابَةً بِقَتْلٍ أَوْ أَسْرِ أَوْ جَرْحٍ أَوْ كَسَرٍ أَوْ هَزِيمَةٍ ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ: لِكُلِّ رَوْعَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ حَسَنَةٍ. يَقَالُ: نَالَ مِنْهُ إِذَا (رَزَأَهُ) وَنَقَصَهُ وَهُوَ عَامٌ فِي كُلِّ مَا يَسُوءُهُمْ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ خَيْرًا كَانَ سَعِيهِ فِيهِ مُشْكُورًا مِنْ قِيَامٍ وَقَعُودٍ وَمَشْيٍ وَكَلَامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَعَلَى أَنَّ الْمَدَدَ يَشَارِكُ الْجَيْشَ فِي الْغَنِيمَةِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ لِأَنَّ وَطْءَ دِيَارِهِمْ مِمَّا يَغِيظُهُمْ. وَقَدْ أَسْهَمَ النَّبِيُّ ﷺ لِابْنِي عَامِرٍ وَقَدْ قَدِمَا بَعْدَ تَقْضِيِ الْحَرْبِ. وَالْمَوْطِءُ إِمَّا مَصْدَرٌ كَالْمُورِدِ. وَإِمَّا مَكَانٌ. فَإِنْ كَانَ مَكَانًا فَمَعْنَى ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ يَغِيظُهُمْ وَطْؤُهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أَيَّ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ وَاللَّهُ لَا يَبْطُلُ ثَوَابُهُمْ.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَرْبِهِمْ﴾  
 اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً﴾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿صَغِيرَةً﴾ وَلَوْ تَمْرَةً ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾  
 (مِثْلُ مَا أَنْفَقَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ) ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾

الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة ؓ، أَنَّ الْمَدَدَ الْقَادِمَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ يَشَارِكُ الْجَيْشَ فِي الْغَنِيمَةِ؛ لِأَنَّ وَطْءَ دِيَارِهِمْ مِمَّا يَغِيظُهُمْ وَيَنْكِيءُ فِيهِمْ. وَلَقَدْ أَسْهَمَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِي عَامِرٍ، وَقَدْ قَدِمَا بَعْدَ تَقْضِيِ الْحَرْبِ، وَأَمَدَّ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ الْمَهَاجِرِينَ إِلَى أُمِّيَّةٍ وَزِيَادَ بْنَ أَبِي لَبِيدٍ بِعَكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ مَعَ خَمْسِمِائَةِ نَفْسٍ، فَلَحَقُوا بَعْدَمَا فَتَحُوا، فَأَسْهَمَ لَهُمْ. وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ ؓ: لَا يُشَارِكُ الْمَدَدُ الْغَانِمِينَ، هَذَا لَفْظُهُ. وَهَكَذَا ذَكَرَ صَاحِبُ الْهِدَايَةِ هَذَا الْخِلَافَ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِلْآيَةِ، فَقَالَ: وَإِذَا لَحِقَهُمُ الْمَدَدُ فِي دَارِ الْحَرْبِ قَبْلَ أَنْ يُخْرِجُوا الْغَنِيمَةَ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ شَارَكُوهُمْ فِيهِ، خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ ؓ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْقِتْلِ، هَكَذَا سَرَدَ الْكَلَامَ... الخ. اهـ. التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (رَزَأَهُ) فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ: رَزَأَتْهُ أَيَّ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ، وَرَزَأُ أَيَّ نَقَضَ. اهـ.

قوله: (مِثْلُ مَا أَنْفَقَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ)، وَهُوَ أَلْفُ دِينَارٍ، قِيلَ: وَأَلْفُ جَمَلٍ أَعَانَ بِهِ الْمُسْلِمِينَ (فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ) أَيَّ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ.

أي أرضاً في ذهابهم ومجيئهم وهو كل (منفرج) بين جبال (وآكام) يكون منفذاً للسيل، وهو في الأصل فاعل من «ودى» إذا سال ومنه (الودّي)، وقد شاع في الاستعمال بمعنى الأرض ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ من الإنفاق وقطع الوادي ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ متعلق بـ ﴿كُتِبَ﴾ أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي يجزيهم على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيراً لأجرهم.

﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٢٢)

﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ كَافَّةً﴾ اللام لتأكيد النفي أي أن نفي الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للإفضاء إلى المفسدة ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ فحين لم

قوله: (منفرج) - بضم الميم وبفتح الراء - اسم مكان بمعنى ما انعطف يمناً أو يسرة؛ لأنه منخفض بين جبال يجري فيه سيولها، وهو (منعطف) في الأكثر. قوله: (آكام) في المصباح: الأكمة تلّ، وقيل: شرفة كالرابية، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد، وربما غلط، وربما لم يغلظ، والجمع أكم وأكمت، مثل قصبة وقُصْب وقصبات، وجمع الأكم آكام، مثل جبل وجبال، وجمع الآكام أكم - بضمّتين - مثل كتاب وكتب، وجمع الأكم آكام، مثل عنق وأعناق. اهـ. قوله: (الودّي) ماء أبيض ثخين يخرج بعد البول يخفّف ويثقل، قال الأزهري: قال الأموي: الودّي والمذي والمنّي مشدّات وغيره يخفّف، وقال أبو عبيدة: المنّي مشدّد والآخران مخفّفان، وهذا أشهر. اهـ مصباح.

قوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ كَافَّةً﴾... الخ. اعلم أن لآية توجيهين ذكر وهما، واكتفى الإمام الزاهد وصاحب الحسيني بالثاني فقط، أحدهما: أن ضمير ليتفقّها ولينذروا ورجعوا راجع إلى الطائفة، والقوم هو الفرقة. والآخر: أن يكون بالعكس، فعلى الأول معناها ما استقام للمؤمنين أن ينفروا إلى تحصيل العلم كافةً، فهلاً نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة ليتفقّها، أي الطائفة النافرة، ولينذروا قومهم الباقية إذا رجعوا إلى قومهم، يعني يجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة إرشاد القوم وإنذارهم لا الترفع على الناس



يكن نفير الكافة (فهلاً نفر) ﴿مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ أي من كل جماعة كثيرة

والتبسّط في البلاد لعلهم يحذرون، أي إرادة أن يحذروا عمّا يندرون منه، فيكون في الآية دليل على أن الفقه من فروض الكفاية، وعلى أن خبر الواحد حجة للعمل؛ لأنه جعل إنذار الطائفة النافرة للفرقة الباقية مفيداً للعمل، وهو اسم للواحد والاثنين فصاعداً، هكذا ذكره القاضي البيضاوي. وذكر الإمام فخر الإسلام في أول الكتاب: أن الله تعالى ندب للفقه في هذه الآية ودعاهم إلى الإنذار، والإنذار هو العلم والعمل جميعاً؛ فدلّ على أن العمل داخل في الفقه وفي أقسام السنة أن خبر الواحد يوجب العمل؛ لأن الله تعالى دعاهم إلى العمل بقول: ﴿طَائِفَةٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٢] وهو اسم للواحد والاثنين فصاعداً، وعلى الثاني قيل في نزولها: لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفر وانقطعوا عن الفقه، فأصروا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد، ويبقى أعقابهم يتفقهون لئلا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر. فمعناها ما استقام للمؤمنين أن ينفروا كافةً لغزو، فهلاً نفر من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة للغزو، ولتفقهوا - أي الجماعة الكثيرة الباقية - ولينذروا قومهم، أي الطائفة النافرة إذا رجعوا إلى تلك الفرقة، فلا يكون الآية دليلاً على حجية خبر الواحد، نعم يستقيم أن يكون دليلاً على حجية الخبر المشهور كما لا يخفى على المُنصف، وعلى الجهاد لا يفرض على كل واحد، وأن التفقه أيضاً من الفروض الكفاية. ولعلّ ذلك فيما احتاج المسلمون إلى الغزو والعلم جميعاً. أو يقال: إنّ الآية محمولة على ما لم يكن النفر عاماً، فيكون الجهاد فرض كفاية، وأن التفقه هو الاجتهاد، ومن المعلوم أنه فرض كفاية، وإنما فرض العين هو تعلّم المسائل لا الفقه؛ كما قال عليه السلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، هذا ما يخطر بالبال، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمدية.

**قوله:** (فهلاً نفر) يعني أن لولا هنا تحضيضية لا امتناعية، وهي مع الماضي تفيد التوبيخ على ترك الفعل، ومع المضارع تفيد طلبه والأمر به، لكن اللّوم على التّرك فيما يمكن تلافيه قد يفيد الأمر به في المستقبل، ولذا قيل: إنّ الآية تدلّ على وجوب طلب العلم، لا لما قيل: إنّ التوبيخ على التّرك يقتضي الوجوب. اهـ شهاب رحمته. وقال العلامة شيخ زاده رحمه الله: يعني أن لولا تحضيضية مثل هلاً، وقد تقرر أن حرف التحضيض إذا دخل على الماضي يفيد التوبيخ على ترك الفعل،

جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (ليتكلفوا الفقه) فيه (ويتجشموا المشاق) في تحصيلها ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ وليجعلوا (مرمى) همتهم في انتفقه إنذار قومهم وإرشادهم ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ دون الأغراض الخسيسة من التصذر والتروؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ما يجب اجتنابه. وقيل: إن رسول الله ﷺ كان إذا بعث بعثاً بعد غزوة تبوك بعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير واقطعوا جميعاً عن انتفقه في الدين. فأمرُوا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد. ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر، إذ الجهاد بالحجاج أعظم أثراً من الجهاد (بالنصال). والضمير في ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم. وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه.

والتوبيخ إنما يكون على ترك الواجب، فيستفاد منه كون الفعل واجباً، فظهر أن المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ [التوبة: الآية ١٢٢] الأمر بالنفير بعدما بين أنه لا يمكن نفير الكافة لأي مطلوب كان من المطالب الدينية، أي لأي مطلوب كان من المطالب؛ كالغزو والتفقه في الدين والتفقه في معرفة أحكام الدين، وهو ينقسم إلى فرض عين؛ كعلم الطهارة والصوم والصلاة. وفرض كفاية، مثل أن يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد والفتيا، والمراد من العلم في قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ما يكون تعلمه فرض عين. اهـ.

قوله: (ليتكلفوا الفقه) فيه إشارة إلى أن صيغة التفعّل المتكلف، وليس امراد به معناه المتبادر، بل مقاساة الشدة في طلبه لصعوبته، وأنه لا يحصل بدون جهد وجد. وقوله: (الفقه) - بالفتح - في لسان العرب: فقه فقهة وهو فقيه. اهـ. وفي القاموس: الفقه - بالكسر - العلم بالشيء والفهم له والفطنة، وغلب على علم الدين لشرفه، وفقه ككرم وفرح، فهو فقيه. اهـ. قوله: (ويتجشموا المشاق) أي يرتكبوها. قوله: (مرمى) أي مقصد. قوله: (بالنصال) في مختار الصحاح: النصل نصل السهم والسيف والسكين والرمح والجمع نصول ونصال. اهـ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَبِلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٣)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَبِلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ﴾ يقربون منكم ﴿مِنَ الْكُفَّارِ﴾. القتال واجب مع جميع الكفرة قريبتهم وبعيدهم، ولكن الأقرب فالأقرب أوجب. وقد حارب النبي ﷺ قومه، ثم غيرهم من عرب الحجاز، ثم الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره، وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم ﴿وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة و(عنفا) في المقال قبل القتال ﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالنصرة والغلبة.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ﴾ إيماننا ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٢٤)

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ («ما» صلة) مؤكدة ﴿فَمِنْهُمْ﴾ فمن المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ بعضهم لبعض ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ﴾ السورة ﴿إِيمَانًا﴾ إنكارا واستهزاء بالمؤمنين و﴿أَيُّكُمْ﴾ مرفوع بالابتداء وقيل: هو قول المؤمنين للحن والتنبية ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ يقينا وثباتا أو خشية أو إيمانا بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يعدون زيادة التكليف بشارة التشرية.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (١٢٥) ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوَدُ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (١٢٦)

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق فهو فساد يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ كفرا مضموما إلى كفرهم ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ هو إخبار عن إصرارهم عليه إلى الموت ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوَدُ﴾ يعني

قوله: (عنفا) في المصباح: عنف به وعليه عنفا من باب قرب إذا لم يرفق به، فهو عنيف. اهـ.

قوله: («ما» صلة) بالكسر، أي زائدة.

المنافقين (وبالتاء: حمزة خطاب للمؤمنين) ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما ﴿(فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا﴾ عن نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ لا يعتبرون. أو بالجهاد مع رسول الله ﷺ لا يتوبون بما يرون من دولة الإسلام، ولا هم يذكرون بما يقع بهم من (الاصطلام).

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ (تغامزوا بالعيون) إنكاراً للوحي وسخرية به قائلين ﴿هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ من المسلمين لنصرف فإننا لا نصبر على استماعه ويغلبن الضحك فتخاف الافتضاح بينهم، أو إذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد إن قمتم من حضرته ﷺ ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ عن حضرة النبي ﷺ مخافة الفضيحة ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن فهم القرآن ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يتدبرون حتى يفقهوا.

قوله: (وبالتاء) أي بتاء الخطاب (حمزة خطاب للمؤمنين) على جهة التعجب. والباقون بياء الغيب رُجوعاً على الذين في قلوبهم مرض.

قوله: ﴿(فِي كُلِّ عَامٍ)﴾ الاستغراق هنا العرفي، أي في كل عام من أعوامهم زمن نفاقهم ﴿(مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ)﴾، والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المذكور، وهذا المعنى وإن فهم من قوله مَرَّتَيْنِ؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِيجَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [المثك: الآية ٤] الآية، لكن أريد المبالغة، فاختير ما ذكر في النظم، فكلمة أو بمعنى بل؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ بَاقَةَ الْأَلْفِ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفات: الآية ١٤٧]، لكن حملة على التردد أدخل في إفادة المبالغة. اهـ قنوي. قوله: (الاصطلام) الاستئصال. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (تغامزوا بالعيون) يعني أن المراد من النظر النظر المخصوص الدال على الطعن في تلك السورة والاستهزاء بها..

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

(﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ محمد ﷺ) ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ شديد عليه شاق - لكونه بعضاً منكم - عنيتكم ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ على إيمانكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ منكم ومن غيركم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قيل: لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله ﷺ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ فاستعن بالله وفوض إليه أمورك فهو كافيك معرفتهم وناصرك عليهم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فوَضْتُ أمري إليه ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ﴾ هو أعظم خلق الله. خلق مطافاً لأهل السماء وقبلة للدعاء ﴿الْعَظِيمُ﴾ بالجبر وقرئ بالرفع على نعت الرب جل وعز. عن أبي: آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية.

قوله: (﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ محمد عليه السلام)... الخ. يقول كاتب الحروف غفر الله له ولوالديه وأشياخه وأحبابه: قد رأيت رسالة للعلامة علي القاري عليه رحمة الله الباري في المدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام ونسختها، فأحببت أن ألحقها بتفسير هذه الآية الشريفة لتزيد بها الفائدة، وتتم بها العائدة، وهي هذه:

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله الأزلي الأبدي، على ما أضاء النور الأحمدى، وأشرق الضياء المحمدي، المنعوت بالمحمود، في العالم والوجود، وأفاء على العرب والعجم، بأنواع النعم، وأضاف الجود، وأهداه إلى الناس كافة، إرسال هداية وهديّة ورحمة ورأفة، وهو الرحيم الوؤود، بإبراز هذا المولود، في أحسن المورود، وهو شهر ربيع الأول، على ما عليه المعول، صلى الله تعالى عليه وسلم، وشرفه وكرم، وأحسن إليه، وقرّبه واصطفاه لديه، ولقد أحسن المقال من قال، من بعض أرباب

الحال: شعر<sup>(١)</sup>:

لهذا الشهر في الإسلام فضل ومنقبة تفوق على الشهور  
فمولود به واسم ومعنى وآيات بهرن لدى الظهور  
ربيع في ربيع في ربيع ونور فوق نور فوق نور  
وقد قال تعالى في القرآن العظيم، والفرقان الحكيم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ  
مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، وأظهر هذا الإخبار، المتضمن لحصول الأنوار، مصدراً بالقسم  
المقدر ومؤكداً بحرف التحقيق. إشارة إلى أن مجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم إليهم  
من علامات العناية وأمارات التوفيق. والخطاب عامٌ شامل للمؤمنين والكافرين، لكنه  
هدى للمتقين، وحنة على الآخرين، كماء النيل ماءً للمحبوبين. ودعاء  
للمحجوبين. وإيماء إلى أن مجيئه موعودٌ إليكم، ومقصودٌ لديكم، بمقتضى قوله  
تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:  
الآية ٣٨]. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:  
الآية ٣٩]. وفي الإتيان بالشرطية المؤكدة بما المزيدة في إتيان الرسول، ومجيئه  
المقبول، دلالة كاملة، وعلامة شاملة، إلى أن بعث الرسول ليس بواجب عليه  
سبحانه إلا بموجب وعده، وفضله وكرمه على عباده، وفيه إشعار بأنه لولا إرسالنا  
إياه بالمجيء إليكم، لما تنزل عن مرتبته ولا نزل باختياره عليكم، فإنه من المقربين  
إلينا، ومن المعظمين لدينا، وهو لا يحب الغيبة عن حضرة الحق، بالإقبال والتوجه  
إلى الخلق. أما ترى إلى أياز الخاص، حيث كان من عبيده الخواص، كلما عرض  
عليه سيده وسلطانه من المناصب الجليلة، لم يقبله وأقبل على إقبال الحضرة العلية،  
لكنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ترك ما يريد لما يختاره الله تعالى ويريد، كما  
هو شأن المراد والمريد، وقد قال قائلهم: شعر:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما أريد

(١) من الوافر وأجزاؤه مفاعلتن ست مرات. ١٢ منه عم فيضه.

مفاعلتن مفاعلشن فُعُولُن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

مقطوف

مقطوفه

فهذه مرتبة أهل الكمال، من أرباب الحال، الجامعين بين تجليات الجمال والجلال، الفانين عما سواه في الإدبار والإقبال، ولذا لما قيل لأبي يزيد: ما تريد؟ قال: أريد أن لا أريد. وقد قال بعض أرباب التوفيق، من أصحاب التحقيق والتدقيق: هذه أيضًا إرادة عند الصوفية السادة، إذا إرادة عدم الإرادة من باب الزيادة، تلميحًا إلى مقام الفناء عن السواء، وحالة التسليم والرضاء في قضاء القضاء، ثم التنوين في رسولٍ للتعظيم، المحتوي للتكريم، فكأنه تعالى قال: لقد جاءكم أيها الكرام رسول كريم، من رب كريم، بكتاب كريم، فيه دعاء إلى روح وريحان وجنة نعيم، وزيادة بشارة إلى لقاء كريم، وإنذار عن الحميم والجحيم، كما قال عز وجل: ﴿يَقُومُ عِبَادِي أَيْ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر: الآيات ٤٩، ٥٠]، من عظمة هذا الرسول أنه أخذ الميثاق من الأنبياء الكرام، والرسل العظام، أن كل من أدرك وقت مجيئه بالرسالة، على جهة العظمة والجلالة، آمن به ونصره وأظهر كماله، كما أشار إليه المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٨١]، وقد هدى عليه السلام إلى هذا المقام العالي، بقوله: «لو كان موسى حيًا لما وسعه إلا اتباعي»، وأوماً إلى ذلك، بل إلى أنه فوق ما هنالك، في المرتبة بقوله: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة»، ثم كأنه سبحانه يقول: اعلموا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما جاءكم إلى جانبكم إلا باعتبار القلب الصوري، على وجه الظهور الثوري، ولكنه باعتبار القلب الحضورى واقفٌ عند بابنا، حاضرٌ في جانبنا، لا يغيب من البين لمحة عين، فهو مجمع البحرين؛ لأنه غريب عندكم وقريب إلينا، وبائنٌ عنكم وكائنٌ علينا، وقرشي معكم وعرشي لدينا، ومع هذا مرجعه إلى الحضرة وإن طال الغيبة كما هو شأن الرسول بالنسبة إلى المرسل، بعد حصول المقصد الموصول، ففيه مزج الهناء بالعزاء، على ما عليه جميع نعم الدنيا بظهور البقاء وتعقيب الفناء، ومن الغريب أنهما وقعا في موسم واحد وربيع متحد على السواء، كما وقع من عجائب التاريخ أن عرس<sup>(١)</sup> ميمونة رضي الله تعالى عنها كانت بسرف حيث بنى بها وهناها، ووقع فيه موتها ودفنها

(١) بالضم الزفاف مثل كتاب، وهو إهداؤها إلى الزوج. اهـ. ١٢ منه عم فيضهم.

وعزاؤها، فسبحان الحي الذي لا يموت ولا يفوت ولا يزول ولا يحول، والحمد لله الذي أحيانا بالإسلام، وجعلنا من أمة محمد عليه السلام الذي هو متمنى الأنبياء الكرام، فمجئته عليه الصلاة والسلام من تمام النعمة وغاية الإكرام، فوجب الإقبال والاستقبال، في زمان الإرسال ومكان الإيصال، وقد جمع الله تعالى من محض الإفضال بين حصول النعمتين العظيمتين، لأهل البقعتين الكريمتين، أعني الحرمين الشريفين، والمحليين المنيفين، زادهما الله تشریفًا وتكریمًا، ومهابةً وتعظيمًا، حيث وقع المولد المكرم بمكة الأمانة، والمدفن المعظم في المدينة السكينة، على ساكنها من الصلوات أفضلها، ومن التحيات أكملها، وقد قام أهل كل بما هو أهل له، وفعل كل من الجميل بما هو ميسر وسهل له، من زيارة المولد والمولود، وحصل لهم غاية الفوز ونهاية المقصود. قال شيخ مشائخنا الإمام العلامة، الحبر البحر الفهامة، شمس الدين محمد السخاوي، بلغه الله المقام العالي، وكنت ممن تشرف بإدراك المولد في مكة المشرفة عدة سنين، وتعرف ما اشتمل عليه من البركة المشار لبعضها بالتعيين، وتكررت زيارتي فيه لمحل المولد المستفيض، وتصورت فكرتي ما هنالك من الفخر الطويل العريض، قال: وأصل عمل المولد الشريف لم يُنقل عن أحد من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حدثت بعدها بالمقاصد الحسنة والنية التي للإخلاص شاملة، ثم لا زال أهل الإسلام، في سائر الأقطار والمدن العظام، يحتفلون في شهر مولده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وشرف وكرم، بعمل الولائم البديعة، والمطاعم المشتملة على الأمور البهيجة الرفيعة، ويتصدقون في ليلته بأنواع الصدقات، ويظهرون المسرات ويزيدون في المبرات، بل يعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عظيم عظيم، بحيث كان مما جرب؛ كما قال الإمام شمس الدين بن الجزري المقرئ المقرَّب، ومن خواصه أنه أمان تام في ذلك العام، وبشرى تعجيل نبيل ما يُبتغى ويُرام، قال: وأكثرهم بذلك عناية أهل مصر والشام ولسلطان مصر في تلك الليلة من إنعام أعظم مقام، قال: ولقد حضرت في سنة خمس وثمانين وسبعمائة ليلة المولد عند الملك الظاهر برقوق رحمه الله بقلعة الجبل العلية فرأيت ما هالني، وسرتني وما ساءني، وحررت ما أنفق في تلك الليلة على القراء والحاضرين، من الوجاهات والمُشدين، وغيرهم من الأتباع



والغلمان والخدّام المتردّدين، بنحو عشرة آلاف مثقالٍ من الذهب العَيْن، بالحدّس المصّيب لا المَيْن<sup>(١)</sup>، ما بين خلع ومطعوم ومشروب ومشوم ومشموع، وغيرها مما يستقيم به الضّلوع، وعددت في ذلك خمسًا وعشرين جُوقَةً من القراء الصّئيتين<sup>(٢)</sup>، المرجوّ كونهم مثبتين<sup>(٣)</sup>، ولم ينزل واحد منهم إلّا بنحو عشرين خلة من السلطان، ومن الأمراء الأعيان. قال السخاوي: قلت: ولم يزل ملوك مصر خدّام الحرمين الشريفين، ممن وفّقهم الله لهدم كثير من المناكير والشّين، ونظروا في أمر الرّعية كالوالد لولده، وشهّروا أنفسهم بالعدل فأسعفهم الله بجنده ومّدده، كالملك السعيد الشهيد الظاهر المصدّق أبي سعيد جفّمق، يعتنون به، ويتوجهون لطريق سببه، بحيث ارتفعت جوق القراء في أيامه بيقين، للزيادة على الثلاثين، فذكروا بكل جميل، وكفّوا من المهمات كل عريض وطويل. وأما ملوك الأندلس والغرب فلهم فيه ليلة تسير بها الركبان، يجتمع فيها أئمة العلماء الأعلام ممن يليهم من كلّ مكان، وتعلوها بين أهل الكفر كلمة الإيمان، وأظنّ أهل الروم لا يتخلّفون عن ذلك، اقتفاءً بغيرهم من الملوك فيما هنالك، وبلاد الهند تزيد على غيرها بكثير، مما أعلمنيه بعض أولي النقل والتحرير. قلت: وأما العجم، فمن حيث دخل هذا الشهر المعظم، والزمان المكرّم، لأهلها مجالس فخام، من أنواع الطعام، للقراء الكرام، والعلماء العظام، وللفقراء من الخاصّ والعام، وقراءات الختمات، والتلاوات المتواليات، والإنشادات المعتمدات، وأجناس المبرّات والخيرات، وأنواع السرور، وأصناف الحبور، حتى بعض العجائز من غزلهنّ ونسجهنّ يجمعن ما يقمن بجمعهنّ الأكابر والأعيان، وبضيافتهنّ ما يقدرنّ عليه في ذلك الزمان، ومن تعظيم مشائخهم وعلمائهم هذا المولد المعظم، والمجلس المكرّم، إنه لا ياباه أحد في حضوره، رجاء إدراك نوره وسروره. وقد وقع لشيخ مشائخنا مولانا زين الدين محمود البهدياتي النقشبندي، قدّس سرّه العليّ، أنه أراد سلطان الزمان، وخاقان الدوران، همايون بادشاه، تغمّده الله وأحسن مثواه، أن يجتمع به، ويحصل له المدد والمُدّد بسببه، فأباه الشيخ وامتنع

(١) أي الكذب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) الصّئيت كالصّئيد وزناً ومعنى، أي السيد ومهترو بزرّك. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) أي مثبتين وجودهم بالفضائل العلية. ١٢ منه عمّ فيضهم.

أَيْضًا أَنْ يَأْتِيَهُ السُّلْطَانُ، اسْتِغْنَاءً بِفَضْلِ الرَّحْمَنِ، فَأَلَحَّ السُّلْطَانُ عَلَى وَزِيرِهِ بِإِرَامِ خَانَ، بِأَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ تَدْبِيرِ الْاجْتِمَاعِ فِي الْمَكَانِ، وَلَوْ فِي قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَانِ، فَسَمِعَ الْوَزِيرُ أَنَّ الشَّيْخَ لَا يَحْضُرُ فِي دَعْوَةٍ مِنْ هُنَاءٍ وَعِزَاءٍ إِلَّا فِي مَوْلِدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، تَعْظِيمًا لِدَافِعِ الْمَقَامِ، فَأَنْهَى إِلَى السُّلْطَانِ فَأَمَرَهُ بِتَهْيِئَةِ أَسْبَابِهِ الْمُلُوكَانِيَّةِ، مِنْ أَنْوَاعِ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ وَمِمَّا يُشْتَمُّ بِهِ وَيُتَبَخَّرُ فِي الْمَجَالِسِ الْعِلْمِيَّةِ، وَنَادَى الْأَكْبَارَ وَالْأَهَالِي، وَحَضَرَ الشَّيْخَ مَعَ بَعْضِ الْمَوَالِي، فَأَخَذَ السُّلْطَانُ الْإِبْرِيْقَ، بِيَدِ الْأَدَبِ وَمَعَاوَنَةِ التَّوْفِيقِ، وَالْوَزِيرُ أَخَذَ الضُّشْتَ مِنْ تَحْتِ أَمْرِهِ، رَجَاءَ نَظْفِهِ وَنَظَرِهِ، وَغَسَلَا يَدَ الشَّيْخِ الْمَكْرَمَ، وَحَصَلَ لَهُمَا بِبِرْكَةِ تَوَاضُعِهِمَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، انْمِقَامُ الْمَعْظَمِ، وَالْجَاهُ الْمَفْتَحُ، قَالَ السَّخَاوِيُّ: وَأَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ، مَعْدِنُ الْخَيْرِ وَالْبِرْكَةِ، فَيَتَوَجَّهُونَ إِلَى الْمَكَانِ الْمُتَوَاتِرِ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّهُ مَحَلُّ مَوْلَدِهِ، وَهُوَ فِي سَوَاقِ اللَّيْلِ رَجَاءَ بُلُوغِ كُلِّ مِنْهُمْ بِذَلِكَ لِمَقْصُدِهِ، وَيَزِيدُ اهْتِمَامَهُمْ بِهِ عَلَى يَوْمِ الْعِيدِ، حَتَّى قَلَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ صَالِحٍ وَطَالِحٍ وَمَقْلٍ وَسَعِيدٍ، سَيِّمًا الشَّرِيفِ صَاحِبِ الْحِجَازِ، بِدُونِ ثَوَائِرٍ وَأَنْحِجَازٍ. قُلْتُ: الْآنَ، سَيِّمًا الشَّرِيفِ لَا يُبَانَ، فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَلَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَجَدَّدَ قَاضِيهَا وَعَالَمُهَا الْبَرْهَانِي الشَّافِعِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِطْعَامَ غَالِبِ الْوَارِدِينَ، وَكَثِيرٍ مِنَ الْقَاطِنِينَ الْمَشَاهِدِينَ، فَآخِرُ الْأَطْعَمَةِ وَالْحَلْوَى، وَيَمْدُ لِلْجُمْهُورِ فِي مَنْزِلِهِ ضَبِيحَتِهَا سَمَاطًا جَامِعًا رَجَاءَ لِكَشْفِ الْبَلَوَى، وَتَبَعِهِ وَنَدَى الْجَمَّالِي فِي ذَلِكَ، لِلْقَاطِنِ وَالسَّالِكِ. قُلْتُ: أَمَّا الْآنَ، فَمَا بَقِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَطْعَمَةِ إِلَّا الدُّخَانُ، وَلَا يَظْهَرُ مِمَّا ذَكَرَ إِلَّا رِيحُ الرِّيحَانِ؛ فَالْحَالُ، كَمَا قَالَ<sup>(١)</sup>:

أَمَّا الْخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ لَكُنْ نِسَاءُ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَاءِهَا

قَالَ: وَلِأَهْلِ الْمَدِينَةِ كَثَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ احْتِفَالًا، وَعَلَى فِعْلِهِ إِقْبَالَ، وَكَانَ لِلْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ صَاحِبِ إِرْبِلِ<sup>(٢)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِيهَا أَتَمُّ الْعِنَايَةِ، وَاهْتِمَامِهَا مَا بِشَأْنِهِ جَاوَزَ الْغَايَةَ، أَثْنَى عَلَيْهِ بِهِ الْعَلَامَةُ أَبُو شَامَةَ، أَحَدُ شَيُوخِ النُّوَوِيِّ السَّابِقِ فِي الْاِسْتِقَامَةِ، فِي كِتَابِهِ الْبَاعِثِ، عَلَى إِنْكَارِ الْبَدْعِ وَالْحَوَادِثِ، وَقَالَ مِثْلَ هَذَا لِحَسَنِ

(١) مِنَ الْكَامِلِ، وَأَجْزَاؤُهُ: مُتَفَاعِلُنْ سِتْ مَرَاتٍ. ١٢ مِنْهُ عَمَّ فَيَضُهُمْ.

(٢) كَاثِرِيدُ، بَلَدٌ قَرِيبُ الْمَوْصِلِ. ١٢ مِنْهُ عَمَّ فَيَضُهُمْ.

يندب إليه، ويُشكر فاعله ويُثنى عليه، زاد ابن الجزري: ولم يكن في ذلك إلا إرغام الشيطان، وسرور أهل الإيمان. قال - يعني ابن الجزري -: وإذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم العيد الأكبر، فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر. قلت لما يرد عليه: إنا مأمورون بمخالفة أهل الكتاب، ولم يظهر من هذا الشيخ لهذا السؤال جواب. قال على سبيل الإضراب: بل خرج شيخ مشائخ الإسلام، خاتمة الأئمة الأعلام، أبو الفضل ابن حجر، الأستاذ المُعتبر، تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنّته، فعله على أصل ثابت يميل إلى الاستناد إليه كلّ حبر همام، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قدّم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجّى موسى عليه السلام، فنحن نصومه شكرًا لله عزّ وجلّ؛ فقال ﷺ: «فأنا أحقّ بموسى عليه السلام منكم» فصامه، وأمر بصيامه، وقال: «إِنْ عَشْتُ إِلَى قَابِلِ» الحديث. قلت: وافقهم أولاً للآفة، ثم خالفهم آخرًا تحقيقًا لصورة المخالفة، قال - أي الشيخ - فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما مَنّ به في يوم معيّن من إسداء نعمة، أو دُفع نعمة، ويُعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كلّ سنة والشكر لله تعالى يُحصل أنواع العبادة؛ كالصلاة والصيام والتلاوة، وأيّ نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي نبي الرحمة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؟! قلت: وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] إشعارٌ بذلك، وإيماءٌ إلى تعظيم وقت مجيئه لما هنالك، قال: وعلى هذا فينبغي أن يُقتصر فيه على ما يُفهم الشكر لله تعالى من نحو ما ذكر وأما ما يتبعه من السماع واللّهو وغيرهما، فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مُباحًا<sup>(١)</sup> بحيث يعين السرور بذلك اليوم فلا بأس بالحقاقه. وما كان حرامًا أو مكروهًا فيُمنع. وكذا ما كان فيه خلاف، بل<sup>(٢)</sup> يحسن في أيام الشهر كلّها ولياليه، يعني كما جاء عن ابن جماعة تمنّيه. فقد اتّصل بن أن الزاهد القدوة المُعمر أب إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن جماعة لما كان في المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة وأكمل التحية، كان يعمل طعامًا في المولد النبويّ ويُطعم الناس ويقول: لو

(١) كالمسابقة في الرمي والفرس والإبل والإقدام. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) إضراب عن فلا بأس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

تمكنت عملت بطول الشهر كل يوم مولد. قلت: وأنا لما عجزت عن الضيافة الصورية، كتبت هذه الأوراق لتصير ضيافة معنوية نورية، مستمرة على صفحات الدهر، غير مختصة بالسنة والشهر، وسميته بالموارد الرؤي، في المولد النبوي. قال: وأما قراءة المولد ينبغي أن يقتصر منه على ما أورده أئمة الحديث في تصانيفهم المختصة بذلك، كالموارد الهني، وغير المختصة به بل ذكر ضمناً كدلائل النبوة للبيهقي، ولا بأس بلطائف المعارف لابن رجب في ذلك لأن أكثر ما بأيدي الوعاظ منه كذب واختلاق، بل لم يزلوا يولدون ما هو أقبح وأسمح مما لا تحل روايته ولا سماعه، بل يجب على من علم بطلانه إنكاره، والأمر بترك قراءته على أنها لا ضرورة إلى سياق ذكر المولد بل يكتفي بالتلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية، المحركة للقلوب إلى فعل الخير وعمل الآخرة، والصلاة والسلام على صاحب المولد. واعلم أن في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، أي رجل موصوف بوصف النبوة والرسالة، ومنعوت بنعت العظمة والجلالة، إما إشارة إلى ماله حين بلوغ زمان كماله، وظهور أوان جماله، أو إيماء إلى ما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، وهو وإن قال بعض الحفاظ: لم نقف عليه بهذا اللفظ، لكن جاء معناه في طرق صحيحة. منها: ما رواه أحمد والبيهقي والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن العرياض بن سارية رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «إني مكتوب عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمُتجدل في طينته»، أي لطريخ ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه. ومنها: ما رواه أحمد والبخاري في تاريخه وأبو نعيم في الحلية وصححه الحاكم عن ميسرة الضبي رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ فقال: «وآدم بين الماء والطين»، ويروى: «كُتبت» من الكتابة. ومنها: خبر الترمذي وحسنه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنهم قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد». وورد: «أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً». وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه: أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

وكان عرشه على الماء». ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب أن محمداً خاتم النبيين، والمراد ظهور نبوته للملائكة المقربين وعلو روحه في أعلى مقام عليين إعلاماً بعظيم شرفه وتمييزه على سائر الأنبياء والمرسلين، ثم خص الإظهار بحالة كون آدم عليه السلام بين الروح والجسد؛ لأنه أوان دخول الأرواح إلى عالم الأجساد، وتمييز الذرية والأولاد، من الآباء والأجداد. وأجاب الإمام حجة الإسلام في كتاب النفخ والتسوية عن وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بالنبوة قبل وجود ذاته، وتحقق كمالات صفاته، بأن المراد بالخلق هنا التقدير لا الإيجاد، فإنه قبل أن تحمل به أمه لم يكن مخلوقاً موجوداً، ولكن العناية والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود. وقال<sup>(١)</sup>: وهو معنى قولهم: أول الفكر آخر العمل، وآخر العمل أول الفكر؛ فقوله: «كنت نبياً» أي في التقدير قبل تمام خلقه آدم؛ إذ لم ينشأ إلا لينتزع من ذريته محمداً ﷺ، وتحقيقه: أن للدار في ذهن المهندس وجوداً ذهنياً سبباً للوجود الخارجي وسابقاً عليه، فالله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانياً، انتهى ملخصاً. وذهب السبكي رحمه الله إلى ما هو أحسن، وللمقصود آيين، وهو أنه جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجساد، فالإشارة بكون نبياً إلى روحه الشريفة أو حقيقة من حقائقه ولا يعلمها إلا الله تعالى ومن حباه بالاطلاع عليها، ثم إنه تعالى يؤتى بكل حقيقة منها ما شاء في أي وقت شاء، فحقيقته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قد تكون من حين خلق آدم عليه السلام آتاه الله ذلك الوصف بأن خلقها متهيئة له وأفاض عليها من ذلك الوقت فصار نبياً، وكتب اسمه الشريف على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته الزائدة عنده، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت، وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها فحينئذ تنجز إيتائه النبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاته معجل لا تأخر فيه، وإنما المتأخر تكوُّنه وتنقله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظهر على الوجه الأتم، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. قال: ومن فسّر ذلك بعلم الله تعالى بأنه سيصير نبياً لم يصل لهذا المعنى؛ لأن علمه تعالى مُحيط بجميع الأشياء، فالوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمرٌ ثابت له فيه، وإلا لم يختص بأنه نبي؛ إذ الأنبياء كلهم كذلك بالنسبة لعلمه سبحانه.

(١) القائل هو الإمام المذكور رحمه الله. ١٢ منه عم فيضهم.

قال القسطلاني<sup>(١)</sup> رحمه الله: لما تعلق إرادة الله تعالى بإيجاد خلقه وتقدير رزقه أبرز الحقيقة المحمدية، من الأنوار الصمدية، في حضرة الأحدية، ثم سلخ منها العوالم كلها، علوها وسفلها، على صورة حكمه، كما سبق في سابق إرادته وعلمه، ثم أعلمه تعالى بنبوته، وبشره برسالته هذا ولم يكن آدم إلا كما قال: «بين الروح والجسد»، ثم انبجست منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عيون الأرواح، فظهر بالملأ الأعلى، وهو بالمنظر الأجل، فكان لهم المورد الأخرى، فهو صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس، لما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به، انتقل حكم الزمان إلى اسم الظاهر فظهر محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بكليته روحاً وجسماً، فهو صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إن تأخرت طينته، فقد عرفت قيمته، فهو خزانة السر، وموضع نفوذ الأمر، فلا ينفذ أمر إلا منه، ولا ينتقل خبر إلا عنه، كما قال:

ألا<sup>(٢)</sup> بأبي من كان ملكاً وسيداً      وأدم بين الماء والطين واقف  
فذلك الرسول الأبطحي محمد      له في العلى مجدٌ نليد<sup>(٣)</sup> وطارف  
أتى بزمان السعد في آخر المدى      وكان في كل عصر مواقف  
إذا رام أمراً لا يكون خلافه      وليس لذلك الأمر في الكون صارف

قال: ورويت في جزء من أمالي أبي سهل القطان عن سهل بن صالح الهمداني، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي: كيف صار محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يتقدم الأنبياء، وهو آخر من بعث؟ قال: إن الله تعالى لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم «ست بريكهم»، كان محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أول من قال: بلى، وأخرج ابن سعد عن الشعبي: متى

(١) الفتح مسوَّب بطريق فسطنة، وبالنظم خطأ.

(٢) من الطويل، وأجراؤه: فعولن مفاعيلن أربع موزن. ١٢.

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن مفاعيلن

مفعولن

مفعولن

(٣) كأمير فديم وهو قبض الضارف. ١٢ منه عم فيصهم

اسْتُنْشِئْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَأَدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، حِينَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنِّي»، وهو يدلُّ على أن آدمَ لما صوِّرَ طِينًا استخرج منه مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنُبِيُّ وَأَخَذَ مِنْهُ الْمِيثَاقَ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى ظَهْرِهِ لِيُخْرَجَ أَوَانٌ وَجُودِهِ، فَهُوَ أَوَّلُهُمْ خَلْقًا، وَخَلَقَ آدَمَ السَّابِقَ كَانَ مَوَاتًا لَا رُوحَ فِيهِ، وَهُوَ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ حَيًّا حِينَ اسْتَخْرَجَ وَنُبِيُّ وَأَخَذَ مِنْهُ مِيثَاقَهُ، فَهُوَ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلْقًا وَآخِرُهُمْ بَعَثًا، وَلَا يَنَافِي هَذَا أَنَّ اسْتَخْرَاجَ ذَرِيَّةِ آدَمَ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ خُصَّ مِنْ بَيْنِ بَنِي آدَمَ بِذَلِكَ الاسْتَخْرَاجِ الْأَوَّلِ. وَفِي تَفْسِيرِ الْعَمَادِ ابْنِ كَثِيرٍ عَنْ عَلِيِّ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ آلِ نَبِيِّنَ﴾ [آل عمران: الآية ٨١]، أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِنِّ بَعْثٍ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيُنْصَرِّهَ، وَيَأْخُذَ الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ. وَأَخَذَ السَّبْكَى ﷺ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ عَلَى تَقْدِيرِ مَجِيئِهِمْ فِي زَمَانِهِ مَرْسَلٍ إِلَيْهِمْ، فَتَكُونُ نَبَوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ عَامَّةً لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ آدَمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَتَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ، يَعْنِي فِي الْجُمْلَةِ؛ فَقَوْلُهُ: «وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً» يَتَنَاوَلُ مِنْ قَبْلِ زَمَانِهِ أَيْضًا، وَبِهِ يَتَبَيَّنُ مَعْنَى «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»، وَحِكْمَةُ كَوْنِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْآخِرَةِ تَحْتَ لَوَائِهِ وَضَلَاتِهِ بِهِمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ. قُلْتُ: وَيُؤَيِّدُهُ مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ فَخْرُ الرَّازِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ. لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٢١]، يَشْمَلُ الْمَلَائِكَةَ وَغَيْرَهُمْ. قَالَ: وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ الْأَشْيَاءِ؟ قَالَ: «يَا جَابِرُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ النُّورَ يَدُورَ بِالْقُدْرَةِ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ لَوْحٌ وَلَا قَلَمٌ وَلَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ وَلَا مَلِكٌ وَلَا سَمَاءٌ وَلَا أَرْضٌ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ وَلَا جَنِّيٌّ وَلَا إِنْسِيٌّ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَسَمَ ذَلِكَ النُّورَ بِأَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ<sup>(١)</sup>، فَخَلَقَ مِنَ الْجِزَاءِ الْأَوَّلِ الْقَلَمَ، وَمِنَ الثَّانِي اللَّوْحَ، وَمِنَ الثَّلَاثِ الْعَرْشَ. ثُمَّ قَسَمَ الْجِزَاءَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ، فَخَلَقَ مِنَ الْأَوَّلِ

(١) أي زاد فيه، لا أنه قسم ذلك النور الذي هو نور المصطفى؛ إذ الظاهر أنه حيث صوره بصورة مماثلة لصورته التي سيصير عليها لا يقسه إليه ولا إلى غيره. اهـ زرقاني.

حَمَلَةَ الْعَرْشِ، وَمِنَ الثَّانِي الْكَرْسِيِّ، وَمِنَ الثَّالِثِ بَقِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ. ثُمَّ قَسَمَ الرَّابِعُ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءَ، فَخَلَقَ مِنَ الْأَوَّلِ السَّمَوَاتِ، وَمِنَ الثَّانِي الْأَرْضِينَ، وَمِنَ الثَّالِثِ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ. ثُمَّ قَسَمَ الرَّابِعُ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءَ، فَخَلَقَ مِنَ الْأَوَّلِ نَوْرَ أَبْصَارِ<sup>(١)</sup> الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنَ الثَّانِي نَوْرَ قُلُوبِهِمْ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ، وَمِنَ الثَّالِثِ نَوْرَ أَلْسِنَتِهِمْ وَهُوَ التَّوْحِيدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ الْحَدِيثُ. قُلْتُ: وَيَشِيرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ [التَّوْر: الْآيَةُ ٣٥] أَيِ نَوْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [التَّوْر: الْآيَةُ ٣٥] الْآيَةُ، وَاخْتَلَفُوا فِي أَوَّلِ الْمَخْلُوقَاتِ بَعْدَ النُّورِ الْمُحَمَّدِيِّ، فَقِيلَ: الْعَرْشُ، لَمَّا صَحَّ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «قَدَّرَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، فَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ التَّقْدِيرَ وَقَعَ بَعْدَ خَلْقِ الْعَرْشِ، وَالتَّقْدِيرُ وَقَعَ عِنْدَ أَوَّلِ خَلْقِ الْقَلَمِ؛ لِحَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ مَرْفُوعًا: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، وَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ»، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَلَكِنْ صَحَّ فِي حَدِيثِ مَرْفُوعٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي رُزَيْنٍ الْعَقِيلِيِّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ «أَنَّ الْمَاءَ خُلِقَ قَبْلَ الْعَرْشِ»، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَكِيمٌ حَبِيرٌ﴾ [هُود: الْآيَةُ ١] إِشَارَةٌ إِلَيْهِ وَدَلَالَةٌ عَلَيْهِ. وَرَوَى السُّدِّيُّ بِأَسَانِيدٍ مُتَعَدِّدَةٍ: «اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا مِمَّا خُلِقَ قَبْلَ الْمَاءِ؛ فَعُلِمَ أَنَّ أَوَّلَ الْأَشْيَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ النُّورَ الْمُحَمَّدِيَّ، ثُمَّ الْمَاءَ، ثُمَّ الْعَرْشَ، ثُمَّ الْقَلَمَ؛ فَذَكَرَ الْأَوَّلِيَّةَ فِي غَيْرِ نَوْرِهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِضَافِيَّةً، وَوَرَدَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ جَعَلَ ذَلِكَ النُّورَ فِي ظَهْرِهِ، فَكَانَ يَلْمَعُ فِي جَبِينِهِ ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سُرِيرٍ مَمْلُوكَتِهِ وَحَمَلَهُ عَلَى أَكْتَافِ مَلَائِكَتِهِ وَأَمَرَهُمْ فُطَافُوا بِهِ فِي السَّمَوَاتِ لِيَرَى عَجَائِبَ مَلَكُوتِهِ». قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: مَكَثَتْ الرُّوحُ فِي رَأْسِ آدَمَ مِائَةَ عَامٍ، وَفِي صَدْرِهِ مِائَةَ عَامٍ، وَفِي سَاقَيْهِ وَقَدَمَيْهِ مِائَةَ عَامٍ، ثُمَّ عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَسْمَاءَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، ثُمَّ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ سَجُودَ تَعْظِيمٍ وَتَحِيَّةٍ لَا سَجُودَ عِبَادَةٍ؛ كَسَجُودِ إِخْوَةِ يُوسُفَ لَهُ، فَالْمَسْجُودُ لَهُ بِالْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَآدَمُ كَالْقَبْلَةِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ وَقْتِ الزَّوَالِ إِلَى

(١) بِمَعْنَى بَصَائِرِ أَوْ الْأَعْمَ مِنْهَا وَمِنَ الْحَسِيَّةِ. وَلَمْ يَعتَبَرِ أَيْضًا الْكُفَّارَ لِأَنَّهُمْ لَمَّا فَقدُوا نفعَهَا كَانَتْ مُضَرَّةً عَلَيْهِمْ لَا مَنفَعَةَ لَهُمْ. زُرْقَانِي.



العصر، ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم، وسميت حواء لأنها خلقت من حي، فلما استيقظ ورآها سكن إليها ومدّ يده لها، فقالت الملائكة: مه يا آدم، قال: ولم، وقد خلقها لي؟ فقالوا: حتى تؤذي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد ثلاث مرات. وقد ذكر ابن الجزري في كتاب سلوة<sup>(١)</sup> الأحزان أنه لما رام القرب منها طلبت المهر منه، فقال: يا رب وماذا أعطيتها؟ قال: يا آدم صلّ على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة، ففعل. قلت: ولعلّ الثلاث كان مهراً معجلاً، والعشرين صداقاً مؤجلاً. وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد إلا غفرت لي؟ فقال الله تعالى: يا آدم وكيف عرفت ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تُضِف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، لأنه أحب الخلق إليّ، وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك». رواه البيهقي في دلائله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال: تفرد به عبد الرحمن، ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبراني وزاد فيه: «وهو آخر الأنبياء من ذريتك». وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال: «هبط جبريل على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فقال: إن ربك يقول: إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً، وما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا»، والله درّ العارف الولي سيدي عليّ الوفودي<sup>(٢)</sup>:

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسّد	هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
روح الوجود خيال من هو واحد	لولا ما تمّ الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصّدّر وجميعهم	هم أعيّن هو نُورُها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره	في وجه آدم كان أول من سجد

(١) بالفتح ويضم. ١٢ منه عمّ فيضهم. (٢) من الكامل، وأجزاؤه: متفاعلن ستّ مرات.

أو لو رأى النمرود نور جماله      عَبْدَ الْجَلِيلِ مع الخليل ولا عند  
لكن جمال الله جلّ فلا يرى      إلا بتخصيص من الله الصمد

وإنما خلق الله تعالى حواء لتسكن إلى آدم ويسكن إليها، فحين صار لديها فاضت بركاته عليها، فولدت له في تلك الأعوام الحسنى، أربعين ولدًا في عشرين بطنًا، ووضعت شيث وحده، كرامةً لمن أطلع الله بالنبوة سَعْدَهُ. ولَمَّا توفي آدم عليه السلام كان شيث عليه السلام وصيًا على ولده، ثم أوصى شيث ولده بوصية آدم أن لا يضع هذا النور إلا في المطهرات من النساء، ولم تزل هذه الوصية جاريةً تُثَقَّلُ من قرنٍ إلى قرنٍ إلى أن أدى الله النور إلى عبد المطلب وولده عبد الله، وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية، كما ورد عنه صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم في الأحاديث المرضية. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيما رواه البيهقي في سننه: قال رسول الله صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام». قال القسطلاني: والسفاح - بكسر السين المهملة - الزنا، والمراد به هنا أن المرأة تسافح الرجل مدة، ثم يتزوجها بعد ذلك. وروى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه، قال: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم، فما وجدت فيهن سفاحًا، ولا شيئًا مما كان عليه من أمر الجاهلية. وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن النبي صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء» رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم وابن عساكر. وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: «لم يلتق أبوأي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفًى مهذبًا لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما». وعنه في قوله تعالى: ﴿وَقَلِّدْكَ فِي السَّحَابِ﴾ [الشعراء: الآية ٢١٩]، قال: «من نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبيًا» رواه البزار، ورواه أبو نعيم نحوه. وفيه تنبيه على أنه عليه السلام انتقل من أصلاب الأنبياء الكرام، وليس معناه أن الآباء كلهم من الأنبياء، فإنه خلاف ما عليه إجماع العلماء، ولا أن آباء جميعهم من أهل الإسلام، فإن فيهم من أجمع على كفره الفقهاء الأعلام، كعبد المطلب وأبي إبراهيم عليه

السلام. وأبويه<sup>(١)</sup> صلى الله تعالى عليه وسلم كما بيّنت في غير هذا المقام، مما ألّفت في تحقيق هذه المسألة، رسالة مستقلة. وأدّيت بالأدلة الفاطمة القامعة، في ردّ ما ألّفه السيوطي من الرسائل الثلاثة في هذه المادّة اللامعة، ثم قوله تعالى: ﴿مَنْ أَفْسِدَكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] أي جنسكم وهو بشر مثلكم لكنه رسول منا مبلغ عنا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَحِدٌ﴾ [الكهف: الآية ١١٠]. والحكمة فيه أن الانجسّية علّة الانضمام، وبها يحصل الالتئام وكمال النظام، وأيضا يسهل الاقتداء به على وجه التمام؛ إذ لو أرسل ملك لقليل له القوّة الملكية، ونحن عاجزون عن متابعته لضعف البشرية، بخلاف ما إذا كان الرسول بشرا، فإنه يفتدى به قولاً وفعلًا وحالًا وأثرًا، فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم واسطة بين المرسل والمرسل إليه بأخذ الفيض من الحقّ، وإيصاله إلى الخلق، ولم يفهم هذا المعنى، وغفل عن هذا المبنى، جمّع من الكفار، حيث قالوا بطريق الإنكار، أبعث الله بشرا رسولا؟ وهذا يدلّ على سخافة عقولهم حيث رضوا أن يكون الإله حجرا، واستبعدوا أن يكون الرسول بشرا. والحاصل أن مجيء الرسول نعمة جسيمة، وكونه من جنس البشر منحة عظيمة، وقال بعضهم: قوله تعالى: ﴿مَنْ أَفْسِدَكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] أي جنس العرب وهو لا ينافي ما سبق، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: الآية ٤]. وقد صحّ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بأنسايد متعدّدة أنه قال: «ليس من العرب قبيلة إلّا وقد ولدت النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم فصريها وربيعها ويمانيها». ويؤيده قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهٖ أَحَدًا إِلَّا النَّمُوْدَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [النسوى: الآية ٢٣]. وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لم يكن بصن من قريش إلّا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيهم قرابة، فنزلت: ﴿قُلْ لَا شَكْرَ لَكُمْ عَلَيْهِ أَحَدًا إِلَّا النَّمُوْدَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ [النسوى: الآية ٢٣]. أي أن تصلّوا ما بيني وبينكم، وقرىء: ﴿مَنْ أَفْسِدَكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] بفتح الفاء أي من أعظمكم قدرا نقله الحاكم عن ابن عباس رضي

(١) مما يجب أن يقال في هذا المقام جرى الله تعالى السيوطي ومن حذى حذوه من الأئمة الحموية والشافعية وسامح لله تعالى هذا المؤلف بما زرته قدمه ويرحى لكثرة علمه أن لا يكون معفيا في آخر مره. ١٢ منه عنه وبضهم.

الله تعالى عنهما. وأخرج ابن مَرْدُوَيْهِ عن أَنَسٍ رضي الله تعالى عنه، قال: قرأ رسول الله صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، فقال عليّ بن أبي طالب: يا رسول الله، ما معنى أنفسكم؟ فقال رسول الله صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «أنا أنفسكم نَسَبًا وَصَهْرًا وَحَسَبًا، ليس فيّ ولا في آبائي مِنْ لَدُنْ آدَمَ سَفَاح». وأخرج البيهقي في الدلائل عن أَنَسٍ رضي الله تعالى عنه قال: خطب النبي صَلَّى الله تعالى عليه وسلم وقال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وما افترق الناس فرقتين إلّا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية وخرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لَدُنْ آدَمَ حتى انتهيتُ إلى أبي وأمي. فأنا خيركم نفسًا وخيركم أبا». وأخرج أحمد والترمذي وحسنه عن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ حِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ جَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ، ثُمَّ حِينَ فَرَقَهُمْ جَعَلَنِي فِي خَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ حِينَ خَلَقَ الْقَبَائِلَ جَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، وَحِينَ خَلَقَ الْأَنْفُسَ جَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ حِينَ خَلَقَ الْبُيُوتَ جَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ بَيْتًا وَخَيْرُهُمْ نَفْسًا، أَيِ خَيْرِهِمْ أَصْلًا وَنَسَبًا وَخَيْرُهُمْ ذَاتًا وَحَسَبًا». وأخرج الحكيم الترمذي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله صَلَّى الله تعالى عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ فَاخْتَارَ مِنَ الْخَلْقِ بَنِي آدَمَ، وَاخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ، وَاخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ، وَاخْتَارَ مِنْ مُضَرَ قُرَيْشًا، وَاخْتَارَ مِنْ قُرَيْشِ بْنِ هَاشِمٍ، وَاخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا خَيْرٌ مِنْ خَيْرِ إِلَى خَيْرٍ». وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ نَبِيًّا نَظَرَ إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ قَبِيلَةً، فَيَبْعَثُ مِنْ خَيْرِهَا رَجُلًا». ويُروى عن زير العابدين عليّ بن الحسين عن جدّه عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم رفعه: «كنت نورًا بين يديّ الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق آدم جعل ذلك النور في صلبه، فلم يزل

ينقله من صلب إلى صلب حتى استقر في صلب عبد المطلب». وكذا عند القاضي عياض في الشف بلا سند عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام. يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه. فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني من الأصاب الكريمة. والأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبوي ولم يلتقيا على سفاح قط». ول بعضهم شعر:

خفظ الإله كرامةً لمحمد      آباءه الأمجاد ضوئاً لاسمه  
تركوا السفاح فلم يُصبهم عارُهُ      من آدم إلى أبيه وأمه

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «بُعِثْتُ من خير قرون بني آدم، قرناً فقرناً، حتى كنت من القرن الذي كنت منه». قال السخاوي رحمه الله: فالرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سيد الأولين والآخرين والملائكة المقربين، وسند الخلائق أجمعين، وحبيب رب العالمين. المخصوص بالشفاعة العظمى يوم الدين. مولانا أبو القاسم وأبو إبراهيم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، واسمه شعبة الحمد، قيل: وإنما قيل له عبد المطلب لأن آباه هاشماً قال لأخيه المطلب، وهو بمكة حين حضرته الوفاة: أدرك عبدك بيثرب. وقيل: إن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه. وهو بهيئة بذة، فكان يُسأل عنه، فيقول: هو عبدي. حياة أن يقول ابن أخي، فلما أدخله وأحسن من حله أظهر أنه ابن أخيه، وهو أول من خضب بالسواد من العرب، وعاش مائة وأربعين سنة. ابن هاشم واسمه عمرو. وإنما قيل له هاشم لأنه كان يُهشم الثريد لقومه حين الجدب. ابن عبد مناف بن قصي تصغير قصي، أي بعيد، لأنه بُعد عن عشيرته في بلاد قضاة حين احتملت أمه فاطمة، ابن كلاب وهو إما منقول من المصدر الذي في معنى المكالبة، نحو كالبث العدو مكالبته، أي مشادة ومضايفه. وإما من الكلاب جمع كلب، لأنهما يريدون الكثرة كما تسموا بسباع. وسئل أعرابي: لم تسموا أبناءكم بشر الأسماء، نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورياح؟ فقال: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا، يريدون أن

الأبناء عذّة للأعداء وسهام في نحورهم، فاختاروا لهم هذه الأسماء. ابن مرّة بضّم الميم وتشديد الراء، ابن كعب وهو أول من سَمِيَ يوم الجمعة يوم العَرُوبة، وكان يخطب فيه وتجتمع قريش لسماعه، وأول من قال: أما بعد، وربما أنذر في خطبته بخروج النبيّ صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ويعلمهم بأنه من ولده. ويأمرهم باتباعه، ويقول شعر:

يا ليتني<sup>(١)</sup> شاهدٌ فحواء دعوته حين العشيرة تنفي الحقّ خذلانا

ابن لؤي تصغير اللأئي<sup>(٢)</sup>، ابن غالب بن فهر بكسر الفاء واسمه قريش، أو لقبه وفهر اسمه، وإليه ينتهي نسب قريش، فمن لم يكن من ولده فليس بقريشي. بل كِناني. وهذا هو الأصحّ وعليه نُسب قريش ابن مالك بن النضر. وقيل: إنه لقبه لنضارة وجهه واسمه قيس. وعند كثيرين أنه جَماع قريش. ابن كنانة بكسر الكاف، أبو قبيلة، ابن خزيمة تصغير خَزَمة - بالخاء والزاي المعجمتين - ابن مدركة على صيغة الفاعل ابن إلياس بكسر الهمزة قطعاً في قول الأنباري، وقيل: بفتحها وصلاً، وهو قول قاسم بن ثابت ضدّ الرجاء باسم النبيّ المشهور، واللام فيه للتعريف، وقال السهيلي: وهذا أصح، ويذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبيّ صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم بالحجّ، ويذكر أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «لا تسبوا إلياس، فإنه كان مؤمناً» ذكر ذلك السهيلي في روضته. وحكى الزبير أنه كان ينكر على بني إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم، وكان يقوم فيهم ويعظهم حتى جمعهم على رأيه ورضوا به رضى من لم يرضوا من أحد بعد أدب<sup>(٣)</sup>، وهو أول من أهدى البُدن إلى البيت، ولم ترح العرب تعظّمه أهل الحكمة. ابن مضر على وزن عُمر، قيل: لأنه كان بصير قلب من رآه حسنه وجماله، وكان حس الصوت، فاتَّفَق أنه سقط عن عبره<sup>(٤)</sup> فأصيّبت يده وهو يقول: وايداه وايداه، فنشطت الإبل لسمع صوته ذلك.

(١) من التبسيط، وأحراؤه: مستمع فاعل أربع مرات: مسفعّل فعّل مسفعّل فعّل مسفعّل فعّل (مخوّه)، فاعل مستمع فعّل (مقضوع).

(٢) كاسعى الإطء ولاحتباس والسدة. ١٢.

(٣) كعمر مصروف بضمتين أبو قبيلة. ١٢ قموس.

(٤) يقع على الذكر والأنثى. ١٢ مصباح.

بحيث كان ذلك أصل الحُداء<sup>(١)</sup> في العرب، وصدق قول القائل: أنه أول من خدأ، ومن كلماته مَنْ يزرع شراً يحصد ندامة، وخير الخير أعجله. ويُروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لا تسبوا مضر وربيعه - يعني أخاه - فإنهما كانا مسلمين على ملّة إبراهيم عليه السلام، بل يُروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أيضًا خزيمة الماضي، ومعدّ وعدنان وأدّ وقيس وتميم وأسدّ وضبة، وأنهم ماتوا على ملّة إبراهيم عليه السلام، فلا تذكروهم إلا بما يذكر به المسلمون. ابن نزار - بكسر النون وتخفيف الزاي - مأخوذ من الثّرر، وهو القليل؛ لأنه كان فريد عصره. وقيل: لأنه لما ولد ونظر أبوه نور محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين عينيه فرح فرحاً شديداً، وأطعم طعاماً كثيراً زماناً مديداً، وقال: إن هذا كله نزار، أي قليل لحقّ هذا المولود. ابن معدّ - بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال - . ويُروى أن بُخت نصر لما غزا بلاد العرب أوحى الله تعالى إلى أرميا نبي بني إسرائيل إذ ذاك: أن ائب معدّاً، فأخرجه عن بلاده واحمله إلى الشام وتولّ أمره، فإنه يخرج من ولده محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خاتم النبيين، ففعل به ذلك. ويُروى أن أولاده لما بلغوا عشرين أو أربعين أغاروا على عسكر موسى عليه السلام، فانتهوا فدعا موسى عليهم. فأوحى الله تعالى إليه: لا تدع عليهم. وفي لفظ: أنه دعا فلم يُجب حتى فعلوا ذلك ثلاثاً، فقال: يا ربّ دعوتك على قوم أغاروا علينا فلم تُجبنّي فيهم. فقال: يا موسى دعوتني على قوم فيهم خيرتي في آخر الزمان. ابن عدنان - بفتح العين - وإلى هنا من النسب الشريف لا خلاف فيه. وإنما الخلاف فيمن فوق عدنان، على أقوال كثيرة متباينة جداً، ولذا يُروى أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان إذا بلغ في النسب إلى عدنان أمسك، وقال: «كذب النسّابون»، قال تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٣٨]. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ولو شاء الله أن يعلمه لعلمه. وقال ابن دحية: أجمع العلماء والإجماع حجة على أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزَه. وفي مُسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان إذا انتسب لم يتجاوز معدّ بن عدنان ثم يُمسك، ويقول: «كذب

(١) كغراب وهو الغناء لها. ١٢ مصباح.

النسّابون». وقال السهيلي: الأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه. وقال غيره: كان ابن مسعود رضي الله عنه إذا قرأ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْتِكُمْ بَنُوءُ الَّذِينَ مِنْ بَيْنِكُمْ فَوَارِثُكُمْ وَوَعْدُكُمْ وَأَلَّذِينَ مِنْ بَيْنِكُمْ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٩] قال: كَذَبَ النَّسَابُونَ، يعني أنهم يدعون علم الأنساب، ونفى الله علمها عن العباد في الكتاب. ورُوِيَ عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: إذا انتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا ندرى ما هو. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبًا لا يُعْرَفُونَ. وقال عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما: ما وجدنا أحدًا يعرف بعد معد بن عدنان. وسُئِلَ مالك رضي الله تعالى عنه عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم، فكره ذلك وقال من أخبره ذلك، وكذا رُوِيَ عنه في رفع نسب الأنبياء عليهم السلام. وعن ابن شهاب أن أول ما ذكر من فضائل عبد المطلب أن قريشًا خرجت من الحَرَمِ لما قَدِمَ عليهم أصحاب الفيل، وقال هو: والله لا أخرج من حرم الله أبغي العزّ من غيره، ولا أبغي سواه عنه بديلاً، وأقام عند البيت المحرم، حتى كان من أمره مع صاحب الحبشة حين خرج إليه مطلوبًا ما عظم به عنده وعند قومه أولي الوجاهة والكرم، وأهلك الله سبحانه الحبشة، وردهم عن بيته وأزال عن أهله تلك الوحشة، وكان السقاية والزفادة لعبد المطلب بعد عمّه المطلب، فإنه أقام لقومه ما كان آباؤه يقيمونه لهم من قبله، فشرف بذلك شرفًا لم يبلغه آباؤه، ولا وصل أحد منهم إلى مثله وأحبّه قومه، وعظم خطره فيهم واعتمدوه في إرشادهم وتببهم والزفادة شيء كانت قريش في الجاهلية تتخارجه من بينهم على قدر طاقتهم، بحيث يجتمع من ذلك كثير، ثم يشترون به طعامًا وزبيبا للنبذ ويطعمون الناس ويسقونهم أيام موسم الحج حتى تنقضي. ويُرَوَى عنه صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: «أنا ابن الذبيحين»، يعني بهما جدّه إسماعيل عليه السلام وأباه عبد الله. والقصة أخرجها الطبراني من طريق ابن وهب عن أسامة بن زيد، عن الزهري، عن قبيصة بن ذؤيب أن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان عبد المطلب نذر إن كُملَ له عشرة من الولدان أن يئثر أحدهم، فلما كُملَ عشرة أقرع بينهم أيهم يئثر، فطارت القرعة على عبد الله، وكان أحب الناس إلى عبد المطلب، فقال: اللهم هو أو مائة من الإبل؟ ثم أقرع فطارت القرعة على المائة



من الإبل . وذكر الزبير بن بكار أنه نحرها وتركها للناس ، فأخذوها . قال السخاوي : وصارت الدية مشروعة بتعيين مائة من الإبل بين المسلمين بعد أن كانت في الجاهلية عشرة ، ولهذا اقتصر على هذا العدد في القرعة المتكررة حيث كان عبد المطلب يزيد عشرة ثم عشرة إلى أن صارت مائة ، فجاءت عليها القرعة . قال القسطلاني : وكان سبب نذره حفر أبيه عبد المطلب زمزم ؛ لأن الجُرهُمَيَّ عمرو بن الحارث لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث وقبض الله لهم مَنْ أخرجهم من مكة ، فعمد عمرو إلى نفائس ، فجعلها في زمزم ، وبالغ في طمها وفرّ إلى اليمن بقومه ، فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة إلى أن رُفعت عنها الحُجُب برؤيا منام رآها عبد المطلب دلته على حفرها بأمارات عليها ، فمنعته قريش من ذلك ، ثم آذاه من السفهاء مَنْ آذاه ، واشتدّ بذلك بلواه ، ومعه ولده الحارث ولم يكن له ولدٌ سواه ، فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له أعواناً ، ليزبحن أحدهم قرباناً ، ثم احتفر عبد المطلب زمزم فكانت له فخراً وعزاً . وذكر البرقي في سبب تزويج عبد الله بآمنة أنَّ جدّه كان يأتي اليمن ، فينزل عند عظيم من عظمائهم ، فنزل عنده مرّة ، فإذا عنده رجل ممّن قرأ الكتب ، فقال : ائذن لي ، أفُتّش مُنْخَرَك ، فقال : دونك فانظر ، فقال : أرى نبوة ومُلْكاً ، وإنما هي في المنافيين ، يعني عبد مناف بن قصي وعبد مناف بن زهرة ، فلمّا انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فزوَّجه بآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة ، وتزوَّج هو بابنة عمّها هالة ابنة أُهَيْب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة . قال كعب الأحبار : وأعطى الله آمنة عند ذلك من النور والبهاء والوقار والجمال والكمال ما كانت تُدعى به سيّدة قومها . وبقي عبد الله والنور بين عينيّه لا يخرج حتى أذن الله للنور أن يخرج إلى بطن أمّه . وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق معمر عن الزهريّ قال : كان عبد الله من أحسن فتى في قريش ، فمز بنسوة مجتمعات فقالت امرأة منهنّ : يا نساء قريش أيتكنّ تتزوَّج هذا الفتى ، فتصطاد الثور الذي بين عينيّه؟ قال : فتزوَّج آمنة ، فحملت برسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم . قال ابن عبد البرّ : لمّا تزوّج عبد الله آمنة كان ابن ثلاثين سنة ، وقيل : ابن خمسٍ وعشرين ، وقال غيره : ثمانية عشر . قال السخاوي : وهو الراجح . وقال سهل بن عبد الله التستريّ فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ : لمّا أراد الله خلق

محمّد صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم في بطن أمّه، وذلك في ليلة الجمعة من رجب أمر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح أبواب الفردوس، وينادي مُنادٍ في السموات والأرضين: ألا إنّ النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلّم الهادي في هذه الليلة يستقرّ في بطن أمّه الذي فيه يتمّ خلقه ويخرج إلى الناس نذيراً. وذكر الزبير بن بكار أنّه كان في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرّة الوسطى، وللواقدي من جهة وهب بن زمعة عن عمته قالت: كنا نسمع أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم لما حملت به أمّه أمانة كانت تقول: ما شَعَرْتُ أنّي حَمَلْتُ به ولا وجدتُ ثِقَلًا كما تجد النساء إلا أنّي أنكرتُ رفع حيضتي، وربما كانت تقول: وأتاني آتٍ وأنا بين النائم واليقظان، فقال: هل شَعَرْتُ أنّك حملت؟ فكأنّي أقول: ما أدري، فقال: إنّك حملتِ بسيد هذه الأمة ونبيّها، وسُمّيّه محمّداً، وذلك يوم الاثنين. ولابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن جعفر عن حليلة السعدية مرضعته: أن أمانة قالت لها: إنّ لابني هذا شأنًا، إني حَمَلْتُ حملاً فلم أُحْمِل حملاً قطّ كان أخفّ عليّ، ولا أعظم بركةً منه، ثم رأيت نورًا كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت له أعناق الإبل ببصرى من أرض الشام. ثم وضعته فما وقع كما يقع الصبيان، وقع<sup>(١)</sup> واضعًا بالأرض رافعًا رأسه إلى السماء. وفي صحيح ابن حبان ومستدرک الحاكم ومسند أحمد وغيرهم عن العزّياض بن سارية السلمي، قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيّين، وإن آدم لمُنْجَدِل في طينته، وسأُنْبِئُكُمْ بأوّل ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخى عيسى قومه، ورؤيا أمّي التي رأت أنّه خرج منها حين وضعت نورًا أضاءت له قصور الشام». قال السخاوي: قوله: ببصرى، قال شيخنا: يحتمل أن يُقْرَأ بضمّ الموحدة وسكون المهملة مقصورًا، ويحتمل أن يُقْرَأ ببصرى - بفتح الباء والصاد - أي أنها رأت رؤيا عين ببصرها، قال: وبُصْرَى على الأوّل بلدة معروفة بطرف الشرق من عمل دِمَشْق مما يلي خُورَان، وهي قسبة من جهة الحجاز بينها وبين الشام نحو مرحلتين. والنكته في تخصيصها بالذّكر مع أنّه في رواية: «أضاء ما بين المشرق والمغرب»، وفي لفظ: «الأرض»، وهما أشمل كونه

(١) أي وقع إلى الأرض معتمدًا على يديه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلَّم وصل بنفسه الشريفة إليها وما جاوزها. وقال بعضهم: الإشارة إلى ما خَصَّ الشام به من نور نبوته. فإنها دار ملكه. كما ذكر أن في الكتب السانقة محمد رسول الله مولده بمكة، ومهاجره بيثرب وملكه بالشام، فمن مكة بدأت نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلَّم. وإلى الشام تنتهي. ولهذا أُسْرِيَ بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلَّم إلى بيت المقدس، وهو من الشام. كما هاجر إبراهيم عليه السلام قبله إلى الشام. بل قال بعض السلف: ما بعث الله نبيا إلا من الشام، فإن لم يُبعث منها هاجر إليها. وفي آخر الزمان يستقر العلم والإيمان بالشام، فيكون نور النبوة فيها أظهر منه في سائر البلاد. انتهى. وما وقع من اختلاف الروايات في خروج النور أحو حين الحمل أو الوضع لا مانع من وقوعه في الوقتين. وإن كانت الرواية حين الوضع أولى بالاتصال.

وبالجملة، فهذا النور إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وامتداد ملك أمته ودين ملته إلى الآفاق بالطول والعرض. وهما أكثر مما بين الجنوب والشمال. بحيث زالت به ظلمة الشرك منهما والضلال. كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: الآت ١٥، ١٦]. وقال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧]. وقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلَّم كما في مسلم وغيره عن ثوبان: «رُؤِيتُ - أي جمعت - لي مشارق الأرض ومغاربها، وسيلغ ملك أمتي ما رُوي منها». وقولها: فلم أحسن حملا كان أخف علي منه بفهم منه أنها حملت بغيره، وسيما عند ابن سعد مما هو أصرح منه حديث إسحق بن عبد الله. قالت: قالت أم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلَّم: قد حملت الأولاد، فما حملت. وقال ابن سعد: قال الواقدي: وهذا مما لا يُعرف عندنا ولا عند أهل العلم. فلم تلد أمنة ولا عبد الله غير رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلَّم. قال الواقدي: وحدثني ابن أخي الزهري عن عمه قال: قالت أمنة: لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته، وهو عند غيره بلفظ: ما شعرت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء. قال السخاوي:

واللفظان يمكن التأويل فيهما على ما سبق عن إسحاق بن عبد الله إن كان هو ابن طلحة، فهو مُرْسَلٌ رجاله رجال الصحيح لا يُمْنَعُ أن تكون أمانة أسْقِطَتْ من عبد الله سِقْطًا، فأشارت بذلك إليه، وبه يجتمع الروايات إن قبلنا كلام الواقدي. وقد قال ابن الجوزي: أجمع علماء الثقل على أن أمانة لم تحمل بغير النبي صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقولها: لم أحمل خرج على وجه المبالغة، أو على أنه وقع اتفاقًا، والجمع الذي قيل أنسب. وأما دعوة إبراهيم عليه السلام، فيشير بها إلى أنه لما شرع في بناء الكعبة دعا الله تعالى أن يجعل ذلك البلد آمنًا، ويجعل أفئدة الناس تهوي إليهم وَيَرْزُقَهُمْ من الثمرات. فقال: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ أَعَزُّ الْحَكِيمِ ۝١٢٩﴾ [البقرة: الآية ١٢٩]. فاستجاب الله دعاءه في هذا النبي صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وجعله الرسول الذي سأل إبراهيم عليه السلام ودعاه أن يبعث إلى أهل مكة، والمعنى أن الله تعالى لما قضى أن يجعل محمدًا صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم خاتم النبيين وأثبت ذلك في أم الكتاب أَنْجَزَ هذا القضاء بأن قَبِضَ إبراهيم عليه الصلاة والسلام للدعاء الذي ذكره ليكون إرساله إِيَّاه بدعائه كما يكون نقله من ضلّبه إلى أصلاّب أولاده. وأما بشرى عيسى عليه الصلاة والسلام، فيشير بها إلى أن الله تعالى أمره به فبشّر به صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم قومه فعرفه بنو إسرائيل قبل أن يُخْلَقَ كما حكى تعالى عنه في قوله: ﴿وَبَشِّرِ رَسُولُ يُاقُ مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ ۖ أَحْمَدُ﴾ [الصف: الآية ٦]. قال السخاوي: وقد كانت السّنة التي حُبِلَ فيها به صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم فيما نقل سنة شديدة الجذب والضيّق على قريش. فاحضرت لهم الأرض وحملت الأشجار وأخصبت مكة خضبًا عظيمًا بحيث سُمّيت سنة الفتح والابتهاج، وأتاهم الرّغد من كل مكان بهذا الإفراج. وعبد المطلب وهو يومئذ صاحب أحكام قريش وسائر العرب يخرج في كل يوم متوشّحًا ويطوف بالبيت، ويقول: يا معشر القريش إني أنظر إلى تمثال شخص مُمثلاً بين عيني كأنه قطعة نور كامل لا أُمَلُّ رويته، وتجحد قريش رويته كذلك إمّا حسدًا أو عَمَى. بل نُقِلَ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة، وقالت: حُمِلَ بمحمد صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم ورب الكعبة. وهو إمام الدنيا وسراج أهلها، ولذا لم يبقَ كاهنة في قريش ولا قبيلة من

قبائل العرب إلا حُجِبَتْ عن صاحبها، وانتزع علم الكهنة منهم، ولم يبق سريرُ ملكٍ من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسًا، وأصبح كل ملكٍ أخرس لا ينطق يومه ذلك، ومزّت وُحْش المشارق إلى وحش المغارب بالبشارات، وكذا بشر أهل البحار بعضهم بعضًا، وتُودِي في كل شهر من شهوره عليه السلام في كل من السماء والأرض، أنْ أبشروا فقد آن لأبي القاسم محمد صلى الله تعالى عليه وسلّم أن يخرج إلى الأرض ميمونًا مباركًا. قال: وبقي في بطن أمّه تسعة أشهر كمالًا<sup>(١)</sup> لا تشكو وجعًا ولا ريحًا ولا ما يعرض للنساء ذوات الحمل. قال الواقدي: وفي غُضُون<sup>(٢)</sup> هذا الحمل المكمل بَعَثَ جَدّه عبد المطلب بابنه عبد الله إلى غَزّة من بلاد الشام يمتار لهم طعامًا مع تجار قريش، ولما رجعوا مَرَضَ فتخلف لذلك بالمدينة النبوية عند أخوال أبيه بني غدي بن النجار شهرًا، ثم مات بالمدينة. وعند ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب: أنه بعثه يمتار لهم تمرًا من يثرب، فمات بها ودُفِنَ بها في دار النّابغة. وهذا القول هو الذي رجّحه ابن إسحق، ورواه ابن سعد أيضًا وجزم به الزبير بن بكار وغير واحد. وقال ابن الجوزي: هو الذي عليه مُعْظَمُ أهل السّير، وأطلق غيره غزوه للجُمهور، وقال بعضهم؛ مات بعد وضعه، فقد أخرجه يحيى بن سعيد الأموي في المغازي من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي أحد الضعفاء عن الزهري عن سعيد بن المسيّب أن أمانة لما وضعت أمر عبد المطلب ابنه عبد الله أن يأخذه فيطوف به في أحياء العرب، فطاف به حتى استأجر حليلة على إرضاعه، وذكر أنه قام عندهم ست سنين حتى كان من شق صدره ما كان، فردّته إلى أمّه صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم، واختلفوا كم كان سنّه حينئذٍ؟ فقيل: ابن ستين وأربعة أشهر، حكاه ابن إسحق. وقيل: ابن سبعة أشهر، حكاه ابن سعد. ويقال: إنّ عبد الله خرج وهو في هذا السنّ إلى أخوال أبيه بالمدينة زائرًا، فتوفي بها. ويقال: إن الملائكة قالت: إلّٰهنا

(١) قوله: كَمَلًا - بفتح الحين - أي كاملاً وافياً. قال الليث: هكذا يتكلّم به، وهو سواء في الجمع والواحد، وليس بمصدر ولا نعت، إنما هو كقولك: أعطيتك المال الجميع، كذا في المصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) الغُضْنُ ويُحرّك كُلُّ ثَنٍّ في ثوب أو جلد أو درع، ج. غَضُون والعناء والتعب. ١٢ قاموس.

وسيدنا بقي نبيك يتيماً، فقال الله عز وجل: أنا له ولي وحافظ ونصير. وقيل لجعفر الصادق: لم يتيماً<sup>(١)</sup> النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من أبويه؟ فقال: لئلا يكون عليه حق لمخلوق، نقله عنه أبو حيّان<sup>(٢)</sup> في البحر<sup>(٣)</sup>. قال السخاوي: وقد خلف أبوه جارية أم أيمن بركة الحبشية وخمسة أجمال وقطعة غنم. فورث ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. فكانت أم أيمن رضي الله تعالى عنها تحضنه، ثم إن الخوولة المشاز إليها كون هاشم بن عبد مناف تزوج في المدينة سلمى ابنة عمرو أحد بني عدي بن النجار، فولدت عبد المطلب. وقد ثبت في الصحيح في حديث الهجرة قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «إني أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك». وأما ما وقع في رواية أخرى من قوله: «أنزل على أخواله» أو قال: «على أجداده»، فالشك فيه من رواية ابن إسحاق السبيعي. وأياً ما كان، فمجاز؛ فالخوولة من جهة الأمومة. والنزول إن كان على بني مالك بن النجار لا على بني عدي. وروى البيهقي في الدلائل والطبراني وأبو نعيم من طريق محمد بن أبي سويد الثقفي عن عثمان بن أبي العاص: حدثني أمي فاطمة ابنة عبد الله الثقفي إحدى الصحابيات أنها حضرت آمنة لما ضربها المخاض ليلاً، قالت: فجعلت أنظر إلى النجوم تدلّي وتدنو حتى قلت: ليقعن عليّ، فلما ولدت خرج منها نور أضاء له البيت والدار. قال ابن سعد: أخبرنا الهيثم بن خارجة، حدثنا يحيى بن حمزة، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لما ولد وقع على كفيه وركبته شاخصاً بصره إلى السماء، وهو مُرسل قوي. ومن مرسل إسحاق بن أبي طلحة: أن آمنة قالت: وضعته نظيفاً ما ولدته كما يولد السخل<sup>(٤)</sup> - أي المولود المحب إلى أهله - ما به قدر، وهو جالس على الأرض بيده. ولأبي الحسين بن بشران عن ابن السّمال: أخبرنا أبو الحسن بن البراء، قالت آمنة: ولدته جاثياً على ركبته ينظر إلى السماء، ثم قبض قبضة من الأرض. وأهوى ساجداً، قالت: وكبّيت عليه إناء فوجدته قد انقلب الإناء عنه وهو يمض

(١) كضرب وغلم يتيماً ويفتح وهو يتيماً. ١٢ قاموس.

(٢) محمد بن يوسف أندلسي المتوفى سنة ٧٤٩. ١٢.

(٣) يعني البحر المحيط في التفسير. ١٢. (٤) ولد الشاة ما كان. ١٢ مصباح.

إبهامه يشخب<sup>(١)</sup> لبُّها. قال السخاوي: وكانت آمنة لما وضعته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أرسلت إلى جدّه أنه قد وُلِدَ لك الليلة غلام، فانظر إليه؛ فلما جاء أخبرته خبره وحديثه بما رأث حين حملت به، فأخذه وقام يدعو الله ويشكره، لما أعطاه ويقول: شعر<sup>(٢)</sup>:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان  
وقد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذي الأركان

وذهبت ثوبية جارية أبي لهب عمّه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فبشّرته أنه وُلِدَ لأخيه عبد الله غلام، فأعتقها في الحال. قال القسطلاني: وهي ممّن أَرْضَعته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال: وقد رُؤِيَ<sup>(٣)</sup> أبو لهب بعد موته في النوم، فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار إلا أنه خَفَّفَ عني كل ليلة الاثنين وأمَصَّ من بين أصبعي هاتين ماءً. وأشار لرأس أصبعيه، وأن ذلك بإعتاق ثوبية عندما بشّرتني بولادة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبارضاعها له. قال ابن الجزري: فإذا كان هذا أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جُوزِيَ في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فما حال المسلم الموحّد من أَمَتِهِ عليه السلام يُسَرُّ بمولده؟ وببذل ما تصل إليه قدرته في محبّته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؛ لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضل العميم جنّات النعيم. وروى الحاكم<sup>(٤)</sup> في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان بمكة يهودي سكن يتجر بها، فلما كانت الليلة التي وُلِدَ فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال: يا معشر قريش، هل وُلِدَ فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلمه، قال: انظروا، فإنه وُلِدَ في هذه الليلة نبيّ هذه الأمة الأخيرة بين كثفئه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن

(١) شخب اللبن وكل مائع شخبًا درّ وسال. ١٢ مصباح.

(٢) من الرجز، وأحزأه: مستفعلن ستّ مرات. ١٢. مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن (مقطوع).

(٣) والراثي له أخوه العباس بعد سنة من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر، ذكره السهيلي وغيره. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٤) أي الحافظ أبو الخير شمس الدين. ١٢.

عُرِفَ فرس - بضم العين، وقد تضمّ راؤه - أي شعر عنقه لا يرضع ليلتين، إنّ عفریتاً من الجنّ وضع يده على فمه، فانظروا؛ فسألوا فقیل لهم: قد وُلِدَ لعبد الله بن عبد المطلب غلام، فخرجوا باليهودي حتى أدخلوه على أمّه، فقالوا لها: أخرجي إلينا ابنك، فأخرجته وكشفوا عن ظهره، فرأى تلك الشامة، فوقع اليهودي مغشياً عليه، فلما أفاق قيل له: ويّلك ما لك؟ قال: ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل، يا معشر قريش أما والله ليسطونَ بكم سطوة يخرج خبرها بين المشرق والمغرب. قال السخاوي: وهو دليل على أنه وُلِدَ صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم بخاتم النبوة بين كتفيه، وهو من العلامات التي كان يعرف بها أهل الكتاب، ويسألون عنها ويطلبون الوقوف عليها، حتى أنه رُوِيَ أن هِرْقْلَ بعث إلى النبي صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم مَنْ ينظر له خاتم النبوة، ثم يخبره عنه، ولكن سيأتي أن الملكين اللذين شقا صدره وملائة حكمة هما اللذان ختماه بخاتم النبوة، وهو أصحّ ممّا قبله. قلت: الجمع بينهما ممكن، قال: وأمّا ما رُوِيَ من رفعه بعد موته من بين كتفيه، فسنده ضعيف. ورَوَى الخطيب من حديث محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أمّه فاطمة ابنة الحسين بن علي عن أبيها، قال: لما كانت اللَّيْلَةُ التي وُلِدَ فيها النبي صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم، قال حَبْرٌ كان بمَكَّةَ: يُولد اللَّيْلَةُ في بلدكم هذا النبي الذي وُصِفَ بأنه يعظّم موسى وهارون ويقتل أُمّتَهُما، فإن أخطأكم فبشّروا به أهل الطائف أو أهل أَيْلَةَ<sup>(١)</sup>، قال: فوُلِدَ في تلك الليلة، فخرج الجبر<sup>(٢)</sup> حتى دخل الجحجر، ثم قال: أشهد أنّ لا إله إلا الله وأنّ موسى حقّ، وأنّ محمداً حقّ، قال: ثم فُقدَ الحَبْر فلم يُقدَّرْ عليه. وروى أبو نعيم في الدلائل من طريق شعيب بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبيه عن جدّه، قال: كان بِمَرِّ الظهران راهبٌ يُدعى عِيْضًا، فذكر حديثاً وفيه: أنه أعلم عبد المطلب ليلة وُلِدَ له النبي صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم بأنه نبيُّ هذه الأُمّة، وذكر له أشياء من صفته. قال السخاوي: والعلامات التي ظهرت عند مولده وبعده جَمّة فضلاً عمّا وقع في الإسلام من حين المبعث وهلمّ جرّاً ممّا هو مشهور بين الأئمّة من الأُمّة، وقد اعتنى بجمعها جماعة؛

(١) بلد بين يَبْنَع ومصر. ١٢ قاموس.

(٢) العالم والجمع أحبار، مثل جَمَل وأحمال، والخَبْر - بالفتح - لغة فيه. ١٢ منه عمّ فيضهم.



كأبي نعيم والسهيلي، وجمع ما وقع من ذلك قبل المبعث، بل قبل المولد الحاكم في الإكليل وأبو سعيد التيسابوري في شرف المصطفى، وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة وصاحب الشفا. وقد أخرج ابن السبكي وغيره في معرفة الصحابة من حديث مخزوم بن هانيء عن أبيه، وكان قد أتت عليه مائة وخمسون سنة أنه ارتجس إيوان كسرى، أي اضطرب وتحرك حركة سُمِع لها صوت مهول<sup>(١)</sup> بحيث انصدع وانشق من أعلاه. قال شيخ مشايخنا ابن الجزري: وهذا الشق إلى الآن بادٍ أخبرنا بذلك جماعة ممن رآه بالمدائن، وأنه سقط عن أعلى الإيوان أربع عشرة شرفة، وهي واحدة الشرف<sup>(٢)</sup> التي تكون على حيطان السور وغيرها ليحسن منظرها، وخمدت نار فارس التي كانوا يعبدونها، ولم تُخمد قبل ذلك بألفي عام يعدونها، بل كانت تُوقد وتُضرم ليلاً ونهاراً، فلم يستطع أحد تلك الليلة إضرامها عجزاً لا اختياراً، وغاضت بحيرة ساوة، المُظهر أهلها الشرك والعداوة، وكانت بحيرة كبيرة أكبر من فرسخ بمملكة عراق العجم، بين همدان وقم، يُركب فيها السفن ويُسافر بها إلى ما حولها من البلاد والمدن، مثل فرغانة والري، فأصبحت من ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ناشفة يابسة الأرض، كأن لم يكن بها شيء من الماء في الطول والعرض بل غار ماؤها وذهب حتى بُني موضعها مدينة، تُسمى ساوة باقية إلى اليوم حصينة، ورأى الموبدان، وهو قاضيهما الأعلى بترك بتلك الجهات والبلدان، إبلاً صعباً، تقود خيلاً عراباً، وقد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها ووهادها<sup>(٣)</sup>، ووقع من تلك الليلة رمي الشياطين بالشهب الثواقب، وكان قبل ذلك تسترق السمع من كل جانب، وخُجب إبليس عن السماء، كما يُروى ولعله كان يقعد فيسترق السمع ويشير إليه بالإيماء، وذكر بقي<sup>(٤)</sup> بن مُخلد صاحب السند، في تفسيره: ومما رويناه عن مجاهد أنه رن - أي نخر - أربع رنات: حين لُعن وحين أهبط وحين وُلد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. وفي لفظ: حين بُعث وحين أنزلت فاتحة الكتاب، واختلف في كونه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وُلد بخاتم النبوة، كما تقدّم في حديث

(١) كمقول. ١٢ منه عمّ فيضهم. (٢) مثل عُرْفَةٍ وعُرف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) جمع الوهدة وهي الأرض المنخفضة كالوهد. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٤) كرضي حافظ الأئندلس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

عائشة رضي الله تعالى عنها، أو حين وضعه، أو حين ختمه أحد الملكين حين شق صدره عند مرضعته؟ وممن حكى الأول ابن سيد الناس، والثاني مغلطي عن يحيى بن عابد بصيغة التمريض، والثالث ثبت؛ ففي حديث عائشة عند الطيالسي والحارث في مسنديهما، وأبي نعيم في الدلائل قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «وختم - يعني جبرئيل - في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي»، ومثله في حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه عند أحمد والبيهقي في الدلائل. قلت: والجمع ممكن بظهور الزيادة في كل مرتبة وإفادة، وكذا اختلف أولد وهو مختون، أو ختن بعد ذلك؟ فروى الطبراني وأبو نعيم وغيرهما من طريق الحسن عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «من كرامتي على الله أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سؤأتي»، وعند ابن سعد من حديث عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن أبيه رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولد مختوناً مسروراً، أي مقطوع السرة، ففرح به جدّه، وقال: ليكون لابني هذا شأن. وقال أبو جعفر الطبري في تاريخه: «ولد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معذوراً، أي مختوناً. وقال الحكيم أبو عبد الله الترمذي: أنه ولد مختوناً. وزوى ابن عبد البر في التمهيد أن جدّه ختنه يوم السابع، وعمل له مأذبة. قلت: لعله لما عمل المأذبة<sup>(١)</sup> وقت الختان، ظن أنه ختن في ذلك الزمان، فمعنى قوله: ختنه أظهر الختان، وأنه عليّ الشأن جليّ البرهان؛ إذ في رواية لابن عبد البر أنه لما كان يوم السابع ذبح كبشاً، ودعا إلى طعامه قريشاً، فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب أرايت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وضعه، ما سمّيته؟ فقال: محمّداً، فقالوا له: لم رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمد الله عز وجل في السماء، وخلق في الأرض هذا وقد أغرب من قال: ختنه جبريل عليه السلام. وقال العراقي: لا يثبت في هذا كلّ شيء. وتوقف الإمام أحمد في كون جدّه ختنه، وكذا توقف في مقابله، فقال المزي<sup>(٢)</sup>: إنه سئل: هل ولد النبي صلى الله تعالى عليه وآله

(١) طعام صنع لدعوة. ١٢ منه عة فيضهم.

(٢) المزة - بالكسر - قرية بدمشق من ديار قضائه وإليها يُنسب الإمام الحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي. ١٢ تاج العروس. ١٢ منه عة فيضهم.

وسلم مختوناً؟ فقال: الله أعلم، ثم قال: لا أدري، قال: قال أبو بكر عبد العزيز بن جعفر من أئمة الحنابلة: قد روي أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولد مختوناً مسروراً، ولم يختار أبو عبد الله - يعني الإمام أحمد بن حنبل - على تصحيح هذا الحديث. وقال بعض الأئمة: إن ختان جدّه له ما روى المرويّ به أشبه، لكن قال الحاكم: إن الأول قد تواترت به الرواية. قال السخاوي: وهو الذي أميل إليه سيما مع قول أمّه: ولدته نظيفاً. قال بعض الأئمة: ألهم الله عزّ وجلّ أهله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يسمّوه محمّداً، لما فيه من الصفات المحمودّة ليطابق الاسم المسمّى، وقد قيل: الأسماء تنزل من السماء، وما أحسن قول حسان: شعر<sup>(١)</sup>

فضم الإله اسم النبي إلى اسمه      إذا قال في الخمس المؤذن أشهد  
وشقّ له من اسمه ليُجلّه      فذو العرش محمودٌ وهذا محمّد

قال السخاوي: وتسمية جدّه له بذلك كانت بتوفيق من الله تعالى إمّا ابتداء أو بمنام رآه، فقد قال أبو الربيع بن سالم الكلاعي: زعموا أنه رأى في منامه كأن سلسلة من فضّة خرجت من ظهره، لها طرف في السماء، وطرف في الأرض، وطرف في المشرق، وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كلّ ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلّقون بها فقصّها، فعبّرت له بمولود ويكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء والأرض، فلذلك سمّته به على ما حدّث به آمنة من أمرها بتسميته بذلك، فمحمّد وأحمد اسمان له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، كما نطق به القرآن، في قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: الآية ٢٩]، وفي قوله: ﴿وَمُبَشِّرٌ رَسُولُ يُاقُ بْنُ بَعْدَى سَمُهُ، أَحْمَدُ﴾ [الصف: الآية ٦]، وأخرج الحاكم في صحيحه: أن آدم عليه السلام رأى اسم محمّد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مكتوباً على العرش، وأن الله تعالى قال لآدم: لولا محمّد ما خلقتك. وأمّا حديث: «لولاك لما خلقت الأفلاك»، فمعناه صحيح وإن قال الصغاني: إنه موضوع. قال القاضي عياض: فأما أحمد، فأفعل تفضيل مبالغة من صفة الحمد منه، ومحمّد مفعّل من كثرة الحمد فيه، فهو أجلّ من حمد وأكثر الناس حمداً في الدنيا والآخرة، فهو أحمد

(١) من الطويل. ١٢.

المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد في المحشر يوم القيامة ليتّم له كمال الحمد ويشتهر في العرصات بصفة الحمد، ويبعث المقام المحمود، ويحمده الأولون والآخرون، ويفتح عليه فيه من المحامد كما ثبت في الصحيحين ما لم يُعط غيره، وسمّيت أمته في كتب أنبيائه بالحَمّادين، فحقيق أنّه يسمّى صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ، وفي هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فنّ آخر، وهو أنّ الله عزّ وجلّ حمى أن يسمّى بهما أحدٌ قبل زمانه. أمّا أحمد الذي ذُكر في الكتب وبشّرت به الأنبياء، فمنع الله بحكمته أن يسمّى به أحدٌ غيره، ولا يدعى به مدعوٌ قبله، حتى لا يدخل اللُّبس ولا الشكّ على ضعيف القلب، وكذلك محمّد أيضًا لم يُسمّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده وميلاده، أن نبيّا يبعث اسمه محمّد فسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم حمى الله تعالى كل من يُسمّى به أن يدعي النبوة أو يدّعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكّك أحدًا في أمره، حتى تحقّقت السمتان له صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ ولم يُنازع له أحدٌ فيهما. قال السخاوي: وأسماءه كثيرة جدًا، قيل: إنها بلغت ألفًا، لكن اشتقّ أكثرها من أفعال وصف صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ بها، وقد اجتمع لي منها في القول البديع ممّا لم أُسبق إلى جمعه نحو التّصف، ولا شكّ أن كثرة الأسماء دليلٌ على جلاله المُسمّى، وناهيك بشرفه تشريف الله عزّ وجلّ له بما سمّاه به من أسمائه الحُسنى، ووصفه به من صفاته العلى، كما بيّنه صاحب الشفاء وغيره. قلت: وقد جمعها شيخ مشايخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته له أيضًا بلغت خمسمائة، وأخذت منها غمدها وزيدتها العُلّيا، واقتصرت على تسعة وتسعين وزان أسماء الحسنى: شعر

هذا الحبيب فمثله لا يولد	واننور من وجناته يتوقّد
جبريل نادى في منصّة حسنه	هذا مديح الكون هذا أحمد
هذا مليح الوجه هذا المصطفى	هذا جميل الوصف هذا المسند
هذا جليل النعت هذا المرتضى	هذا كحيل الطرف هذا الأمجد
هذا الذي خلعت عليه ملابس	ونفائس فنظيره لا يوجد

وكان مولده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عام الفيل، كما رواه الترمذي في جامعه من حديث قيس بن مخزومة وابن أشيم، والبيهقي في الدلائل من حديث شؤيد<sup>(١)</sup> بن غفلة أحد المخضرمين<sup>(٢)</sup>، والبيهقي أيضًا وشيخه الحاكم وصححه كلاهما من طريق حجاج بن محمد عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم، ورواه ابن سعد بلفظ: يوم الفيل، ورواه الحاكم أيضًا من طريق حميد بن الربيع عن حجاج كذلك، وقال: إن حميدًا تفرد بقوله: يوم الفيل، وتعقب برواية ابن معين. ولكن المحفوظ بلفظ عام الفيل، وقد لا ينافيه اللفظ الآخر لعدم صراحته في ذلك لما فيه من الاحتمال. قال ابن عبد البر: إنه يحتمل أن يكون أراد باليوم الذي حبس الله الفيل عن وطء الحرم، وأهلك الذين جاؤوا به، ويحتمل أن يكون أراد باليوم العام. قال السخاوي: ومال شيخنا إلى الأول حيث قال: قد يُطلق اليوم ويُراد به مطلق الوقت، كما يقال: يوم الفتح ويوم بدر، فإن المراد حقيقة اليوم، فيكون أخص من الأول، وبذلك صرح ابن حبان في أول تاريخه، فإنه قال: وُلد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله الطير الأبابل على أصحاب الفيل. وأخرجه البيهقي أيضًا من مرسل محمد بن جبير بن مطعم بلفظ عام. وقد عاين ذلك حكيم بن حزام، وخوئطب بن عبد العزى، وحسان بن ثابت، وكلّ منهم عاش مائة وعشرين سنة. وقال إبراهيم بن المنذر: هو الذي لا شك فيه عند أحد من عظمائنا، وممن حكى الإجماع ابن قتيبة ثم عياض. وقال ابن دحية: اتفاق العلماء بالأثر والسنن عليه، انتهى. وكأنهم عمدة ابن القيم في الاتفاق، ولكن الخلاف فيه ثابت، ويتحصّل منه أقوال أخر بعد الفيل بأربعين سنة، قاله أبو زكريا العلائي حكاه ابن عساكر في الترجمة النبوية من أول تاريخه أو بثلاثين سنة حكاه موسى بن عقبة عن الزهري، أو بثلاث وعشرين أورده ابن عساكر من رواية شعيب بن شعيب، أو بخمس عشرة، حكاه ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، لكن المَعتمد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما تقدّم،

(١) من كبار التابعين، قديم المدينة يوم دفن النبي ﷺ وكان مسلمًا في حياته، وثقه يحيى بن معين. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) المخضرم - بفتح الراء -: من أدرك الجاهلية والإسلام. ١٢.

أو شهر حكاه ابن عبد البرّ، وبعشرٍ أورده ابن عساكر من طريق عبد الرحمن<sup>(١)</sup> بن أبزى، أو ثلاثين يومًا أو بأربعين يومًا. قال السخاوي: وأما ما يُذكر على الألسنة بلفظ: «ولدت في زمن الملك العادل» فشيء لا أصل له، على أن بعضهم اغترّ به، وقال مما جازف فيه أنه لا خلاف بين العلماء أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وُلد بمكة في أيام كسرى أنوشروان العادل. قلت: وقد قال الزركشي: كذب باطل. وقال السيوطي: قال البيهقي في شعب الإيمان: تكلم شيخنا أبو عبد الله الحافظ في بطلان ما يرويه بعض الجهلاء عن نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: وُلدت في زمن الملك العادل، يعني أنوشروان، ثم رأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام، فحكى له ما قال أبو عبد الله فصّدقه في تكذيب هذا الحديث وإبطاله، وقال: ما قلته قط. فإن قلت: تربة الشخص مدفنه، فكأن مقتضى هذا يكون مدفنه عليه السلام بمكة حيث كان تربته منها. فقد أجاب عنه صاحب العوارف أفاض الله علينا من عوارفه، وتعطف علينا بعواطفه، بأنه قيل: إن الماء لما تموج رمى الزبد إلى التواحي، فوقعت جوهرة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى ما يُحاذي تربته في المدينة، فكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مكيا مدنيًا حينه إلى مكة، وتربته بالمدينة. ثم اختلف في الشهر الذي وُلد فيه، والمشهور أنه وُلد في شهر ربيع الأول، وهو قول جمهور العلماء، ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه، وفيه نظر، فقد قيل: في صفر، وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: في رجب - ولا يصح - وقيل: في شهر رمضان، وزوي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بإسناد لا يصح، وهو موافق لمن قال: إن أمه حملت به في أيام التشريق، وأغرب من قال: وُلد في عاشوراء، وكذا اختلف أيضًا في أي يوم من الشهر؟ فقيل: إنه غير معين، إنما وُلد يوم الاثنين<sup>(٢)</sup> منه، فقيل: ليلتين خلت، وقيل: ثمان خلت منه. قال الشيخ قطب الدين القسطلاني: وهو اختيار أكثر أهل الحديث، ونُقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم رضي الله تعالى عنهم، وهو إطلاق أكثر من له معرفة بهذا الشأن، واختاره الحميدي وشيخه ابن حزم، وحكى القضاعي في عيون المعارف، إجماع

(١) قال البخاري: له صحبة، وفل ابن أبي داود: تابعي. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) من ربيع الأول من غير تعيين، والجمهور على أنه يوم معين.

أهل التاريخ عليه، وقيل: لاثني عشرة، وعليه أهل مكة في زيارتهم موضع ولادته في هذا الوقت، وقيل: لسبع عشرة، وقيل: لثمان بقين منه، والمشهور أنه وُلد في يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، وهو قول ابن إسحق وغيره. واختلف أيضًا في الوقت الذي وُلد فيه، والمشهور أنه يوم الاثنين؛ فعن أبي قتادة الأنصاري أنه سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن صيام يوم الاثنين. قال: «ذاك يوم وُلدت فيه، وأنزلت عليّ فيه النبوة» رواه مسلم، وهذا يدل على أنه وُلد نهارًا. وفي المسند عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: وُلد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم الاثنين، واستُنبئ يوم الاثنين، وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، ووقع الحجر يوم الاثنين. قال القسطلاني: وكذا فتح مكة، ونزول سورة المائدة يوم الاثنين، يعني المشتملة على آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية ٣]، وهي آخر سورة نزلت. وقد روى ابن أبي شيبه وأبو نعيم في الدلائل أنه وُلد عند طلوع الفجر، وقيل: وُلد ليلاً. قال الزركشي: والصحيح أن ولادته عليه السلام كانت نهارًا. قلت: وأغرب القسطلاني وقال: ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة ذكرها حيث لا يفيد الإطلاق، مع أن الأفضلية ليست إلا لكون العبادة فيها أفضل بشهادة النص القرآني: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: الآية ٣]، ولا تُعرف هذه الفضيلة ليلية مولده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا من الكتاب ولا من السنة ولا من أحد من علماء الأئمة. وأما تضعيف ابن دحية رواية سقوط النجم عند مولده بأنه وُلد نهارًا، فغير صحيح؛ لأن سقوطها خارق للعادة، فلا فرق فيه بين الليل والنهار، على أنه بعد الفجر. وللنجوم حينئذ سلطان كما في الليل، أو يقال: سقوط النجم كان في ليلة مولده إظهارًا لدنوه وقربه، وما قارب الشيء يعطى حكمه. ثم اختلف في مدة الحمل، فقيل: تسعة أشهر، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية، وقيل: سبعة، وقيل ستة. قال القسطلاني: وُولد عليه السلام في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، ويقال: بالشعب، ويقال: بالرّدم، ويقال: بعسفان. قال شيخنا ابن الحجر المكي: الصحيح، بل الصواب، بمكة بمولده المشهور الآن. قال العلماء: ولو لم يكن مولده صلى الله تعالى عليه

وآله وسلّم في المحرم، ولا في رجب، ولا في رمضان، لثلاثا يتشرف بالزمان، وإنما الزمان يتشرف به كالمكان. قال القسطلاني رحمته الله: وقد ذكر أنه لما وُلِدَ صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، قيل: مَنْ يكفل هذه الدرة اليتيمة؟ التي لا يوجد لمثلها قيمة، فقالت الطيور: نحن نكفله ونغتني خدمته العظيمة. وقال الوحوش: نحن أولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه، فنادى لسان القدرة أَنْ يا جميع المخلوقات إِنَّ الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة، أَنْ نبيّه الكريم يكون رضيعاً لحليمة السعدية، قالت حليمة - فيما رواه ابن إسحق وابن راهويه وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وأبو نعيم -: قَدِمَتْ مَكَّةَ في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس الرُّضْعَاءَ في سنة شَهَبَاءَ<sup>(١)</sup>، فَقَدِمْتُ على أَتَانٍ لي ومعِي صَبِيٌّ لنا وشارف لنا - أي ناقة مُسِنَّةَ هَرَمَةٍ - والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبيتنا ذلك لا يجد في ثديي ما يُغنيه، ولا في شارفنا ما يُغذيه، فَقَدِمْنَا مَكَّةَ، فوالله ما عَلِمْتُ مَتَا امرأة إلا وقد عُرِضَ عليها رسول الله صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فتأباه إذا قيل يتييم، فوالله ما بَقِيَ من صواحيبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري، فلَمَّا لم أجد غيره قلت لزوجي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحيبي ليس معي رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم، فلاأخذنه، فذهبت فإذا هو مُدْرَج في ثوبٍ صوف أبيض من اللبن، ويفوح منه المسك وتحت حريرة خضراء راقدة على قفاه يغطُّ، فأشفقت أن أوقظه من نومه لحُسْنِه وجماله، فدنوت منه رويداً، فوضعت يدي على صدره فتبسّم ضاحكاً، وفتح عينيه ينظر إليّ فخرج من عينيه نورٌ حتى دخل خلال السماء، وأنا أنظر، فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديي الأيمن، فأقبل عليه بما شاء من لبن، فحوّلته إلى الأيسر فأبى، وكانت تلك حاله بعد. قال أهل العلم: أعلمه الله أَنْ له شريكاً، فألهمه العدل، فقالت: فَرُويَ ورُويَ أخوه، ثم أخذته فما هو إلا أن جئت به زحلي وقام صاحبي - تعني زوجها - إلى شارفنا تلك، فإذا أنها لحافل، فحلب ما شرب وشربت حتى رُويْنَا، وبثنا بخير ليلة، فقال صاحبي: يا حليمة، والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم تري ما بثنا به الليلة من الخير والبركة، حين أخذناه؟ فلم يزل الله يزيدها خيراً، قالت حليمة: فودعت الناس بعضهم بعضاً،

(١) سنة شهباء: لا خضرة فيها ولا مطر. ١٢ قاموس.



وودعت أنا أم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم ركبت أتانِي، وأخذت محمداً صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين يديّ، قالت: فنظرت إلى الأتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجّادات، ورفعت رأسها إلى السماء، ثم مشت حتى سبقت دوابّ الناس الذين كانوا معي، وصار الناس يتعجبون مني ويقولن لي النساء وهنّ ورائي: يا بنت أبي ذؤيب هذه أتانك التي كنت عليها؟ وأنت جائية معنا تخفضك طوراً، وترفعك أخرى؟ فأقول: تالله إنها هي، فيتعجبن منها. ويقولن: إن لها شأنًا عظيمًا، قال: فكنت أسمع أتانِي تنطق، وتقول: إنّ لي شأنًا ثم شأنًا، بعثني الله بعد موتي وردّ لي سمّني بعد هزلي، ويحكّن يا نساء بني سعد، إنكن لفي غفلة، وهل تدرين منّ على ظهري خير النبيّين، وسيّد المرسلين، وأفضل الأولين والآخرين، وحبيب ربّ العالمين. قالت حلّيمة - فيما ذكره ابن إسحق وغيره -: ثم قدّمنا منازل بني سعد، ولا أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدّمنا به شباعاً لبناً<sup>(١)</sup>، فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرُعِيائهم: اسرحوا حيث يسرح غنم بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جوعاً ما تبضّ بقطرة لبن، وتروح أغنامي شباعاً لبناً، فلله دَرّها من بركة كُثرت بها مواشي حلّيمة ونمّت وارتفع قدرها وسُمّنت، ولم تزل حلّيمة تتعرّف الخير والسعادة، وتفوز منه بالحسنى والزيادة: شعر

لقد بلغت بالهاشمي حلّيمةً      مقاماً علا في ذروة العزّ والمجد

وزادت مواشيها وأخصب ربّعها      وقد عمّ هذا السعد كل بني سعد

وفي كتاب الترقيص لأبي عبد الله محمد بن المعلّى الأزديّ أن من شعر

حلّيمة مما كانت ترقّص به النبيّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: شعر

يا ربّ إذ أعطيته فأبقه      وأعله إلى العلا وأرقه

وَأَدْخَضْ أَباطيل العدى بحقه      وزدت<sup>(٢)</sup> أنا بحقه بحقه بحقه

(١) ذوات اللبن: غزيره. ١٢.

(٢) من كلام المؤلف رحمة الله تعالى عليه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وأخرج البيهقي والخطيب وابن عساكر في تاريخهما عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله دعاني للدخول في دينك أمانةً لنبوتك، رأيتك في المهد تناغي القمر، وتُشير إليه بأصبعك، فحيث أشرت إليه مال، قال: «إني كنت أحدثه ويحدثني ويُلهمني عن البكاء، وأسمعُ جبهته يسجد تحت العرش». في فتح الباري عن سيرة الواقدي: أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تكلم في أوائل ما وُلد، وذكر ابن سبع في الخصائص: أنَّ مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة. وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: كانت حليلة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: «الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرةً وأصيلاً»، فلما ترعرع<sup>(١)</sup> كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم الحديث. وقد روى ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت حليلة لا تدعه يذهب مكاناً بعيداً، فغفلت عنه فخرج معه أخته الشَّيماء في الظهيرة إلى البُهم، فخرجت حليلة تطلبه حتى تجده مع أخته، فقالت: في هذا الحر، فقالت أخته: يا أمه، ما وجد أخي حرّاً، رأيت غمامة تظلّ عليه إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت، حتى انتهى إلى هذا الموضع... الحديث. قالت حليلة: فلما فصلته - أي فطمته - قدّمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه عندنا لما نرى من برّكته، فكلّمنا أمه، وقلنا: لو تركته عندنا حتى يغلظ، فإننا نخشى عليه وباء مكة، ولم نزل به حتى ردّته معنا، فرجعنا به؟ فوالله إنه لبعد مقدّمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتدّ، فقال: ذاك أخي القرشي قد جاء رجلاًن عليهما ثياب بيض فأضجعهما وشقّا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشدّ نحوه فنجداه قائماً منتقعاً لونه فاعتنقه أبوه، وقال: يا بُني، ما شأنك؟ قال: «جاءني رجلاًن عليهما ثياب بيض فأضجعا بني فشقّا بطني، ثم استخرجا مني شيئاً فطرحاه، ثم ردّاه كما كان» فرجعنا به معنا، فقال أبوه: يا حليلة، لقد خشيتُ أن يكون ابني أصيب، فانطلقني فردّيه إلي أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف، قالت حليلة: فاحتملناه حتى قدّمنا به إلى أمه، فقالت: ما ردّكما به، فقد كنتما حريصين عليه؟

(١) تحرّك وشأ. ١٢ مه عم فيضهم.

قلنا: نخشى الإتلاف والأحداث، قالت: ما ذاك بكما، فاصدقاني بشأنكما، فلم تدعنا حتى أخبرنا خبره، قالت: أخشيتهما عليه الشيطان؟ فلا والله ما للشيطان عليه سبيل، وإنه لكائن لأبني هذا شأن، فدعا عنكما هذا وقد وقع شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبرائيل له بالوحي في غار حراء، ومرة أخرى ليلة الإسراء، ولما بلغ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أربع سنين، وقيل: خمس، وقيل: ست، وقيل: سبع، وقيل: تسع، وقيل: اثنتي عشرة سنة وشهرا وعشرة أيام ماتت أمه بالأبواء، وهو موضع بين مكة والمدينة، وقيل: بشعب أبي رب بالحجون. وفي القاموس: ودار رائعة<sup>(١)</sup> بمكة فيه مدفن آمنة أم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقد أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن الزهري وعن عاصم بن عمرو بن قتادة دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا: لما بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم، ومعه أم أيمن، فنزلت به دار النابعة، فأقامت به عندهم شهرا، فكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يذكر أمورا كانت في مقامه ذلك، ونظر إلى الدار، فقال: «ههنا نزلت بي أمي»، وأحسنت القوم في بئر بني عدي بن النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إلي، قالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول: هو نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته، فوعيت ذلك كله من كلامهم، ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانت بالأبواء توفيت. وقد جزم الحافظ جلال الدين السيوطي بأن أبويه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ناجيان، والجمهور على خلافه، وقد بيئته في رسالة مستقلة. وقد كانت أم أيمن دايته وحاضنته بعد موت أمه، وكان عليه السلام يقول لها: «أنت أمي بعد أمي».

ومات جدّه عبد المطلب كافله، وله ثمان سنين، وقيل: تسع، وقيل: عشر، وقيل: ست، ولجده عشر ومائة سنة، وقيل: مائة وأربعون سنة، وكفله أبو طالب واسمه عبد مناف، وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله. ولما

(١) ضبطه الصاغانى بالعين المهملة، وفي التبصير للحافظ: رائعة بالغين المعجمة امرأة تُنسب إليها دار بمكة يقال لها: دار رائعة، قيده مؤتمن الساجي هكذا، فتبّه لذلك. ١٢ تاح العروس.

بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اثني عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بصرى، فرآه بحيرا الراهب، واسمه جرجيس، فعرفه بصفته، فقال وهو آخذٌ بيده: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه رحمة للعالمين، فقبل له: وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم به من العقبة فلم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجدًا، ولا يسجد إلا لنبي. وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، وإننا نجده في كتبنا. وسأل أبا طالب أن يرده، خوفًا عليه من اليهود... الحديث. رواه ابن أبي شيبة، وفيه: أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، أقبل. وعليه غمامة تظله، والله در القائل: شعر [من الكامل]

إن قال يومًا ظلته غمامة هي في الحقيقة تحت ظل القائل

وأخرج ابن مندة بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه صحب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو ابن ثمان عشرة، والنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشام في تجارة حتى نزلا منزلًا فيه سدر، فقع في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء، فقال له: من الرجل الذي في ظل الشجرة؟ فقال: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: هذا والله نبي ما استظل تحتها بعد عيسى عليه السلام إلا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ووقع في قلب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، فلما بعث النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أتبعه.

قال الحافظ العسقلاني في الإصابة: إن صحت هذه القصة، فهي سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب، ثم خرج صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومعه ميسرة غلام خديجة ابنة خويلد بن أسد في تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، فنزل تحت شجرة، فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت ظل هذه الشجرة إلا نبي. وفي رواية: بعد عيسى. وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظللانه من الشمس، ولما رجعا إلى مكة في ساعة الظهر، وخديجة في علية لها، فرأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو على بعيره، وملكان يظللان عليه، رواه أبو نعيم.

وتزوّج صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً، وقيل: كان سنّه إحدى وعشرين سنة، وقيل: ثلاثين، وكانت تُدعى في الجاهلية بالطاهرة، وكانت تحت أبي هالة بن زُرارة التميمي، فولدت له هنداً وهالة، وهما ذكران، ثم تزوّجها عتيق بن عائذ المخزومي، فولدت له هنداً، وكان لها حين تزويجها بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم من العمر أربعون سنة، وكانت عرضت نفسها عليه، فذكر ذلك لأعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها، فتزوّجها صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم، وأصدقها عشرين بَكْرة<sup>(١)</sup>، وحضر أبو بكر ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب، فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وذرع إسماعيل، وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا خضنة بيته، وسوّاس حرمه، وجعل لنا محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا الحُكّام على الناس، ثم إنّ ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلّا رجح به، فإن كان في المال قلّ، فإن المال ظلّ زائل، وأمرٌ حائل، ومحمّد قد عرفتم مراتبه. وقد خطب خديجة، وبذل لها من الصّدّاق<sup>(٢)</sup> ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جزيل، فزوّجها.

ولما بلغ صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم خمساً وثلاثين سنة، خافت قريش أن تنهدم الكعبة من السيول، فأمرُوا بأقْوه<sup>(٣)</sup> مولى سعيد بن العاص، بأن يبنّي الكعبة المعظّمة، وحضر ﷺ، وكان ينقل معهم الحجارة، وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم، ويحملون الحجارة، ففعل ذلك ﷺ، فلبط به - أي سقط - من قيام - كما في القاموس - ونُودي: عورتك، فكان ذلك أوّل ما نُودي، فقال له أبو طالب أو العباس: يا ابن أخي، اجعل إزارك على رأسك، فقال: «ما أصابني ما أصابني إلّا من التعرّي».

ولما بلغ صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم أربعين سنة، قيل: وأربعين يوماً، وقيل: عشرة أيام، وقيل: وشهرين، يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان،

(١) فنية من الإبل. ١٢.

(٢) ككتّاب وسحاب مهر المرأة. ١٢ قاموس.

(٣) الرومي الجار صنع منبره الشريف. ١٢ قاموس.

وقيل: لسبع. وقيل: لأربع وعشرين ليلة. وقال ابن عبد البر: يوم الاثنين لثمان من ربيع الأول. سنة إحدى وأربعين من الفيل بعثه الله رحمة للعالمين ورسولاً إلى كافة الثقلين أجمعين. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن قتادة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] قال: جعله الله من أنفسكم فلا تحسدوه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة. عزيز عليه ما عنت مؤمنهم حريص عليكم حريص على ضالكم أن يهديه الله. وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] قال: شديد عليه ما شق عليكم، حريص عليكم أن يؤمن كفاركم.

والحاصل أنه ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] أي شاق عليه وصعب لديه عنتكم وتعبدكم. ولذا رفع ببركته الخطأ والنسيان والإكراه عنكم. ووضع عنكم الآصار والأغلال التي كانت على الأمم الماضية. حيث أتى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالجملة الحنيفة السّمحاء. والطريقة المرضية النوراء. ويحتمل أن يكون قوله: عزيز. منفصل عما قبله متصل بما سبق له. فهو صفة لرسول. أي هو عزيز الوجود. وكامل الجود. وبديع الجمال. وعديم المثال. أو عزيز مكرّم لدينا فأعزّوه وأكرموه ونصروه وعظموه ويؤيده القراءة الشاذة بالزائين في قوله تعالى: «لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزُّوه». أو معناه غائب على جميع المرسلين، لكونه خاتم النبيين أو لكون دينه غائباً على جميع الأديان، شاملاً لكل زمان ومكان. أو هو منتقم بأعدائه. كما هو رحيم بأحبابه. عزيز عليه ما عنته أي ضرر عليه ضرركم. وشاق عليه محنكم. لكونه رحمة للعالمين. ورأفة للمؤمنين. حريص عليكم أي على الخصوص رؤوف رحيم. في عنة من الرأفة والشفقة. ونهاية من اللطف والرحمة. وقد أخرج ابن حاتم عن عكرمة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «جاء جبريل فقل لي: يا محمد، إن ربك يُقرئك السلام. وهذا ملك الجبال. قد أرسله إليك. وأمره أن لا يفعل شيئاً إلا بأمرك. إن شئت هدمت عليهم الجبال. وإن شئت رميتهم بالحصء. وإن شئت خسفت بهم الأرض؟ قال: يا ملك الجبال. فإني آن بهم لعنة أن يخرج منهم ذرية يقولون: لا اله إلا الله. فقال ملك الجبال: أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم».

وأخرج ابن مردويه عن أبي صالح الحنفي قال: قال عبد الله: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ، وَلَا يَضَعُ رَحْمَتَهُ إِلَّا عَلَى رَحِيمٍ»، قلنا: يا رسول الله، كلنا نرحم أموالنا وأولادنا، قال: «ليس بذلك، ولكن كما قال الله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]؛ ففي الحديث إشارة إلى أن الرِّحمة ينبغي أن تكون عامَّة وخاصَّة، كما قال في الحديث الصحيح: «لَا يُوْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ». وفي الصحيح أيضًا: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ». ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] أي أعرضوا، يعني الكفار عن الإيمان بك أو جميع الخلق عنك وعن متابعتك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] أي كافي في جميع أموري. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: الآية ٣١] أي ليس رب سواه، فلا أعبد إلا إياه، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] أي اعتمدت وإليه استندت، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] بالجر على أنه صفة العرش، وقرئ بالرفع على صفة أنه الرب، أي الهيكل الجسيم المحيط بجميع المخلوقات.

وقد ورد أن الأرضين السبع في جنب السماء الدنيا كحلقة في فلاة، وكذا كل سماء بالنسبة إلى أخرى، ثم جميع الأرضين والسموات العلى بجنب الكرسي كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة، ومع هذا روي في الحديث القدسي: «لَا يَسْعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، وَلَكِنْ يَسْعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ». وأخرج أبو داود عن أبي الدرداء موقوفًا وابن السني عنه مرفوعًا: «مَنْ قَالَ حِينَ يَصْبَحُ وَحِينَ يُمْسِي: حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». وأخرج ابن أبي شيبة وغير واحد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: الآية ١٢٩]. وفي رواية قال أبي: هذا آخر ما نزل من القرآن، فحتم الأمر بما فتح به.

وهو لا إله إلا هو، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥].

فلنختم بما ختم الله تعالى به نزول كلامه المبين على خاتم النبيين، رجاء أن يختم لنا بالخاتمة الحسنى، وأن يبلغنا المقام الأسنى، فضلاً من الله وتوفيقاً، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وحديثاً وقديماً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، وزاده تكريماً وتشريقاً ومهابةً وتعظيمًا، آمين، يا أرحم الراحمين، انتهت عبارة رسالة العلامة علي القاري عليه رحمة الله الباري بحروفها.

قوله: (شديد عليه شاق) من عزّ عليه بمعنى صعب. قوله: ﴿عَنْتُمْ﴾ إشارة إلى أن ما مصدرية، والمصدر فاعل عزيز، والعنت - بالتحريك - ما يكره ويشقّ. وقيل: عزيز صفة رسول، وعليه ما عنتم ابتداء كلام، أي يهّمه ويشقّ عليه عنكم. اهـ شهاب رحمته. قوله: (على إيمانكم) قدر المضاف لأن الحرص لا يتعلق بذواتهم. قوله: (ناصبوك) ناصبه مناصبة قاومه وعاداه. قوله: (معرتهم) المعرة الأمر المكروه والأذى مفعلة من العزّ، أي الحرب. قوله: (وُفِرء بالرفع) قارئه ابن محيصة صفة لربّ، وقد رُويت هذه القراءة عن ابن كثير رحمه الله. قوله: (أبي) بن كعب السيّد القاريّ الأنصاري الخزرجي النجاري - بالنون - شهد أبي رضي الله تعالى عنه العقبة الثانية في السبعين من الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، رُوِي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وأربعة وستون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة. توفي أبي رضي الله تعالى عنه بالمدينة، ودُفِن بها قبل سنة ثلاثين في خلافة عثمان. قال أبو نعيم الأصبهاني: وهذا هو الصحيح. قوله: (آخر آية نزلت) مراده بالآية الجنس، وإلا فالمذكور آيتان، وهذا القول مرجوح، والراجح أن آخر آية نزلت: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُنْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٨١] كما تقدّم هناك. وعبرة الخازن وأبي السعود: رُوِي عن أبي بن كعب أنه قال: هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]



إلى آخر السورة آخر القرآن نزولاً، انتهت. اهـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الحقية. وأيضاً فيها في تفسير سورة البقرة، قوله: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا﴾ [الآية ٤٨] في الآية وعيد شديد. قال ابن عباس ؓ: وهذه آخر آية نزل بها جبريل، وقال للنبي ﷺ: «ضعها في رأس المائتين والثمانين من سورة البقرة»، وعاش رسول الله ﷺ بعدها إحدى وعشرين يوماً، وقيل: إحدى وثمانين، وقيل: سبعة أيام، وقيل: ثلاث ساعات. اهـ بيضاوي. وقوله: في رأس المائتين والثمانين، تقدّم أن السورة مائتان وست وثمانون آية، فتكون هذه الحادية والثمانين وآية الدين الثانية والثمانين. وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٣] الثالثة والثمانين. وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى ﴿فَذِيرُ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٤] الرابعة والثمانين. وقوله: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ إلى ﴿الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٥] الخامسة والثمانين. وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦] إلى آخر السورة السادسة والثمانين، انتهت. وأيضاً فيها في آخر سورة النساء، قوله عن البراء - أي ابن عازب رضي الله تعالى عنهما -: أنها - أي آية ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: الآية ١٧٦] . . . الخ - آخر آية نزلت من الفرائض<sup>(١)</sup>، أي من آيات الفرائض. وفي البخاري مع القسطلاني عليه ما نصّه: رُوي عن البراء بن عازب أنّه قال: آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: الآية ١٧٦]. ورُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: آخر آية نزلت الرّبا، وآخر سورة نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [التّصر: الآية ١]. ورُوي أنّه ﷺ بعدما نزلت سورة النصر عاش عامّاً، ونزلت بعدها براءة، وهي آخر سورة نزلت كاملة، فعاش ﷺ بعدها ستة أشهر، ثم نزلت في طريق حجة الوداع: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: الآية ١٧٦] فسُميت آية الصّيف؛ لأنها نزلت في الصّيف، ثم نزلت وهو واقف بعرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٢٣]، فعاش بعدها إحدى وثمانين يوماً، ثم نزلت آية الرّبا، ثم نزلت: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾

(١) فلا يعارض ما رواه البخاري عن ابن عباس: آخر آية أنزلت آية الرّبا. اهـ كمالين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

[البقرة: الآية ٢٨١]، فعاش بعدها إحدى وعشرين يومًا، انتهت والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتم.

تمّ ما علّقناه على سورة التوبة بالمسجد الحرام تحت ميزاب الرحمة على يد المؤلف الفقير إلى الباري سبحانه، المرتجي كرمه وإحسانه وامتنانه، محمد عبد الحق ابن الشيخ شاه محمد بن يار محمد عاملهم الله بفضله العميم ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ولا تضرب به وجوهنا يا إله العالمين، وبأخير الناصرين، اللهم يسّر لنا الإتمام، ببركة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

تمّ الجزء الأول من الحاشية المسمّاة بالإكلیل،

على مدارك التنزيل، وحقائق التأويل.

للعامة مولانا عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين

أبي البركات النسفي الحنفي تغمّده الله برحمته ورضوانه وأسكنه أعلى جنانه.

ويليه الجزء الثاني أوّله سورة يونس

## (سورة يونس) ﷺ

(مائة وتسع آيات مكية وكذا ما بعدها إلى سورة النور)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّيَّانُ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

﴿الرَّ﴾ ونحوه أمال: حمزة وعلي وأبو عمرو، وهو تعديد للحروف على

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة يونس) مكية (وكذا ما بعدها إلى سورة النور)، وهي (مائة وتسع آيات) وألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة، وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفاً. اهـ خازن. وفي تفسير الخطيب: وحروفها سبعة آلاف وحمسمائة وسبعة وستون حرفاً، وهي أول المثبتين إن جعلنا براءة مع الأنفال من الطوال، وإلا فبراءة أولاهن. اهـ.

قوله: ﴿الرَّ﴾ ونحوه أمال حمزة وعلي وأبو عمرو) أي قرأ بكسر الراء على الإمالة المحضة حمزة وعلي الكسائي وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر. وقرأ بفتح الراء والألف عده ابن كثير وقالبون وحفص. وقرأ ورش بين الفتح والكسر، واختلف الفراء في الحروف المقطعة التي في أوائل السور إذا كان آخرها ألفاً مقصورة، وهي ر وض وهـ ويا وحا، هل تقرأ بالإمالة أو بالتخفيف؟ فأمال را من جميع سورها إمالة محضة الكوفيون، إلا حفص وأبو عمرو وابن عامر. وأمّال الإخوان وأبو بكر طاً من جميع سورهم نحو ﴿طس﴾ [نمل: الآية ١]، و﴿طس﴾ [الشعر: الآية ١]، و﴿طه﴾ [طه: الآية ١]، وأمّال أبو بكر وحمزة والكسائي ب من ﴿يس﴾ [يس: الآية ١]، و﴿يس﴾ [يس: الآية ١]، و﴿كهيعص﴾ [كهيعص: الآية ١]،

(طريق التحدي) ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة ﴿الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة لا شتماله عليها، (أو المحكم) عن الكذب (والاقتراف).

﴿أَكَاذِبٌ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

والهمزة في ﴿أَكَاذِبٌ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ (لإنكار التعجب والتعجيب منه) ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ اسم «كان» و﴿عَجَبًا﴾ خبره، واللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لـ ﴿عَجَبًا﴾ فلما تقدم صار حالاً ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ (أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ) بأن أنذر أو هي مفسرة إذ الإيحاء فيه معنى القول ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾

ووافقهم ابن عامر في إمالة ﴿كَهَيِّضَ﴾ [مریم: الآية ١] دون ﴿يَسَّ﴾ [يس: الآية ١]، وأمال حمزة والكسائي وأبو عمرو وورش وأبو بكر «ها» من ﴿طه﴾ [طه: الآية ١]، وكذلك أمالها من ﴿كَهَيِّضَ﴾ [مریم: الآية ١] أبو عمرو والكسائي، وأبو بكر وابن ذكوان، وأمال أبو عمرو وورش وحمزة والكسائي وأبو بكر وابن ذكوان «حا» من جميع آل «حم» السبع، إلا أن أبا عمرو وورشاً يميلان بين بين، والباقيين يميلون إمالة محضة، وقرأ ابن كثير وقالون وحفص وهشام ﴿حم﴾ بفتح الحاء في جميع سورها، وكلها ألفات صحيحة على أن الأصل في هذه الكلمات ترك الإمالة؛ لأن ألفاتها ليست منقلبة عن الياء، ومن أمالها فقد قصد بإمالتها على أنها أسماء لا حروف؛ لأنها أسماء للحروف المخصوصة وليست بحروف. قوله: على (طريق التحدي) أي طلب المعارضة. قوله: ﴿تَلَكِّمِ﴾ ذي الحكمة على أنه للنسبة كلابن وتامر. قوله: (أو المحكم) على أن يكون الحكيم فعيل بمعنى مفعول. قوله: (والاقتراف) وفي نسخة صحيحة: والاختلاف.

قوله: (لإنكار التعجب) أي لإنكار تعجب الكفار، أي من الإيحاء، كما سيذكره. قوله: (والتعجيب منه) أي نتعجب السامعين من تعجيبهم لوقوعه في غير محله. قوله: ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ ف أن مصدرية أو مفسرة، وقد جَوَزَ كونها مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشأن، والقول من الخبر والمعنى أن الشأن قولنا:

بأن لهم. (ومعنى اللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ أنهم جعلوه لهم أعجوبة) يتعجبون منه، والذي تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلاً (من أفناء رجالهم) دون عظيم من عظمائهم، فقد كانوا يقولون: العجب أن الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا (يتيم أبي طالب)، وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان، وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرًا مثلهم، وإرسال اليتيم أو الفقير ليس بعجب أيضًا، لأن الله تعالى إنما يختار للنبوّة من جمع أسبابها، والغنى والتقدم في الدنيا ليس من أسبابها. والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبًا. إنما العجب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ﴿قَدَّمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (أي سابقة) وفضلًا ومنزلة رفيعة. ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدمًا كما سميت النعمة يدًا لأنها تعطى باليد. (وباعًا) لأن صاحبها يبيع بها، ف قيل: «لفلان قدم في الخير» (وإضافتها إلى ﴿صِدْقٍ﴾ دلالة على زيادة فضل) وأنه من السوابق العظيمة، (أو مقام صدق) أو سبق السعادة ﴿قَالَ

أنذر الناس. قوله: (ومعنى اللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ أنهم جعلوه لهم أعجوبة) بضم أنذر الناس. الهمزة وسكون العين مثل أحدىثة: ما يتعجب منه، يعني أن اللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ نلبيان كما في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يونس: الآية ٢٣]، أي هذا الخطاب لك وليس متعلقًا بقوله: عجبًا على طريق المفعولية، كما في قولك: عجبت لسعي زيد في حاجتي؛ لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه. قوله: (من أفناء رجالهم) أي ممن لا يعرف بجاه ومال ورياسة ونحو ذلك مما يعدونه من أسباب العزّ والجلال، وليس المراد أنه <sup>مستبعد</sup> ليس من مشاهيرهم نسبًا؛ لأن شرف نسبه عندهم أظهر من الشمس. وأفناء - بفتح الهمزة وسكون الفاء والنون والمد - جمع فنى بوزن فتى، أو جمع فناء بوزن قباء، وهو ناحية من الناس. الجوهري: فناء الدار ما امتدّ من جوانبها، ويقال: هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو. قوله: (يتيم أبي طالب) لأنه كان معه في صغره. قوله: (أي سابقة)... الخ. والسابقة هنا مصدر بوزن فاعلة بمعنى السبق والسبق كالتقدم بمعنى فضلهم على غيرهم لما خصّوا به من سائر الأمم. قوله: (وباعًا) في المصباح: الباع، قال أبو حاتم: هو مذكر، يقال: هذا باع وهو مسافة ما بين الكفين إذا بسطنهما يمينًا وشمالًا. وباع الرجل الحبل يبوّعه بوّع إذا قاسه بالباع، والجمع أبواع. اهـ. قوله: (وإضافتها إلى ﴿صِدْقٍ﴾ دلالة على

الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٣﴾ إِنَّ هَذَا الْكِتَابُ ﴿لَسِحْرٌ﴾ مدني وبصري وشامي. ومن قرأ ﴿لَسِحْرٌ﴾ فهذه إشارة إلى رسول الله ﷺ وهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين في تسميته سحرًا.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (أي استولى، فقد يقدر الديان عن المكان) والمعبود عن المحدود ﴿يُدِيرُ﴾ يقضي ويقدر على مقتضى الحكمة ﴿الْأَمْرَ﴾ أي أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات

زيادة فضل)، فوجهه أن الإضافة لدالاتها على الاختصاص الكامل أفادت أن الصدق كأنه مالك تلك السابقة التي القدم عبارة عنها؛ فدلّت الإضافة على زيادة تعلق السابقة بالصدق وزيادة التعلق بالصدق زيادة فضل السابقة. قوله: (أو مقام صدق) كمقعد صدق بإطلاق الحال وإرادة المحل. قوله: ﴿لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ مدني وبصري وشامي. ومن قرأ ﴿لَسِحْرٌ﴾... الخ. في الإنحاف: قرأ ﴿لَسِحْرٌ﴾ بالألف وكسر الحاء ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بغير ألف مع سكون الحاء. اهـ. وفي تفسير الخطيب قرأ نافع<sup>(١)</sup> وأبو عمرو<sup>(٢)</sup>، وابن عامر بكسر السين (شامي) وسكون الحاء على أن الإشارة للقرآن المشتمل على ذلك. والباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء على أن الإشارة للنبي ﷺ. اهـ. وقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: الآية ٧٦] المراد به الحاصل بالمصدر، وهم كاذبون في ذلك عند أنفسهم أيضًا، وبهذا الاعتبار يكون دليل عجزهم؛ لأن التعجب أولاً ثم التكلّم بما هو معلوم الانتفاء قطعاً حتى عند نفس المعارض من دأب العاجز المفحم.

قوله: (أي استولى فقد تقدّس الديان عن المكان). في لسان العرب: الديان الله عز وجل والقهار، وقيل: الحاكم والقاضي وهو فعال من دان الناس، أي قهرهم على الطاعة دنّهم فدّأوا، أي قهرتهم فأطاعوا. اهـ.

والأرض والعرش. ولما ذكر ما يدل على عظمته ومملكه من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش، أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور عن قضائه وتقديره، وكذلك قوله: ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ دليل على عزته وكبريائه ﴿ذَلِكُمْ﴾ العظيم الموصوف بما وصف به ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ وهو الذي يستحق العبادة ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من إنسان أو ملك فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تدبرون فستدلون بوجوب المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ حال أي لا ترجعون في العقابة إلا إليه فاستعدوا للقاءه. والمرجع الرجوع أو مكان الرجوع ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي

في حاشية العلامة شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي رحمه الله (قالوا: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ لا يمكن أن يكون معناه أنه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والأرضين، بدليل أنه تعالى قال في آية أخرى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] يدل على أن وجود العرش سابق على تخليق السموات والأرض، ولا يتوهم أيضاً من استوائه على العرش كونه معتمداً عليه مستقراً فوقه، بحيث لولا العرش لسقط ولنزل؛ لأن ذلك مستحيل في حقه تعالى لاتفاق المسلمين على أنه تعالى هو الممسك للعرش والحافظ، وأنه لا يحتاج إلى شيء مما سواه، بل المراد من الاستواء على العرش - والله أعلم - الاستيلاء عليه ونفاذ التصرف، وخص العرش بالاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

وقوله تعالى: ﴿يَذِيرُ الْأُمَمَ﴾ من استوى أو مستأنف لا محل له. اهـ بحروفيه.

الحكمة بإبداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم ﴿بِالْقِسْطِ﴾) بالعدل وهو متعلق بـ «يجزي» أي ليجزيهم (بقسطه ويوفيههم أجورهم، أو بقسطهم) أي بما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا إذ الشرك ظلم ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]، وهذا أوجه لمقابلة قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

(ولوجه كلامي) ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ الياء فيه منقلبة عن واو «ضواء» لكسرة ما قبلها، وقبلها (قُنْبُلٌ) همزة لأنها للحركة أجمل ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس ﴿وَقَدَرَهُ﴾ وقدر القمر (أي وقدر مسيره) ﴿مَنَازِلَ﴾ (أو وقدره ذا منازل) كقوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يسر: الآية ٩٣] ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ﴾ أي عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور

قوله: (بقسطه ويوفيههم أجورهم أو بقسطهم) ... الخ. يعني أن الألف واللام عوض عن الضمير المضاف إليه، وهو إما ضمير الله أو ضمير المؤمنين. قوله: ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ وهو ماء حار قد انتهى حره.

قوله: (ولوجه كلامي) في تأويلات الإمام أبي منصور رحمة الله عليه قوله تعالى: ﴿لِيَحَرَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ قيل: بالعدل، ولكن في هذا التأويل نظر؛ لأن جزاء العبادة يكون إفضالاً وإحساناً لا استحقاقاً واستيجاباً، وما كان بطريق العدل فهو مستحق لا محالة. وأما جزاء الكفر بطريق العدل، وكذا جزاء العصيان، لكن جزاء المعصية يحتمل العفو والمغفرة بلا توبة، بخلاف جزاء الكفر على ما يُعرف، والله الموفق. انتهى. قوله: ﴿قُنْبُلٌ﴾ هو يروي عن ابن كثير المكي، وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة المكي المخزومي، ويكنى أبا عمرو، يلقب قنبلًا، ويقال: هم أهل بيت بمكة يُعرفون بالقنابلة، وتوفي بمكة بعد سنة ثمانين ومائتين رحمته الله. قوله: ﴿(أي وقدر مسيره)﴾ يشير إلى أن هنا مضافاً مضمراً، وهو اسم مكان ومنازل مفعول ثان على تضمين التقدير معنى التصيير. قوله: ﴿(أو وقدره ذا منازل)﴾ فيكون منازل أيضاً



﴿وَالْحَسَابُ﴾ وحساب الآجال والمواعيت المقدرة بالسنين والشهور ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلَّا﴾ ملتبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ مكّي وبصري وحفص، وبالنون غيرهم ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فينتفعون بالتأمل فيها.

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾  
 ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ في مجيء كل واحد منهما خلف الآخر، أو في اختلاف لونهما ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الخلاق ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ خضهم بالذكر لأنهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر إلى النظر ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ (لا يتوقعونه) أصلاً ولا يخطرונה ببالهم لغفلتهم عن التفتن للحقائق، أو لا يؤملون حسن لقائنا كما يؤمله السعداء، أو لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ وسكنوا فيها سكون من (لا يزعج) عنها فبنوا شديداً وأملوا بعيداً ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ لا يتفكرون فيها، ولا وقف عليه لأن خبر «إن» ﴿أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ﴾ ف ﴿أُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ و ﴿مَا لَهُمْ النَّارُ﴾ مبتدأ

مفعولاً ثانياً، لكن بتقدير مضاف في المنازل، فلا يقدر مضاف حينئذ في المفعول الأول، أعني مسيراً، وقيل: أصله قدر له منازل، فهو مفعول به. قوله: ﴿إِلَّا﴾ ملتبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني أن الباء للملابسة وهو حال. قوله: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ مكّي أي ابن كثير المكي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، ويعقوب بن إسحق الحضرمي البصري، وليس من السبعة. (وحفص) بن سليمان بن المغيرة الأسدي البزاز الكوفي بياء الغيب جرياً على اسم الله تعالى، (وبالنون غيرهم) التفاتاً من الغيبة إلى التكلّم للتعظيم.

قوله: (لا يتوقعونه).. الخ. قالوا: الرجاء يُطلق بمعنى توقع الخير، وهو الأصل كالأمل. ويُطلق على الخوف وتوقع الشر، ويُطلق على مطلق التوقع، وهو في الأول حقيقة وفي الآخرين مجاز. قوله: (لا يزعج) أي يحرك.

ثَانٍ وَ﴿النَّارُ﴾ خبره والجملة خبر ﴿أُولَئِكَ﴾ والباء في ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يتعلق بمحذوف دلّ عليه الكلام وهو جوزوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدي إلى الثواب ولذا جعل ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ بياناً له وتفسيراً، إذ التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها، أو يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة، (ومنه الحديث «إن المؤمن إذا خرج من قبره) صَوَّرَ له عمله في صورة حسنة فيقول له: أنا عمك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة، والكافر إذا خرج من قبره صَوَّرَ له عمله في صورة سيئة فيقول له: أنا عمك فينطلق به حتى يدخله النار» وهذا دليل على أن الإيمان المجرد منج حيث قال: ﴿بِإِيمَانِهِمْ﴾ ولم يضم إليه العمل الصالح ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ متعلق بـ ﴿تَجْرَى﴾ أو حال من ﴿الْأَنْهَارُ﴾.

قوله: (ومنه الحديث إن المؤمن إذا خرج من قبره)... الخ. كذا في تفسير الخطيب. وفي الدرّ المنثور أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ قال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «المؤمن إذا خرج من قبره صَوَّرَ له عمله في صورة حسنة وريح طيبة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك خير امرء صدق، فيقول له: أنا عمك، فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة. وأمّا الكافر، فإذا خرج من قبره صَوَّرَ له عمله في صورة سيئة وريح مُنتنة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك عين امرئ سوء، فيقول: أنا عمك، فينطلق به حتى يدخله النار». أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾، قال: يمثل لهم في صورة حسنة وريح طيبة يعارضُ صاحبه ويشره بكل خير، فيقول: مَنْ أنت؟ فيقول: أنا عمك الصالح، فيجعل له نوراً من بين يديه حتى يدخله الجنة، والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح مُنتنة، فيلازم صاحبه حتى يقذفه في النار، انتهى بحروفيه.

﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْنُ فِيهَا سَلَمٌ وَعَاجِرٌ دَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠)

﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ (أي دعاؤهم) لأن ﴿اللَّهُمَّ﴾ نداء لله ومعناه (اللهم إنا نسبحك) أي يدعون الله بقولهم: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ تلذذاً بذكره لا عبادة ﴿وَنَحْنُ فِيهَا سَلَمٌ﴾ أي يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، أو هي تحية الملائكة إياهم، وأضيف المصدر إلى المفعول، أو تحية الله لهم ﴿وَعَاجِرٌ دَعَوْنَهُمْ﴾ وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ﴿أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، وأصله أنه الحمد لله رب العالمين، (والضمير للشأن). قيل: أول كلامهم التسبيح وآخره التحميد فيبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١١)

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير، فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم، والمراد أهل مكة وقولهم: ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْكَ حِجَاباً مِنْ السَّحَابِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٢] أي ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه ﴿لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ لأميتوا وأهلكوا

قوله: (أي دعاؤهم) يعني أن الدعوى بمعنى الدعاء، ويدل عليه: اللَّهُمَّ، فإنه نداء في معنى: يا الله، دعا يدعو دعاء ودعوى، كما يقال: شكا يشكو شكاية وشكوى، و﴿سُبْحَانَكَ﴾ هو المنادى له، وهو مصدر بمعنى التسبيح معمول لفعل لا يجوز إظهاره، وأشار إليه المصنف بقوله: (اللَّهُمَّ إنا نسبحك)، فلما حذف الفعل أضيف المصدر إلى مفعوله.

قوله: (والضمير للشأن) والجملة بعدها في محل الرفع على أنها خبر لها، وأن مع اسمها وخبرها في محل الرفع خبر للمبتدأ الأول، وهو قوله تعالى: ﴿وَعَاجِرٌ دَعَوْنَهُمْ﴾.

﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ شامي على البناء للفاعل وهو الله ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ شركهم وضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون، ووجه اتصاله بما قبله أن قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ﴾ متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل: ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فتمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزامًا للحجة عليهم.

﴿وَإِذَا مَرَّ الْإِنْسَانُ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْيِهِمْ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿وَإِذَا مَرَّ الْإِنْسَانُ﴾ أصابه والمراد به الكافر ﴿الضُّرُّ دَعَانَا﴾ أي دعا الله لإزالته ﴿لِجَنْيِهِمْ﴾ في موضع الحال بدليل عطف الحاليين أي ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ عليه أي دعانا مضطجعًا. وفائدة ذكر هذه الأحوال أن معناه أن المضرور لا يزال داعيًا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر. فهو يدعونا في حالاته كلها سواء كان مضطجعًا عاجزًا عن (النهوض)، أو قاعدًا لا يقدر على القيام، أو قائمًا لا يطيق المشي ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾ أزلنا ما به ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ أي مضى على طريقته الأولى قبل مَرَّ الضر ونسي حال الجهد، أو مَرَّ عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به، والأصل «كأنه لم يدعنا» فخفف وحذف ضمير الشأن ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التزيين ﴿زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ للمجاوزين الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الإعراض عن الذكر واتباع الكفر.

قوله: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ شامي أي ابن عامر الشامي (على البناء للفاعل، وهو الله عز وجل) في تفسير النيسابوري ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ﴾ مبنيًا للفاعل ﴿أجلهم﴾ بالنصب ابن عامر ويعقوب. الآخرون مبنيًا للمفعول ورفع ﴿أجلهم﴾. اهـ.

قوله: (النهوض) القيام.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أشركوا وهو ظرف لـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾ والواو في ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ إن بقوا ولم يهلكوا لأن الله علم منهم أنهم يصرون على كفرهم، وهو عطف على ﴿ظَلَمُوا﴾ أو اعتراض، واللام لتأكيد النفي يعني أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم للرسل، وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الخطاب للذين بعث إليهم محمد أي استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكناها ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي لننظر أتعلمون خيراً أو شراً فنعاملكم على حسب عملكم. و﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب بـ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ لا بـ «ننظر»، لأن معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله، والمعنى أنتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون، أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم؟ قال ﷺ: «الدنيا حلوة خضرة» وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَنْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا يَكُونُ لَكَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسٍ إِنْ أَنْتَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْنَا إِنْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ حال ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لما غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد لأهل الطغيان ﴿أَتَنْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ ليس فيه ما يغضنا من ذلك تنبعك ﴿أَوْ بَدَّلَهُ﴾ بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها، فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله:

قوله: (الدنيا حلوة خضرة) أي روضة خضراء مستحلاة الطعم.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي﴾ ما يحل لي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي﴾ من قبل نفسي ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ لا أتبع إلا وحي الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل، لأن الذي أتيت به من عند الله لا من عندي فأبدله ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بالتبديل من عند نفسي ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي يوم القيامة. وأما الإتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الإنسان، وقد ظهر لهم العجز عنه إلا أنهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا. ولا يحتمل أن يريدوا بقوله: ﴿آتَيْتُ بِشَرِّهِ إِنْ عَصَيْتُ هَذَا أَوْ بَدَّلْتُ﴾ من جهة الوحي لقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وغرضهم (في هذا الاقتراح) الكيد، أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنت قادر على مثله فأبدل مكانه آخر، وأما اقتراح التبديل (فلاختبار الحال)، وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله فينجوا منه، أو لا يهلكه فيسخرها منه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافتراءه على الله.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦)

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾ يعني أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإظهاره أمراً عجيباً خارجاً عن العادات، وهو أن يخرج رجل أُمي لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتاباً فصيحاً يغلب كل كلام فصيح ويعلو على كل منشور ومنظوم، (مشحوناً) بعلوم الأصول والفروع والإخبار عن الغيوب التي لا يعلمها إلا الله ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ ولا أعلمكم الله بالقرآن على لساني ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ من قبل نزول القرآن أي فقد أقمت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحوه ولا قدرت عليه، ولا كنت موصوفاً بعلم وبيان فتتهموني باختراعه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعلموا أنه ليس إلا من عند الله لا من مثلي، وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم: ﴿آتَيْتُ بِشَرِّهِ إِنْ عَصَيْتُ هَذَا﴾ من إضافة الافتراء إليه.

قوله: (في هذا الاقتراح) في مختار الصحاح: اقترح عليه شيئاً سأله إياه من غير روية. اهـ. قوله: (فلاختبار الحال) يقال: خبره واختبره إذا بلاه، أي امتحنه. اهـ اخترى.

قوله: (مشحوناً) أي مملوءاً.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧)  
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ  
أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ إِمَّا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٨﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في أنه ذو شريك وذو ولد، وأن يكون (تفادياً) مما (أضافوه) إليه من الافتراء ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بالقرآن، فيه بيان أن الكاذب على الله والمكذب بآياته في الكفر سواء ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ ﴿إِنْ تَرَكُوا عِبَادَتَهَا﴾ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴿إِنْ عَبْدوها﴾ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ أَي الْأَصْنَامِ ﴿شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي في أمر الدنيا ومعيشتها لأنهم كانوا لا يقرّون بالبعث ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: الآية ٣٨] أو يوم القيامة إن يكن بعث ونشور ﴿قُلْ أَنْتُمْ تُؤْتُونَ اللَّهَ إِمَّا لَا يَعْلَمُ﴾ تخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله. وإذا لم يكن معلوماً له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيئاً. وقوله: ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو معدوم ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزه ذاته عن أن يكون له شريك. (وبالتاء: حمزة وعلي)، وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين يشركونهم به، أو عن إشراكهم.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٩)

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم، وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل، أو بعد الطوفان

قوله: (تفادياً) تفاعل من الفداء وأريد به تخلصاً مجازاً؛ إذ التفادي إعطاء الفداء مستلزم للتخلص. قوله: (أضافوه) أي نسبوه. قوله: (وبالتاء) على الخطاب؛ لقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ تُؤْتُونَ اللَّهَ﴾ (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بالياء على الغيبة، فكأنه قيل للنبي ﷺ: قل أنت: سبحانه وتعالى عما يشركون، ويجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى هو الذي نزه نفسه عما قالوه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. اهـ خطيب.

حين (لم يذر) الله من الكافرين (ديارًا) ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ فصاروا (مللاً) ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ عاجلاً ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته لحكمة، وهي أن هذه الدار دار تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ فقل إنما الغيب لله فانتظروا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ﴾ إذا لهم مكراً في آياتنا ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا نَكُرُّونَ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ أي آية من الآيات التي اقترحوها ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن إنزال الآيات المقترحة لا غير ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ نزول ما اقترحتموه ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ أَهْلَ مَكَّةَ رَحْمَةً﴾ (خصبًا) وسعة ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ﴾ يعني القحط والجوع ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ أي مكروا بآياتنا بدفعها وإنكارها. روي أنه تعالى سلط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم (بالحيا)، فلما رحمهم

قوله: (لم يذر) أي لم يدع. قوله: (ديارًا) أي نازل دار، والمعنى أحدًا. قوله: (مللاً) في المصباح: الملة - بالكسر - الدين، والجمع ملل مثل سدره وسدر. اهـ.

قوله: (خصبًا) في المصباح: الخصب وزان جنل الثماء والبركة، وهو خلاف الجذب. اهـ. وفي مختار الصحاح: الخصب - بالكسر - ضد الجذب، ويقال: بلد خصب وأخصب أيضًا، وصفوه بالجمع كأنهم جعلوا الواحد أجزاء وله نظائر. اهـ.

قوله: (بالحيا) في مختار الصحاح: الحَيَى - مقصور - المطر والخضب. اهـ. وفي لسان العرب: وقد جاء الحيا الذي هو المطر والخضب ممدودًا. انتهى. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: الحيا بالمد والقصر المطر، والمراد به هنا الخصب. انتهت. قوله:



(طفقوا) يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ﷺ ويكيدونه ف ﴿إِذَا﴾ الأولى للشرط، والثانية جوابها وهي للمفاجأة وهو كقوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: الآية ٣٦] أي وإن تصيبهم سيئة قنطوا، وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا. والمكر إخفاء الكيد وطيه (من الجارية الممكورة المطوية الخلق)، ومعنى مستهم خالطتهم حتى (أحسوا) بسوء أثرها فيهم. وإنما قال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ ولم يصفهم بسرعة المكر لأن كلمة المفاجأة دلّت على ذلك كأنه قال: وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مسّ الضراء ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ (يعني الحفظة) ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ إعلام بأن ما تظنونه خافيًا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم. (وبالياء: سهل).

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَحَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالأرجل والدواب والفلك الجارية في البحار، أو يخلق فيكم السير ﴿يُنشركم﴾ (شامي)

(طفقوا) في مختار الصحاح: طَفِقَ يفعل كذا، أي جعل يفعل كذا، وبابه طرب. اهـ. قوله: (من الجارية الممكورة المطوية الخلق) الممكورة المفتولة الخلق غير مسترخية الأعضاء. قوله: (أحسوا) أي أدركوا. قوله: (يعني الحفظة) الكرام الكاتبين، والحفظة جمع حافظ. قوله: (وبالياء: سهل) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري، وليس من السبعة. وعبارة تفسير النيسابوري: يمكرون بياء الغيبة سهل وروح. والباقون بالتاء الفوقية، انتهت. وروح يروي عن يعقوب إسحق الحضرمي البصري، كما يروي عنه زيد ورؤيس ويعقوب ليس من السبعة.

قوله: ﴿يُنشركم﴾ بفتح الياء وسكون النون وضَمّ الشين المعجمة من النشر، وهو التفريق والبسط الذي هو ضدّ الطي، (شامي) أي ابن عامر الشامي. وقرأ الباقر: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ [يونس: الآية ٢٢] بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة من التسيير، والتضعيف للتعدية، يقال: سار الرجل وسيرته أنا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ (أي السفن) ﴿وَجَرَيْنَ﴾ أي السفن ﴿يَمِمْ﴾ بمن فيها رجوع من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة ﴿يَرْيَحُ طَبَقًا﴾ لينة الهبوب لا عاصفة ولا ضعيفة ﴿وَفَرَحُوا بِهَا﴾ بتلك الرياح للينها واستقامتها ﴿جَاءَتْهَا﴾ أي الفلك أو الرياح الطيبة أي تلقتها ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ (ذات عصف أي شديدة الهبوب) ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ﴾ هو ما علا على الماء ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من البحر أو من جميع أمكنة الموج ﴿وَقَالُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أهلكوا جعل إحاطة العدو بالحي مثالاً في الإهلاك ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذٍ معه غيره يقولون ﴿لَئِنْ أَجَبْتَنَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ أَوْ مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك، (ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتيسير في البحر) ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ بما في حيزها كأنه

قوله: (أي السفن) نَبَهَ به على أن الفلك جَمْعٌ<sup>(١)</sup> هناك، كما يدلّ عليه: ﴿وَجَرَيْنَ يَمِمْ﴾ [يونس: الآية ٢٢]، وأما في قوله تعالى: ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: الآية ١١٩]، فمفرد والفرق بين مفردٍ وجمعه اعتباري، فحركته إذا كان جمعاً كحركة بدن جمع بدنة، وإذا كان مفرد كحركة قفل. قوله: (ذات عصف) أي العاصف صيغة نسبة ليس بجارٍ على الفعل، بل هو اسم صيغ لذي الشيء. ألا يرى أنه لا يقال: عصف، كما لا يقال: تمر ولبن في تامر ولابن، ولذلك قيل: الفرق بينه وبين اسم الفاعل أنه لا يؤنث إذا كان بمعنى ذي كذا، ومن هذا لا يجيء عاصفة بالتأنيث، مع أن الرياح مؤنثة لا تذكر بدون تأويل. قوله: (أي شديدة الهبوب) لازم معناه: إذ العصف، وهو الكسر أو النبات المتكسر؛ لأنّ الرِّيحَ الشديدة تفعل به. قوله: ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من البحر أو من جميع أمكنة الموج) تخصيص له؛ لأنه ليس على ظاهره. قوله: (ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتيسير في البحر)... الخ. فإن قيل: كيف جعل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ يَمِمْ يَرْيَحُ طَبَقًا﴾ غاية لقوله: ﴿يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، وغاية الشيء تكون بعده، والحال أن السير في البحر بعد الكون في الفلك؟ قلنا: أجاب المصنّف رحمه الله بأنّ الغاية ليس مجرد الكون في الفلك، بل الغاية هي الكون في

(١) أي جمع مكسر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

قيل: يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان (كُتِبَ وَكُتِبَتْ) من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن بالهلاك والدعاء بالإنجاء، (وجواب: ﴿إِذَا﴾ ﴿جَاءَتْهَا﴾ و﴿دَعَوْا﴾ بدل من ﴿وَطَنُوا﴾) لأن دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به.

﴿فَلَمَّا أَجْنَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْبِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٣)

﴿فَلَمَّا أَجْنَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يفسدون فيها ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ باطلاً (أي مبطلين) ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْبِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي ظلمكم يرجع إليكم كقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: الآية ٤٦] ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حفص) أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا «وعلى أنفسكم» خبر لـ «بغيبكم». غيره بالرفع على أنه خبر ﴿بَغْيِكُمْ﴾ و﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ صلته كقوله: ﴿فَعَنَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: الآية ٧٦] ومعناه إنما بغيبكم على أمثالكم، أو هو خبر و﴿مَتَاعَ﴾ خبر بعد خبر، أو ﴿مَتَاعَ﴾ خبر مبتدأ مضمرة أي هو متاع الحياة الدنيا، وفي الحديث «(أسرع الخير ثواباً صلة الرحم، وأعجل الشر عقاباً البغي واليمين الفاجرة)» ورؤي «ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي (وعقوق الوالدين)».

الفلك مع ما عطف عليه من قوله: ﴿وَجَرَيْنَ بَيْنَ بَرِيحٍ طَبِئَةٍ وَفَرْحُوا بِهَا﴾، فإن هذا المجموع بعد السير في البحر. قوله: (كُتِبَ وَكُتِبَتْ) وإن شئت كسرت التاء، وهي كناية عن الأمر، نحو كذا وكذا. اهـ لسان العرب باختصار. قوله: (وجواب: ﴿إِذَا﴾ ﴿جَاءَتْهَا﴾) عبارة تفسير الكشف: فإن قلت: ما جواب إذا؟ قلت: ﴿جَاءَتْهَا﴾، انتهت. قوله: (و﴿دَعَوْا﴾ بدل من ﴿وَطَنُوا﴾) بدل اشتمال.

قوله: (أي مبطلين) إشارة إلى أن بغير الحق حال من ضمير ييغون. قوله: ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حفص) بنصب العين على أنه مصدر مؤكد. قوله: «(أسرع الخير ثواباً) أي أعجل أنواع الطاعة جزاء من الله سبحانه وتعالى، (صلة الرحم) أي الأقارب، (وأعجل الشر) أي الفساد والظلم (عقاباً البغي واليمين الفاجرة) أي الكاذبة. قوله: (وعقوق الوالدين)» يقال: عَقَّ الولد أباه عقوقاً من باب قعد إذا عصاه وترك الإحسان إليه، فهو عاقٌّ، والجمع عققة. اهـ مصباح.

(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «لو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما»). وعن محمد بن كعب: ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي والنكث والمكر). قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: الآية ٢٣]. ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: الآية ٤٣]. ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: الآية ١٠]. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فنخبركم به ونجازيكم عليه.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ الْأَنْسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا أُنْزِلَتْ أَتْرُهَا لَيْلًا أَوْ هَرَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِرِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

قوله: (وعن ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم النبي ﷺ، وُلِدَ قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمي البحر والحبر لسبعة علمه، مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المُكثرين من الصحابة وأحد العبادة من فقهاء الصحابة (رضي الله تعالى عنهما: «لو بغى جبل على جبل») أي تعدى عليه («للك الباغي منهما») أي انهدم واضمحل، رواه البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس، ورواه ابن لال عن أبي هريرة. وفي الدر المنثور أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما». أخرج ابن مردويه من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مثله، انتهى بحروفه.

قوله: (وعن محمد بن كعب) القرظي المدني ثم الكوفي، قال ابن عون: ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي. وقال ابن سعد: كان ثقة ورعا كثير الحديث، وكذا وثقه أبو زرعة والعجلي، مات سنة تسع عشرة ومائة، وقيل: سنة عشرين. قوله: (ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي) أي مجاوزة الحد في الاعتداء، (والنكث) بمثلثة: نقض العهد (والمكر) أي الخداع. قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط، ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر. قوله: ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ نقض البيعة، ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ﴾ يرجع وبال نقضه ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من السحاب ﴿فَلَاخِلَاطٌ بِهِ﴾  
 بالماء ﴿تَبَاتُ الْأَرْضُ﴾ (أي فاشتبك بسببه) حتى خالط بعضه بعضاً ﴿مِمَّا يَأْكُلُ  
 النَّاسُ﴾ يعني الحبوب والثمار والبقول ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ يعني الحشيش ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ  
 الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ زينتها بالنبات واختلاف ألوانه ﴿وَأَزْيَقَتْ﴾ وتزينت به وهو أصله  
 (وَأُدْغِمْتَ التَّاء فِي الزَّاي) وهو كلام فصيح. جعلت الأرض آخذة زخرفها على  
 التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكستتها وتزينت بغيرها من  
 ألوان الزين ﴿وَوَطَّرَتْ أَهْلَهَا﴾ أهل الأرض ﴿أَنَّهُمْ قَدْ زُرُوا عَلَيْهَا﴾ متمكنون من  
 منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها ﴿أَتْلَاهَا أَمْرًا﴾ عذابنا وهو ضرب زرعها  
 ببعض (العاهات) بعد أمنهم واستيفائهم أنه قد سلم ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾  
 فجعلناها زرعاً ﴿حَصِيدًا﴾ (شبيهاً) بما يحصد من الزرع في قطعه واستصاله ﴿كَأَن  
 لَّمْ نَعْنُ﴾ كأن لم يغن زرعها أي (لم يلبث). حذف المضاف في هذه المواضع  
 لا بد منه ليستقيم المعنى ﴿بِالْأَمْسِ﴾ هو مقل في الوقت القريب كأنه قيل: ﴿كَأَن لَّمْ  
 نَعْنُ﴾ (آنفاً) ﴿كَذَلِكَ نَقْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ فينتفعون بضرب الأمثال،  
 (وهذا من التشبيه المركب) شبهت حال الدنيا في سرعة (تقضيها) وانقراض نعيمها

قوله: (أي فاشتبك بسببه)... الخ. أي بسبب الماء كثر النبات حتى التفت  
 بعضه بعضاً. قوله: (وَأُدْغِمْتَ التَّاء فِي الزَّاي) أي بعد تسكينها وبعد الإدغام  
 اجتلبت همزة الوصل توصلًا للنطق بالساكن ثم حُذِفَتْ همزة الوصل لما دخل  
 العاطف. قوله: (العاهات) في المصباح: العاهة الآفة، وهي في تقدير فعلة بفتح  
 العين، والجمع عاهات. اهـ. قوله: (شبيهاً) أي الكلام على التشبيه البليغ. قوله:  
 (لم يلبث) باللام والباء الموحدة والياء المثلثة، أي لم يمكث ويقم وهو تفسير له؛  
 لأن غنى بالمكان معناه أقام وسكن وعاش، ومنه المغني للمنزل. في مختار  
 الصحاح: لَبِثَ أَي مَكَثَ وَبَابُهُ فَهَمَ وَلَبِثًا أَيْضًا - بالفتح - فهو لَابِثٌ، وَلَبِثَ أَيْضًا  
 - بكسر الباء - اهـ. قوله: (آنفاً) يقال: مَرَّ آنفًا أَي قَرِيبًا أَوْ هَذِهِ السَّاعَةِ. قوله:  
 (وهذا من التشبيه المركب) حيث شَبَّهَتْ الْهَيْئَةُ الْمُتَنَزِّعَةُ مِنْ إِجْمَاعِ الْحَيَاةِ وَنَهَائِهَا  
 وَسُرْعَةِ انْقِضَائِهَا بِالْهَيْئَةِ الْمُتَنَزِّعَةِ مِنْ اجْتِمَاعِ خُسْرَةِ الْأَرْضِ وَنِضَارَتِهَا وَانْعِدَامِهَا  
 عَقِيْبَهَا دَفْعَةً بَآفَةً سَمَاوِيَّةً وَمَشِيئَةً إِلَهِيَّةً. قوله: (تقضيها) في مختار الصحاح:  
 انقضى الشيء وتقضى بمعنى انتهى.

بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه (حطامًا) بعدما التفّ وتكاثف وزين الأرض بخضرته (ورفيفه) وحكمة التشبيه، التنبيه على أن الحياة (صفوها شبيبتها وكدرها شبيتها) كما أن صفو الماء في أعلى الإناء قال:

ألم تر أن العمر كأس (سلافة) فأوله صفو وآخره كدر

وحقيقته تزيين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين، فالطينة الطيبة تنبت بساتين الأنس، ورياحين الروح، وزهرة الزهد، و(كروم) الكرم، وحبوب الحب، و(حدائق الحقيقة، وشقائق الطريقة)، والخبيثة

قوله: (حطامًا) فتاتًا<sup>(١)</sup>، قوله: (ورفيفه) في لسان العرب: الرفيف والوريف لغتان، يقال للنبات الذي يهتز خضرةً وتألؤًا قد رف يرف رفيفًا. اهـ. قوله: (صفوها) في المصباح: صفو الشيء بالفتح خالصه، والصفوة بالهاء والكسر مثله، وحكي التثليث. اهـ. قوله: (شبيبتها) في لسان العرب: الشباب الفتاة والجدثة شب يثب شابًا وشبيبة. اهـ.

قوله: (وكدرها) في مختار الصحاح: الكدر ضد الصفو. اهـ. قوله: (شبيتها) في لسان العرب: الشيب معروف قليله وكثيره بياض الشعر والمشيب مثله، وربما سمي الشعر نفسه شيبًا شاب يشيب شيبًا ومشيبًا وشيبة. اهـ. قوله: (سلافة) في لسان العرب: السلافة من الخمر أطيبها وأفضلها. اهـ. وأيضًا فيه سلاف الخمر وسلافتها أول ما يُعصر منها، وقيل: هو ما سال من غير عَصْر، وقيل: هو أول ما ينزل منها، وقيل: السلافة أول كل شيء عصر. اهـ. قوله: (كروم) الكرم وزان فلس العنب. اهـ. مصباح. وفي لسان العرب: الكرم شجرة العنب واحدها كرمة، وقيل: الكرمة الطاقة الواحدة من الكرم وجمعها كُروم. اهـ باختصار.

قوله: (حدائق الحقيقة) الحدائق البساتين والشجر الملتف، والحقيقة مشاهدة الربوبية، أي رؤيته إيّاها بقلبه، أي دوام النظر إلى الله سبحانه وتعالى. قوله: (وشقائق الطريقة) الشقائق الزهر الأحمر المعروف، والطريقة سلوك طريق الشريعة،

(١) الفتات التفت أي التكرس. ١٢ منه عم فيضهم.

تخرج (خلاف الخلف، وثمام الإثم)، وشوك الشوك، (وشيح الشح، وحطب العطب، ولعاع اللعب)، ثم يدعو معاده كما يحين للحرب حصاده فتزايله الحياة مغترًا كما (يهيج) النبات مصفرًا فتغيب جثة في (الرّمس) كأن لم تغن بالأمس إلى أن يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث، وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره، ولا بد من ترك ما زاد كما لا بد من أخذ الزاد، وأخذ المال لا يخلو من زلة، كما أن خائض الماء لا ينجو من (بلّة)، وجمعه وإمساكه تلف صاحبه، وإهلاكه فما دون النصاب (كضحضاح) ماء يجاوز بلا احتماء، والنصاب كنهر حائل بين المجتاز. والجواز إلى المفاز لا يمكن إلا بقنطرة وهي الزكاة، وعمارتها بذل (الصلات)، فمتى اختلت القنطرة غرقت أمواج (القناطير المقتطرة)، وعن هذا قال عليه السلام: («الزكاة قنطرة الإسلام») وكذا المال يساعد (الأوغاد) دون

أي العمل بمقتضاها. قوله: (خلاف الخلف) الخلاف وزان كتاب شجر الصفصاف الواحدة خلافة، ونصوا على تخفيف اللام، وزاد الصغاني وتشديدها من لحن العوام. اهـ مصباح. وأيضًا فيه: الصفصاف بالفتح الخلاف بلغة الشام، قاله الأزهرى. اهـ. قوله: (وثمام الإثم) الثّمام وزان غراب نبت يسدّ به خصاص البيوت، الواحدة ثمامة. اهـ مصباح. قوله: (وشيح الشح) في مختار الصحاح: الشّح نبت. اهـ. وأيضًا فيه: الشّح البخل مع حرص. اهـ.

قوله: (وحطب العطب) العطب الهلاك. اهـ مختار الصحاح. قوله: (لُعاع اللعب) في لسان العرب: اللّعاع أول الثّبت، وقيل: هو بقل ناعم في أول ما يبدو ورقيق ثم يغلظ، واحده لعاعة. اهـ باختصار. قوله: (يهيج) ييبس. قوله: (الرّمس) التراب. قوله: (بلّة) في مختار الصحاح: البلّة - بالكسر - النّداوة. اهـ. قوله: (كضحضاح) ماء في لسان العرب: ماء ضحضاح أي قريب القعر. اهـ.

قوله: (الصلات) الصدقات. قوله: (القناطير) الأموال الكثيرة (المقتطرة) المجتمعة. قوله: (الزكاة قنطرة الإسلام) أي جسره الذي يُعبر منه إليه، فيتأوّه طريق إلى التمكن في الدّين لِمَا فيها من إظهار عزّ الإسلام بكسر أنفه من أبي واستكبر عن المواساة، رواه الطبراني والبيهقي في الشعب، وابن عدي عن أبي الدرداء. قال ابن حجر بإسناد ضعيف لضعف الضحاك بن حمزة. قوله: (الأوغاد)

(الأمجاد) كما أن الماء يجتمع في (الوهاد) دون (النجاد)، وكذلك المال لا يجتمع إلا بكد البخيل كما أن الماء لا يجتمع إلا بسد المسيل، ثم يفنى ويتلف ولا يبقى كالماء في الكف.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ هي الجنة أضافها إلى اسمه تعظيمًا لها، أو السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه. وقيل: لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم ﴿لَا قِبَلَ سَلَامٍ﴾ [الواقعة: الآية ٢٦] ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (ويوفق من يشاء) ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى الإسلام أو طريق السنة، فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة، والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية، والمعنى يدعو العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون.

في لسان العرب: الوَغْد الخفيف الخفيف الأحمق الضعيف العقل الرَّذْل الدَّيْنِي، وقيل: الضعيف في بدنه، وقد وَغَدَ وَغَادَةً، ويقال: فلان من أوغاد القوم ومن وُغْدَانِ القوم ووَغْدَانِ القوم، أي من أذلَّاهم وضعفائهم. اهـ. قوله: (الأمجاد) أي الأشراف الكرام. قوله: (الوهاد) في لسان العرب: الوَهْد والوَهْدَةُ المَطْمَئِنُّ من الأرض والمكان المنخفض كأنه حُفْرَةٌ، والوَهْد يكون اسمًا للحُفْرَةِ، والجمع أوْهَد وَوْهَد وِوَهَادُ. قوله: (النجاد) جمع نَجْد والنَّجْد من الأرض قفافها وصلابتها وما غَلِظَ منها وأشرف وارتفع واستوى.

قوله: ﴿لَا قِبَلَ سَلَامٍ﴾ في تفسير الجلالين: ﴿لَا يَسْعَوْنَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَنُؤَا﴾ فاحشًا من الكلام ﴿وَلَا نُنِيبُ﴾ ما يُؤْتَمُّ ﴿لَا﴾ لكن ﴿قِبَلًا﴾ قولًا ﴿سَلَامًا﴾ بدل من قِبَلًا، فإنهم يسمعون. اهـ. قوله: (ويوفق من يشاء) أشار إلى أن المراد بالهداية خلق الاهتداء، فيقتضي الوصول إلى المطلوب. وأمَّا الهداية بمعنى الدلالة على ما يُوصل إلى البغية، أو بمعنى تركيب العقل وإفاضة القوى، وبمعنى نصب الدلائل، وبمعنى إرسال الرُّسل وإنزال الكتب، فلا يناسب هنا لعدم مقابلته بالدعوة.



﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتًى وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٦)

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ آمنوا بالله ورسوله ﴿لِمُتًى﴾ (المثوبة الحسنی) وهي الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ رؤية الرب ﷻ كذا (عن أبي بكر وحذيفة وابن عباس وأبي موسى الأشعري وعبادة بن الصامت) ، وفي بعض التفاسير أجمع المفسرون على أن الزيادة النظر إلى الله تعالى. (وعن صهيب) أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ - قال: - فيرفع الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتًى وَزِيَادَةٌ﴾ والعجب من صاحب الكشاف أنه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال: إنه (حديث) مدفوع مع أنه (مرفوع) قد أورده صاحب المصابيح في الصحاح.

قوله: (المثوبة الحسنی) توجيه لتأنيث الحسنی. قوله: (عن أبي بكر) بن أبي قحافة الصديق أول الرجال إسلاماً ورفيق سيد المرسلين في هجرته، شهد المشاهد وكان من أفضل الصحابة، توفي سنة ثلاث عشرة من ثلاث وستين سنة. قوله: (وحذيفة) بن اليمان، صحابي جليل من السابقين، أعلمه رسول الله ﷺ بما كان وما يكون إلى يوم القيامة من الفتن والحوادث، مات سنة ست وثلاثين.

قوله: (وابن عباس) هو عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. قوله: (وأبي موسى الأشعري) صحابي مشهور. قوله: (عبادة بن الصامت) الأنصاري الخزرجي أحد الثقباء بدري مشهور، وكان ممن جمع القرآن على عهد النبي ﷺ. قوله: (وعن صهيب) بن سنان الرومي صحابي مشهور، شهد بدرًا. قوله: (حديث مرفوع) كذا في بعض النسخ، وفي بعض النسخ: حديث مدفوع، والصحيح (حديث مرفوع) بالقاف، أي مفترى. قال العلامة التفتازاني رحمه الله: مرفوع بالقاف من رقع الثوب أي مخترع من ههنا وههنا، وهذا لقصوره في باب الحديث، وإلا فهو حديث مرفوع إلى حضرة الرسالة بإسناد مسلم وأحمد بن حنبل والترمذي وغيرهم من أئمة الحديث. وفي حاشية البيضاوي

وقيل: الزيادة المحبة في قلوب العباد. وقيل: الزيادة مغفرة من الله ورضوان ﴿وَلَا يَرَهُمْ وَجُوهُهُمْ﴾ ولا يغشى وجوههم ﴿فَقَرَّ﴾ غبرة فيها سواد ﴿وَلَا ذَلَّةٌ﴾ ولا أثر (هوان)، والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَنْتَلِهَا وَتَرَهَّقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنْ أَلِيلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧)

عطف على ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ أي وللذين كسبوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ فنون الشرك ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَنْتَلِهَا﴾ الباء زائدة كقول: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلَهَا﴾ [الشورى: الآية ٤٠] أو التقدير جزاء سيئة مقدر بمثلها ﴿وَتَرَهَّقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ ذل وهوان ﴿مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عقابه ﴿مِنْ عَاصِرٍ﴾ أي لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه ﴿كَانَمَا أَغْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنْ أَلِيلٍ مُظْلِمًا﴾ أي جعل عليها غطاء من سواد الليل أي هم سود الوجوه. و﴿قِطْعًا﴾ جمع قطعة وهو مفعول ثانٍ لـ ﴿أَغْشَيْتَ﴾ ﴿قِطْعًا﴾ مكني وعلي من قوله: ﴿قِطْعٍ مِنْ أَلِيلٍ﴾ [هود: الآية ٨١] وعلى هذه القراءة ﴿مُظْلِمًا﴾ صفة لقطع، وعلى الأول حال من ﴿أَلِيلٍ﴾ والعامل فيه ﴿أَغْشَيْتَ﴾ لأن ﴿مِنْ أَلِيلٍ﴾ صفة لـ ﴿قِطْعًا﴾ فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة، (أو معنى الفعل في ﴿مِنْ أَلِيلٍ﴾) ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

للعلمة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب وقوله: إنه حديث مرقوع بالقاف، أي مفترى، ولا ينبغي أن يصدر من مثله، فإنه حديث متفق على صحته، فحرف وأساء الأدب. اهـ بحروفها. قوله: (هوان) في لسان العرب: الهَوَانُ نقیض العِزِّ. اهـ.

قوله: ﴿قِطْعًا﴾ بإسكان الطاء (مكي) أي ابن كثير المكي، (وعلي) الكسائي، والباقون بفتحها جمع قطعة. قوله: (أو معنى الفعل في ﴿مِنْ أَلِيلٍ﴾) أي متعلقه المقدر، مثل كائنة، أي قطعاً كائنة من الليل في حال كونه مظلمًا.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَلَلْنَا بَيْنَهُمُ الْقُلُوبَ وَبَيْنَهُمُ الْقُلُوبَ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي الكفار وغيرهم ﴿جَمِيعًا﴾ حال ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ (أي الزموا مكانكم) لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿أَنْتُمْ﴾ أكد به الضمير في ﴿مَكَانَكُمْ﴾ لسده مسد قوله الزموا ﴿وَشُرَكَائُكُمْ﴾ عطف عليه ﴿فَزَلَلْنَا﴾ ففرقنا ﴿بَيْنَهُمُ﴾ وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ﴾ من عبدوه من دون الله من أولي العقل أو الأصنام ينطقها الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ﴾ ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ﴾ ﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ﴾ حيث أمروكم أن تتخذوا لله (أندادًا) فاطعموهم وهو قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِهَةً﴾ [سبأ: الآيات ٤٠، ٤١].

﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي كفى الله شهيدًا وهو تمييز ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ﴾ ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية

قوله: (أي الزموا مكانكم) أي مكانكم منصوب بإضمار الزموا. قوله: (أندادًا) شركاء في العبادة. قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾... الخ. في تفسير الجلالين: واذكر ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ المشركين ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: الآية ٤١]، ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾ [سبأ: الآية ٤١] تنزيهاً لك عن الشريك ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبأ: الآية ٤١] أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا، ﴿بَلْ﴾ [سبأ: الآية ٨] للانتقال للانتقال ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِهَةً﴾ [سبأ: الآية ٤١] الشياطين، أي يُطيعونهم في عبادتهم إيانا، وقوله: وإبدال الأولى ياء هذا سبق قلم من الشارح؛ إذ لم يقرأ بهذه القراءة أحد، فالذي في كلامه قراءتان تحقيقهما، وإسقاط الأولى وبقي ثالثة، وهي تسهيل الأولى مع تحقيق الثانية وعكسه، وإبدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الأولى؛ فالقراءات خمسة وكلها سبعة. اهـ شيخنا. اهـ جمل.

قوله: ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة أي أنا.

﴿هَٰذَاكَ﴾ في ذلك المكان أو في ذلك الوقت (على استعارة اسم المكان للزمان) ﴿تَلَوْا كُلَّ نَفْسٍ﴾ تختبر وتذوق ﴿مَّا أَسْلَفْتُمْ﴾ من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن. أنافع أم ضار، أمقبول أم مردود، وقال (الزجاج): تعلم كل نفس ما قدمت. («تتلوا» حمزة وعلي)، أي تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو النار، أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر. كذا عن (الأخفش) ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ﴾ ربهم الصادق في ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة، أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحداً ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (وضع عنهم) ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله، أو بطل عنهم ما كانوا (يختلقون) من الكذب وشفاعة الآلهة.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ مَنْ يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويًا عليه من الفطرة

قوله: (على استعارة اسم المكان للزمان)، كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَاكَ أَبْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: الآية ١١]، أي في ذلك الوقت. قوله: (الزجاج) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، توفي سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى. قوله: («تتلوا») بتاءين منقطتين من فوق، (حمزة وعلي) الكسائي. وقرأ الباكون: ﴿تبلوا﴾ من البلاء، وهو الاختبار.

قوله: (الأخفش) الأخفش ثلاثة: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه، وهو الأخفش الأكبر. والثاني أبو الحسن سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه، وهو الأخفش الأوسط. والثالث أبو الحسن علي بن سليمان تلميذ المبرّد، وهو الأخفش الأصغر؛ وحيث يُطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور، فإن أريد الأكبر أو الأصغر قيّدوه. مات - أي المشهور - في السنة العاشرة بعد المائتين، وقيل بعدها. قوله: (وضع عنهم) وضع ضمن معنى غاب، ولذا عدّى بعن. قوله: (يختلقون) يفترون.

العجيبة، أو مَنْ يَحْمِيهِمَا مِنَ الْآفَاتِ مَعَ كَثَرَتِهَا فِي (المدد الطوال) وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أي الحيوان (والفرخ) والزرع، والمؤمن والعالم من النطفة، والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها ﴿وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ وَمَنْ يَلِي تَدْبِيرَ أَمْرِ الْعَالَمِ كُلِّهِ جَاءَ بِالْعَمُومِ بَعْدَ الْخُصُوصِ ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ فسيجيئونك عند سؤالك إن القادر على هذه هو الله ﴿فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ﴾ الشرك في العبودية إذا اعترفتم بالربوبية.

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَآذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (٣٢) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ﴾ أي من هذه قدرته هو الله ﴿رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الثابت ربوبيته ثابتاً لا ريب فيه لمن حقق النظر ﴿فَمَآذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ أي لا واسطة بين الحق والضلال. فمن تخطى الحق وقع في الضلال ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الحق ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ (كلمات شامي ومدني)، أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال. أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ تَمَرَدُوا فِي كُفْرِهِمْ وَخَرَجُوا إِلَى الْحَدِّ الْأَقْصَى فِيهِ ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من «الكلمة» أي حق عليهم انتفاء الإيمان، أو حق عليهم كلمة الله أن إيمانهم غير كائن، أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب أنهم لا يؤمنون تعليل أي لأنهم لا يؤمنون.

قوله: (المدد) في المصباح: المدة البرهة من الزمان تقع على القليل والكثير، والجمع مُدَدٌ مثل غرفة وغُرف. اهـ. قوله: (الطوال) بكسر الطاء جمع طويل ككريم وكرام. وأما بالضم، فالرجل الطويل. قوله: (والفرخ) في المصباح: الفرخ من كل بائض كالولد من الإنسان. اهـ.

قوله: (كلمات) بالألف بعد الميم على الجمع، (شامي) أي ابن عامر الشامي. (ومدني) أي نافع وأبو جعفر، وليس من السبعة. وقرأ الباقون بغير الألف بعد الميم على الأفراد.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنْتُمْ تُوَفَّكُونَ﴾ ﴿٣٤﴾

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ إنما ذكر ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ وهم غير مقرّين بالإعادة لأنه لظهور برهانها جعل أمراً مسلماً على أن فيهم من يقرّ بالإعادة، أو يحتمل إعادة غير البشر كيعادة الليل والنهار وإعادة الإنزال والنبات ﴿قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ أمر نبيّه بأن ينوب عنهم في الجواب يعني أنهم لا تدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلّم عنهم ﴿فَأَنْتُمْ تُوَفَّكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن قصد السبيل.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَلَكُمُ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ يرشد إليه ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ﴾ يقال: هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين ويقال: هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال: شرى بمعنى اشتري، (ومنه قراءة حمزة وعلي ﴿أَمْ لَا يَهْدِي﴾) بمعنى يهتدي ﴿﴿لا يهذي﴾﴾ بفتح الياء والهاء (وتشديد الدال: مكّي وشامي وورش، وبإشمام الهاء فتحة): أبو

قوله: (ومنه قراءة حمزة وعلي: ﴿أَمْ لَا يَهْدِي﴾) بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال. قوله: (لا يهذي) بفتح الياء والهاء، أي بفتحتين (وتشديد الدال: مكّي) أي ابن كثير المكّي، (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وورش) عن نافع المدني، وهو عثمان بن سعيد المصري، ويكنى أبا سعيد، وورش لقب لُقّب به فيما يقال لشدة بياضه، وتوفي بمصر سبع وتسعين ومائة.

قوله: (وبإشمام الهاء فتحة) أبو عمرو، وروى المغاربة قاطبة وكثير من العراقيين عنه اختلاس فتحة الهاء، وعبر عنه بالإخفاء وبالإشمام وبالإشارة وبتضعيف الصوت، وهو عسير في النطق جداً، وهو الذي لم يقرأ الداني على شيوخه بسواه، ولم يأخذ إلا به. وروى أكثر العراقيين إتمام فتحة الهاء، كابن كثير ومن معه.

عمرو، (وبكسر الهاء وفتح الياء: عاصم غير يحيى)، والأصل ﴿يَهْدَى﴾ وهي قراءة عبد الله فأدغمت التاء في الدال وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين، وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال: يحيى لاتباع ما بعدها، (وبسكون الهاء وتشديد الدال مدني غير ورش)، والمعنى أن الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصبها لهم، وبما وفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بإرسال الرسل، فهل من شركائكم - الذين جعلتم أندادا لله - أحد يهدي إلى الحق مثل هداية الله؟ ثم قال: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ﴾ بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله. وقيل: معناه أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يهدي إلا أن ينقل، أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيًا ناطقًا فيهديه ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بالباطل حيث ترعمون أنهم أنداد الله.

﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)

﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في قولهم للأصنام إنها آلهة وإنها شفعاء عند الله (والمراد بالأكثر الجميع) ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ بغير دليل وهو اقتداؤهم بإسلافهم ظنًا منهم إنهم

#### فائدة:

الثابت من الحركة أكثر من الذاهب في الاختلاس، وذلك أن يأتي بثلاثي الحركة وهذا لا يضبط إلا بالمشافهة بالسماع من أفواه أرباب أداء القراءة.

قوله: (وبكسر الهاء وفتح الياء) وتشديد الدال (عاصم غير يحيى) بن آدم القرشي عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم. قوله: (وبسكون الهاء وتشديد الدال مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. (غير ورش) واستشكلت قراءة سكون الهاء مع تشديد الدال من حيث الجمع بين الساكنين. قال النحاس: لا يقدر أحد أن ينطق به، وقال المبرد: من رام هذا لا بد أن يُحرِّك حركة خفيفة. وأجاب عنه القاضي بأن المدغم في حكم المتحرِّك. وقال السمين: لا بعد فيه، فقد قرئ به في نعمًا وتعدوا.

قوله: (والمراد بالأكثر الجميع) لأن إبقائه على أصل معناه يدل على أن اعتقاد بعضهم فيما ذهب إليه من قاعدة الشرك، وأن شركائهم شفعائهم عند

مصيبون ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو العلم ﴿شَيْئاً﴾ في موضع المصدر أي إغناء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ من اتباع الظن وترك الحق.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي افتراء من دون الله، والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله في علو أمره وإعجازه مفترى ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿نَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هو ما تقدمه من الكتب المنزلة ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ (وتبيين ما كتب وفرض) من الأحكام والشرائع من قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: الآية ٢٤] ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ داخل في حيز الاستدراك كأنه قال: ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب كائناً من رب العالمين، ويجوز أن يُراد: ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً منه لا ريب في ذلك، فيكون ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ متعلقاً بـ ﴿نَصَدِّقُ﴾ ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ ويكون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراضاً كما تقول: «زيد لا شك فيه كريم».

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ (بل أيقولون) اختلقه ﴿قُلْ﴾ إن كان الأمر كما تزعمون ﴿فَأْتُوا﴾ أنتم على وجه الافتراء ﴿بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ أي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلي في العربية ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي وادعوا من دون

الله يستند على برهان، وليس كذلك؛ بل كلهم متفقون على اتباع الظن والتقليد.

قوله: (وتبيين ما كتب وفرض) ... الخ. على أن الكتاب من كتب، بمعنى فَرَضَ وقَدَّرَ وحكَمَ.

قوله: (بل أيقولون) إشارة إلى أن أم هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة، أضرب عن الكلام الأول وأخذ في إنكار قولهم أنه ﷺ اختلق هذا القرآن من عند نفسه ثم افتراه على الله تعالى، ثم احتج عليهم بأنه يقول إن كان الأمر كما تزعمون



الله مَن استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه افتراء .

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ وَمِنْهُمْ مَن يُوْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَن لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن في (بديهة السماع) قبل أن يفقهوه ويعلموا (كنه أمره)، وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه، وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم (شرادهم) عن مفارقة دين آبائهم. (ومعنى التوقع في ﴿وَلَمَّا﴾ يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للآباء، وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً، فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به، وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه لما كرّر عليهم التحدي وجربوا قواهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغياً وحسداً. ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني كفار الأمم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر في معجزاتهم

﴿فَأَنزَلْنَا سُورَةَ مِثْلِهِ﴾ [يونس: الآية ٣٨]، فإن لم يف عقل الواحد والاثنين منكم في استخراج ما يعارض القرآن فاجتمعوا وليف بعضكم بعضاً في هذه المعارضة، مع أنه لم يف، ولو اجتمع الإنس والجن بعضهم ظهيراً لبعض؛ لأن قدرة البشر عاجزة عنها، فعلم أن نظمه وتنزيله ليس إلا من قبل الله تعالى.

قوله: (بديهة السماع) في مختار الصحاح: بدهه أمر فجأه وبابه قطع وبدهه بأمر إذا استقبله به، وبادهه فاجأه، والاسم البدهة والبديهة. اهـ. قوله: (كنه أمره) في مختار الصحاح: كنه الشيء نهايته. قوله: (شرادهم) بالكسر أي نفورهم. قوله: (ومعنى التوقع في ﴿وَلَمَّا﴾) فإنه يدل على أن الفعل المنفي به أمر متوقع لما قيل: إنه لنفي ما قد يفعل، وكلمة لم لنفي ما فعل، يعني أنه أتى بكلمة التوقع في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ للدلالة على إتيان المرجع والمآل وحصول العلم بحقيقة الحال كان أمراً متوقعاً منتظراً، ومع ذلك سارعوا إلى التكذيب لقلة ثباتهم وغلبة اتباع الآباء على طباعهم.

وقبل تدبرها عنادًا وتقليدًا للآباء، ويجوز أن يكون معنى ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُمْ﴾ ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الأخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق، يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز، وقبل أن يجربوا إخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بالنبي أو بالقرآن أي يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند بالتكذيب ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لا يصدق به ويشك فيه، أو يكون للاستقبال أي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ بالمعاندین أو المصّرین.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ إِنِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ وإن تموا على تكذيبك ويشت من إجابتهم ﴿فَقُلْ إِنِّي عَمَلِي﴾ جزاء عملي ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فكل مواخذ بعمله ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم (لا يعون) ولا يقبلون فهم كالصم ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ أتطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم، لأن الأصم العاقل ربما (تفرس) واستبدل إذا وقع في (صماخه دوي الصوت)، فإذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الأمر.

قوله: (لا يعون) في المصباح: وعيت الحديث وعيًا من باب وعد: حفظته وتدبرته. اهـ. قوله: (تفرس) في المصباح: تفرست فيه الخير تعرفته بالظن الصائب. اهـ.

قوله: (صماخه) في مختار الصحاح: الصماخ - بالكسر - خرق الأذن، وقيل: هو الأذن نفسها، والسين لغة فيه. اهـ. قوله: (دوي الصوت) الدوي صوت ليس بالعالي.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ ومنهم ناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ أتحسب أنك تقدر على هداية العمي ولو انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة، لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد (يحدث)، وأما العمى مع (الحق) فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ﴾ حمزة وعلي). أي لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جماذا وهم أحياء.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا لِقَاءَ اللَّهِ وَكَانُوا مُهْتَبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ (وبالياء: حفص) ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ استقصروا مدة نبثهم في الدنيا أو في قبورهم لهول ما يرون ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً وذلك عند خروجهم من القبور، ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا﴾ حال من «هم» أي نحشروهم مشبهين بمن لم يلبثوا إلا ساعة. و«كأن» مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي كأنهم. ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ حال بعد حال، أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ على إرادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك، أو هي شهادة من الله على خسرتهم. والمعنى أنهم (وضعوا) في تجارتهم وبيعهم

قوله: (يحدث) في المصباح: حدث حدثاً من باب ضرب، إذا ظن ظناً مؤكداً. اهـ. قوله: (الحق) فساد في العقل، قاله الأزهرى. اهـ مصباح. قوله: ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ﴾ بكسر النون مخففة ورفع السين (حمزة وعلي) الكسائي، وقرأ الباقون بنصب النون مشددة ونصب السين.

قوله: (وبالياء حفص) والباقون بالنون. قوله: (وضعوا) أي خسروا.

الإيمان بالكفر ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ للتجارة عارفين بها وهو استئناف (فيه معنى التعجب) كأنه قيل ما أخسرهم .

﴿وَأَمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيكَ فَالْيَتَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَأَمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب ﴿أَوْ نَتُوفِّيكَ﴾ قبل عذابهم ﴿فَالْيَتَا مَرْجِعُهُمْ﴾ جواب «نتوفيك» وجواب ﴿نُرِينَكَ﴾ محذوف أي وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا (فذاك)، أو نتوفيتك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كنه قيل: ثم الله معاقب على ما يفعلون. وقيل: «ثم» هنا بمعنى «الواو» .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أَمَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يبعث إليهم لينبهم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين النبي ومكذبيه ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل فأنجى الرسول وعذب المكذبين، أو ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به، فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قُضِيَ بينهم بالقسط ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا يعذب أحد بغير ذنبه. ولما قال: ﴿وَأَمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أي من العذاب استعجلوا لما وعدوا من العذاب نزل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أي وعد العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ من مرض أو فقر ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ من صحة أو غنى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء

قوله: (فيه معنى التعجب) والمراد التعجب بالنسبة إلى العباد.

قوله: (فذاك) أي فذاك حقٌ وصواب، أو فذاك ثابت وواقع في الدين، أو فذاك يسرك ويكون باعثاً لتشفيك، أو فذاك منحة لك؛ إذ به يزداد شوكة الإسلام ويظهر بطلان الشرك والكفر بين الأنام، فيكون الجواب جملة حذف المسند ليذهب السامع إلى كل ما يمكن اعتباره.

منقطع أي (ولكن ما شاء الله من ذلك كائن) فكيف أملك لكم الضرّ وجلب العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَرْخَوْنَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فإذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿أَنَّهُ إِذَا مَأْأَمَنَ بِؤْسِ الْعَذَابِ أَفْلَنَ وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ﴿٥٢﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ الذي تستعجلونه ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ نصب على الظرف أي وقت بيات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ وأنتم مشغولون بطلب المعاش والكسب ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي من العذاب، والمعنى أن العذاب كله مكروه موجب للنفور فأَي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال؟ والاستفهام في ﴿مَّاذَا﴾ يتعلق بـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون. وجواب الشرط محذوف وهو تسمو على الاستعجال، أو تعرفوا الخطأ فيه. ولم يقل: «ماذا يستعجلون منه» لأنه أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجماع، أو ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ جواب الشرط نحو «إن أتيتك ماذا تطعمني» ثم تتعلق الجملة بـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أو ﴿أَنَّهُ إِذَا مَأْأَمَنَ﴾ العذاب ﴿بِؤْسِ﴾ جواب الشرط و﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ اعتراض. والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان. ودخول حرف الاستفهام على «ثم» كدخوله على «الواو» و«الفاء» في ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ ﴿أَفَلَنَ﴾ على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به ﴿وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ﴾

**قوله:** (ولكن ما شاء الله من ذلك) النفع والضرّ (كائن) بمشيئة الله تعالى، لا بأن أملكه وأقدر عليه مستقلاً بدون حصونه بمشيئة الله حتى يكون الاستثناء متصلاً، فيكون الاستثناء من فاعل ﴿لَا أَمْلِكُ﴾ [يونس الآية ٤٩] على تقدير أن يكون منقطعاً، وتقديره: لا أملك أنا ولكن الله تعالى هو المالك لكل ما يشاء يفعله بمشيئته.

سَتَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾ أي بالعذاب تكذيباً واستهزاء ﴿الآن﴾ بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام: نافع ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عطف على «قيل» المضمر قبل ﴿ءَالْتَنَ﴾ ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي الدوام ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والتكذيب.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَقٍ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٤﴾﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُتِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ ويستخبرونك فيقولون ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِي وَرَقٍ﴾ نعم والله ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ إن العذاب كائن (لا محالة) ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ كفرت وأشركت وهو صفة لـ ﴿نَفْسٍ﴾ أي ولو أن لكل نفس ظالمة ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ لجعلته فدية لها. (يقال: فداء فافتدى)، ويقال: افتداه أيضاً بمعنى فداء ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ وأظهروها من قولهم: «أسر الشيء» إذا أظهره، أو أخفوها عجزاً عن النطق لشدة الأمر فأسر من الأضداد ﴿وَفُتِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

قوله: ﴿الآن﴾ بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام. نافع) في تفسير النيسابوري: ﴿الآن﴾ بوزن عالان بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام حيث كان، أبو جعفر ونافع. اهـ بحروفه.

قوله: ﴿إِي وَرَقٍ﴾ إي حرف جواب مثل نعم، إلا أنه لا يجاب به إلا مقروناً بالقسم. قوله: (لا محالة) في لسان العرب: يقولون في موضع: لا بُدَّ لا محالة. اهـ. قوله: (يقال: فداء فافتدى)... الخ. الافتداء يجيء بمعنيين مطاوع فداء، فيكون لازماً، يقال: فديته فافتدى، ويكون بمعنى فداء، فيتعدى إلى واحد، يقال: فداء وافتداه إذا أعطاه فداءه، وهو في الآية بالمعنى الثاني؛ لأن النفس الظالمة هي المُعْطِية لفدائها.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥٥)</sup>  
 هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا  
 فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله بقوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فكيف يقبل الفداء، وأنه الميثب المعاقب وما وعده من الثواب أو العقاب فهو حق لقوله: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالثواب أو بالعذاب ﴿حَقٌّ﴾ كائن ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥٥)</sup> هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ هو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وإلى حسابه وجزائه المرجع فيخاف ويرجى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبية على التوحيد، والموعظة التي تدعو إلى كل مرغوب وتزجر عن كل موهوب فما في القرآن من الأوامر والنواهي داع إلى كل مرغوب وزاجر كل موهوب، إذ الأمر يقتضي حسن المأمور به فيكون مرغوباً وهو يقتضي النهي عن ضده وهو قبيح وعلى هذا في النهي ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي صدوركم من العقائد الفاسدة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لمن آمن به منكم.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ يُفْرَحُونَ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(٥٨)</sup>

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ يُفْرَحُونَ﴾ أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا، والتكرير للتأكيد، والتقدير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه، والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخسوهما بالفرح، أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والإسلام. (في الحديث «من هداه» الله (لِلإسلام) وعلمه القرآن ثم شكى الفاقة كتب الله الفقر

قوله: (في الحديث: «من هداه للإسلام»...) الخ. في الدر المنثور: أخرج أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ هَدَاهُ لِلْإِسْلَامِ وَعَلَّمَهُ الْقُرْآنَ ثُمَّ شَكِيَ الْفَاقَةَ كَتَبَ اللَّهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ»، ثم تلى النبي ﷺ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ يُفْرَحُونَ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(٥٨)</sup>، أي من عَرَضَ الدنيا من الأموال. اهـ بحروفه. قوله:

بين عينيه إلى يوم يلقاه» وقرأ الآية ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وبالنسبة شامي، فلتفرحوا يعقوب).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (٥٩)

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ ﴿مَا﴾ منصوب بـ ﴿أَنزَلَ﴾ أو بـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي أخبروني ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ فبغضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَمُحَرَّمٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنعام: الآية ١٣٩] نِعَمَ الأرزاق تخرج من الأرض ولكن لما (نيطت) أسبابها بالسماء نحو المطر الذي به تُنبِت الأرض النبات، والشمس التي بها (النضج

﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وبالنسبة على الخطاب (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالياء على الغيبة. قوله: ﴿فَلْتَفَرَحُوا﴾ بناء الخطاب (يعقوب) بن إسحاق الحضرمي، وليس من السبعة. والباقون بالغيب.

قوله: ﴿مَا﴾ منصوب بـ ﴿أَنزَلَ﴾ أو بـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ يريد أن كلمة ﴿مَا﴾ يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي منصوبة على أنها مفعول أول لـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾، والعائد محذوف، والتقدير: أخبروني ما أنزل الله، ومفعوله الثاني هو قوله: ﴿اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، والعائد من هذه الجملة إلى المفعول الأول محذوف، تقديره: الله أذن لكم فيه، فإن قيل: قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ [يونس: الآية ١٥] يمنع من كون الجملة بعده مفعولاً ثانياً، والجواب أن كلمة قل في قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ هي قل المذكورة أولاً كزرت للتأكيد؛ لأنه لو حذف من الكلام. وقيل: قل رأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً أله أذن لكم فيه يتم الكلام بدونه؛ فعلم بذلك أنها إنما ذكرت للتأكيد، فلا تمنع كون ما بعدها معمولاً لما قبلها، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ [يونس: الآية ٥] استفهامية منصوبة المحل بـ ﴿أَنزَلَ﴾، وهي حينئذ تكون متعلقة لـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ [يونس: الآية ٥٠]، وتكون سادة مسددة المفعولين، والمعنى: أخبروني أي شيء أنزل الله من رزق فبغضتموه، والمقصود الإنكار لتجزئتهم الرزق. قوله: (نيطت) في المصباح: ناطه نوطاً من باب قال علقه واسم موضع التعليق مناط بفتح الميم. اهـ. قوله: (النضج) في المصباح:



وينع الثمار)، أضيف إنزالها إلى السماء ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ و﴿قُلْ﴾ تكرير للتوكيد، والمعنى أخبروني الله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ أم أنتم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه، أو الهمزة للإنكار و«أم» منقطعة بمعنى بل أنفثرون على الله تقريراً للافتراء. والآية زاجرة عن التجاوز فيما يسأل من الأحكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه، وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان وإلا فهو مُفْتَرٍ على الديان.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ ينسبون ذلك إليه ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أنهم أمره ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ حيث أنعم عليهم بالعمل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ «ما» نافية والخطاب للنبي ﷺ والشأن الأمر ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ من التنزيل كأنه قيل: وما تتلو من التنزيل ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ لأن كل جزء منه قرآن، والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو من الله عز وجل ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ أنتم جميعاً ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ أي عمل ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ شاهدين رقباء نحصي عليكم ﴿إِذْ

نضج اللحم والفاكهة نضجاً من باب تعب: طاب أكله، والاسم النضج بضم النون وفتحها لغة. اهـ. قوله: (وينع الثمار) في المصباح: ينعت الثمار يتعاً من باب نفع وضرب: أدركت، والاسم الينع بضم الياء وفتحها وبالفتح، قرأ السبعة. اهـ.

تُفِيضُونَ فِيهِ ﴿٦٢﴾ تخوضون من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ وما يبعد وما يغيب، و(بكسر الزاي: علي حيث كان) ﴿مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزن نملة صغيرة ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ رفعهما حمزة على الابتداء والخبر ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ، ونصبهما غيره على نفي الجنس، وقدمت الأرض على السماء هنا وفي «سبأ» قدمت السموات، لأن العطف بالواو وحكمه حكم التثنية.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ (هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة)، أو هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذي أتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقه، أو هم المتحابون في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، أو هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إذا خاف الناس ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إذا حزن الناس. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ منصوب بإضمار أعني، أو لأنه صفة لأولياء، أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الشُّرْكُ والمعاصي.

قوله: (بكسر الزاي علي) الكسائي (حيث كان)، والباقون بضمها لغتان في مضارع عَزَبَ. في مختار الصحاح: عَزَبَ بَعُدَ وَغَابَ وَبَاهَ دَخَلَ وَجَلَسَ. اهـ.

قوله: (هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة)، أي يتقربون إليه ويتقرب هو تعالى إليهم، فإن الولي القرب وولي كل شيء هو الذي يكون قريباً منه، والقرب من الله تعالى بحسب المكان والجهة محال، بل القرب منه إنما يكون بطاعته والاستغراق في معرفته؛ بحيث إذا رأى رأى دلائل قدرته، وإذا سمع سمع آياته، وإذا نطق نطق بالثناء عليه، وإذا تحرك تحرك في خدمته، وإذا اجتهد اجتهد في طاعته؛ فبهذه الحيثية يكون في غاية القرب منه تعالى، ويكون ولياً له عز وجل، فيكون الله تعالى ولياً له أيضاً؛ كما قال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: الآية ٢٥٧]، لأن القرب لا يكون إلا من الجانبين، وإليه أشار المصنف رحمة الله تعالى عليه بقوله: يتولونه ويتولاهم.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير موضع من كتابه، وعن النبي ﷺ («هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له»). وعنه عليه السلام («ذهبت النبوة وبقيت المبشرات») والرؤيا الصالحة (جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة). وهذا لأن مدة الوحي ثلاث وعشرون سنة، وكان في ستة أشهر منها يؤمر في النوم بالإنذار، وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءا، أو هي محبة الناس له والذكر الحسن، أو لهم البشرى عند النزاع بأن يرى مكانه في الجنة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ هي الجنة ﴿لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وكلتا الجملتين اعتراض، (ولا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام) كما تقول: «فلان ينطق بالحق والحق (أبلغ) وتسكت».

قوله: («هي الرؤيا الصالحة») أي الحسنة أو الصادقة، وهي ما فيه بشارة أو تنبيه عن غفلة وأمثال ذلك. قوله: (يراهها المسلم) لنفسه (أو تُرى) بصيغة المجهول، أي يراها مسلم آخر (له)، أي لأجله أو لأجل مسلم آخر. قوله: («ذهبت النبوة») اللام للعهد والمعهود نبوته (وبقيت المبشرات) بكسر الشين المعجمة جمع مبشرة، وهي البشرى وفسرها بأنها الرؤيا الصالحة، والمراد أنها أشرفت على الذهاب لقرب موته، أي قرب ذهابها. قوله: (جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة) هو ما في أكثر الأحاديث.

قوله: (ولا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام) جواب عما يقال: كل واحدة من الجملتين كيف تكون اعتراضا والاعتراض إنما يكون في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين لا في آخرهما، وقد انقطع الكلام عندهما، وتقرير الجواب أن ما ذكر كلام أكثرى لا كلي، فإنه لا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام، كما تقول: فلان ينطق بالحق والحق أبلغ وتسكت وحدث لي حادث والحوادث جمّة وتسكت، ومن شرط ذلك فهو تذييب لا اعتراض. قوله: (أبلغ) أظهر.

﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْفِئْرَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٥)

﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ تكذيبهم (وتهديدهم) وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك ﴿إِنَّ الْفِئْرَةَ﴾ (استئناف) بمعنى التعليل كأنه قيل: ما لي لا أحزن؟ فقيل: إن العزة لله ﴿لِلَّهِ﴾ إن الغلبة والقهر في ملكه لا يملك أحد شيئاً منهما، لا هم ولا غيرهم، فهو يغلبهم وينصرهم عليهم ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: الآية ٢١]، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: الآية ٥١]، أو به يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك وأهلك، والوقف لازم على ﴿قَوْلُهُمْ﴾ لئلا يصير ﴿إِنَّ الْفِئْرَةَ﴾ مقول الكفار ﴿جَمِيعًا﴾ حال ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٦٦)

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني العقلاء وهم الملائكة (والثقلان)، وخصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفي مملكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكاً له فيها، فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له (نداً) وشريكاً ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ «ما» نافية أي

قوله: (وتهديدهم)، فإنه تعالى لما أبطل جميع شهادتهم المتعلقة بالبطان في النبوة وعدلوا إلى طريق آخر في القذح في أمره ﷺ، وهو أنهم هددوه وخوفوه بأنهم أصحاب أموال وأتباع، فسعى في قهره وفي إبطال أمره، أجاب تعالى عن طريقته بقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾. قوله: (استئناف) أي جواب سؤال مقدر. قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ أو قضى ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة أو السيف. قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ أي بالحجة والانتقام لهم من الكفرة ولو بعد تمامهم، كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل قتل به سبعون ألفاً، وقيل: الحكم أكثرى أو خاص بالرسول المأذون لهم في القتال.

قوله: (والثقلان) الإنس والجن. اهـ مختار الصحاح. قوله: (نداً) في مختار الصحاح: النَّد - بالكسر - المثل والنظير. اهـ.

وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يستمنونها شركاء لأن شركة الله في الربوبية محال ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ إلا ظنهم أنهم شركاء الله ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يحزرون (ويقدرون) أن تكون شركاء تقديرًا باطلاً، أو استفهامية أي وأي شيء يتبعون و﴿شُرَكَاءَ﴾ على هذا نصب بـ ﴿يَدْعُونَ﴾ وعلى الأول بـ ﴿يَتَّبِعُ﴾ وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء، فاقصر على أحدهما للدلالة والمحذوف مفعول ﴿يَدْعُونَ﴾ أو موصولة معطوفة على ﴿مِنْ﴾ كأنه قيل: والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٦٧) قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي جعل لكم الليل مظلمًا لتستريحوا فيه من تعب التردد في النهار ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مضيئًا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع مذكر معتبر ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجيب (من كلمتهم الحمقاء) ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ علة لنفي الولد لأنه إنما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به، أو فقير ليستعين به، أو ذليل ليتشرف به، والكل أمانة الحاجة فمن كان غنيًا غير محتاج كان الولد عنه منفيًا، ولأن الولد بعض الوالد فيستدعي أن يكون مركبًا، وكل مركب ممكن، وكل ممكن يحتاج إلى الغير فكان حادثًا فاستحال القديم أن يكون له ولد ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

قوله: (ويقدرون) تفسير ليحزرون، فإن الحزر التقدير.

قوله: (من كلمتهم<sup>(١)</sup> الحمقاء) المراد من الكلمة الجملة كما في كلمة التوحيد، ووصفت بالحمقاء مجازًا بوصف قائلها مبالغًا في وصف القائل بالحمق. في المصباح: الحمق فساد العقل، قاله الأزهرى. وحمق يحمق فهو حمق من باب تعب، وحمق - بالضم - فهو أحمق، والأنثى حمقاء، والحماقة اسم منه، والجمع

(١) قوله: من كلمتهم الحمقاء مجاز كذكر حكيم، أي الأحمق قائلها. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً ولا تجتمع النبوة معه ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بِهَذَا﴾ ما عندكم من حجة بهذا القول، (والباء حقها أن تتعلق بقوله: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ﴾) على أن يجعل القول مكاناً لـ ﴿سُلْطَنِ﴾ كقولك: «ما عندكم بأرضكم (موز)» كأنه قيل: إن عندكم فيما تقولون سلطان، ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُلْحِقُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بإضافة الولد إليه ﴿لَا يُلْحِقُونَ﴾ لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة ﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم في الكفر (ومناصبه النبي ﷺ بالتظاهر) به ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ المخلد ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ إِنْ كَانَ كِبَرٌ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِمَا تِلَاوَةِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ واقرأ عليهم ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ خبره مع قومه والوقف عليه لازم إذ لو وصل لصار «إذ» ظرفاً لقوله: ﴿وَأَتْلُ﴾ بل التقدير واذكر ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ إِنْ كَانَ كِبَرٌ عَلَيْكُمْ﴾ عظم وثقل كقوله ﴿وَإِنَّا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: الآية ٤٥] ﴿مَقَامِي﴾ مكاني يعني نفسه كقوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: الآية

حمقى وحمقى مثل أحمر وحمراء وحمراء وحمراء. اهـ. قوله: (والباء حقها أن تتعلق بقوله: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ﴾)؛ لأنه يظهر منه الاستقرار والتمكن. قوله: (موز) في المصباح: الموز فاكهة معروفة الواحدة موزة مثل تمر وتمر، وهو الطلع. اهـ.

قوله: (ومناصبه النبي ﷺ) أي معاداته ﷺ معاذ الله. قوله: (بالتظاهر) في مختار الصحاح: التظاهر التعاون. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (الباء سببية وما مصدرية، أي بسبب كونهم كافرين. اهـ سمين.

[٤٦] أي خاف ربه، أو قيامي ومكثي بين أظهركم ألف سنة إلا خمسين عامًا، أو مقامي ﴿وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بيتًا وكلامهم مسموعًا ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي فوَّضت أمري إليه ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ من أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه ﴿وَشُرَّكَاءُكُمْ﴾ الواو بمعنى «مع» أي فأجمعوا أمركم مع شركائكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي غمًا عليكم وهمًا والغم والغمة كالكرب والكربة، أو ملتبسًا في (خفية). والغمة السترة من غمّه إذا ستره ومنه الحديث «لا غمّة في فرائض الله» أي لا تستر ولكن يجاهر بها، والمعنى ولا يكن قصدكم إلى إهلاككم مستورًا عليكم ولكن مكشوفًا مشهورًا تُجاهرونني به ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾ ذلك الأمر الذي تريدون بي أي أدوا إلي ما هو حق عندكم من هلاككم كما يقضي الرجل (غريمه)، أو اصنعوا ما أمكنكم ﴿وَلَا تُظْهِرُوا﴾ ولا تمهلوني.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَامْرَأَتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٧٢)

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ فإن أعرضتم عن تذكيري ونصحي ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ فأوجب التولي، أو فما سألتكم من أجر ففانني ذلك بتوليكم ﴿إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ وهو الثواب الذي يُثبني به في الآخرة أي ما نصحتكم إلا لله لا لغرض من أغراض الدنيا، (وفيه دلالة منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم الديني).

قوله: (خفية) بضم الخاء وكسرهما. قوله: (غريمه) في مختار الصحاح: الغريم الذي عليه الدّين، يقال: خذ من غريم السوء ما سنج، وقد يكون الغريم أيضًا الذي له الدّين. اهـ..

قوله: (وفيه دلالة منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم الديني) في تأويلات الإمام أبي منصور رحمة الله عليه في هذه الآية وأمثالها دلالة منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم؛ لأنه لو جاز أخذ الأجر على ذلك لكان لهم عذرا أن لا يبذلوا ذلك ولا يتعلموا شيئًا من ذلك، وفي هذا هدم شرائع الله وإسقاطها. اهـ بحروفها.

## فائدة:

في الدر المختار: لا تصح الإجارة لأجل الطاعات، مثل الأذان والحج والإمامة وتعليم القرآن والفقه ويفتى اليوم بصحتها لتعليم القرآن والفقه والإمامة والأذان، ويُجبر المستأجر على دفع ما قبل، فيجب المسمى بعقد وأجر المثل؛ إذ لم تذكر مدة شرح وهبانية من الشركة، (ويُحبس به) به يُفتى (ويُجبر على دفع الحلوة المرسومة) هي ما يهدى للمعلم على رؤوس بعض سور القرآن سُميت بها لأن العادة إهداء الحلوى، انتهى بحروفيه. وفي رد المختار: قوله: لا لأجل الطاعات، الأصل أن كل طاعة يختص بها المسلم لا يجوز الاستئجار عليها عندنا؛ لقوله عليه السلام: «اقرأوا القرآن ولا تأكلوا به»، وفي آخر ما عهد رسول الله ﷺ إلى عمرو بن العاص: «وإن اتخذت مؤذناً فلا تأخذ على الأذان أجراً»، ولأن القربة متى حصلت وقعت عن العامل، ولهذا تتعين أهليته، فلا يجوز له أخذ الأجرة من غيره، كما في الصوم والصلاة هداية. قوله: ويفتى اليوم بصحتها لتعليم القرآن... الخ. قال في الهداية: وبعض مشائخنا رحمهم الله استحسنا الاستئجار على تعليم القرآن اليوم لظهور التواني في الأمور الدينية؛ ففي الامتناع تضييع حفظ القرآن، وعليه الفتوى. اهـ. وقد اقتصر على استثناء تعليم القرآن أيضاً في متن الكنز، ومتن مواهب الرحمن وكثير من الكتب، وزاد في مختصر الوقاية ومتن الإصلاح: تعليم الفقه، وزاد في متن المجمع: الإمامة، ومثله في متن الملتقى ودُرر البحار، وزاد بعضهم: الأذان والإقامة والوعظ، وذكر المصنّف معظمها، ولكن الذي في أكثر الكتب الاقتصار على ما في الهداية؛ فهذا مجموع ما أفتى به المتأخرون من مشائخنا وهم البلخيون على خلاف في بعضه مخالفين ما ذهب إليه الإمام وصاحبا، وقد اتفقت كلمتهم جميعاً في الشروح والفتاوى على التعليل بالضرورة، وهي خشية ضياع القرآن كما في الهداية، وقد نقلت لك ما في مشاهير متون المذهب الموضوعة للفتوى، فلا حاجة إلى نقل ما في الشروح والفتاوى، وقد اتفقت كلمتهم جميعاً على التصريح بأصل المذهب من عدم الجواز، ثم استثنوا بعده ما علمته؛ فهذا دليل قاطع وبرهان ساطع على أن المفتى به ليس هو جواز الاستئجار على كل طاعة، بل



على ما ذكره فقط مما فيه ضرورة ظاهرة تبيح الخروج عن أصل المذهب من طرؤ المنع، فإنّ مفاهيم الكتب حجة، ولو مفهوم لقب على ما صرح به الأصوليون، بل هو منطوق، فإنّ الاستثناء من أدوات العموم كما صرحوا به أيضًا وأجمعوا على أنّ الحجج عن الغير بطريق النية لا الاستتجار، ولهذا لو فضل مع النائب شيء من التفقة يجب عليه ردّه للأصيل أو ورثته، ولو كان أجره لما وجب ردّه، فظهر لك بهذا عدم صحة ما في الجوهرة من قوله: واختلفوا في الاستتجار على قراءة القرآن مدة معلومة، قال بعضهم: لا يجوز، وقال بعضهم: يجوز، وهو المختار. اهـ. والصواب أن يقال على تعليم القرآن، فإنّ الخلاف فيه كما علمت لا في القراءة المجردة، فإنّه لا ضرورة فيها، فإنّ كان ما في الجوهرة سبق قلم، فلا كلام. وإنّ كان عن عمد، فهو مخالف لكلامهم قاطبة، فلا يقبل وقد أطنب في ردّه صاحب تبين المحارم مستندًا إلى النقول الصريحة؛ فمن جملة كلامه: قال تاج الشريعة في شرح الهداية: إنّ القرآن بالأجرة لا يستحق الثواب لا للميت ولا للقارئ. وقال العيني في شرح الهداية: ويمنع القارئ للدنيا والآخذ والمعطي آثان؛ فالحاصل أنّ ما شاع في زماننا من قراءة الأجزاء بالأجرة لا يجوز؛ لأن فيه الأمر بالقراءة وإعطاء الثواب للأمر والقراءة لأجل المال، فإذا لم يكن للقارئ ثواب لعدم النية الصحيحة، فأين يصل الثواب إلى المستأجر؟ ولولا الأجرة ما قرأ أحد لأحد في هذا الزمان؛ بل جعلوا القرآن العظيم مكسبًا ووسيلة إلى جمع الدنيا إنّ الله وإنّا إليه راجعون. اهـ.

وقد اغترّ بما في الجوهرة صاحب البحر في كتاب الوقف، وتبعه الشارح في كتاب الوصايا حيث يشعر كلامهما بجواز الاستتجار على كل الطاعات ومنها القراءة، وقد ردّه الشيخ خير الدين الرّملي في حاشية البحر في كتاب الوقف، حيث قال: أقول المفتى به جواز الأخذ استحسانًا على تعليم القرآن لا على القراءة المجردة، كما صرح به في التاترخانية، حيث قال: لا معنى لهذه الوصية ولصلة القارئ بقراءته؛ لأن هذا بمنزلة الأجرة والإجارة في ذلك باطلة وهي بدعة ولم يفعلها أحد من الخلفاء، وقد ذكرنا مسألة تعليم القرآن على استحسان. اهـ. يعني للضرورة ولا ضرورة في الاستتجار على القراءة على القبر. وفي الزيلعي وكثير من

الكتب: لو لم يفتح لهم باب التعليم بالأجر لذهب القرآن فأفتوا بجوازه ورأوه حسناً، فتنبه. اهـ كلام الرملي. وما في التاترخانية فيه ردّ على من قال: لو أوصى لقارئ يقرأ على قبره بكذا ينبغي أن يجوز على وجه الصلة دون الأجر، وممن صرح ببطلان هذه الوصية صاحب الولوالجية والمحيط والبزائية، وفيه ردّ أيضاً على صاحب البحر حيث علّل البطلان بأنه مبنيّ على القول بكرامة القرآن على القبر. وليس كذلك؛ بل لما فيه من شبه الاستئجار على القراءة كما علمت، وصرّح به في الاختيار وغيره، ولذا قال في الولوالجية ما نصّه: ولو زار قبر صديق أو قريب له وقرأ عنده شيئاً من القرآن فهو حسن. أمّا الوصية بذلك، فلا معنى لها ولا معنى أيضاً لصلة القارئ؛ لأن ذلك يشبه استئجاره على قراءة القرآن وذلك باطل. ولم يفعل ذلك أحد من الخلفاء. اهـ. إذ لو كانت العلّة ما قاله لم يصح قوله هنا، فهو حسن. وممن أفتى ببطلان هذه الوصية الخير الرملي كما هو مبسوط في وصايا فتاواه، فراجعها.

ونقل العلامة الخلوتي في حاشية المنتهى الحنبلي عن شيخ الإسلام تقي الدّين ما نصّه: ولا يصح الاستئجار على القراءة وإهدائها إلى الميت؛ لأنه لم يُنقل عن أحد من الأئمة الإذن في ذلك، وقد قال العلماء: إنّ القارئ إذا قرأ لأجل المال فلا ثواب له، فأَيّ شيء يهديه إلى الميت، وإنما يصل إلى الميت العمل الصالح والاستئجار على مجرد التلاوة لم يقل به أحد من الأئمة، وإنما تنازعوا في الاستئجار على التعليم. اهـ بحروفيه. وممن صرح بذلك أيضاً الإمام المبركوي قدس سرّه في آخر الطريقة المحمّدية، فقال: الفصل الثالث في أمور مبتدعة باطلة أكبّ الناس عليها على ظنّ أنها قُرْب مقصودة، إلى أن قال: ومنها الوصية من الميت باتخاذ الطعام والضيافة يوم موته أو بعده وبإعطاء دراهم لمن يتلو القرآن لروحه أو يسبح أو يهلّل له، وكلّها بدع منكرات باطلة، والمأخوذ منها حرام للآخذ وهو عاص بالتلاوة والذكر لأجل الدنيا. اهـ ملخصاً. وذكر أنّ له فيها أربع رسائل، فإذا غلبت ذلك ظهر لك حقّة ما قلناه، وأنّ خلافه خارج عن المذهب وعمّا أفتى به البلخيون وما أطبق عليه أئمتنا متوناً وشروحاً وفتاوى، ولا ينكر ذلك إلا غمر مكابر أو جاهل لا يفهم كلام الأكابر، وما استدللّ به بعض المحشين على الجواز

بحديث البخاري في اللديغ، فهو خطأ؛ لأن المتقدمين المانعين الاستئجار مطلقاً جَوَّزُوا الرقية بالأجرة ولو بالقرآن، كما ذكره الطحاوي لأنها ليست عبادة محضة، بل من التداوي، وما نُقِلَ عن بعض الهوامش وعزي الحاوي الزاهدي من أنه لا يجوز الاستئجار على الختم بأقل من خمسة وأربعين درهماً، فخارجُ عما اتَّفَقَ عليه أهل المذاهب قاطبةً، وحينئذ فقد ظهر لك بطلان ما أكتب عليه أهل العصر من الوصية بالختمات والتهاليل مع قطع النظر عما يحصل فيها من المنكرات التي لا ينكرها إلا مَنْ طُمِست بصيرته، وقد جمعتُ فيها رسالة سَمَّيتها شفاء العليل وبلَّ الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل، وأتيت بها بالعجب العجيب لذوي الألباب وما ذكرته هنا بالنسبة إليها كقطرة من بحر وشذرة من عقد نحر وأطلعت عليها محشي هذا الكتاب فقيه عصره ووحيد دهره السيد أحمد الطحطاوي مفتي مصر سابقاً، فكتب عليها وأثنى الثناء الجميل، فالله يجزيه الخير الجزيل وكتب عليها غيره من فقهاء العصر، انتهى كلام صاحب رد المحتار عليه رحمة الله العزيز الغفار.

وفي رسالة رفع الغشاوة عن جواز أخذ الأجرة على التلاوة، لحضرة مولانا السعيد السند محمود أفندي الخمرراوي مفتي دمشق الشام، فقد سُئِلت عما حرَّره العالم الفاضل السيد محمد عابدين في رد المحتار والتنقيح ورسالة شفاء العليل من عدم جواز الاستئجار على تلاوة القرآن العظيم، هل هو المفتى به في المذهب أو لا؟ فأجبت بأن ما ذكره المنقح في هذه المحلات الثلاث مبني على مذهب المتقدمين من عدم جواز الإجارة على الطاعات، إلا أن المشائخ نصَّوا على أنَّ المفتى به جواز الاستئجار على التلاوة، وهو مذهب عامة المتأخرين والنقول في ذلك كادت تبلغ التواتر كلها موشحة بعلامة الفتوى أو أفتى به مشاهير العلماء الأعلام في سائر بلاد الإسلام، وها أنا أسرد نقولهم، فسردَها من أربعين كتاباً مَنْ شاء فلينظر ثمة:

منها أنه نُقِلَ عن تكملة البحر ونصّه: وفي الحاوي للكواشي: إذا استأجره ليختم عنده القرآن ولم يسم له أجرًا ليس له أن يأخذ أقل من خمسة وأربعين درهماً

شرعيًا. أمّا إذا سمّي له أجر ألزم ما سُمّي ويأثم المستأجر إذا عقد على أقلّ منها، إلا أن يَهَب المستأجر ما بَقِيَ من تمام العقد أو يشترط أن يكون ثواب ما فوقه لنفسه، وهذا يجب حفظه كما في المبسوط.

ومنها أنه نقل عن فتاوى المحقق ابن كمال باشا أجرة القرآن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم على ما روى عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما أربعة دنانير ونصف دينار، واتفق المتقدمون والمتأخرون على ذلك؛ كذا في الكواشي.

ومنها أنه نقل عن نهج النجاة لكمال الدين بن حمزة من الوقف، ونصّه في الأشباه: لو شرط أن يقرأ على قبره، فالتعيين باطل، انتهى هذه المسألة في القنية. والظاهر أنه مبنيّ على قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في كراهة القراءة على القبور، والصحيح المختار للفتوى قول محمد رحمه الله تعالى من عدم كراهة القراءة على القبور، كما في كثير من كتب المذهب المعتمدة.

ومنها أنه نقل عن تنوير البصائر، ونصّه قوله: ولو شرط أن يقرأ على قبره إلى آخره، أقول: هكذا وقع في القنية وفهم بعضهم من هذه المسألة أنه لا يتعين المكان الذي عينه الواقف لقراءة القرآن أو التدريس، وليس الأمر كذلك؛ بل يتعين المكان الذي عينه الواقف، فلو لم يباشر فيه لا يستحقّ المشروط لما في شرح المنظومة. أمّا لو شرط الواقف يجب أتباعه وبالمباشرة في غير المكان الذي عينه الواقف يفوت غرضه من إحياء تلك البقعة، والظاهر أن الذي ذكره في القنية مبنيّ على قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى من كراهة القرآن على القبور، والله سبحانه أعلم بطل التعيين والصحيح المختار للفتوى قول محمد رحمه الله تعالى من عدم كراهة قراءة القرآن على القبور كما في كثير من كتب المذاهب المعتمدة، وعليه فلا يبطل التعيين، كما هو الظاهر.

ومنها أنه نقل عن شرح الملتقى للملائي، ونصّه: (ولا تجوز) وتبطل (الإجارة) عند المتقدمين (على الطاعات) أي كل عبادة غير واجبة، فلو على مُباح؛

كتعليم كتابة جازت اتفاقاً، ولو على واجب كما إذ كان المعلم أو الإمام أو المفتي واحد لم تصح اتفاقاً ذكره الكرمانى وغيره؛ كالأذان والحج والإمامة وتعليم القرآن والفقه وقراءتهما، إلى أن قال: (ويفتى اليوم) أي يفتى المتأخرون (بالجواز) للإجارة على هذه العبادة لفتور الرغبات ومنع العطيات، انتهى. فعطف القراءة على التعليم.

ومنها أنه نقل عن رسالة السيد محمد الخلوٲى التي ألقها راداً على التنقيح: ومن جملة ما نقوله حاشية مسكين للشيخ الإسقاطى عند قول صاحب الكنز: والفتوى اليوم على جواز الاستئجار لتعليم القرآن، ونصه قوله: لتعليم القرآن وكذا لقراءته والمستأجر للمختم ليس له أن يأخذ أقل من خمسة وأربعين درهماً إذا لم يسم له شيء من الأجر، ذكره في المبسوط. انتهى. كذلك ألق رسالة الشيخ صالح الدسوقي سماها كشف الغمة راداً فيها على البركوى، ورسالة المنقح وأتى بنقول من المذاهب الأربعة في صحة الاستئجار على التلاوة.

ومنها أنه نقل عن مهمات المفتى لابن الكمال، ونصه: أجرة القرآن على عهد رسول الله ﷺ كما روى عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما أربعة دنائير، وكل دينار عشرة دراهم. وأما من قرأ بأقل من هذا لا يكون ثوابه ولا للمقرئ له؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: الآية ٤١]. واتفق المتقدمون والمتأخرون على ذلك من تفسير الكواشى. ثم قال في آخرها: ويحتمل أن ما لم أره أكثر أقول إن علماء هذه الأمة من بخاريين وهنديين وروميين ومصريين وشاميين شروخاً وحواشى وفتاوى لم يعلموا المفتى به في المذهب، حاشا؛ بل كل نقل على خلاف هذا فهو مبني على غير المفتى به من مذهب المتقدمين والحمد لله رب العالمين. فرغ من تحريرها في رمضان سنة اثنتين وثلاثمائة وألف على يد جامعها الفقير محمود الخمرأوى مفتى دمشق الشام غفر الله تعالى له ولوالديه ومشائخه الذنوب والآثام، أمين. وهكذا أفتى بالجواز مفتى مكة المكرمة مولانا عبد الرحمن سراج، ومفتى المدينة المنورة مولانا محمد تاج الدين إلياس رحمة الله عليهما.

﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من المستسلمين لأوامره ونواهيه ﴿إِنْ أَجْرَى﴾ بالفتح: مدني وشامي وأبو عمرو وحفص).

﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَرِّينَ﴾ (٧٣)

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فداوموا على تكذيبه ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ من الغرق ﴿وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ﴾ في السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ﴾ يخلفون الهالكين بالغرق ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَرِّينَ﴾ هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أُنذِرهم رسول الله ﷺ عن مثله وتسليته له.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَرِينَ﴾ (٧٤) ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (٧٥)

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد نوح عليه السلام ﴿رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ أي هودًا وصالحًا وإبراهيم ولوطًا وشعيبًا ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج (الواضحة المثبتة لدعواهم) ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ فأصروا على الكفر بعد المجيء ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل مجيئهم، يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرُّسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرُّسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد ﴿كَذَلِكَ نَطْعُ﴾ من ذلك الطبع نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَرِينَ﴾ المُجَاوِزِينَ الْحَدَّ فِي التَّكْذِيبِ

قوله: ﴿إِنْ أَجْرَى﴾ بالفتح أي بفتح ياء الإضافة (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو عمرو وحفص) وقرأ الباقون بالسكون.

قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الباء للتعدية، ويحتمل أن يكون للملابسة<sup>(١)</sup>، أي جاء كل رسول بالبيِّنة التي اخْتُصَّتْ به. قوله: (الواضحة) أي في نفسها حيث لا تخفى على أحد. قوله: (المثبتة) أي الموضحة (لدعواهم) النبوة والرسالة. قوله:

(١) أي ملتبس بالبيِّنات. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد الرُّسُل ﴿مُوسَى وَهَارُونَ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا ﴿٧٦﴾  
 (بالآيات التسع) ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن قبولها، وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن قبولها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ كُفَّارًا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على رذها.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧٧﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّحَرُونَ ﴿٧٨﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله ﴿قَالُوا﴾ لحبهم الشهوات ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ هو إنكار ومقولهم محذوف أي هذا سحر، ثم استأنف إنكارًا آخر فقال: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ خبر ومبتدأ ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّحَرُونَ﴾ (أي لا يظفر).

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَنْفِكَ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عِيمٍ ﴿٨٠﴾

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَنْفِكَ﴾ لتصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام أو عبادة فرعون ﴿وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين فيما جئتما به ﴿وَيَكُونَ﴾ حماد ويحيى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾ («سحار»: حمزة وعلي).

(بالآيات التسع) وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وقلق البحر.

قوله: (أي لا يظفر) من باب طرب.

قوله: ﴿وَيَكُونَ﴾ (حماد) بياء الغيبة (حماد) بن أحمد عن حمزة بن حبيب الزيات، (ويحيى) بن آدم القرشي عن أبي بكر بن عياش عن عاصم؛ لأنه تأنيث مجازي. والباقون بقاء التأنيث نظرًا للفظ. قوله: («سحار») بتشديد الحاء مفتوحة وألف بعدها على وزن فَعَال دال على زيادة قلق فرعون (حمزة وعلي) الكسائي،

﴿فَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُّوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُخَوِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ يَكْمِنُونَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿فَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُّوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَ﴾ «ما» موصولة واقعة مبتدأ، أو ﴿جِئْتُمْ بِهِ﴾ صلتها و﴿السِّحْرَ﴾ خبر أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرًا من آيات الله. (السحر) بعد وقف: أبو عمرو على الاستفهام، فعلى هذه القراءة «ما» استفهامية أي أي شيء جئتم به؟ أهو السحر؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ يُظهر بطلانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا يشبته بل (يدمره) ﴿وَيُخَوِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ يَكْمِنُونَ﴾ ويشبته ﴿يَكْمِنُونَ﴾ بأوامره وقضاياه أو يُظهر الإسلام بعِداته بالنصرة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

﴿فَمَّا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا دُرِيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَمَّا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ﴾ في أول أوامره ﴿إِلَّا دُرِيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل كأنه قيل: إلا أولاد من أولاد قومه، وذلك أنه دعا الآباء فلم يُجيبوه خوفًا من فرعون، وأجابه طائفة من أبنائهم مع

والباقون بألف بعد السين وتخفيف الحاء مكسورة، ولا ألف بعدها بوزن فاعل. قوله: (السحر) <sup>(١)</sup> بهمزيين الأولى همزة الاستفهام، فهي مفتوحة والثانية همزة وصل (بعد وقف: أبو عمرو على الاستفهام) أي على أن الهمزة للاستفهام؛ فعلى هذه القراءة إما أن تُبدل الثانية ألفًا وتمدّ مدًا لازمًا أو تسهل من غير قلب؛ ففي هذه القراءة وجهان، وعلى كليهما تجب الإمالة في موسى بخلاف قراءة الهمزة الواحدة، فيجوز فيها الإمالة وتركها. وقرأ الباقون بهمزة وصل، فتسقط في الوصل. قوله: (يدمره) في المصباح: دَمَر الشيء يدمر من باب قتل، والاسم الدمار مثل الهلاك وزنا ومعنى، ويعدّى بالتضعيف فيقال: دَمَرَهُ الله ودمَر عليه. اهـ.

(١) على هذه القراءة يوقف على به. ١٢ منه عم فيضهم.



الخوف، أو الضمير في ﴿قَوْمِهِ﴾ لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته (وخازنه) وامرأة خازنه (وماشطته). والضمير في ﴿وَمَلَائِهِمْ﴾ يرجع إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأترون له، أو إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم دليله قوله: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يريد أن يعذبهم فرعون ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ لغالب فيها ظاهر ﴿وَلَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُفْسِرِينَ﴾ في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية.

﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ مَآمَنُكُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨٦)

﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ مَآمَنُكُمْ بِاللَّهِ﴾ صدقتم به وبآياته ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون ﴿إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (شرط في التوكل الإسلام) وهو أن يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة لا حظ للشيطان فيها، لأن التوكل لا يكون مع التخليط ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين، لا جرم أن الله قبل توكلهم وأجاب دعاءهم

قوله: (وخازنه) أي خازن فرعون. قوله: (وماشطته) أي ماشطة فرعون؛ لأنه كان لفرعون ضفائر وشعائر عَيْن امرأة لتسريحها. في مختار الصحاح: اَمْتَشَطَتِ الْمَرْأَةُ وَمَشَطَتُهَا الْمَاشِطَةُ مِنْ بَابِ نَصَرَ. اهـ. وفي المصباح: مشطت الشعر مشطاً من بابي قتل وضرب سرحته، والتثقيل مبالغة، وامتشطت المرأة مشطت شعرها. اهـ.

قوله: (شرط في التوكل الإسلام)... الخ. وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين، فَإِنَّ الْآيَةَ وَإِنْ اعتبر فيها شرطان مختلفان، وهما الإيمان بالله والإسلام، فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ عبارة عن التصديق بأنه واجب الوجود لذاته واحد، وأن جميع ما سواه محدث مخلوق مقهور تحت مشيئته وتصرفه، والإسلام عبارة عن الاستسلام والانقياد للتكاليف الصادرة من الله تعالى وإظهار الخضوع وترك التمرد، ولا شك أنهما أمران مختلفان، إلا أن المعلق على هذين الشرطين حكم واحد من وجه واحد، وهو وجوب التوكل، وإلا لزم أن لا يجب التوكل بمجرد الإيمان بالله

ونجاهم، وأهلك مَنْ كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه، فَمَنْ أراد أن يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أي يضلوننا والفتن المضل عن الحق ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي من تعذيبهم وتسخيرهم.

تعالى؛ لأن المشروط لا يحصل إلا عند تحقق شرطه. والشرط إذا كان أمورا متعددة لا يحكم بتحقيقه إلا إذا تحقق جميع أجزائه، فإن قال الشارع: إن كان المكلف زانيا محصنا فارجموه لا يجب الرجم إلا عند تحقق مجموع الأمرين، فكذا في هذه الآية لو علق وجوب التوكل على مجموع الإيمان بالله تعالى والإسلام للزم أن لا يجب التوكل إلا عند تكامل الشرط بجميع أجزائه. وليس كذلك؛ بل هناك حُكمان علق كل واحد منهما بشرط على جِدة: علق وجوب التوكل على الإيمان بالله وحصول التوكل على الإسلام، وهو أن يُسلموا نفوسهم لله تعالى، أي يجعلوها سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها، فإن مَنْ لم يسلم وجهه لله تعالى بأن جعل للشيطان مدخلا فيها لا يحصل له التوكل، وهو تفويض الأمر بالكلية إلى الله تعالى والاعتماد في كل الأحوال على الله تعالى، وإنما قال: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾، ولم يقل: توكّلوا عليه؛ لأن الأول يفيد الحصر حيث يدلّ عليه أن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أمر قومه بالتوكل عليه ونهاهم عن التوكل على غيره تعالى، والمراد في هذا المقام هو التوكل على هذا الوجه؛ لأنه الذي يقتضيه الإيمان بالله، فإن مَنْ اعتقد أنّ كل ما سوى الله تعالى ملكه ومقهور تحت تصرفه وتسخيره امتنع أن يتوكل على غيره، وقد مرّ أن نوحا عليه الصلاة والسلام وصف نفسه بالتوكل على هذه الوجه حيث قال: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: الآية ٧١]، وكذلك موسى عليه الصلاة والسلام. ثم إنه تعالى بيّن أنّ موسى عليه الصلاة والسلام لما أمر بذلك قومه قبلوه، ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾. لتحقيق الشرطين فيهم حيث كانوا مؤمنين بالله تعالى مخلصين أنفسهم له تعالى. اهـ شيخ زاده رحمه الله تعالى.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُثُوتًا ۚ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٧﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ (أَنْ تَبَوَّءَا) لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُثُوتًا﴾ تبوأ المكان (اتخذته مباءة) كقوله: «توطنه» إذا اتخذته وطنًا، والمعنى اجعلوا بمصر بيوتًا من بيوته مباءة لقومكم ومرجعًا يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة، وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول الأمر مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الإسلام بمكة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ في بيوتكم حتى تأمنوا ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يا موسى، ثنى الخطاب أولًا ثم جمع ثم وحد آخرًا لأن اختيار مواضع العبادة مما يفوض إلى الأنبياء، ثم جمع لأن اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على (الجمهور)، وخصَّ موسى عليه السلام بالبشارة تعظيمًا لها وللمبشر بها.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُصَلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٨٨﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾ هو ما يتزين به من لباس أو (حلي) أو فرش أو (أثاث) أو غير ذلك ﴿أَمْوَالًا﴾ أي نقدًا

قوله: ﴿(أَنْ تَبَوَّءَا)﴾ اتخذته مباءة) أي منزلًا. في الصحاح: المباءة منزل القوم في كل موضع، يقال: تبوأ منزلًا، أي نزلته وبوأ منزلًا وبوأته منزلًا، يعني هيأته ومكنت له فيه، وكلمة ﴿أَنْ﴾ فيه يجوز أن تكون مفسرة؛ لأنه قد تقدمها ما هو بمعنى القول والإيحاء، ويجوز أن تكون مصدرية، فيكون ﴿أَنْ تَبَوَّءَا﴾ [يونس: آية ٨٧] في موضع النصب بـ ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ مفعولًا به، أي أوحينا إليهما التبوء وهو النزول والرجوع، يقال: تبوأ المكان إذا اتخذته مباءة ومنزلًا. قوله: (الجمهور) في لسان العرب: جُمهور كل شيء مُعظمه. اهـ.

قوله: (حلي) في مختار الصحاح: الحلي خلي المرأة والجمع حُلِيّ مثل نُدِي وئُدِي، وقد تُكسر الحاء وقرئ ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٨] بضم الحاء وكسرها. اهـ. قوله: (أثاث) في المصباح: الأثاث متاع البيت الواحد أثاثه، وقيل:

و(نعمًا) و(ضيعة) ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ ﴿لِيُضِلُّوا﴾ الناس عن طاعتك، كوفي) ولا وقف على ﴿الدُّنْيَا﴾ لأن قوله: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ متعلق بـ ﴿ءَاتَيْتَ﴾ و﴿رَبَّنَا﴾ تكرر. الأول للإلحاء في التضرع. قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: إذا علم منهم أنهم يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنَلِّهُمْ لِيُزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: الآية ١٧٨]. فتكون الآية حجة على المعتزلة ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أي أهلكها وأذهب آثارها لأنهم يستعينون بنعمتك على معصيتك، والطمس المحو والهلاك. قيل: صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيناتها منقوشة. وقيل: وسائر أموالهم كذلك ﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ جواب الدعاء الذي هو أشد ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ إلى أن يروا العذاب الأليم وكان كذلك، فإنهم لم يؤمنوا إلى الغرق وكان ذلك إيمان يأس فلم يقبل. وإنما دعا عليهم بهذا لما أيسر

لا واحد له من لفظه. اهـ. قوله: (نعمًا) في مختار الصحاح: النِّعَم واحد الأنعام وهي المال الراعية، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل. قال الفراء هو ذكر لا يؤنث، يقولون: هذا نَعَم وارد، وجمعه نُعْمان مَحْمَل وَحْمَلان، والأنعام يذكر ويؤنث، قال الله تعالى: ﴿رِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل: الآية ٦٦]، وقال: ﴿فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: الآية ٢١]، وجمع الجمع أناعيم. اهـ. وفي المصباح: النعم المال الراعي، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل. قال أبو عبيد: النعم الجمال<sup>(١)</sup> فقط، ويؤنث ويذكر وجمعه نعمان مثل حمل وحملان وأنعام أيضًا. وقيل: النعم الإبل خاصة، والأنعام ذوات الخف والظلف، وهي الإبل والبقر والغنم. وقيل: تُطلق الأنعام على هذه الثلاثة فإذا انفردت الإبل فهي نعم، وإن انفردت البقر والغنم لم تُسمَ نعمًا. اهـ. قوله: (ضيعة) في المصباح: الضيعة العقار والجمع ضياع، مثل كلبة وكلاب. اهـ. وأيضًا فيه: العقار مثل سلام كل مُلك ثابت له أصل، كالدار والنخل. قال بعضهم: وربما أطلق على المتاع والجمع عقارات. قوله: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بضم حرف المضارع (الناس عن طاعتك، كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي. وقرأ الباقون بالفتح أي يضلون في أنفسهم.

(١) جمع الجَمَل. ١٢ منه عم فيضهم.

من إيمانهم وعلم بالوحي أنهم لا يؤمنون، فأما قبل أن يعلم بأنهم لا يؤمنون فلا يسع له أن يدعو بهذا الدعاء لأنه أرسل إليهم ليدعوهم إلى الإيمان، وهو يدل على أن الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرًا.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾ قيل: كان موسى عليه السلام يدعو وهارون (يؤمن) فثبت أن التأمين دعاء فكان إخفاؤه أولى، والمعنى أن دعاءكما مُستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والتبليغ ﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الإجابة وحكمة الإمهال فقد كان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة. ﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ﴾ بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيهاً بنون التثنية: شامي،

قوله: (يؤمن) بالتشديد أي يقول: آمين وأمين، بمعنى استجب.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ﴾ بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيهاً بنون التثنية شامي أي ابن عامر الشامي برواية ابن ذكوان. وقرأ الباقر بتشديدها؛ لأن نون التوكيد تثقل وتخفف. وفي فتح القدير للشوكاني رحمه الله: قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بتشديد النون للتأكيد وحركت بالكسر لكونه الأصل ولكونها شبهت نون التثنية، وقرأ ابن ذكوان بتخفيف النون على النفي لا على النهي. اهـ. وفي كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة، وهي قراءة العشرة المشهورة وقراءة الأعمش.

مسألة:

وروى ابن ذكوان في غير رواية هبة الله: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ﴾ بتخفيف النون وجهاً واحداً، وروى هبة الله عن ابن ذكوان وهشام عن ابن عامر الوجهين التخفيف والتشديد. الباقر بتشديد النون وجهاً واحداً. اهـ بحروفه. وفي كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: واختلف عن ابن عامر في ﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ﴾؟ فروى ابن ذكوان والداجوني عن أصحابه عن هشام بفتح التاء وتشديدها وكسر الياء وتخفيف النون على أن لا نافية ومعناه النهي، نحو: ﴿لَا تُضَاكِرْ﴾

وخطأه بعضهم لأن النون الخفيفة واجبة السكون. وقيل: هو إخبار عما يكونان عليه وليس بنهي، أو هو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَمَسْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَمَسْتُ بِهِ. نَبَأُ إِسْرَءِيلَ وَنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠)

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ هو دليل لنا على خلق الأفعال ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ فلحقهم. (يقال: تبعته حتى أتبعته) ﴿بَغْيًا﴾ (تطاولا) ﴿وَعَدُوًّا﴾ ظلمًا وانتصبا على الحال أو على المفعول له ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ ولا وقف عليه لأن ﴿قَالَ ءَمَسْتُ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ ﴿أَنَّهُ﴾ - ﴿إِنَّهُ﴾ - (حمزة وعلي) على الاستئناف بدل من ﴿ءَمَسْتُ﴾ وبالفصح غيرهما على حذف الباء التي هي صلة الإيمان ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَمَسْتُ بِهِ. نَبَأُ إِسْرَءِيلَ وَأَنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد حيث قال: ﴿ءَمَسْتُ﴾ ثم قال: ﴿وَأَنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، كرر

[البقرة: الآية ٢٣٣] أو يجعل حالاً من فاستقيما. أي ﴿فَأَسْتَقِيمًا﴾ غير متبعين، وقيل: نون التوكيد الثقيلة خَفَفَتْ، وقيل: أكد بالخفيفة على مذهب يونس والفراء، وانفرد ابن مجاهد عن ابن ذكوان بتخفيف التاء الثانية وإسكانها وفتح الباء مع تشديد النون، ورواه سلامة بن هارون أداءً عن الأخفش عن ابن ذكوان، والوجهان في الشاطبية. لكن في النشر نقلاً عن الداني أنه غلط من أصحاب ابن مجاهد ومن سلامة؛ لأن جميع الشاميين رَوَوْا عن ابن ذكوان بتخفيف النون وتشديد التاء، ثم ذكر أنها صحت من طرق أخرى وبينها، ثم قال: وذلك كله ليس من طرقنا، ولذا لم يعرج عليها في الطيبة على عادته في الانفرادات. وروى الحلواني عن هشام بتشديد التاء الثانية وفتحها وكسر الباء وتشديد النون، وبه قرأ الباؤون؛ فتكون لا للنهي، ولذا أكد بالنون لأن تأكيد النفي ضعيف. اهـ بحروفه.

قوله: (يقال: تبعته حتى أتبعته) أي مشيت من بعده حتى لحقته. قوله: (تطاولا) في لسان العرب في معنى هو الاستطالة على الناس إذا هو رفع رأسه، ورأى أنَّ له عليهم فضلاً في القدر. اهـ. قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ (كسر همزة إنه حمزة وعلي) الكسائي.

فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصاً على القبول ثم لم يُقبل منه حيث أخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفي في حالة الاختيار.

﴿لَأَنزَلَ وَفَدَّ عَصِيَّتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٩١)

﴿لَأَنزَلَ﴾ أتؤمن الساعة في وقت الاضطراب حين أدركك الغرق وأيسست من نفسك. قيل: قال ذلك حين ألجمه الغرق والعامل فيه أتؤمن ﴿وَفَدَّ عَصِيَّتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ من الضالين المضلين عن الإيمان. روي أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا: ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه؟ فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج على سيد الكافر (نعماء) أن يغرق في البحر، فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه (فعرفه).

﴿فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ رَبِّيكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفِلُونَ﴾ (٩٢)

﴿فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ﴾ نلقيك (بنجوة) من الأرض فرماه الماء إلى الساحل كأنه ثور ﴿يَبْدِيكَ﴾ في موضع الحال أي الحال التي لا روح فيك، وإنما أنت بدن أو بيدك كاملاً سوياً لم ينقص منه شيء ولم يتغير، أو عرياناً لست إلا بدنًا من غير لباس، أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يُعرف بها. (وقرأ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ﴿بأبدانك﴾) وهو (مثل قولهم: هو «بأجرامه») أي بيدك كله وافيًا بأجزائه، أو

قوله: (نعماء) النعماء وزان الحمراء، مثل النعمة وجمع النعمة نِعَم مثل سدره وسدر وأنعم أيضًا مثل أفلس، وجمع النعماء أنعم مثل البأساء يجمع على أبؤس. اهـ مصباح. قوله: (فعرفه) فقال جبريل على نبينا وعليه الصلاة والسلام: هذا ما حكمت به على نفسك.

قوله: (بنجوة) النجوة المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك من السيل. فوله: (وقرأ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ﴿بأبدانك﴾) بالجمع بجعل كل عضو بمنزلة البدن، فأطلق الكل على الجزء مجازًا، (مثل قولهم: هو<sup>(١)</sup> بأجرامه) فإنه

(١) أي سقط.

بدروعك (لأنه ظاهر بينها) ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو إسرائيل، وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأنًا من أن يغرق. وقيل: أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه. وقيل: ﴿لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ لمن يأتي بعدك من القرون. ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته وأن ما كان يدّعيه من الربوبية مُحال، وأنه مع ما كان عليه من عظم الملك (آل) أمره إلى ما ترون لعصيانه ربّه فما الظن بغيره ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَوْأًا صَدَقَ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٣)

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَوْأًا صَدَقَ﴾ (منزلًا صالحًا مرضيًا) وهو مصر والشام ﴿وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في دينهم ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي التوراة وهم اختلفوا في تأويلها كما اختلفت أمة محمد ﷺ في تأويل الآيات من القرآن، أو المراد العلم بمحمد ﷺ واختلاف بني إسرائيل - وهم أهل الكتاب - اختلافهم في صفته أنه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم أنه هو ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يميز المحق من المبطل ويجزي كلًا جزاءه.

بمعنى جرمه وجسمه، فأطلق الجمع لما ذكر وليس بمعنى ذنوبه كما توهم. قوله: (لأنه ظاهر بينها) أي بين الدروع، أي لبس بعضها فوق بعض، يقال: ظاهر وطابق وطارق؛ إذا لبس ثوبًا على ثوب أو درعًا على درع. قوله: (آل) في مختار الصحاح: آل رجع وبابه قال، يقال: طبخ الشراب فال إلى قدر كذا وكذا، أي رجع. اهـ.

قوله: (منزلًا صالحًا مرضيًا) إشارة إلى أن ﴿مَوْأًا﴾ اسم مكان ووصف بالصدق مدحًا لهم، أي أسكنناهم مكانًا محمودًا، فإن عادة العرب إذا مدحت شيئًا أضافته إلى الصدق، تقول: رجل صدق، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: الآية ٨٠].



﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿٩٤﴾

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿لَمَّا قَدَّمَ ذِكْرَ بني إسرائيل - (وهم قراء الكتاب) - ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله ﷺ مكتوب في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته ﷺ ويُباليغ في ذلك فقال: فَإِنْ وَقَعَ لَكَ شك - فرضاً وتقديراً، وسبيل مَنْ خالَجته شبهة أن يُسارع إلى حلِّها بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته أو بمُباحثة العلماء - فسأل علماء أهل الكتاب فإنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلاً عن غيرك. فالمراد وصف الأخبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله ﷺ لا وصف رسول الله ﷺ بالشك فيه. ثم قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللامحة أن ما أتاك هو الحق الذي لا مجال فيه للشك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين ولا وقف عليه للعطف.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٩٥﴾

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٩٥﴾ أي فاثبت ودُم على ما أنت عليه من انتفاء الجرّة عنك والتكذيب بآيات الله، أو هو على طريقة (التهيج) والإلهاب كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ (القصص: الآية ٨٦). ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: الآية ٨٧). ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله: «لا شك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق»، أو حُوطب رسول الله ﷺ والمراد أمته، أي وإن كنتم في شك

قوله: (وهم قراء الكتاب) وفي نسخة: قراء الكتاب جمع قارئ. في المصباح: الفاعل قارئ وقراءة وقراء وقارئون، مثل كافر وكفرة وكفار وكافرون.

قوله: (التهيج) التحريض. قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً﴾ معيّنًا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ على دينهم الذي دعوك إليه، ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾ أصله يصدونك حُذِفَتْ نون الرفع للجازم والواو والفاعل لالتقاءها مع النون الساكنة ﴿عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ﴾، أي لا ترجع إليهم في ذلك. اهـ جلالين.

مما أنزلنا إليكم كقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: الآية ١٧٤]، أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب: («إذا عز أخوك فهن») أو «إن» للنفي أي فما كنت في شك فاسأل، أي لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمُعَايَنَةِ إحياء الموتى. فإن قلت: إنما يجيء «إن» للنفي إذا كان بعده «إلا» كقوله: ﴿إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: الآية ٢٠]. قلت: ذاك غير لازم ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنْ أَسْكَهُمَا مِنْ أَحَرٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: الآية ٤١]، ف «إن» للنفي وليس بعده «إلا».

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا، أو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية ولا وقف على ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأن ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ تتعلق بما قبلها ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم، أو عند القيامة ولا يقبل منهم ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها ثابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعينة ولم تُؤخَّر كما أخر فرعون إلى أن (أخذ بمخنقه)

قوله: («إذا عز أخوك فهن») قال أبو عبيد: معناه مياسرتك صديقك ليست بضيم يركبك منه، فتدخلك الحمية به، إنما هو حسن خلق وتفضل، فإذا عاسرك فياسره. وكان المفضل يقول: إن المثل لهذيل بن هبيرة التغلبي وكان أغار على بني ضبة فغنم، فأقبل بالغنائم فقال له أصحابه: أقسمها بيننا، فقال: إني أخاف إن تشاغلتم بالاققسام أن يدرككم الطلب، فأبوا فعندها قال: إذا عز أخوك فهن، ثم نزل فقسم بينهم الغنائم. وينشد لابن أحرر:

دبيت له الضراء وقلت أبقى إذا عز ابن عمك أن تهونا  
اهد مجمع الأمثال.

قوله: (أخذ بمخنقه) في لسان العرب: أَخَذْتُ بِمُخْنَقِهِ أي موضع الخناق. اهـ.

﴿فَنَقَمَهَا إِيْمَانُهَا﴾ بأن تقبل الله إيمانها منها بوقوعه في وقت الاختيار ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناء منقطع أي ولكن قوم يونس، أو متصل والجملة في معنى النفي كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس، وانتصابه على أصل الاستثناء ﴿لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَازَابَ الَّخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى آجالهم. روي أن يونس عليه السلام بعث إلى (نينوى) من أرض (الموصل) فكذبوه فذهب عنهم مغاضبًا، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا (المسوح) كلهم و(عجوا) أربعين ليلة وبرزوا إلى (الصعيد) بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم، وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها، (فحنّ بعضهم إلى بعض) وأظهروا الإيمان والتوبة، فرحمهم وكشف عنهم - وكان (يوم عاشوراء) يوم الجمعة - وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه (أساس) بُنيانه فيرده. وقيل: خرجوا لما نزل بهم العذاب إلى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم: قولوا يا حيّ حين لا حيّ، ويا حيّ محيي الموتى، ويا حيّ لا إله إلا أنت. فقالوها فكشف الله عنهم. وعن (الفضيل) قدس الله روحه قالوا: اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلّت وأنت أعظم منها وأجلّ، افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله.

قوله: (نينوى) بكسر النون الأولى بعدها ياء ساكنة ثم نون مفتوحة ثم واو. قوله: (الموصل) بفتح الميم وكسر الصاد بلدة مشهورة. قوله: (المسوح) بضمّ الميم. جمع مسح بكسر الميم صفة مشبهة بوزن ملح، أي لبسوا الألبسة البذلة والخلقة لغاية الابتهال والتضرّع لعلّ الله يرحمهم، فرحمهم. اهـ قنوي. وفي المصباح: المسح البلاس والجمع مسوح، مثل حمل وحمول. اهـ. قوله: (عجوا) أي رفعوا أصواتهم من باب ضرب. قوله: (الصعيد) وجه الأرض. قوله: (فحنّ) أي مال (بعضهم إلى بعض) ورقّ قلوبهن واحترق كبودهن من خوف هلاك أولادهن. قوله: (يوم عاشوراء) عاشر المحرم. قوله: (أساس) بالفتح أصل.

قوله: (وعن الفضيل) بن عياض، توفي بمكة أوّل سنة سبع وثمانين ومائة أجمعوا على توثيقه والاحتجاج به وصلاجه وزهده وورعه ونحوها من طريق الآخرة، ومناقبه كثيرة مشهورة.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩)

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ على وجه الإحاطة والشمول ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه، أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته أنه لو شاء لأمن من في الأرض كلهم ولكنه شاء أن يؤمن به من علم منه اختيار الإيمان به، وشاء الكفر ممن علم أنه يختار الكفر ولا يؤمن به. وقول المعتزلة: المراد بالمشيئة مشيئة (القسر) و(الإلجاء) أي لو خلق فيهم الإيمان جبراً لأمنوا لكن قد شاء أن يؤمنوا اختياراً فلم يؤمنوا دليله ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ - أي ليس إليك مشيئة الإكراه والجبر في الإيمان إنما ذلك إني - فاسد لأن الإيمان فعل العبد وفعله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار. وتأويله عندنا أن الله تعالى لطفاً لو أعطاهم آمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم أنهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق. والاستفهام في ﴿أَفَأَنْتَ﴾ بمعنى النفي أي لا تملك أنت يا محمد أن تُكرههم على الإيمان لأنه يكون بالتصديق والإقرار ولا يمكن الإكراه على التصديق.

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١)

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بمشيئته أو بقضائه أو بتوفيقه وتسهيله أو بعلمه ﴿وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ﴾ أي العذاب أو (السخط) أو الشيطان أي ويسلط الشيطان ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لا ينتفعون بعقولهم. ﴿وَيَجْعَلُ﴾ حماد (ويحيى) ﴿قُلْ أَنْظَرُوا﴾ نظر استدلال واعتبار ﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات

قوله: (القسر) في المصباح: قسره على الأمر قسراً من باب ضرب قهره واقتسره كذلك. اهـ. قوله: (الإلجاء) في المصباح: ألجأته إليه ولجأته بالهمزة والتضعيف اضطرته وأكرهته. اهـ.

قوله: (السخط) في المصباح: سخط سخطاً من باب تعب، والسخط بانضم اسم منه وهو الغضب. قوله: ﴿وَيَجْعَلُ﴾ حماد بن زيد عن عاصم (ويحيى) بن

(والعبر) باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ﴾ «ما نافية ﴿وَالنَّذْرُ﴾ والرُّسُلُ المنذرون أو الإنذارات ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَائِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَائِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (يعني وقائع الله فيهم) كما يقال أيام العرب لوقائعها ﴿قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا معطوف على كلام محذوف يدل عليه ﴿إِلَّا مِثْلَ آبَائِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كأنه قيل: نهلك الأمم ثم ننجي رُسُلنا على حكاية الأحوال الماضية ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ومن آمن معهم ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين ﴿وَحَقًّا عَلَيْنَا﴾ (اعتراض) أي حق ذلك علينا حقًا. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ بالتخفيف: علي وحفص).

آدم القرشي عن أبي بكر عاصم، والآخرون بالياء التحتية. قوله: (والعبر) جمع العبرة مثل سدره وسدر. قوله: ﴿وَالنَّذْرُ﴾ جمع نذير بمعنى إنذار أو منذر، وعلى المصدرية جمع لإرادة الأنواع، ويجوز في النذر أن يكون مصدرًا بمعنى الإنذار.

قوله: (يعني وقائع الله فيهم) أي الأيام مجاز عن الوقائع والحوادث لكونها واقعة فيها، فذكر المحل وأربد الحال. قوله: (اعتراض) أي بين العامل ومعمونه اهتمامًا بالإنحاء وبيانًا لأنه كائن لا محالة؛ إذ جعله كالحق الواجب عليه. قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ بالتخفيف أي بسكون النون الثانية (علي) الكسائي (وحفص). والبنقون بفتحها. وأم الوقف عليها، فجميع القراء يقفون على الجيم لأنها مرسومة في المصحف بالجيم بلا ياء، فهي في القرآن وقفًا ووصلًا بلا ياء لجميع القراء.

﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٤) ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٦)

﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ وصحته (وسداده) فهذا ديني فاستمعوا وصفه، ثم وصف دينه فقال: ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ﴾ يُميتكم، وصفه بالتوفي ليربهم أنه (الحقيق) بأن يخاف ويتقي ويعبد دون ما لا يقدر على شيء ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي بأن أكون يعني أن الله أمرني بذلك بما رُكِبَ في من العقل وبما أوحى إلي في كتابه ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي وأوحى إلي أن أقم ليشاكيل قوله أُمِرْتُ أي استقم مُقبلاً بوجهك على ما أمرك الله، أو استقم إليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالاً ﴿حَنِيفًا﴾ حال من الدين أو الوجه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ ﴿إِنْ دَعَوْتَهُ﴾ وَلَا يَضُرُّكَ ﴿إِنْ خَذَلْتَهُ﴾ ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ فإن دعوت من دون الله ما لا ينفَعُكَ ولا يضرُّكَ فكشَى عنه بالفعل إيجازاً ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ «إذا» جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلاً سأل (عن تبعة عبادة الأوثان)، وجعل ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنه لا ظلم أعظم من الشرك.

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِذَا يُرِيدُ بِحَيْرٍ فَلَا رَدَّ لِنَصْبِهِ﴾ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠٧)

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ﴾ يُصِيبُكَ ﴿بِضُرٍّ﴾ مرض ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾ لذلك الضرر ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إلا الله ﴿وَإِذَا يُرِيدُ بِحَيْرٍ﴾ عافية ﴿فَلَا رَدَّ لِفَضْلِهِ﴾ فلا رادُّ لمُرادِهِ ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ بالخير ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ قطع بهذه الآية على عباده طريق

قوله: (وسداده) السداد - بالفتح - الصواب. قوله: (الحقيق) الجدير.  
قوله: (خذلته) تركته. قوله: (عن تبعة عبادة الأوثان) تبع بوزن صرد بضمة الفاء وفتح العين، وتبعة كقربة بفتح الفاء وكسر العين ما يتبعه بعده من الإثم.  
قوله: ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ بالخير) أي أرجع الضمير للخير لقربه، ولو جعل لما ذكر صح، ولكن هذا أظهر وأنسب بما بعده.

الرغبة والرهبة إلا إليه والاعتماد إلا عليه ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ المَكْفَرُ بالبلاء ﴿الرَّحِيمُ﴾ المُعَافِي بالعطاء، اتبع النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر. إن الله هو الضار النافع الذي إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد، فكيف بالجماد الذي لا شعور به؟ وكذا إن أردك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من الفضل والإحسان فكيف بالأوثان؟ وهو الحقيق إذا بأن تَوَجَّه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْسِكَةٌ رَحْمَتِي﴾ [الزمر: الآية ٣٨] وإنما ذكر المس في أحدهما والإرادة في الآخر كأنه أراد أن يذكر الأمرين: الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير، وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مُزيل لما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله: ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ. وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَنِّي. وَمَا أَنَا بِعَيْنِكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٨) ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيْكَ﴾ (١٠٩) ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١١٠)

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ﴾ القرآن أو الرسول ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى﴾ اختار الهدى واتبع الحق ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ فما نفع باختياره إلا لنفسه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَنِّي﴾ ومن أثر الضلال فما ضر إلا نفسه ودلّ اللام والعلی على معنى النفع والضرر ﴿وَمَا أَنَا بِعَيْنِكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظ موكل إلى أمركم إنما أنا بشير ونذير ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصِرْ﴾ على تكذيبهم وإيذائهم ﴿حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيْكَ﴾ لك بالنصرة عليهم والغلبة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأنه المُطَّلِع على السرائر فلا يحتاج إلى بيّنة وشهود.

تمّ تعليقنا على سورة يونس والحمد لله على إحسانه وأفضل صلاة وسلام على أفضل مخلوقاته وآله وصحبه.

## (سورة هود)

(مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَبٌ أَهَكَمْتُ ءَايَتُهُ ثُمَّ فَصَلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾

﴿الرَّ كِتَبٌ﴾ أي هذا كتاب فهو خير مبتدأ محذوف ﴿أَهَكَمْتُ ءَايَتُهُ﴾ صفة له أي نظمت نظماً (رصيناً) مُحَكَّمًا لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المُحَكَّم ﴿ثُمَّ فَصَلْتُ﴾ كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد) والأحكام والمواعظ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله : (سورة هود عليه السلام مكية عند الجمهور) ولذا اختاره المصنف رحمه الله تعالى . وعن ابن عباس رضي الله عنهما مكية كلها، إلا قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَرَكَ بَعْضَ مَا يُوحَى﴾ [هود: الآية ١٢] الآية . وقال مقاتل : مكية، إلا قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَرَكَ بَعْضَ مَا يُوحَى﴾ [هود: الآية ١٢] الآية، وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [هود: الآية ١٧] الآية، نزلت في ابن سلام وأصحابه . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ﴾ [هود: الآية ١١٤] الآية . (وهي مائة وثلاث وعشرون آية) ، وكلماتها ألف وسبعمائة وخمسة عشر، وحروفها سبعة آلاف وستمائة وخمسة أحرف . قوله : (رصيناً) الرصين المُحَكَّم الثابت وقد رصن من باب ظرف . اهـ مختار الصحاح . قوله : ﴿ثُمَّ فَصَلْتُ﴾ كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد) . الخ . بالفرائد متعلق بفصلت، ومن دلائل التوحيد بيان



والقصص، أو جعلت فصولاً سورة سورة وآية آية، أو فرّقت في التنزيل ولم تنزل جملة، أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد أي بيّن ولخص. (وليس معنى ﴿ثُمَّ﴾ التراخي في الوقت. ولكن في الحال) ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (صفة أخرى لـ ﴿كَتَبَ﴾) أو خبر بعد خبر، أو صلة لـ ﴿أُخْبِتَ﴾ و﴿فُصِّلَتْ﴾ أي من عنده أحكامها وتفصيلها.

للفرائد، يقال: عقد مفصل إذا جعل بين كل لؤلؤتين خرزة؛ فمعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: الآية ١] أن آياته زينت بالفرائد كما زُينت القلائد بالفرائد. في مختار الصحاح: الفريد الدر إذا نظم وفصل بغيره. اهـ. قوله: (وليس معنى ﴿ثُمَّ﴾ التراخي في الوقت، ولكن في الحال<sup>(١)</sup>) أي ثم للتراخي في الرتبة لا للتراخي في الوقوع في الزمان، فإنّ تفصيل آياتها ليس متراخياً عن إحكامها بحسب الزمان، بل هو مُتراخ عنه بحسب الرتبة، فإنّ التفصيل بأيّ معنى كان أقوى وأدخل في المدح بالنسبة إلى الإحكام أو للتراخي في الإخبار، فإنّ الشائع في الجمل أن يُراد بها نفس مفهومها، إلّا أنه قد يُراد بها الإخبار بمفهومها، والظاهر أن المراد من التراخي هو مجرد الترتيب، فظهر أن حقيقة التراخي منتفية بين الإخبارين ضرورة أن الإخبار بالتفصيل وقع عقيب الإخبار بالإحكام. قوله: (صفة أخرى لـ ﴿كَتَبَ﴾)، فإنّ ﴿أُخْبِتَ﴾ في محل الرفع على أنه صفة لكتاب، فيكون تقدير الكلام: الر كتاب من لدن حكيم خبير، وإن كان خبراً بعد خبر يكون التقدير: الر من لدن حكيم خبير، وإن كان صلة أي معمولاً لأحد الفعلين من حيث صناعة الإعراب على سبيل التنازع يكون متعلقاً بهما من حيث المعنى، ويكون المعنى: أحكمها حكيم وفصلها، أي شرحها وبينها خبير عالم بكيفيات الأمور؛ وعلى كلّ تقدير يكون المقصود منه تقرير إحكامها وتفصيلها، فإنه لما وصف من أنزلها وأحكمها وفصلها بأنه ربّ حكيم، أي مُحكم للأُمور واضع كل شيء موضعه، وبأنه خبير لا يعزب عنه الأخبار الباطنة، فلا يجري شيء في الملك والملوكوت إلّا ويكون عنده خبره، فإنّ الخبير بمعنى العليم، لكن العلم إذا

(١) قوله: ولكن في الحال، يحتمل أمرين أن يراد التراخي في الرتبة، فإنّ التفصيل أقوى من الإحكام، وأن يراد التراخي في الإخبار، فإنّ الجملة يراد بها مفهومها وقد يُراد بها الإخبار بمفهومها. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْ نَّدِيرٍ وَبَشِيرٍ﴾ (٢) ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمِيعَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (٣)

﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ (مفعول له) أي لئلا تعبدوا (أو) ﴿وَأَن﴾ مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول) كأنه قيل: قال لا تعبدوا إلا الله أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْ نَّدِيرٍ وَبَشِيرٍ﴾ أي من الله ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي أمركم بالتوحيد والاستغفار ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي استغفروه من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة ﴿يُمِيعَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة ﴿إِلَّا أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن يتوفاكم ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ ويُعطى في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا (يبخس) منه شيئاً ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ وإن تتولوا ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة.

﴿إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤)

﴿إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فكان قادراً على إعادتكم.

أضيف إلى الخفايا الباطنة يسمّى خبره ويسمّى صاحبه خبيراً، ولكون الخبير أبلغ من العليم أورد ذكر الخبير بعد ذكر العليم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الخُجَرَات: الآية ١٣].

قوله: (مفعول له) لقوله: ﴿أُحْكِمْتَ﴾ أو ﴿فُصِّلْتَ﴾ على طريق التنازع. قوله: (أو) ﴿وَأَن﴾ مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول) وأن المفسرة في تقدير القول؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَذَرْنَاهُ أَن يَتَأْتِيَهُمْ﴾ (١٦) [الضافات: الآية ١٠٤]، تقدير نادينا وقلنا يا إبراهيم، ولهذا لا تجيء بعد صريح القول؛ لأن تقدير القول بعد صريحه لا معنى له، وإنما تجيء بعد كلام فيه معنى القول ليدل على القول، فكانه قيل ههنا: ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال: لا تعبدوا إلا الله. قوله: ببخس. يُنْقَص وبابه قطع.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُيْتْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الصُّدُورِ ۝﴾

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ (يزورون) عن الحق وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدرة، ومن أزورَ عنه وانحرف (ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحته) ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها أي يريدون الاستخفاء حين يستغشوا ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام ﴿جَعَلُوا أَصْصِعَهُمْ فِي مَا أَذَانَهُمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: الآية ٧] ﴿يَعْلَمُ مَا يُيْتْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مُطَّلِعٌ على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده. قيل: نزلت في المنافقين ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الصُّدُورِ﴾ بما فيها.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝﴾ وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكانت عرشه على الماء لِيَبْنُوَكُمْ أَفْئَكَةً أَحْسَنَ عَمَلًا وَلَيْسَ قُلْتِ إِنَّكُمْ نَبْعَثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝﴾

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تفضلاً لا وجوباً ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَوْدَعَهَا﴾ مكانه من الأرض ومسكنه ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث كان مودعاً قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ﴾

قوله: (يزورون) في مختار الصحاح: قد أزورَ عن الشيء ازوراراً أي عدل عنه وانحرف. اهـ. قوله: (ثنى عنه صدره) في مختار الصحاح: ثنى الشيء عطفه وبابه رمى وثناه أيضاً كفه وثناه صرفه عن حاجته. اهـ. قوله: (وطوى عنه كشحته) في الصحاح: فلان طوى كشحته إذا أعلا بوده. اهـ. وفي مختار الصحاح: الكشح بوزن الفلّس ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف وطوى فلان عني كشحته أي قُطعني، والكاشح الذي يضمرك بك العداوة. اهـ. وفي المصباح: والكاشح الذي يطوي كشحته على العداوة، وقيل: الذي يتباعد عنك. اهـ.

وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ وما بينهما ﴿٢﴾ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿٣﴾ من الأحد إلى الجمعة تعليمًا للتأني  
 ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ أي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات  
 والأرض إلا الماء. وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق  
 السموات والأرض. قيل: بدأه بخلق ياقوته خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء  
 ثم خلق ريحًا فأقرّ الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء، وفي وقوف العرش  
 على الماء أعظم اعتبار لأهل الأفكار ﴿لِيَبْتَلُوَكُمْ﴾ أي خلق السموات والأرض وما  
 بينهما (للممتحن فيهما) ولم يخلق هذه الأشياء لأنفسها ﴿إِيَّاكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أكثر  
 شكرًا. وعنه عليه السلام «أحسن عقلًا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله  
 فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه»، ولما أشبه ذلك اختبار المختبر  
 قال: ﴿لِيَبْتَلُوَكُمْ﴾ أي ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون ﴿وَلَئِنْ  
 قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَقْبُولُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾  
 أشار بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحرًا فقد اندرج  
 تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره ﴿ساحر﴾ حمزة وعلي يريدون الرسول  
 والساحر كاذب مُبطل.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أَتَمِّ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُمْ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ  
 مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر ﴿إِلَىٰ أَتَمِّ﴾ إلى  
 جماعة من الأوقات ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ معلومة أو قلائل والمعنى إلى حين معلوم  
 ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُمْ﴾ ما يمنعه من النزول استعجالاً له على وجه التكذيب  
 والاستهزاء ﴿إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿لَيْسَ﴾ العذاب ﴿مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ و﴿يَوْمَ﴾  
 منصوب بـ ﴿مَصْرُوفًا﴾ أي ليس العذاب مصروفاً عنهم يوم يأتيهم ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾  
 وأحاط بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ العذاب الذي كانوا به يستعجلون. وإنما وضع  
 ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على وجه الاستهزاء.

قوله : (للممتحن فيهما)، وفي نسخة صحيحة: ليمتحن فيها. قوله :

﴿ساحر﴾ على وزن فاعل (حمزة وعلي) الكسائي. والباقون: ﴿سِحْرٌ﴾ إهود: الآية  
 [٧] بكسر السين وسكون الحاء.

﴿وَلَيْنِ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ﴾ ﴿٩﴾

﴿وَلَيْنِ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هو للجنس ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة من صحة وأمن (جدة). واللام في ﴿لَيْنِ﴾ لتوطئة القسم ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم ﴿إِنَّهُ لَكُفُورٌ﴾ شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المسلوقة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ﴿كُفُورٌ﴾ عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله (نساء) له.

﴿وَلَيْنِ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ ﴿١٠﴾  
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿وَلَيْنِ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ﴾ وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ أي المصائب التي ساءتني ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (أشر بطر) ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ في المحنة والبلاء ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وشكروا في النعمة (الرخاء) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يعني الجنة. كانوا (يقترحون) عليه آيات (تعتنا) لا استرشاداً، لأنهم لو كانوا مُسْتَرشِدِينَ لكانت آية

قوله: (جدة) في لسان العرب نقلاً عن التهذيب: يقال: وجدت في الماء وَجْدًا وَوَجْدًا وَوَجْدًا وَوَجْدَانًا وَجِدَةً، أي صرت ذا مال. اهـ. وعبرة المحكم: وجد المال وغيره يجده وجدًا مثلثة وجدة كعدة استغنى. اهـ. قوله: (نساء) بفتح النون وتشديد السين. في مختار الصحاح: النسيان بكسر النون وسكون السين ضدّ الذّكر والحفظ. اهـ.

قوله: (أشر) متكبّر بطر. قوله: (بطر) بكسر الطاء صفة مشبهة بُنيت للمبالغة، أي أشر ومتكبر. قوله: (الرخاء) في المصباح: رخی ورخو من بابي تعب وقرب رخاوة - بالفتح - إذا لَانَ، وكذلك العيش رخی ورخوًا إذا اتسع، فهو رخی على فعيل، والاسم الرخاء. اهـ. قوله: (يقترحون) في مختار الصحاح: اقترح عليه شيئاً سأله إياه من غير رَوِيَةٍ. اهـ. قوله: (تعتنا) في لسان العرب: تَعَتَّنَا تَعَتَّنَا سألَه عن شيءٍ أراد به اللبس عليه. اهـ.

واحدة مما جاء به كافية في (رشادهم). ومن اقتراحاتهم ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُزًّا أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [الفرقان: الآية ٧].

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُزًّا أَوْ حَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٧)

وكانوا لا يعتدّون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله ﷺ أن يُلقِي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، (فهيجته) لأداء الرسالة و(طرح المبالاة) بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ﴾ أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ بأن تتلوه عليهم. (ولم يقل «ضيق») ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأنه عليه السلام كان (أفسح) الناس صدرًا ولأنه أشكل بـ ﴿تَارِكٌ﴾ ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ (مخافة أن يقولوا) ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُزًّا أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ هلاً أنزل عليه ما

قوله: (رشادهم) في المصباح: الرشد الصلاح وهو خلاف الغي والضلال وهو إصابة الصواب، ورشد رشدًا من باب تعب ورشد يرشد من باب قتل، فهو راشد والاسم الرّشاد. اهـ.

قوله: (فهيجته) في المصباح: هاج الشيء هَيَجَانًا وَهِيَجًا بالكسر ثار وهيجته يتعدى ولا يتعدى وهيجته بالثقل مبالغة. اهـ. قوله: (طرح) أي ترك. قوله: (المبالاة) بالاه وبالي به مبالاة وبلاء وبالة وبالاً على غير قياس، وأصلهما بالية وباليًا اهتم به واكثر له. قوله: (ولم يقل ضيق) بصيغة الصفة المشبهة... الخ. يعني أن قوله تعالى: ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَتَارِكٌ﴾، وعدل عن ضيق إليه وإن كان ضيق أكثر منه استعمالاً؛ لأن المقام ليس مقام الدلالة على الثبوت والاستقرار، بل المقام مقام الدلالة على الحدوث والعروض؛ فلذلك عدل إلى ما يدل عليه، وهو صيغة الفاعل، فإنك إذا أردت السيادة والجود الثابتين المستقرين قلت: سيّد وجيد، وإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد، وكذا الفرق بين حاسن وثاقل وسامن، وبين حسن وثقيل وسمين. قوله: (أفسح) أشرح. قوله: (مخافة أن يقولوا) علة لقوله: وضائق، حذف وأقيم المضاف إليه مقامه وأعرب

اقترحنا من الكنز لننفقه والملائكة لنصدقه ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحى إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه، ولا عليك أن ردوا أو تهاونوا ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل، فتوكل عليه وكل أمرك إليك، وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مُبالٍ بسفهمهم واستهزائهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ كَفَرْنَا قُلْ فَاتُوا بَعْثِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مَفْرِيْتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ (أم) (منقطعة) ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ الضمير لما يوحى إليك ﴿قُلْ فَاتُوا بَعْثِ سُوْرٍ﴾ تحذاهم أولاً بِعَشْرِ سور ثم بسورة واحدة كما يقول (المخاير في الخط) لصاحبه: اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب. فإذا تبين له العجز عن ذلك قال: اقتصرت منك على سطر واحد ﴿مِثْلِهِ﴾ في الحسن و(الجزالة). ومعنى ﴿مِثْلِهِ﴾ أمثاله (ذهاباً) إلى مماثلة كل واحدة منها له ﴿مَفْرِيْتٍ﴾ صفة لـ «عشر سور». لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله. أرخى معهم العنان وقال: (هبوا) أني (اختلقته) من عند نفسي فاتوا أنتم أيضاً بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلي ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه مفترى.

إعرايه محلاً وضمير ﴿بِهِ﴾ يعود على ﴿بَعْضَ مَا يُوحَى﴾. وقيل: مبهم تفسيره ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾.

قوله: ﴿أَمْ﴾ (منقطعة) فيقدّر ببل والهمزة، أي بل أيقولون. قوله: (المخاير في الخط) في تاج العروس من جواهر القاموس: خايره في الخط مخايرة غلبه. اهـ. قوله: (الجزالة) أي الفصاحة. قوله: (ذهاباً) ... الخ. مفعول له يعني وضع الله مثله موضع أمثاله ليدلّ على أفراد المعدود واحداً واحداً. قوله: (هبوا) في القاموس: هَبْنِي فعلت كذا، أي احسبني واغذني كلمة للأمر فقط. اهـ. لا يستعمل منه ماضٍ ولا مستقبل في هذا المعنى، تقول في تصريفه: هَبْ هَبَا هَبُوا هَبِي هَبَا هَبِي. قوله: (اختلقته) افتريته.

﴿فَإِلَٰهٌ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْمِعُونَ﴾ (١٤)

﴿فَإِلَٰهٌ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله من نظم مُعْجَزٍ للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليها، واعلموا عند ذلك أن لا إله إلا الله وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم، وإنما جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله: ﴿لَكُمْ فَأَعْلَمُوا﴾ بعد قوله: ﴿قُلْ﴾ لأن الجمع لتعظيم رسول الله ﷺ، أو لأن رسول الله ﷺ والمؤمنين كانوا يحدثونهم، أو لأن الخطاب للمشركين. والضمير في ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ لِمَنْ استطعتم أي فإن لم يستجب لكم مَنْ تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا أنما أنزل بعلم الله أي بإذنه أو بأمره ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْمِعُونَ﴾ مُتْبِعُونَ للإسلام بعد هذه الحجة القاطعة. وَمَنْ جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً على أنه مُنْزَلٌ من عند الله وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥)  
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦)

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير (بخس) في الدنيا، وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق، وهم الكفار أو المنافقون ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنعهم أي لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا ﴿وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي كان عملهم في نفسه باطلاً لأنه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له.

قوله: (بخس) أي نقص.



﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ. وَسَوَّاهُ شَاهِدًا مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ. كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ. مِنَ الْأَحْزَابِ فَآلَتَارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرْيَئِهِ مَنَّةٌ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٧)

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بَيِّنَةٍ من ربه) أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يعني أن بين الفريقين تباينًا بينًا وأراد بهم مَنْ آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره، كان على بَيِّنَةٍ من ربه أي على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حقُّ وهو دليل العقل ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ (ويتبع ذلك البرهان) ﴿شَاهِدًا﴾ يشهد بصحته وهو القرآن ﴿مِّنْهُ﴾ من الله أو من القرآن فقد مرَّ ذكره آنفًا ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ ومن قبل القرآن ﴿كَتَبَ مُوسَىٰ﴾ وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضًا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام ﴿إِمَامًا﴾ كتابًا مؤتمًا به في الدين قدوة له ﴿وَرَحْمَةً﴾ ونعمة عظيمة على المنزل إليهم وهما حالان ﴿أُولَئِكَ﴾ أي مَنْ كان على بَيِّنَةٍ ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ يعني أهل مكة (ومن ضامهم) من المتحزبين على رسول الله ﷺ ﴿فَآلَتَارُ مَوْعِدُهُ﴾ مصيره ومورده ﴿فَلَا تَكُ فِي مَرْيَئِهِ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن أو من الموعد ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله: (أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بَيِّنَةٍ من ربه) . . . الخ. في الكشف: أفمن كان على بَيِّنَةٍ، معناه: أمن كان يريد الحياة الدنيا، فمن كان على بَيِّنَةٍ أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم، يريد أن بين الفريقين تفاوتًا بعيدًا وتباينًا بينًا، وأراد بهم مَنْ آمن من اليهود؛ كعبد الله بن سلام وغيره كان على بَيِّنَةٍ، إلى هنا كلامه. يعني أن الفاء يستدعي معطوفًا عليه وهو مقدر ههنا، تقديره: أمن كان فمن كان، ولا بدَّ من تقدير فعل ليصح المعنى، أي أذكر أولئك فيذكر هؤلاء أو يقال فيقال، والهمزة لإنكار هذا التعقيب، وإليه الإشارة بقوله: أي لا يعقبونهم ولا يقاربونهم. قوله: (ويتبع ذلك البرهان) أي يتلو من التلو بمعنى التبع لا بمعنى التلاوة. في المصباح: تلوت الرجل أتلوه تلؤا على فعول تبعته، فأنا له تالٍ وتلؤا أيضًا وزان حمل وتلوت القرآن تلاوة. قوله: (ومن ضامهم) في مختار الصحاح: ضم الشيء إلى الشيء فانضمَّ إليه، وبابه ردَّ وضامه وتضام القوم انضمَّ بعضهم إلى بعض. اهـ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ (يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم) ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ ويشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبیین بأنهم الكاذبون على الله بأنه اتخذ ولداً وشريكاً ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الكاذبين على ربهم، والأشهاد جمع شاهد كأصحاب وصاحب أو شهيد كشریف وأشراف ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يصرفون الناس عن دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد) ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (هم) الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به).

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانْ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا﴾ أي ما كانوا ﴿مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ بمعجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم ﴿وَمَا كَانْ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد ﴿يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ لأنهم أضلوا الناس عن دين الله.

قوله: (يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم) إشارة إلى أنه تعالى ليس في مكان حتى يعرضون عليه، وأن المراد عرضهم على الموقف المقدر للحساب والسؤال وحبسهم فيه إلى أن يقضي الله عز وجل بين العباد. قوله: (يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد) فسر طلب العوج لسبيل الله أولاً بوصفهم إياها بالانحراف عن الحق بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب، وثانياً بطلب العوج لأهلها على حذف المضاف. قوله: ﴿هُمُ﴾ الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به) أما التأكيد، فمن تكريرهم، فإن تكرير المسند إليه يفيد تأكيد شأنه في الاتصاف بمضمون الخبر. وأما الاختصاص، فلتقديم ﴿هُمُ﴾ على الكافرين، كما لو قال: هم يكفرون.

﴿يُضَعِّفُ﴾ مكِّي وشامي ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ أي استماع الحق ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ الحق.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ لَا حَرَّ أُنْهَى فِي الْآخِرَةِ هُمْ لَأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الآلهة وشفاعتها ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ (بالصد والصدود) وفي لا جرم أقوال أحدها أن لا رد لكلام سابق أي ليس الأمر كما زعموا، ومعنى ﴿جَرَمَ﴾ كسب وفاعله مُضَمَّرٌ و﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ في محل النصب والتقدير: كسب قولهم خسرانهم في الآخرة، وثانيها أن ﴿لَا جَرَمَ﴾ كلمتان ركبنا فصار معناهما حقاً و«أن» في موضع رفع بأنه فاعل لحق أي حق خسرانهم، وثالثها أن معناه (لا محالة).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْنَى وَالْأَصْرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع (من الخبت وهي الأرض المطمئنة) ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ

قوله: ﴿يُضَعِّفُ﴾ بالتشديد والقصر (مَكِّي) أي ابن كثير المَكِّي (وشامي) أي ابن عامر الشامي.

قوله: (بالصد والصدود) في مختار الصحاح: صَدَّ عَنْهُ يَصُدُّ بِالضَّمِّ صُدُودًا أَعْرَضَ وَصَدَّهُ عَنِ الْأَمْرِ مَنَعَهُ وَصَرَفَهُ مِنْ بَابِ رَدٍّ. اهـ. قوله: (لا محالة) أي لا بد، أي لا فراق أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

قوله: (من الخبت) يعني أن الإخبات أصله نزول الخبت، وهو المنخفض من الأرض، فأطلق على الخشوع واطمئنان النفس استعارة تشبيهاً للمعقول بالمحسوس، ثم صار حقيقة شرعية فيه. قوله: (وهي الأرض المطمئنة) المنخفضة والمتسفلة.

الْجَنَّةَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴿٢٤﴾ شَبَّهَ فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع ﴿٢٤﴾ هَلْ يَسْتَوِينَ ﴿٢٥﴾ يعني الفريقين ﴿مَثَلًا﴾ تشبيهاً وهو نصب على التمييز ﴿أَفَلَا نَذْكُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ فتنتفعون بضرب المثل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٥﴾ أي بأنني والمعنى أرسلناه (ملتبساً بهذا الكلام) وهو قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بالكسر فلما اتصل به الجار فتح له كما فتح في «كأن»، (والمعنى على الكسر وبكسر الألف شامي ونافع وعاصم وحمزة على إرادة القول) ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ «أن» مفسرة متعلقة بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أو بـ ﴿نَذِيرٌ﴾. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ وصف اليوم بأليم من الإسناد المجازي لوقوع الألم فيه.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا سُحْرًا يَثَلَّكَ وَمَا نَرْنَكَ إِلَّا تَبَعَكَ﴾ ﴿٢٧﴾ لَذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ يريد الأشراف لأنهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس (أبهة)، أو لأنهم ملئوا (بالأحلام) والآراء الصائبة ﴿مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشْرًا﴾

قوله: (ملتبساً بهذا الكلام)... الخ. جعل الجار والمجرور حالاً من المفعول، وإنما قال: (والمعنى على الكسر)؛ لأن قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ في الأصل مقول والكسر لازم بعد القول، فاتصل به الجار فغير اللفظ دون المعنى؛ كما في قولك: كأن زيداً أسد، والأصل إنَّ زيداً كالأسد، فنقل الكاف ففتح الهمزة. قوله: (وبكسر الألف شامي) أي ابن عامر الشامي، (ونافع وعاصم وحمزة) الكسائي (على إرادة القول) أي على إضمار القول، والتقدير: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ فقال لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، أي مخوف مبين، أي مظهر ذلك الإنذار على أكمل طريقة. وقرأ الباقون بالفتح على إضمار حرف الجر.

قوله: (أبهة) في محيط المحيط: الأبهة والأبهة العظمة والبهجة والكبر والنخوة. اهـ. قوله: (بالأحلام) أي العقول.

يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَرَادُوا أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَلِكًا أَوْ مَلَكًا ﴿وَمَا زَلْنَاكَ أَنْتَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَكُونُوا﴾ (أَحْسَاؤُنَا جَمْعُ الْأَرْدَلِ) ﴿بَادِي﴾ (وَبِالْهَمْزَةِ): أَبُو عَمْرٍو ﴿الرَّأْيُ﴾ (وَبِغَيْرِ هَمْزٍ: أَبُو عَمْرٍو) أَيِ اتَّبَعُوكَ ظَاهِرَ الرَّأْيِ، أَوْ أَوَّلَ الرَّأْيِ مِنْ بَدَأَ يَبْدُو إِذَا ظَهَرَ أَوْ بَدَأَ يَبْدَأُ إِذَا فَعَلَ الشَّيْءَ أَوَّلًا، وَانْتِصَابُهُ عَلَى الظَّرْفِ أَصْلُهُ وَقَدْ حَدُوثَ ظَاهِرَ رَأْيِهِمْ أَوْ أَوَّلَ رَأْيِهِمْ، فَحُذِفَ ذَلِكَ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامُهُ، أَرَادُوا أَنْ يَتَّبَعَهُمْ لَكَ شَيْءٌ (عَنْ لَهُمْ بِدِيهَةٍ) مِنْ غَيْرِ (رَوِيَّةٍ) وَنَظَرَ وَلَوْ تَفَكَّرُوا مَا اتَّبَعُوكَ. وَإِنَّا اسْتَرْدَلُوا الْمُؤْمِنِينَ لِفَقْرِهِمْ وَتَأَخَّرَهُمْ فِي الْأَسْبَابِ الدُّنْيَوِيَّةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا جَهَالًا مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ إِلَّا ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَكَانَ الْأَشْرَفُ عِنْدَهُمْ مَنْ لَهُ جَاءَ وَمَالَ كَمَا تَرَى (أَكْثَرُ الْمُتَشَمِّينَ بِالْإِسْلَامِ) يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ وَيَبْنُونَ عَلَيْهِ إِكْرَامَهُمْ وَإِهَانَتَهُمْ. وَلَقَدْ (زَلَّ) عَنْهُمْ أَنْ التَّقَدُّمُ فِي الدُّنْيَا لَا يَقْرَبُ أَبَدًا مِنَ اللَّهِ وَإِنَّمَا يَبْعَدُهُ وَلَا يَرْفَعُهُ بَلْ يَضَعُهُ ﴿وَمَا زَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فِي مَالٍ وَرَأْيٍ عَنَّا نَوْحًا وَاتِّبَاعَهُ ﴿بَلْ نُنَظِّكُمْ كَذِبِينَ﴾ أَيِ نَوْحًا فِي الدَّعْوَةِ وَمُتَّبِعِيهِ فِي الْإِجَابَةِ وَالتَّصْدِيقِ يَعْنِي تَوَاطَأْتُمْ عَلَى الدَّعْوَةِ وَالْإِجَابَةِ تَسْبِيًا لِلرِّيَاسَةِ.

قوله: (أَحْسَاؤُنَا) الْإِخْسَاءُ جَمْعُ خَسِيرٍ مِثْلُ نَبِيٍّ وَأَنْبِيَاءٍ. قوله: (جمع الأرذل) بفتح الهمزة؛ كقوله تعالى: ﴿أَكْثَرُ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣]، وقوله ﷺ: «أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»، أَوْ جَمْعُ أَرْذَلٍ بِضَمِّ الدَّالِ جَمْعُ رَذَلٍ بِسُكُونِهَا نَحْوُ كَلْبٍ وَأَكْلُبُ وَأَكْلَابٍ. قوله: (وَبِالْهَمْزَةِ) أَيِ بِهَمْزَةٍ مُفْتُوحَةٍ بَعْدَ الدَّالِ (أَبُو عَمْرٍو). وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِيَاءٍ مُفْتُوحَةٍ. قوله: (وَبِغَيْرِ هَمْزٍ: أَبُو عَمْرٍو) أَيِ أَبْدَلَ هَمْزَةَ الرَّأْيِ أَيِ أَلْفًا وَقَفًّا وَوَصَلًا. قوله: (عَنْ لَهُمْ) فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ: عَنْ لَهُ كَذَا يَعْنُ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَكُسْرِهَا عَنَّا، أَيِ عَلَا وَاعْتَرَضَ. اهـ.

قوله: (بِدِيهَةٍ) فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ: بِذَهَبٍ أَمْرٌ فَجْأُهُ وَبَابُهُ قَطْعٌ، وَبِدْهُ بِأَمْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ بِهِ، وَبَادْهُ فَجْأُهُ، وَالْأَسْمُ الْبِدَاهَةُ وَالْبِدِيهَةُ. اهـ. قوله: (رَوِيَّةٌ) الرُّوِيَّةُ الْفِكْرُ وَالتَّنَدُّبُ، وَهِيَ كَلِمَةٌ جَرَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ بِغَيْرِ هَمْزٍ تَخْفِيفًا، وَهِيَ مِنْ رَوَّاتٍ فِي الْأَمْرِ بِالْهَمْزِ إِذَا نَظَرَتْ فِيهِ. اهـ. مصباح. قوله: (أَكْثَرُ الْمُتَشَمِّينَ بِالْإِسْلَامِ) فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ: اتَّسَمَ الرَّجُلُ جَعَلَ لِنَفْسِهِ سِمَةً يُعْرَفُ بِهَا. اهـ. قوله: (زَلَّ) تَنَحَّى.



(﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ مدني وشامي وأبو عمرو وحفص) ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به (أنفة) من المجالسة معهم ﴿إِنَّهُمْ مُلَفَّقُوا رَيْبِهِمْ﴾ فيشكونني إليه إن طردتهم ﴿وَلَكِنَّتِ أَرْكَكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ تسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل، أو تجهلون لقاء ربكم أو أنهم خير منكم ﴿وَيَقُولُ مَن يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ﴾ مَن يمنعني من انتقامه ﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ فأدعي فضلاً عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم: ﴿وَمَا زَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائهم، وهو معطوف على ﴿عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ حتى تقولوا لي ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ ولا أحكم على من استزدلتم من المؤمنين لفقرهم ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه مساعدة لكم ونزولاً على هواكم ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من صدق الاعتقاد وإنما عليّ قبول ظاهر إقرارهم إذ لا أطلع على خفي أسرارهم ﴿إِنِّي إِذَا لَبِئَ الظَّالِمِينَ﴾ إن قلت شيئاً من ذلك. والازدراء افتعال (من زرى عليه) إذا عابه (وأصله تزترى فأبدلت التاء) دالاً.

﴿قَالُوا يَسُوعُ قَدْ جَدَلْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَكَ فَأَيْنَ مَا تَعُدُّ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٣٢﴾  
 قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُعْجِزٍ ﴿٣٣﴾

﴿قَالُوا يَسُوعُ قَدْ جَدَلْنَاكَ خَاصَمْتَنَا﴾ ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَ مَا تَعُدُّ﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في وعدك ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ أي

قوله: ﴿﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾﴾ بفتح الياء (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو عمرو وحفص). والباقون بسكون الياء. قوله: (أنفة) بفتحيتين، في المصباح: أُنْفٌ من الشيء أنفاً من باب تعب، والاسم الأنفة مثل قصبة، أي استنكف وهو الاستكبار. اهـ. قوله: (من زرى عليه) في المصباح: ذرى عليه ذرياً من باب رمى، وزرية وزراية - بالكسر - عابه واستهزأ به. اهـ. قوله: (وأصله تزترى فأبدلت التاء) دالاً لتجانس الزاي في الجهر، فإن التاء مهموسة.

ليس الإتيان بالعذاب إليّ وإنما هو إلى من كفرتم به ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي لم تقدرُوا على الهرب منه .

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٤) أم يقولون افتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْحَرُونَ﴾ (٣٥)

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ هو إعلام موضع الغي ليعتقي والرشد ليعتصفي ﴿وَلَكَيْفَ﴾ ﴿إِنِّي﴾ ﴿نُصْحِي﴾ مدني وأبو عمرو). ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أي يضلكم، وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقدماً في الحكم لما عرف. تقديره: إن كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم، وهو دليل بين لنا في إرادة المعاصي ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ فيتصرف فيكم على قضية إرادته ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ بل يقولون افتراه ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَ إِجْرَامِي﴾ أي إن صح أني افتريته فعلي عقوبة إجرامي أي افترائي. يقال أجرم الرجل إذا أذنب ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ﴾ أي ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه. ومعنى ﴿مِمَّا تَجْحَرُونَ﴾ من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم.

﴿وَأَوْحِ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّسْنَا وَلَا تَحْطَبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٣٧)

﴿وَأَوْحِ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ إقناط من إيمانهم وأنه غير متوقع، وفي دليل على أن للإيمان حكم التجدد كأنه قال: إن الذي آمن يؤمن في حادث الوقت، وعلى ذلك تخرج الزيادة التي ذكرت في الإيمان بالقرآن

قوله: ﴿وَلَكَيْفَ﴾ ﴿إِنِّي﴾ ﴿أَرَاكُمْ﴾ ﴿نُصْحِي﴾ (٣٤) إن أردت بالفتح (١) (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، (وأبو عمرو).

(١) أي بفتح ياء الإضافة. ١٢ منه عم فيضهم.



﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فلا تحزن حزن بئس (مستكين)، والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر، والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ هو في موضع الحال أي اصنعها محفوظًا وحقيقته مُلْتَبَسًا بأعيننا كأن الله معه أعيُنًا (تكلؤه) من أن يزيغ في صنعته عن الصواب ﴿وَوَحَّيْنَا﴾ وأنا نوحى إليك ولنهملك كيف تصنع. عن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل (جَوْجُو الطير) ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك ﴿إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ﴾ محكوم عليهم بالإغراق وقد قضى به وجفَّ القلم فلا سبيل إلى كفه.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ من عمله السفينة وكان يعملها في برية في أبعد موضع من الماء فكانوا يتضحكون منه ويقولون له: يا نوح صرت بحارًا بعدما كنت نبيًا ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ عند رؤية الهلاك ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ منا عند رؤية الفلك. رُوِيَ أن نوحًا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب (الساج) في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع أو ألفًا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعًا أو ستمائة ذراع، وطولها في السماء ثلاثون ذراعًا، وجعل لها ثلاثة بطون، فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع و(الهوام)، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام، وركب نوح ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد، وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزًا بين الرجال والنساء.

قوله: (مستكين) أي خاضع وذليل. قوله: (تكلؤه) تحفظه. قوله: (جَوْجُو الطير) الجَوْجُو الصدر. اهـ لسان العرب.

قوله: (الساج) وهو شجر عظيم يكثر في الهند. قوله: (الهوام) في المصباح: الهامة ما له سم يقتل كالحية، قاله الأزهرى. والجمع الهوام مثل دابة ودواب، وقد تُطلق على ما لا يقتل كالحشرات. اهـ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٣٩) حَقٌّ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ﴾ «من» في محل نصب بـ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ أي فسوف تعلمون الذي يأتيه ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ ويعني به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ﴿وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ﴾ وينزل عليه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ وهو عذاب الآخرة.

﴿حَقٌّ﴾ هي التي يبدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد، وما بينهما من الكلام حال من ﴿يَصْنَعُ﴾ أي يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملا من قومه سخرها منه، وجواب ﴿كُلَّمَا﴾ ﴿سَخَرُوا﴾ ﴿وَقَالَ﴾ استئناف على تقدير سؤال سائل، أو ﴿قَالَ﴾ جواب و﴿سَخَرُوا﴾ بدل من ﴿مَرَّ﴾ أو صفة لـ ﴿مَلَأَ﴾ ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ هو كناية عن اشتداد الأمر وصعوبته. وقيل: معناه (جاش) الماء من تنور الخبز، وكان من حجر لحواء فصار إلى نوح عليه السلام. وقيل: التنور وجه الأرض ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (في سورة «المؤمنين») ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ عطف على ﴿اثْنَيْنِ﴾ وكذا ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم، واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر بتقديره وإرادته جلّ خالق العباد عن أن يقع في الكون خلاف ما أراد ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال عليه السلام: «كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم»، وقيل: كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة. وقيل:

قوله: (جاش) في المصباح: جاشت القدر تجيش جيشًا غلت. اهـ. قوله: ﴿مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (في سورة المؤمنين) قال المصنف رحمه الله عليه في تفسير سورة المؤمنين: ﴿مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ من كل أمتين زوجين، وهما أمة الذكر وأمة الأنثى، كالجمال والثوق والحُصْن<sup>(١)</sup> والرمّاك<sup>(٢)</sup> ﴿اثْنَيْنِ﴾

كانوا اثنين وسبعين - رجالاً - ونساء - وأولاد نوح: (سام وحام ويافث) ونساؤهم، فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجِّيْنَهَا وَمُرْسَتْهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجِّيْنَهَا وَمُرْسَتْهَا﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ متصل بـ ﴿ارْكَبُوا﴾ حالاً من الواو أي اركبوا فيها مُسَمِّينَ الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها، إما لأن المجرى والمرسى للوقت، وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم: («خفوق النجم»)، ويجوز أن يكون ﴿بِسْمِ اللَّهِ نَجِّيْنَهَا وَمُرْسَتْهَا﴾ جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهي مبتدأ وخبر يعني أن نوحاً عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أي باسم الله إجراؤها وإرساؤها، وكان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت، وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست: ﴿نَجِّيْنَهَا﴾ (بفتح الميم وكسر الراء) من جرى إما مصدر أو وقت: حمزة وعلي وحفص، (وبضم الميم وكسر الراء): أبو عمرو، والباقون: بضم الميم وفتح الراء ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ﴾ لَمَنْ آمَنَ منهم ﴿رَحِيمٌ﴾ حيث خلصهم.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَقَرٍّ يَتَّبِعُ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ قَالَ سَاقَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِفُ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَدَّ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ متصل بمحذوف دل عليه ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ﴾ كأنه قيل: فركبوا فيها يقولون بسم وهي تجري بهم أي السفينة تجري وهم فيها ﴿فِي﴾

واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة، رُوي أنه لم يحمل إلا ما يلدُ ويبيض من ﴿كُلِّ﴾ حفص والمفضل، أي من كل أمة زوجين اثنين واثنين تأكيد وزيادة بيان، انتهى بحروفه. قوله: (سام وحام ويافث) بمنع الصرف للعلمية والعجمة.

قوله: (خفوق النجم) أي طلوعه أو غروبه، فهو من الأضداد. قوله: (بفتح الميم وكسر الراء) للإمالة. قوله: (وبضم الميم وكسر الراء) للإمالة من أجرى.

مَوْجَ كَالْجِبَالِ ﴿٤٤﴾ يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر وتمرّة وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة في خلاله، شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان. وقيل: يام. والجمهور على أنه ابنه الصليبي. وقيل: كان ابن امرأته ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن أبيه وعن السفينة «مفعّل» عن عزله عنه إذا نحاه وأبعده أو في معزل عن دين أبيه ﴿يَبْنِي﴾ بفتح الياء: عاصم، اقتصاراً عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة من قولك: «يا بني». غيره بكسر الياء اقتصاراً عليه. من ياء الإضافة ﴿أَرْكَبَ مَعَنَّا﴾ في السفينة أي أسلم واركب ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ قَالَ سَوَادٌ ﴿الْجَأُ﴾ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴿٤٦﴾ يمنعني من الغرق ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ إلا الراحم وهو الله تعالى، أو لا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله أي إلا مكان من رحم الله من المؤمنين، وذلك أنه لما جعل الجبل عاصماً من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجّاهم يعني السفينة، أو هو استثناء منقطع كأنه قيل: ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ﴾ [النساء: الآية ١٥٧]. ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾ بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُرْسُوفِينَ﴾ فصار أو فكان في علم الله.

﴿وَقِيلَ يَتَّزِئُ آبَاؤُكَ مِنْ مَاءٍ أَقْلَى وَيَنْسَاءُ أَقْلَى وَغِيصَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿وَقِيلَ يَتَّزِئُ آبَاؤُكَ مِنْ مَاءٍ أَقْلَى﴾ انشفي وتشربني، والبلع: (النشف) ﴿وَيَنْسَاءُ أَقْلَى﴾ أمسكي ﴿وَغِيصَ الْمَاءِ﴾ نقص من غاضه إذا نقصه وهو لازم ومتعدّد ﴿وَقُضِيَ﴾

قوله: ﴿يَبْنِي﴾ وذلك لأن أصل ابن بنو صغر على بنو، فاجتمعت الواو والياء وسبقت أحدهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فيها، ثم لحقها ياء الإضافة، فاستثقل اجتماعها مع الكسرة، فقُليت ألفاً ثم حذفت الألف اجتراءً عنها بالفتحة.

قوله: (النشف) في مختار الصحاح: نَشَفَ الثوبُ والعَرَقُ وَنَشَفَ الحوض الماء شربه وبابه فهم. اهـ.

الْأَمْرُ ﴿ وَأَنْجِزْ مَا وَعَدَ اللَّهُ نوحًا مِنْ إِهْلَاكِ قَوْمِهِ ﴾ ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ واستقرت السفينة بعد أن طافت الأرض كلها ستة أشهر ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ وهو جبل بـ (الموصل) ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي سحقًا لقوم نوح الذين غرقوا. (يقال: بعد بعدًا وبُعْدًا إذا أرادوا البُعد البعيد) من حيث الهلاك والموت ولذلك حُصِّ بدعاء السوء.

والنظر في هذه الآية من أربع جهات: من جهة (علم البيان) وهو النظر فيما فيها (من المجاز والاستعارة والكناية) وما يتصل بها فنقول: إن الله تعالى لما أراد

قوله: (الموصل) مثل مسجد بلد معروف، وهو على دجلة من الجانب الغربي. قوله: (يقال: بعد) من باب علم (بعدًا) بضم الباء وسكون العين (وبعدًا) بفتح الحين (إذا أرادوا البُعد البعيد)<sup>(١)</sup> من قبيل ظلّ ظليل. قوله: (علم البيان) علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. اهـ تعريفات للسيد الشريف رحمه الله. قوله: (من المجاز والاستعارة) المجاز اسم لما أُريد به غير ما وُضع له لمناسبة بينهما كتسمية الشجاع أسدًا وهو مفعّل بمعنى فاعل من جاز إذا تعدّى كالمولى بمعنى الوالي سُمّي به لأنه متعدّد من محل الحقيقة إلى محل المجاز، قوله: لمناسبة بينهما احترز به عما استعمل في غير ما وضع له لا لمناسبته. فإنّ ذلك لا يُسمّى مجازًا، بل كان مرتجلًا أو خطأ، والمجاز إمّا مرسل أو استعارة؛ لأن العلاقة المصححة له إمّا أن تكون مشابهة المنقول إليه بالمنقول عنه في شيء. وإمّا أن تكون غيرها، فإنّ كان الأوّل يسمى المجاز استعارة كلفظ الأسد إذا استعمل في الشجاع، وإنّ كان الثاني فيسمى مرسلًا كلفظ اليد إذا استعمل في النعمة. كما يقال: جلت أيادي عني أي كثرت نعمه لديّ، واليد في اللغة العضو المخصوص، والعلاقة كون ذلك العضو مصدرًا للنعمة، فإنّها تصل إلى المُنعم عليه من اليد. والفرق بين المعنيين أنّ الاستعارة في الأوّل اسم للفظ المنقول، وفي الثاني للنقل، وعلى الثاني يسمّى المشبّه به وهو الحيوان المفترس مستعارًا منه، والمشبّه وهو الشجاع مستعارًا له، واللفظ هو لفظ الأسد مستعارًا، والمتلفّظ وهو المستعمل للفظ الأسد في الشجاع مستعير. ووجه الشبه وهو الشجاعة ما به الاستعارة، ولا تصح هذه الاشتقاقات في الاستعارة بالمعنى الأوّل، وهو الظاهر. اهـ تعريفات للسيد الشريف رحمه الله. قوله: (والكناية) الكناية عند علماء

(١) وصف البعد بكونه بعيدًا للمبالغة كجد جده. ١٢ منه عمّ فيضهم.

أن يبين (معنى أردنا) أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتدّ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع، وأن نغيض الماء النازل من السماء فغيض، وأن نقضي أمر نوح وهو إنجاز ما كنّا وعدناه من إغراق قومه فقضي، وأن نسوي السفينة على الجودي فاستوت، وأبقينا الظلمة غرقى، (بني الكلام) على تشبيه المراد بالأمر الذي لا يتأتى منه لكمال (هبة) العصيان، وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ (في تكون المقصود) تصويرًا لاقتداره العظيم، وأن السموات والأرض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة لإرادته فيها تغييرًا وتبديلًا كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته، وأحاطوا علمًا بوجوب الانقياد لأمره (والإذعان) لحكمه (وتحتم) بذل المجهود عليه في تحصيل مراده. ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال عز وجل: ﴿وَقِيلَ﴾ على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل، وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو ﴿يَتَأَرَضُ﴾ ﴿وَنَسَمَاءُ﴾ ثم قال مخاطبًا لها: ﴿يَتَأَرَضُ﴾ ﴿وَنَسَمَاءُ﴾ على سبيل الاستعارة للشبه المذكور، ثم استعار لغور الماء في الأرض البلع الذي هو أعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفي، ثم استعار الماء للغذاء تشبيهًا له بالغذاء لتقوى الأرض بالماء في الإنبات كتقوي الآكل بالطعام، ثم قال: ﴿مَاءَكِ﴾ بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالأرض كاتصال الملك بالمالك، ثم اختار لاحتباس المطر الإقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التأني، ثم قال: ﴿وَعِضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا﴾ ولم يصرح بمن أغاض الماء، ولا بمن قضى الأمر، وسوى السفينة وقال بُعْدًا، كما لم يصرح بقائل ﴿يَتَأَرَضُ﴾ ﴿وَنَسَمَاءُ﴾ سلوكًا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية، وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مُكوّن قاهر، وأن فاعلها

البيان هي أن يعبر عن شيء لفظًا كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه لغرض من الأغراض كالإبهام على السامع، نحو: جاء فلان، أو لنوع فصاحة، نحو: فلان كثير الرماد، أي كثير القرى. اهـ تعريفات للسيد الشريف رحمه الله. قوله: (معنى أردنا) أي هذا الكلام، وهو أردنا. قوله: (بني الكلام) جواب لما. قوله: (هبة) أي هبة المأمور من الأمر. قوله: (في تكون المقصود) أي في حصوله ووجوده. قوله: (والإذعان) أي الطاعة. قوله: (وتحتم) عطف على وجوب.

واحد لا يُشارك في فعله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي، ولا أن يكون الغائض والقاضي والمُسَوِّي غيره. ثم ختم الكلام (بالتعريض) تنبيهًا لسالكِي مَسْلِكِهِمْ في تكذيب الرُّسُل ظلمًا لأنفسهم، إظهارًا لمكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد ما كان إلا لظلمهم.

ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها، وذلك أنه اختير «يا» دون أخواتها لكونها أكثر استعمالًا، ولدلالاتها على بُعد المنادى الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة والملكوت وإبداء العزة والجبروت، وهو تبعيد المنادى (المؤذن) بالتهاون به، ولم يقل: «يا أرضي» لزيادة التهاون إذ الإضافة تستدعي القُرب، ولم يقل: «يا أيتها الأرض» للاختصار. واختير لفظ الأرض والسماء لكونهما أخف (وأدور)، واختير ﴿أَبْلَعِي﴾ على «ابتلعي» لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين ﴿أَقْلِي﴾، وقيل: ﴿أَقْلِي﴾ ولم يقل: «عن المطر». وكذا لم يقل: «يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء أقلعي فأقلعت» اختصارًا، واختير ﴿وَعِصْرٌ﴾ على «غِيض» وقيل: ﴿أَلَمَاءٌ﴾ دون أن يقول: «ماء الطوفان» و﴿الْأَمْرُ﴾ ولم يقل «أمر نوح وقومه» لقصد الاختيار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك، ولم يقل: «وسويت على الجودي» أي أفرت على نحو: ﴿قِيلَ﴾ ﴿وَعِصْرٌ﴾ اعتبارًا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله: ﴿وَهُوَ يَجْرِي بِهِمْ﴾ إرادة للمطابقة، ثم قيل: ﴿بَعْدًا لِلْقَوْمِ﴾ ولم يقل «ليبعد القوم» (طلبًا للتوكيد) مع الاختصار. هذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم، وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل، فذلك أنه قدّم النداء على الأمر: ف ﴿وَقِيلَ يَتَّأَرِضْ أَبْلَعِي مَاءَكِ وَتَسْمَأُ أَقْلِي﴾ ولم يقل: «أبلعي يا أرض وأقلعي يا سماء» جريًا على مقتضى الكلام فيم كان مأمورًا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقبيه في نفس المنادى

قوله: (بالتعريض) لسائر الظلمة. قوله: (المؤذن) صفة تبعيد المنادى. قوله: (واختير لفظ الأرض والسماء) دون سائر الأسماء كالغبراء والخضراء مثلاً. قوله: (وأدور) على السنة الفُصحاء. قوله: (واختير ﴿وَعِصْرٌ﴾ على غِيض. وقيل: ﴿أَلَمَاءٌ﴾ دون أن يقال ماء الطوفان و﴿الْأَمْرُ﴾) أي ﴿وَقُصِيَ الْأَمْرُ﴾ ولم يقل: أمر نوح وقومه لقصد الاختصار. قوله: (ليبعد) من بُعد - بكسر العين - في الماضي وفتحها في المستقبل. قوله: (طلبًا للتوكيد)؛ وذلك لأن قوله بعدًا مصدر

قصداً بذلك (للمعنى الترشيع)، ثم قدّم أمر الأرض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها، ثم أتبع ﴿وَفِيضَ الْمَاءِ﴾ لاتصاله بقصة الماء (وأخذه بحجزتها)، ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي أنجز الموعود من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر .

ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كما ترى نظم للمعاني لطيف، وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد، (ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد). ومن جهة الفصاحة اللفظية، فألفاظها على ما ترى عريية مستعملة، سليمة عن التنافر، بعيدة عن (البشاعة)، عذبة على (العذبات)، سلسة على (الأسلات)، كلٌّ منها كالماء في السلاسة، وكالعسل في الحلاوة، وكالنسيم في الرقة، ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية، والله (در) شأن التنزيل لا يتأمل العامل آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر، ولا تظنن الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك أكثر من المسطور.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يُسُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِزٌّ إِنِّي آعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ﴾ نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله: ﴿رَبِّ﴾ مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ أي بعض أهلي لأنه كان

وإظهار المصدر يدلّ على التأكيد، نحو ضربت ضرباً. قوله: (للمعنى الترشيع) الاستعارة الترشيعية هي إثبات ملائم المشبه به للمشبه. اهـ تعريفات. قوله: (وأخذه بحجزتها) أي بحجزة قصة الماء استعارة عن شدة الاتصال من حجرة الإزار. في المصباح: حجرة الإزار معقده وحجرة السراويل مجمع شده، والجمع حُجَزَ مثل غرفة وغرف. اهـ. قوله: (ولا التواء) أي الاعوجاج (يشيك الطريق) أي يجعلها ذا شوك (إلى المرتاد) أي المطلوب. قوله: (البشاعة) الكراهة. قوله: (العذبات) جمع عذبة، وهي طرف اللسان مثل قصبه وقصبات، كذا في المصباح. قوله: (الأسلات) جمع أسلة، وهي طرف اللسان؛ كذا في لسان العرب. قوله: (در) أي خير.



ابنه من صلبه أو كان ربيبًا له فهو بعض أهله ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ وإن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في إنجازه والوفاء به، وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما بال ولدي ﴿وَأَنْتَ أَهْكُمُ الْحَاكِمِينَ﴾ أي أعلم الحكام وأعدلهم إذ لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل، ورُبَّ غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أفضى القضاة، ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ﴿قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ ثم علل لانتفاء كونه من أهله بقوله: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ وفيه إيذان بأن قرابة الدين (غامرة) لقرابة النسب، (وإن نسيبك في دينك وإن كان حبشيًا وكنت قرشيًا لصيقك)، ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحمًا فهو أبعد بعيد منك، وجعلت ذاته عملاً غير صالح مبالغة في ذمه (كقولها:

فإنما هي إقبال وإدبار)

أو التقدير: إنه ذو عمل، وفيه إشعار بأنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصالحهم لا لأنهم أهله، وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوته. ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (علي) قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: كان عند نوح عليه السلام أن ابنه كان على دينه لأنه كان ينافق وإلا لا يحتمل أن يقول: ﴿أَبْنَى مِنْ أَهْلِي﴾ ويسأله نجاته، وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله: ﴿وَلَا تَحْطَبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ

قوله: (غامرة) في المصباح: غمره البحر غمرًا من باب قتل علاه، وأيضًا فيه: غمرته أغمره سترته أستره وزنا ومعنى. اهـ. قوله: (وإن نسيبك في دينك) ومعتقدك من الأبعاد في المنصب (وإن كان حبشيًا وكنت قرشيًا لصيقك) وخصيصك. قوله: (كقولها:

فإنما هي إقبال وإدبار)

أي كقول الخنساء، وهي امرأة من فُصحاء الجاهلية تصف ناقة فقدت ولدها بنحر أو موت أو نذّ ترعى إذ غفلت حتى إذا اذكّرت، فإنما هي إقبال وإدبار، كأنها نفس الإقبال والإدبار.

قوله: ﴿عَمَلٌ﴾ بكسر الميم ونصب اللام بغير تنوين ﴿غَيْرُ صَالِحٍ﴾ بنصب الراء على أنه نعت لمصدر محذوف، والمعنى أن ابنك عمل عملاً غير صالح أشرك وكذب (علي) الكسائي. والباقون بفتح الميم ورفع اللام منونة ورفع الراء.

﴿مُغْرَقُونَ﴾ فكان يسأله على الظاهر الذي عنده كما كان أهل النفاق يُظهرون الموافقة لنبيِّنا عليه السلام ويُضْمِرُونَ الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه عليه، وقوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ﴾ اجتزأ بالكسرة عن الياء: كوفي ﴿تَسْأَلْنِي﴾ بصري ﴿تَسْأَلْنِي﴾ مدني ﴿تَسْأَلْنَ﴾ شامي فحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد ﴿تَسْأَلْنَ﴾ مكِّي ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ بجواز مسألته ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هو كما نهى رسولنا بقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٣٥].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ قَدْ يَنْتَوُحُ أَهْطُ يَسْلَمُ مِنَّا وَبَرَكَتِ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّهِ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمُّهُ سَمِعَتْهُمْ ثُمَّ يَمْتَهُهُمْ مِمَّا عَذَّبَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٨﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأذبا بأدبك واتعاظا بموعظتك ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِي﴾ بالعصمة عن الغود إلى مثله ﴿أَكُنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ قَدْ يَنْتَوُحُ أَهْطُ يَسْلَمُ مِنَّا بتحية منا أو بسلامة من الغرق ﴿وَبَرَكَتِ عَلَيْكَ﴾ هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته وأتباعه، فقد جعل أكثر الأنبياء من ذريته وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله ﴿وَعَلَى أُمِّهِ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ «من» (الليبان)، فتراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات، أو قيل لهم أُمم لأن الأمم تتشعب منهم، أو لابتداء الغاية أي على أُمم ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه ﴿وَأُمُّهُ﴾ رفع بالابتداء ﴿سَمِعَتْهُمْ﴾ في الدنيا

قوله: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ﴾ بسكون اللام وتخفيف النون وكسرهما بدون الياء (اجتزأ بالكسرة عن الياء، كوفي). قوله: ﴿تَسْأَلْنِي﴾ بسكون اللام وتخفيف النون وكسرهما بإثبات الياء (بصري). قوله: ﴿تَسْأَلْنِي﴾ بفتح اللام وتشديد النون المكسورة بإثبات الياء (مدني). قوله: ﴿تَسْأَلْنَ﴾ بفتح اللام وتشديد النون المكسورة من غير إثبات الياء بعدها (شامي). فحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد. قوله: ﴿تَسْأَلْنَ﴾ بفتح اللام وتشديد النون المفتوحة (مكي).

قوله: (الليبان) أي لبيان الجنس.

بالسعة في الرزق (والخفضر في العيش) صفة والخبر محذوف تقديره. وممّن معك أمم سمنّتهم، وإنما حذف لأن ﴿وَمِمَّن مَّعَكَ﴾ يدل عليه ﴿وَمِمَّن يَمُشُّهُمْ مِنَّا غَدَابٌ أَلَيْسَ﴾ أي في الآخرة، والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممّن معك. وممّن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار، وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء، (والخلق بعد الطوفان) منه (وممّن كان معه في السفينة)، وعن (محمد بن كعب): دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لَمُنْقِبٌ﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهي ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ الوقت أو من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها ﴿فَاصْبِرْ﴾ على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح، وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه ﴿إِنَّ الْعَقِيبَ﴾ في الفوز والنصر والغلبة ﴿لَمُنْقِبٌ﴾ عن الشّرك.

﴿وَبَلَىٰ عَادٌ ظُهُمَ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنَّكُمْ لَمَفْرُودُونَ﴾

﴿وَالَّذِينَ عَادِ أَخَاهُمْ﴾ واحداً منهم، وانتصابه للعطف على ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم ﴿هُودًا﴾ عطف بيان ﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحذوه ﴿مَا

قوله: (والخفضر في العيش) في المصباح: وهو في خفضر من العيش. أي في سعة وراحة. اهـ. قوله: (والخلق) الحادث (بعد الطوفان) نشأ منه (وممّن كان معه في السفينة).

قوله: (محمد بن كعب) بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي المدني. وكان قد نزل الكوفة مدة، ثقة عالم، وُلد سنة أربعين على الصحيح، ووهم من قال: وُلد في عهد النبي ﷺ، فقد قال البخاري: إن أباه كان ممّن لم ينبت من سبي قريظة. مات محمد سنة عشرين بعد المائة، وقيل قبل ذلك.

لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴿٥١﴾ (بالرفع): نافع (صفة على محل الجار والمجرور، وبالجر: علي على اللفظ) ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء.

﴿يَقُولُ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ يَفْطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٥٢)  
 ﴿يَقُولُ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ يَفْطَرَنِي﴾ ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة. والنصيحة لا يحضها إلا (حسم) المطامع، وما دام يتوهم شيء منها لم (تنجع) ولم تنفع ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجراً إلا من الله وهو ثواب الآخرة، ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك.

﴿وَيَقُولُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَبَرِّدْكُمْ قُوَّةَ إِيَّائِي فُتًى وَلَا تَتْلُوا تَجْرِيمٍ﴾ (٥٣)

﴿وَيَقُولُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ آمنوا به ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ من عبادة غيره ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ أي المطر ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ حال أي (كثير الدور) ﴿وَبَرِّدْكُمْ قُوَّةَ إِيَّائِي فُتًى﴾ إنما قصد استمالتهم إلى الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شيء إلى الماء. وكانوا (مدلين) بما أوتوا من شدة البطش والقوة. وقيل: أراد القوة بالمال أو على النكاح. وقيل: حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والأولا على الإيمان والاستغفار. وعن (الحسن بن علي) رضي الله عنهم أنه

قوله: (بالرفع صفة على محل الجار والمجرور، وبالجر علي) الكسائي صفة (على اللفظ) عبارة تفسير الخطيب: قرأ الكسائي بكسر الراء والهاء صفة على اللفظ، والباقون بالرفع صفة على محل الجار والمجرور. ومن زائدة. اهـ.

قوله: (حسم) أي قطع. قوله: (تنجع) كتفع لفظاً ومعنى.

قوله: (كثير الدور) أي السيلا والنزول والتتابع. قوله: (مدلين) مفتخرين. قوله: (الحسن بن علي) بن أبي طالب الهاشمي. سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وقد صحبه ﷺ وحفظ عنه مات شهيداً بالسنة سنة تسع وأربعين وهو

(وفد) على (معاوية)، فلما خرج قال له بعض (حجابه): إني رجل ذو مال ولا يولد لي علمني شيئاً لعل الله يرزقني ولداً. فقال الحسن: عليك بالاستغفار، فكان يُكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة، فولد له عشرة بنين، فبلغ ذلك معاوية فقال: هلاً سألته مم قال ذلك؟ فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال: ألم تسمع قول هود: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾، وقول نوح: ﴿وَيُزِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيٰسِينَ﴾ [سوح: الآية ١٢]، ﴿وَلَا تَنۡوَلُواْ﴾ ولا تعرضوا عني و عما أَدْعُو إليه ﴿تَجۡرِمِينَ﴾ مُصْرِينَ على إجرامكم وآثمكم.

﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾  
 ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءَكُم بِأَدِلَّةٍ بَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِكُمْ إِلَّا إِذَا بَدَأْنَا بِآيَةٍ ظَاهِرَةٍ إِلَى الَّذِينَ آمَنُوا لِنُفِثَ فِي قُلُوبِهِمُ الْكُفْرَ وَالشَّكَّ فِي دِينِهِمْ وَلَعَلَّ الْكُفْرَ يَنۡفَعُهُمْ﴾ [سورة هود: الآية ١٧٠]

﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله ﷺ: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الرعد: الآية ٢٧] مع قوت آياته الحصر ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ هو حال من الضمير في «تاركي آلِهتنا» كأنه قيل: وما نترك آلِهتنا (صادرين) عن قولك: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وما يصح من أمثال أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم إليه (إقناطاً له) من الإجابة ﴿إِن نَقُولُ إِلَّا نَعْتَرِكَ بِعَصِ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ «إن» حرف نفى فنفي جميع القول إلا قولاً واحداً وهو قولهم: ﴿نَعْتَرِكَ﴾ أصابك ﴿بِعَصِ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ بجنون و(خبل) وتقدير ما نقول قولاً إلا هذه المقالة أي قولنا اعتراك بعض آلِهتنا بسوء ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي قَوْلًا إِلَّا هَذِهِ الْمَقَالَةُ﴾ أي قولنا اعتراك بعض آلِهتنا بسوء.

ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل بعدها. قوله: (وفد) بابه وعد. قوله: (معاوية) بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي أبو عبد الرحمن الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي، ومات في رجب سنة ستين، وقد قرب الثمنين رضي الله تعالى عنه. قوله: (حجابه) في المصباح: جمع الحاجب حجاب مثل كافر وكفار. اهـ.

قوله: (صادرين) راجعين. قوله: (إقناطاً له) مفعول له أي قالوا هذا إقناطاً له. قوله: (خبل) في المصباح: الخبل بسكون الباء الجنون وشبهه كالهوج والبله. اهـ. وفي مختار الصحاح: رجل أهوج بين الهوج - بفتحتين - أي طويل.

بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ ﴿٥٥﴾ أَيُّ مِنْ إِشْرَاكُمْ آلِهَةٌ مِنْ دُونِهِ، والمعنى إني أشهد أني بريء مما تشركون واشهدوا أنتم أيضاً إني بريء من ذلك. وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن (يبس الثرى) بينه وبينه: اشهد على أني أحبك تهكماً به واستهانة بحالة ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ أنتم وآلهتكم ﴿فَرَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾ لا تُمهلون فإنني لا أبالى بكم وبكيدكم، ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم عليّ. وكيف تضرّني آلهتكم وما هي إلا جماد لا يضرّ ولا ينفع؟ وكيف تنتقم مني إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن (تخبلني وتذهب بعقلي)؟

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ربي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَفْلَحْتُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ، إِيَّاكُمْ وَيَسْخَلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ ﴿٥٧﴾

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ربي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي مالكتها. ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه و(كلاءته) من كيدهم، وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتغال ربوبيته عليه وعليهم، ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بالناصية تمثيل لذلك ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إن ربي على الحق لا يعدل عنه، أو إن ربي يدل على صراط مستقيم ﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَفْلَحْتُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ هو في موضع فقد ثبتت الحجة عليكم ﴿وَيَسْخَلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ كلام مستأنف أي ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ﴾ بتوليكم ﴿شَيْئًا﴾ من ضرر قط إذ لا يجوز عليه المضار وإنما تضرّون أنفسكم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾ رقيب عليه مهيمن فم تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم. أو من كان رقيباً على الأشياء كلها حافظاً لها وكانت الأشياء مفتقرة إلى حفظه عن المضار لم يضرّ مثله مثلكم.

وفيه تسرّع وحُمُؤ. اهـ. وفي المصباح: بله بلها من باب تعب ضعف عقله فهو أبله والأنثى بلهاء، والجمع بله مثل أحمر وحمراء وحُمُر. اهـ. قوله: (يبس الثرى) عبارة عن عدم المحبة. قوله: (تخبلني) من باب ضرب، قوله: (وتذهب بعقلي) عطف تفسير.

قوله: (كلاءته) بالكسر والمد بمعنى حفظه.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٥٨﴾  
 وَتِلْكَ ءَادٌ حَصَدُوا بَنَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ٥٩ وَأَتَّبَعُوا فِي  
 هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ آلِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِنَّ ءَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا بُعْدًا لِّإِبْرَاهِيمَ قَوْمِ هُودٍ ٦٠﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ وكانوا أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ أي بفضل منا لا بعملهم أو بالإيمان الذي أنعمنا عليهم ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وتكرار ﴿نَجَّيْنَا﴾ للتأكيد أو الثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه و﴿وَتِلْكَ ءَادٌ﴾ إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال: سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا، ثم استأنف وصف أحوالهم فقال: ﴿جَعَدُوا بَنَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يريد رؤسائهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل لأنهم الذين يجبرون الناس على الأمور ويعاندون بهم ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم ﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين ﴿أَلَا إِنَّ ءَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّإِبْرَاهِيمَ﴾ تكرار «ألا» مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم، وبعث على الاعتبار بهم، والحذر من مثل حالهم، والدعاء بـ ﴿بُعْدًا﴾ بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ عطف بيان لـ «عاد» وفيه فائدة لأن عادًا عادان: الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم، والأخرى إرم.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ ۖ حَاجُّهُمْ صَالِحٌ ۚ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۖ إِنَّ رَبِّي قَرِيمٌ مُّجِيبٌ ٦١﴾

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحٌ﴾ قال يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ لم ينشئكم منها إلا هو وإنشأهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ وجعلكم عمارها وأراد منكم عمارتها. أو استعمركم من العمر أي أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلثمائة إلى ألف. وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمرُوا الأعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم، فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم، فأوحى الله إليه أنهم عمروا بلادهم فعاش فيها عبادي ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ فاسألوه مغفرته بالإيمان ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۖ إِنَّ رَبِّي قَرِيمٌ﴾ داني الرحمة ﴿مُجِيبٌ﴾ لمن دعاه.

﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ لَنَا فِي نَبِيِّهِمْ مِنْ قَبْلَ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَيْنَا مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّ مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمْ فَأَنزِلُوهَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٦٢)

﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا﴾ فيما بيننا ﴿مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ للسيادة والمشاورة في الأمور، أو كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ (حكاية حال ماضية) ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة من أرابه إذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَيْنَا مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة، أتى بحرف الشك مع أنه على يقين أنه على بيينة. لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا أنني على بيينة من ربي وأني نبي على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره ﴿فَمَنْ يَضُرُّ مِنَ اللَّهِ﴾ فمن يمنعني من عذاب الله ﴿إِنْ عَصَيْتُمْ﴾ في تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الأوثان ﴿فَأَنزِلُوهَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بقولكم: ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ ﴿غَيْرَ تَحْسِيرٍ﴾ بنسبتكم إياي إلى الخسار أو بنسبتي إياكم إلى الخسران.

﴿وَيَتَقَوَّمُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فِئَاذُكُمْ عَدَابٌ قَرِيبٌ﴾ (٦٣) ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ (٦٤)

﴿وَيَتَقَوَّمُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ نصب على الحال (قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل) و﴿لَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿ءَايَةٌ﴾ حالاً منها متقدمة، لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال ﴿فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ﴾ أي ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها ﴿وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ﴾

قوله: (حكاية حال ماضية) يعني الظاهر أن يقال: ما عبدت آبائنا؛ لأن المقام مقام الماضي، فعدل عن الظاهر وجيء بصيغة المستقبل على حكاية الحال الماضية.

قوله: (قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل)، والمعنى أشير ناقة الله آية.



عقر أو نحر ﴿فِيَأْخُذُكَ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل ﴿فَمَقْرُوهَا﴾ يوم الأربعاء ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَنَّوْا﴾ استمتعوا بالعيش ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يُدار فيها أي يتصرف أو في دار الدنيا ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت ﴿ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ (أي غير مكذوب فيه) فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به، أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر (كالمعقول).

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَلَدَيْنَ ءَامُونًا مَّعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّنَا هُوَ أَقْوَى الْعَزِيزُ﴾ ﴿٦٦﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالعذاب أو عذابنا ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَلَدَيْنَ ءَامُونًا مَّعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ قال الشيخ رحمه الله: هذا يدل على أن مَنْ نجى إنما نجى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام: «لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله» ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ بإضافة الخزي إلى اليوم وانجرار اليوم بالإضافة. (وبفتحها مدني وعلي)، لأنه مضاف إلى «إذ» وهو مبني، وظروف الزمان إذا أُضيفت إلى الأسماء المبهمة والأفعال الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف إليه كقوله:

(على حين عاتبت المشيب على الصبا)

قوله: (أي غير مكذوب فيه) أوله أو به لعدم إمكان حمله على ظاهره؛ لأن الوعد إنما يوصف بكونه غير مكذوب إذا كان من شأنه أن يكون مكذوبًا، وليس كذلك؛ لأن المصدق والمكذوب مَنْ كان مخاطبًا بالكلام المطابق للواقع وغير المطابق له، فلا يوصف بهما إلا الإنسان الصالح للخطاب، فلذلك جعل أصل الكلام وعد غير مكذوب فيه، فحذف حرف الجر فأتصل الضمير المجرور باسم المفعول بإقامته مقام المفعول به توسعًا. قوله: (كالمعقول) فإنه مصدر بمعنى العقل.

قوله: (وبفتحها) أي بفتح الميم (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وعلي) الكسائي والباقون بالكسر. قوله:

(على حين عاتبت المشيب على الصبا) فقلت ألمّا أصبح والشيب وازع

والواو للعطف وتقديره: ونجيناهم من خزي يومئذ أي من ذلّه وفضيحته، ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه. وجاز أن يريد بـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ﴾ القادر على تنجية أوليائه ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب بإهلاك أعدائه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ حَشِيبٌ﴾ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴿أَلَا إِنَّ شُعْمًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّتَمُودَ﴾ ﴿٦٨﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ أي صيحة جبريل عليه السلام ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ﴾ منازلهم ﴿حَشِيبٌ﴾ ميتين ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ لم يقيموا فيها ﴿أَلَا إِنَّ شُعْمًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ ﴿تَمُودَ﴾ حمزة وحفص ﴿أَلَا بُعْدًا لِّتَمُودَ﴾ - ﴿لِشُعْمًا﴾ - (علي): فالصرف للذهاب إلى الحي أو الأب الأكبر، ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِإِذْهِم بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ فَمَا لَيْتَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَنِّيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزِينَا بِكَ قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ ﴿٧٠﴾

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا﴾ جبريل وميكائيل وإسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكًا ﴿بِإِذْهِم بِالْبُشْرَى﴾ هي البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط والأول أظهر ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾ (سلمنا عليك سلامًا) ﴿قَالَ سَلَمٌ﴾ (أمركم سلام سلم): حمزة وعلي

قوله: ﴿تَمُودَ﴾ بغير تنوين للعلمية والتأنيث على إرادة القبيلة (حمزة وحفص). والباقون بالتنوين مصروفًا على إرادة الحي. قوله: ﴿لَا بُعْدًا لِّتَمُودَ﴾ بكسر الدال مع التنوين (علي) الكسائي. والباقون بغير تنوين مع فتحها.

قوله: (سلمنا عليك سلامًا) على أن يكون سلامًا في النظم منصوبًا على أنه مصدر لفعل محذوف، وذلك الفعل في محل نصب بالقول، فلما حذف الفعل أقيم المصدر مقامه. قوله: (أمركم سلام) أو جوابي سلام على أن سلام خبر مبتدأ محذوف. قوله: (سلم) بكسر السين وسكون اللام ويلزم بالضرورة سقوط الألف. قال الفراء: وهما لغتان كحرم وحرام وحل وحلال (حمزة وعلي) الكسائي. وقرأ

بمعنى السلام ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ﴾ فما لبث في المجيء به بل عجل فيه، أو فما لبث مجيئه، والعجل ولد البقرة وكان مال إبراهيم البقر ﴿حَنِيزٍ﴾ مشوي بالحجارة المحممة ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ نكر وأنكر بمعنى وكانت عاداتهم أنه إذا مسَّ من يطرقهم طعامهم أمتوه وإلا خافوه. والظاهر أنه أحسن بأنهم ملائكة، ونكرهم لأنه تخوُّف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه دليله قوله: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي أضمر منهم خوفاً ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْلَمْنَا بِكَ قَوْمَ لُوطٍ﴾ بالعذاب، وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا، وإنما قالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه.

﴿وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١)

﴿وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ﴾ وراء الستر تسمع تحاورهم أو على رؤوسهم تخدمهم ﴿فَضَحِكْتُ﴾ سروراً بزوال الخيفة، أو بهلاك أهل الخبائث، أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب، أو فحاضت ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ وخُصَّت بالبشارة لأن النساء أعظم سروراً بالولد من الرجال، ولأنه لم يكن لها ولد وكان لإبراهيم ولد وهو إسماعيل ﴿وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ﴾ ومن بعده ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنصب: (شامي) وحمزة وحفص، بفعل مضمر دلَّ عليه ﴿فَبَشَّرْنَاهَا﴾ أي فبشرناها بإسحاق ووهبنا لها يعقوب من وراء إسحاق. وبالرفع: غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول: «في الدار زيد».

﴿قَالَتْ يَوْنُسَىٰ أَلَا أَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٢) ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَيِّدٌ نَجِيدٌ﴾ (٧٣)

﴿قَالَتْ يَوْنُسَىٰ﴾ الألف مبدلة من ياء الإضافة، وقرأ الحسن ﴿يَوْنُسَىٰ﴾ بالياء على الأصل ﴿أَلَا أَنَا عَجُوزٌ﴾ ابنة تسعين سنة ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ ابن مائة وعشرين سنة ﴿هَذَا﴾ مبتدأ و﴿بَعْلِي﴾ خبره و﴿شَيْخًا﴾ حال، والعامر معنى الإشارة التي دلت عليه «ذا»، أو معنى التنبيه الذي دلَّ عليه «هذا» ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ

الباقون، وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح السين واللام وبألف بعدها. قوله: (شامي) أي ابن عامر الشامي.

عَجِيبٌ ﴿٧٤﴾ أَنْ يُولَدَ وَلَدٌ مِنْ هَرَمِينَ وَهُوَ اسْتِبْعَادٌ مِنْ حَيْثُ الْعَادَةُ ﴿٧٥﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿٧٦﴾ قُدْرَتُهُ وَحُكْمَتُهُ. وَإِنَّمَا أَنْكَرَتِ الْمَلَائِكَةُ تَعْجِبُهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي بَيْتِ الْآيَاتِ وَمَهْبطِ الْمَعْجَزَاتِ وَالْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَاتِ فَكَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَتَوَفَّرَ (وَلَا يَزِدْهِهَا) مَا يَزِدْهِ سَائِرُ النِّسَاءِ النَّاشِئَاتِ فِي غَيْرِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَأَنْ تَسْبَحَ اللَّهَ وَتَمَجِّدَهُ مَكَانَ التَّعَجُّبِ وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَتِ الْمَلَائِكَةُ حَيْثُ قَالُوا: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أَرَادُوا أَنْ هَذِهِ وَأَمْثَالُهَا مِمَّا يَكْرُمُكُمْ بِهِ رَبُّ الْعِزَّةِ وَيَخْصُصُكُمْ بِالْإِنْعَامِ بِهِ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ فَلَيْسَتْ بِمَكَانٍ عَجِيبٍ، وَهُوَ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ عُلِّلَ بِهِ إِنْكَارُ التَّعَجُّبِ كَأَنَّهُ قِيلَ: إِيَّاكَ وَالتَّعَجُّبَ لِأَنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الرَّحْمَةِ وَالْبِرَّةِ مُتَكَاثِرَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ. وَقِيلَ: الرَّحْمَةُ: النُّبُوَّةُ، وَالْبِرَّكَاتُ الْأَسْبَاطُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مِنْهُمْ وَكُلَّهُمْ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ. وَ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نَصَبٌ عَلَى النِّدَاءِ أَوْ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ مَحْمُودٌ بِتَعْجِيلِ النِّعَمِ ﴿مُجِيدٌ﴾ ظَاهِرُ الْكَلَامِ بِتَأْجِيلِ النِّقَمِ.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُكَ فِي قَوْمٍ لُوطٍ﴾ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَعَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الْفَزَعُ وَهُوَ مَا أَوْجَسَ مِنَ الْخِيفَةِ حِينَ نَكَرَ أَضْيَافَهُ ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ بِالْوَلَدِ ﴿يُجْدِلُكَ فِي قَوْمٍ لُوطٍ﴾ أَي لَمَّا اطمأن قلبه بعد الخوف وملكى سروراً بسبب البشرى فزع للمجادلة. وَجواب ﴿فَلَمَّا﴾ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ أَقْبَلَ يَجَادِلُنَا، أَوْ ﴿يُجْدِلُكَ﴾ جَوَابٌ ﴿فَلَمَّا﴾ (وَإِنَّمَا جِيءَ بِهِ مُضَارِعًا لِحِكَايَةِ الْحَالِ)، وَالْمَعْنَى (يَجَادِلُ رَسَلَنَا). وَمَجَادَلَتُهُ إِيَّاهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ

قوله: (وَلَا يَزِدْهِهَا) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: اَزْدَاهَا فَازْدَهَى اسْتَخَفَّ فَخَفَّ. اهـ. وَأَيْضًا فِيهِ: اَزْدَهَيْتُ فَلَانًا أَي تَهَاوَنْتَ بِهِ وَازْدَهَى فَلَانٌ إِذَا اسْتَخَفَّ. وَأَيْضًا فِيهِ زَهَاهُ وَازْدَهَاهُ اسْتَخَفَّ وَتَهَاوَنَ بِهِ، انْتَهَى.

قوله: (وَإِنَّمَا جِيءَ بِهِ مُضَارِعًا لِحِكَايَةِ الْحَالِ) يَعْنِي كَانَ الظَّاهِرُ أَنْ يَقَالَ: جَادَلْنَا عَلَى لَفْظِ الْمَضِيِّ، فَإِنَّ لَمَّا مَوْضُوعَةٌ لِلْإِسْتِعْمَالِ فِي الْمَاضِي. فَوَجِبَ فِي الْعُدُولِ عَنِ الظَّاهِرِ مِنْ نَكْتَةٍ، وَتِلْكَ النُّكْتَةُ هِيَ قَصْدُ تَصْوِيرِ الصُّورَةِ الْمَاضِيَةِ بِصُورَةِ الْحَالِ الْحَاصِرَةِ تَعْجِيلاً لِلْسَامِعِينَ. وَيَسْمَى النِّحَاةُ حِكَايَةُ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ. قوله: (يَجَادِلُ رَسَلَنَا) فَالْمُضَافُ مَحْذُوفٌ إِشْعَارًا بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُرْسِلِينَ إِلَيْهِ بِمَنْزِلَةِ مَنْهُ تَعَالَى. وَأَنَّ مَجَادَلَتَهُ مَعَهُمْ هِيَ مَجَادَلَةٌ مَعَ اللَّهِ.

القرية فقال: أرايتم لو كان فيها خمسون مؤمناً أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، قال: فثلاثون؟ قالوا: لا حتى بلغ العشرة، قالوا: لا، قال: أرايتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا فعند ذلك قال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ قالوا: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُجِيبَنَّ وَأَهْلَهُ﴾ [العنكبوت: الآية ٣٢] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ غير عجول على كل من أساء إليه أو كثير الاحتمال ممن آذاه، صفوح عن عصاه ﴿أَوَّهٌ﴾ كثير التأوه من خوف الله ﴿مُنِيبٌ﴾ تائب راجع إلى الله، وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرفقة والرحمة، فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لأبيه فقالت الملائكة:

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَمَاتِهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدل وإن كانت الرحمة (ديدك) ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ قضاؤه وحكمه ﴿وَإِنَّهُمْ لَمَاتِهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ لا يرد بجدال وغير ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو ﴿مَاتِهِمْ﴾ تقديره وإنهم يأتهم. ثم خرجوا من عند إبراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية إبراهيم وقوم لوط (أربعة فراسخ).

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ لما أتوه ورأى هيئاتهم وجمالهم ﴿سِئَ بِهِمْ﴾ أحزن لأنه حسب أنهم إنس فخاف عليهم خبت قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومُدافعتهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ تميز أي وضاق بمكانهم صدره ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد. روي أن الله تعالى قال لهم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فلما مشى معهم مُنطلقاً بهم إلى منزله قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملاً. قال

قوله: (ديدك) أي عادتك. قوله: (أربعة فراسخ) الفرسخ ثلاثة أميال<sup>(١)</sup>، والميل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون أصبعًا.

(١) جمع ميل بالكسر. ١٢ منه عم فيضهم.

ذلك أربع مرات - فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ قَالَوْا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يسرعون كأنما يدفعون دفعا ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى (مروا) عليها وقلّ عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مُجَاهِرِينَ لا يكفهم حياء ﴿قَالَ يَتَقَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجوهنّ أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم، وكان تزويج المسلمين من الكفار جائزا في ذلك الوقت كما جاز في الابتداء في هذه الأمة، فقد زوج رسول الله ﷺ ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص وهما كافران. وقيل: كان لهم سيدان مُطَاعَانِ فأراد لوط لو أن يزوجهما ابنتيه ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أحلّ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ و﴿بَنَاتِي﴾ عطف بيان و﴿هُنَّ﴾ فصل و﴿أَطْهَرُ﴾ خبر المبتدأ، أو ﴿بَنَاتِي﴾ خبر و﴿هُنَّ أَطْهَرُ﴾ مبتدأ وخبر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بإيثارهنّ عليهم ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي، أو ولا تُخْجِلُونِي من (الخزية) وهي الحياء، وبالباء: أبو عمرو في الوصل ﴿فِي ضَيْفِي﴾ في حق ضيوفي فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد (خزي) الرجل وذلك من (عراقة) الكرم وأصالة المروءة ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ أي رجل واحد يهتدي إلى طريق الحق وفعل الجميل والكفّ عن السوء ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة لأن نكاح الإناث أمر خارج عن مذهبنا، فمذهبنا إتيان الذكران ﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة.

قوله: (مروا) من باب قعد، يقال: مرن على الشيء يمرن مرونا ومرانة، أي تعوده واستمر عليه. قوله: (الخزية) بالفتح. قوله: (خزي) من باب علم. قوله: (عراقة) أصالة.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (٨٠)

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ جواب «لو» محذوف أي لفعلت بكم ولصنعت. والمعنى لو قويت عليكم بنفسي أو أويت إلى قوي أستند إليه وأتمنع به فيحمني منكم، فشبه القوي العزيز (بالركن من الجبل) في شدته ومنعته. روي أنه أغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم. (فتسوروا) الجدار، فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب.

﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَنفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًاكَ إِنَّهُمْ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٨١)

﴿قَالُوا يَلُوطُ﴾ إن ركنك لشديد ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له، فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: الآية ٣٧] فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون: (النجاء، النجاء) فإن في بيت لوط قوماً سخرة ﴿لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ جملة موصحة للتي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره ﴿فَأَسْرِ﴾ (فأسر) بالوصل: حجازي (من سرى) ﴿بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ طائفة منه أو نصفه ﴿وَلَا يَنفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ بقلبه إلى ما خلف أو لا ينظر إلى ما وراءه أو لا يتخلف منكم أحد

قوله: (بالركن<sup>(١)</sup> من الجبل) الركن بسكون الكاف وضمها الناحية من الجبل وغيره. قوله: (فتسوروا) تصعدوا سور الجدار.

قوله: (النَّجَاءُ النَّجَاءُ) أي اطلبوا النجاة أو انجوا بأنفسكم نجاةً، فهو إما مفعول به لا طلبوا، أو مفعول مطلق لانجوا، والتكرير للتأكيد، والنجاء ممدود ومقصور، أي يستعمل بالمد والقصر. قوله: ﴿فَأَسْرِ﴾ بالوصل) أي بهمزة وصل حجازي، إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي، (من سرى) بضم السين مصدر سرى بوزن هدى. والباقون بهمزة قطع مفتوحة من الإسرائ وكلاهما بمعنى

(١) يعني جانبه.

﴿إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾ مستثنى من ﴿فَأَنزِلْ بِأَهْلِكَ﴾. (وبالرفع: مكّي وأبو عمرو على البدل من ﴿أَحَدٌ﴾). وفي إخراجها مع أهله روايتان. رُوي أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي. فلما سمعت هذه العذاب التفتت (وقالت: يا قوماه. فأدركها حجر فقتلها. ورُوي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم فلم يسر بها، واختلاف القراءتين لاختلاف الروائيتين) ﴿إِنَّهُمْ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ أي

واحد، وباء ﴿بِأَهْلِكَ﴾ للملابسة أو التعدية. قوله: (وبالرفع مكّي) أي ابن كثير المكّي (وأبو عمرو على البدل من ﴿أَحَدٌ﴾)، واستشكل ذلك بأنه يلزم منه أنهم نُهوا عن الالتفات إلا المرأة، فإنها لم تُنه عنه، وهذا لا يجوز؛ ولذا جعله في المعنى مرفوعًا بالابتداء، والجملة بعده خبر والمستثنى الجملة. قال: ونظيره: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ﴾ (٢٢) ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (٢٢) ﴿فَعَذَّبَهُ اللَّهُ﴾ [الغاشية: الآيات ٢٢ - ٢٤]. اهـ إتحاف. وقرأ الباقون بالنصب مستثنى من ﴿بِأَهْلِكَ﴾. قوله: (وفي إخراجها مع أهله روايتان: رُوي أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي، فلما سمعت هذه) أي صوت وقوع (العذاب وقالت: يا قوماه، فأدركها حجر فقتلها. ورُوي أنه أمر أن يخلفها مع قومها، فإن هواها إليهم. فلم يسر بها. واختلاف القراءتين لاختلاف الروائيتين) هكذا في الكشاف، ورده ابن الحاجب بأنه باطل؛ لأن القراءتين ثابتتان قطعًا، فيمتنع حملها على وجهين: أحدهما باطل قطعًا، والقصة واحدة، فهو إما أن يسري بها أو لا، فإن كان قد سرى بها فليس مستثنى إلا من قوله: ولا يلتفت. وإن كان ما سرى بها، فهو مستثنى من قوله: ﴿فَأَنزِلْ بِأَهْلِكَ﴾، فقد ثبت أن أحد التأويلين باطل قطعًا، فلا يُصار إليه في أحد القراءتين الثابتتين؛ فالأولى أن يكون ﴿إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾ في الرفع والنصب مثل ما فعلوه ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: الآية ٦٦]، ولا يبعد أن يكون بعض القراء على الوجه الأقوى وأكثرهم على وجهٍ مرجوح، بل يجوز بعضهم أن يتفق القراء على القراءة بغير الأقوى، وأجاب عنه بعض فضلاء المغرب بأنه يمكن حمله على أنه لا تخالف بين الروائيتين بأن يكون ما سرى بها وخلفها لكنها سرت بنفسها وتبعتهن، فعلى تقدير صحة هذا لا تدخل في المخاطبين بقوله: ﴿وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ﴾، لكن ابن مالك نقل هذا في توضيحه وقال: إنه تكلف ولا شبهة فيه، وإن استحسنته المعربون وغيرهم وارتضاه أبو شامة، وقال: إن فيه اختصارًا، وأصله: فإن خرجت معكم



إِنَّ الْأَمْرَ. وَزُوِيَ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ مَتَى مَوْعِدُ هَلَاكِهِمْ؟ قَالُوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾  
فَقَالَ: أَرِيدُ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

وتبعتمكم من غير أن تكون أنت سریت بها، فإنه أهلك عن الالتفات غيرها، فإنها ستلتفت فيصيبها ما أصاب قومها، فكانت قراءة النصب دالة على مجموع المعنى المراد وارتضاه الشارح المدقق في الكشف وتممه بدفع ما يرد على الكشف من أنه يلزم من قوله: واختلاف القراءتين لاختلاف الروائيتين شك في كلام لا ريب فيه من رب العالمين، بأن معناه اختلاف القراءتين جالب وسبب لاختلاف الروائيتين، كما تقول: السلاح للغزو، أي أداة وصالح ونحوهما ولم يرد أن اختلاف القراءتين قد حصل. ولا شك أن كل رواية تناسب قراءة، وهذا ما أمكنني في تصحيحه وأورد عليه أنه مع بعده فيه أنه تنقلب حينئذ الرواية دراية لاتحادهما من ظاهر القراءة، وأيضاً فيه التزام استلزام اختلاف الروائيتين أمراً مجذوراً هو الجمع بين متنافيين، وكلاهما غير وارد، فتأمل.

وقال في المغني: الذي أجزم به أن قراءة الأكثرين ليست مرجوحة، وأن الاستثناء على القراءتين من (أسر) بدليل قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وأن الاستثناء منقطع بدليل سقوط، (ولا يلتفت) في سورة الحجر، والمراد بالأهل المؤمنون، وإن لم يكونوا من أهل بيته؛ كما في قوله لنوح ﷺ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: الآية ٤٦]، ووجه الرفع أنه مبتدأ والجملة بعده خبره؛ كقوله: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [٢٣] إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٢﴾ فَعَذَابُهُ [الغاشية: الآيات ٢٢ - ٢٤] إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ النِّصْبَ عَلَى اللُّغَةِ الْحِجَازِيَّةِ وَالرَّفْعَ عَلَى التَّمِيمِيَّةِ، وَلَمْ يَجْعَلِ الْمُسْتَثْنَى جُمْلَةً وَهُوَ أَوْلَى لِيَكُونَ الرَّفْعُ عَلَى اللَّغَتَيْنِ لضعف اللغة التميمية، والمعنى: أسر بالمؤمنين لكن امرأتك مصيبتها ما أصابهم، وهو وجه حسن. وذهب الرضي إلى أن الاستثناء متصل ولا تناقض، قال: لما تقرّر أن الاتباع هو الوجه مع الشرائط المذكورة، ولما كان أكثر القراء على النصب هنا تكلف الزمخشري له ما مر، فاعترض عليه ابن الحاجب بما قرّناه، والجواب أن الإسراء وإن كان مطلقاً في الظاهر إلا أنه مقيد في المعنى بعدم الالتفات، فمآله أسر بأهلك إسراء لا التفات فيه إلا امرأتك، فإنك تسري بها إسراء مع الالتفات، فاستثنى على هذا إن شئت من (أسر) أو (لا يلتفت)، ولا تناقض. وهذا كما تقول: امش ولا تتبختر، أي امش

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَنِيبَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَنِيبَهَا سَافِلَهَا﴾ جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها أي أسفل قراها، ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء (نباح الكلاب) وصيحه (الديكة)، ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا

مَشِيًّا لَا تَتَّبَعْتَنِي فِيهِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَلَا يَلْتَفَتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ فِي الْإِسْرَاءِ، وَكَذَا امشِ وَلَا تَتَّبَعْتَنِي فِي الْمَشْيِ. فَحُذِفَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ لِلْعِلْمِ بِهِ، وَقَدْ ذَكَرَ مِثْلَهُ بَعِينُهُ الْفَاضِلُ الْيَمْنِيُّ. وَفِي شَرْحِ الْمَغْنِيِّ أَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَأْخُذُ كَلَامُ الرِّضِيِّ بِعِبَارَتِهِ كَمَا يَعْرِفُهُ مَنْ تَتَّبَعَ وَقَدْ أَوْرَدَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ قَدَسَ سِرِّهِ فِي حَوَاشِيهِ: أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ إِذَا رَجَعَ إِلَى الْقَيْدِ كَانَ الْمَعْنَى: فَاسْرُ جَمِيعِ أَهْلِكَ إِسْرَاءٌ لَا التَّفَاتُ فِيهِ إِلَّا مِنْ أَمْرَاتِكَ، فَيَكُونُ الْإِسْرَاءُ بِهَا دَاخِلًا فِي الْمَأْمُورِ بِهِ، وَإِذَا رَجَعَ إِلَى الْمَقْيَدِ لَمْ يَكُنِ الْإِسْرَاءُ دَاخِلًا فِي الْمَأْمُورِ بِهِ، فَيَكُونُ الْمَحْذُورُ بَاقِيًا بِحَالِهِ. وَلَا دَفْعَ لَهُ إِلَّا بِأَنْ تَنَاقَلَ الْعَامُّ إِيَّاهَا لَيْسَ قَطْعِيًّا لِحُجُوزِ أَنْ يَكُونَ مَخْصُوصًا، فَلَا يُلْزَمُ مِنْ رَجُوعِ الْإِسْتِثْنَاءِ إِلَى قَوْلِهِ: (وَلَا يَلْتَفَتُ) كَوْنُهُ مَأْمُورًا بِالْإِسْرَاءِ بِهَا، وَحِينَئِذٍ يُوْجِّهُ الْإِسْتِثْنَاءُ بِمَا ذَكَرَ مِنْ أَنَّهَا تَبْعَتُهُمْ وَأَسْرَى بِهَا مَعَ كَوْنِهِ غَيْرَ مَأْمُورٍ بِذَلِكَ؛ إِذْ لَا يُلْزَمُ مِنْ عَدَمِ الْأَمْرِ بِهِ النِّهْيُ، فَتَأَمَّلْ. اهـ.

وفيه بحث، لأن قوله: وإذا رجع إلى المقيّد... الخ. إن أراد به أنه لا يكون داخلًا في المأمور به مطلقًا، فليس بصحيح لتقيده بالقيد المذكور. وإن أراد لا يدخل في المأمور به المقيّد، فلا ضرر فيه؛ لأنه إذا أمر بالإسراء مع التفاتهم وأخرجت المرأة من مجموع الإسراء، فالالتفات لا ينافي ذلك الأمر بالإسراء بها من غير التفات، فتأمل فإنه غير وارد مع احتمال التخصيص من غير دليل لا وجه له، ومراده بالتقييد أنه ذكر شيئين متعاطفان، فالظاهر أن المراد الجمع بينهما؛ لأن الجملة حالية فلا يرد عليه أن الحمل على التقييد مع أن الواو للنسق ممنوع، وكذا جعلها للحال مع لا الناهية، وأيضًا القراءة بإسقاطها تدلّ على عدم اعتبار ذلك التقييد؛ فتأمل. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (نباح) بالضم صوت (الكلاب) جمع الكلب. قوله: (الديكة) وزان عتبة، جمع الديك.

عَلَيْهَا حِجَارَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٨٤﴾ هي كلمة معربة من سنك كل (بدليل قوله): ﴿حِجَارَةٌ مِّنْ طِينٍ﴾ [الذاريات: الآية ٣٣]، ﴿مَنْضُودٍ﴾ نعت لسجّيل أي متتابع أو مجموع معدّ للعذاب ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ نعت لـ ﴿حِجَارَةٌ﴾ أي معلمة للعذاب. قيل: مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في خزائنه أو في حكمه ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِعِيدٍ﴾ بشيء بعيد، وفيه وعيد لأهل مكة فإن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة، أو الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسائرهم.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبٌ ۖ قَالَ يَتَقَوَّمُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُضُوا أَلْعِيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَانَكُمْ يُخَيَّرُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُونَ﴾ ﴿٨٤﴾

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبٌ﴾ هو اسم مدينتهم أو اسم جدّهم مدين بن إبراهيم أي وأرسلنا شعيباً إلى ساكني مدين أو إلى بني مدين ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُضُوا أَلْعِيَالَ﴾ أي المكيال بالمكيال ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ والموزون بالميزان ﴿إِنِّي أَرَانَكُمْ يُخَيَّرُ﴾ (بشروة) وسعة تُغنيكم عن (التطفيف)، أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُونَ﴾ مهلك من قوله: ﴿وَأُحِيطُ بِشَرِّهِ﴾ [الكهف: الآية ٤٢] وأصله من إحاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا أو عذاب الآخرة.

﴿وَيَتَقَوَّمُوا أَوْفُوا أَلْعِيَالَ وَالْمِيزَانَ ۖ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٨٥﴾

﴿وَيَتَقَوَّمُوا أَوْفُوا أَلْعِيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل. نُهوا أولاً عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان، ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي

قوله: (بدليل قوله) في موضع آخر.

قوله: (بشروة) الثروة كثرة المال. اهـ مصباح. قوله: (التطفيف) في المصباح: الطفيف مثل القليل وزناً ومعنى، ومنه قيل: التطفيف المكيال والميزان تطفيف، وقد طَفَفَه فهو مَطْفَفٌ إذا كال أو وزن ولم يُوف. اهـ.

هو حسن في العقول لزيادة الترغيب فيه، وجيء به مقيداً بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان ﴿وَلَا يَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ البخس: النقص، كانوا يُنقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (العنى والعيث) أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل، ويجوز أن يجعل البخس والتطيف عتياً منهم في الأرض.

﴿بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾

﴿بَقِيَتْ اللَّهُ﴾ يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بشرط أن تؤمنوا. نعم بقية الله خير للكفرة أيضاً لأنهم يسلّمون معها من تبعة البخس والتطيف إلا أن فائدتها تظهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبها في غمرات الكفر، وفي ذلك تعظيم للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه، أو المراد إن كنتم مصدّقين لي فيما أقول لكم وأنصح به إياكم ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ لبعمه عليكم فاحفظوها بترك البخس.

﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾

﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوَاتُكَ﴾ (وبالتوحيد: كوفي غير أبي بكر) ﴿تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له: ما تستفيد بهذا؟ فكان يقول: إنها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح. فقالوا على وجه الاستهزاء أصلواتك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آبائنا، أو أن نترك التبسط في أموالنا ما نشاء من إيفاء ونقص. وجاز أن تكون الصلوات أمرة مجازاً كما سماها الله تعالى ناهية مجازاً ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ أي السفيه الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء، أو إنك حلیم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك.

قوله: (العنى والعيث) نحو جذب وجبذ.

قوله: (وبالتوحيد) أي بالافراد (كوفي غير أبي بكر) أي قرأه حفص وحمزة والكسائي. والباقون بالجمع والتاء بالرفع في القراءتين.

﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِنِّي مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ﴾ من لَدُنْهِ ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ يعني النبوة والرسالة أو مالاً حلالاً من غير بخس وتطفيف. وجواب ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ محذوف أي أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبياً على الحقيقة، أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي، والأنبياء لا يُبعثون إلا لذلك؟ يقال: خالفني فلان إذا قصده وأنت مؤل عنه، وخالفني عنه إذا ولّى عنه وأنت قاصده. ويلقاك الرجل صادراً عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول: خالفني إلى الماء يريد، أنه قد ذهب إليه وارداً وأنا ذاهب عنه صادراً، ومنه قوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِنِّي مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ﴾ يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها (لاستبذ بها دونكم) ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمرني بالمعروف ونهي عن المنكر ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ ظرف أي مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكناً منه لا (ألو) فيه جهداً ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وما كوني موفقاً لإصابة الحق فيما آتي (وأذر) إلا بمعونته وتأيبه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدت ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع في السراء والضراء. «جرم» مثل «كسب» في تعذبه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين ومنه قوله:

﴿وَيَقَوْمِ لَا يَحْجِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا صَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾

﴿وَيَقَوْمِ لَا يَحْجِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ أي لا يكسبئكم خلافي إصابة العذاب ﴿مِثْلُ مَا صَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ وهو الغرق والريح

قوله: (لاستبذ بها دونكم) في المصباح: استبذ بالأمر انفرد به من غير مشارك له فيه. اهـ. قوله: (ألو) في مختار الصحاح: ألى من باب عدى، أي قصر، وفلان لا يألوك نصحاً فهو آل. اهـ. قوله: (وأذر) في مختار الصحاح: تقول: ذره أي دعه وهو يذره، ولا يقال: وذره ولا واذر، لكن تركه فهو تارك. اهـ.

والرجفة ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِّنْكُمْ بَعِيدٌ﴾ في الزمان فهم أقرب الهالكين منكم، أو في المكان فمنازلهم قريبة منكم، أو فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوىء. (وسوي في قريب وبعيد) وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي (الصهيل والنهيق) ونحوهما.

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ يغفر لأهل (الجفاء) من المؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ يحب أهل الوفاء من الصالحين ﴿قَالُوا يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا نَقُولُ﴾ أي لا نفهم صحة ما تقول وإلا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء ﴿وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم - وهو شر قتله - وكان رهطه من أهل ملتهم فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم. وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا. (وقد دل إيلاء ضمير حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل) كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك ﴿قَالَ﴾ في جوابهم.

قوله: (وسوي في قريب وبعيد)... الخ. إشارة إلى جواب ما يقال من أن لفظ القوم مؤنث؛ كقوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحٌ﴾ [الشعراء: الآية ١٠٥]، فالقياس أن يقال ببعيدة. قوله: (الصهيل) صوت الخيل (والنهيق) والشهيق صوت الحمار.

قوله: (الجفاء) ممدود ضد البر. اهـ مختار الصحاح. قوله: (وقد دل إيلاء ضمير) أي إيلاء الضمير الذي هو عبارة عن شعيب عليه الصلاة والسلام (حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل) بأن يتفق المتكلم والمخاطب على وجود أصل الفعل، لكن المخاطب يخطئ في تعيين الفاعل، والمتكلم يقصد أن يرد إلى الصواب، وهذا يقتضي أن يكون أصل الكلام ما عززت أنت فقدم أنت للاختصاص، فإنه قد تقرر أن تقديم المسند إليه يفيد تخصيصه بالخبر، أي قصر الخبر عليه إن وقع المسند إليه بعد حرف النفي بلا فصل، نحو: ما أنا قلت، أي

﴿قَالَ يَنْقُومِ آرْهَطِيْ اَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَتَخَذَلُوهُ وَرَأَيْكُمْ ظَهْرِيْٓ اِنَّ رَبِّيْۤ يَمَّا تَعْمَلُوْنَ  
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾

﴿يَنْقُومِ آرْهَطِيْ اَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ﴾ ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب. وإنما قال: ﴿آرْهَطِيْ اَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ﴾ والكلام واقع فيه وفي رهطه وأنهم الأعزّة عليهم دونه، لأن تهاونهم به - وهو نبي الله - تهاون بالله. وحين عزّ عليهم رهطه دونه كان رهطه أعزّ عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: الآية ٨٠]، ﴿وَتَخَذَلُوهُ وَرَأَيْكُمْ ظَهْرِيْ﴾ ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم في النسبة إلى الأمس (إمسي) ﴿اِنَّ رَبِّيْۤ يَمَّا تَعْمَلُوْنَ مُحِيطٌ﴾ قد أحاط بأعمالكم علماً فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿وَيَنْقُومِ اَعْمَلُوْا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ اِنِّيۤ اَعْمَلُ سَوَافَ تَعْمَلُوْنَ مَن يَّاتِيهِ عَذَابٌ يُّٰخِزِيْهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَّارْتَقِبُوْا اِنِّيۤ مَعَكُمْ رَقِيْبٌ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَيَنْقُومِ اَعْمَلُوْا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ﴾ هي بمعنى المكان يقال: مكان ومكانة ومقام ومقامة، أو مصدر من مكن مكانة فهو مكين إذا تمكّن من الشيء يعني اعملوا فارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشُّرك. والشنآن) لي، أو اعملوا متمكّنين من عداوتي مُطيقين لها ﴿اِنِّيۤ اَعْمَلُ﴾ على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد

لم أقله مع أنه مقول لغيري، فالتقديم يفيد نفي الفعل عن المذكور وثبوته لغيره على الوجه الذي نفي عن المذكور، وإنما التزم تحقق التقديم في مثله؛ لأن كلمة ما لنفي الحال، والحال له اختصاص بالزمان؛ فالقياس أن يكون مدخولها فعلاً أو شبهه، وحيث وُجد الاسم بعدها لا سيما الضمير دلّ ذلك على أن أصل الكلام ما عزّزت أنت، وأن التقديم لأجل الاهتمام والاختصاص. قال صاحب المفتاح في تفسير الآية: أي العزيز علينا يا شعيب رهطك لا أنت، لكونهم من أهل ديننا، ولذلك قال عليه الصّلاة والسلام في جوابهم:

﴿آرْهَطِيْ اَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ﴾ [هود: الآية ٩٢]، أي من نبي الله. قوله: (إمسي) بكسر الهمزة.

قوله: (الشنآن) بغض.

ويمكنني ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ «مَن» استفهامية معلقة لفعل العلم من عمله فيها كأنه قيل: سوف تعلمون أيًا يأتيه عذاب يُخْزِيهِ أي يفضحه، وأيًا هو كاذب. أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل: سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخْزِيهِ والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم. وإدخال الفاء في ﴿سَوْفَ﴾ وصل ظاهر بحرف وضع للوصل، ونزعها وصل تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدّر كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون. والإتيان بالوجهين للتفتن في البلاغة وأبلغهما الاستئناف ﴿وَأَرْقُبُوا﴾ وانتظروا العاقبة وما أقول لكم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر، والرقيب بمعنى الرقيب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب، أو بمعنى المُرَاقِب كالعشير بمعنى المعاشر، أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ وَصَبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينَ﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ صاح بهم جبريل صيحة فهلکوا. وإنما ذكر في آخر قصة عاد ومدين ﴿وَلَمَّا جَاءَ﴾ وفي آخر قصة ثمود ولوط ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ لأنهما وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾، ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾، فجاء بالفاء الذي هو للتسبب كقولك: «وعده فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت». وأما الأخريان فقد وقعنا مبتدئين فكان حقهما أن تعطف بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينَ﴾ الجاثم اللازم لمكانه (لا يريم) يعني أن جبريل صاح بهم صيحة (فزهق) روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة.

قوله: (لا يريم) في مختار الصحاح: رام يُرِيم أي يرح، يقال: لا رِمت أي لا برِخت، وهو دعاء بالإقامة، أي لا زِلْتُ مقيمًا. اهـ. قوله: (فزهق) أي خرج.



﴿كَأَن لَّمْ يَفْعَوْا فِيهَا﴾ (كأن لم يقيموا) في ديارهم أحياء متصرفين مترددين ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَنِينَ﴾ (البُعد بمعنى البعد) وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى

إلى قوله: ﴿كَأَ بَعْدَتْ شُؤْدُ﴾ (وقرىء) ﴿كَأَ بَعْدَتْ﴾ (والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القُرب إلا أنهم فرّقوا البُعد من جهة الهلاك وبين غيره، فغيّروا البناء كما فرّقوا بين ضمانى الخير والشر فقالوا: وعد وأوعد.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٩٦) ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (٩٧)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٩٦) المراد به العصا لأنها (أبهرها) ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا﴾ أي الملأ ﴿أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ هو تجهيل لمُتَّبِعِيهِ حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين، وذلك أنه ادّعى الألوهية وهو بشر مثلهم، وجاهر بالظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان ومثله بمعزل

قوله: (كأن لم يقيموا) من غنى بالمكان أي أقام. قوله: (البُعد) بضم الباء وسكون العين (بمعنى البعد) - بفتحيتين - وهو الهلاك.

قوله: (وقرىء) ﴿كَأَ بَعْدَتْ﴾ (بالضم، وهي قراءة شاذة، وقارئة السلمي، والجمهور على كسر العين من (بعدت) على أنها من بعد يبعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع، بمعنى هلك يهلك أرادت العرب أن تفرّق بين البعد بمعنى الهلاك، وبين البعد الذي هو ضدّ القرب، ففرّقوا بينهما بصيغة البناء، فقالوا: بُعد - بالضم - في ضدّ القرب، وبُعد - بالكسر - في ضدّ السلامة، والبُعد - بالضم وسكون - مصدر لهما، والبعد - بفتحيتين - إنما يُستعمل في مصدر مكسور العين، وقرىء بضمّ العين أخذًا من ضدّ القرب؛ لأنهم إذا هلكوا فقد بعدوا، ومنه قول الشاعر:

مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التَّرَابِ وَبَيْنَهُ شِبْرٌ فَذَا فِي غَايَةِ الْبُعْدِ

قوله: (أبهرها) في المصباح: بَهَرَه بَهْرًا من باب نفع غلبه وفضله، ومنه قيل للقمر: الباهر؛ لظهوره على جميع الكواكب. اهـ.

عن الألوهية. وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط. أو المراد وما أمره بصالح حميد العاقبة، ويكون قوله:

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (٩٨) وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرًا له وإيضاحًا أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضي كما استعمل الغي في كل ما يذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ أدخلهم. وجيء بلفظ الماضي لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل: يقدمهم فيوردتهم النار لا محالة يعني كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ﴿وَبِئْسَ الْوَرْدُ﴾ المورد و﴿الْمَوْرُودُ﴾ الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قال: وبئس المورد المورد الذي يردونه النار لأن المورد إنما يراد لتسكين العطش والنار ضده ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ﴾ أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة ﴿بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ رفدهم (أي بشس العون المعان أو بشس العطاء المعطى).

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ (١٠٠)

﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾ خبر ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك ﴿مِنْهَا﴾ من القرى ﴿قَائِمٌ﴾ و﴿حَصِيدٌ﴾ أي بعضها باق وبعضها (عافي الأثر) كالزرع القائم على ساقه والذي حصد، والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

قوله: (أي بشس العون المعان أو بشس العطاء المعطى) فإن الرشد قد جاء بمعنى العون وبمعنى العطية، تقول: رفته أرفده رفدًا إذا أعطيته، وكذلك إذا أعتته، والإفراد الإعطاء والإعانة.

قوله: (عافي الأثر) في المصباح: عفا المنزل يغفو عفواً وعفواً وعفاء - بالفتح والمد - درس. اهـ. وأيضاً فيه: درس المنزل دروساً من باب قعد عفا وخفيت آثاره. اهـ.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكنا إياهم ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بارتكاب ما به أهلكوا ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمْ﴾ فما قدرت أن ترد عليهم بأس الله ﴿الَّتِي يَدْعُونَ﴾ يعبدون وهي حكاية حال ماضية ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَلَمَّا﴾ منصوب بـ «ما أغنت»، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ تخسير. يقال: تبَّ إذا خسر، وتبَّبه غيره أوقعه في الخسران يعني وما أفادتهم عبادة غير الله شيئاً بل أهلكتهم.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ (محل الكاف الرفع) أي ومثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ حال من ﴿الْقَرْيَةَ﴾، ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ مؤلم شديد صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل ظالم أن يُبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما قص الله من قصص الأمم الهالكة ﴿لَآيَةً﴾ لعلهم ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ أي اعتقد صحته ووجوده ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه ﴿يَوْمٌ يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ﴾ وهو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله إذا قلت يجمع له الناس. وإنما أثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم. وإنه أثبت أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ أي مشهود فيه (فاتسع في الظرف بإجرائه) مجرى المفعول به أي يشهد

قوله: (محل الكاف الرفع) على أنه خبر مقدم للمصدر المذكور بعده.

قوله: (فاتسع في الظرف بإجرائه) أي بحذف الجار وتعلق الفعل بالظرف على صورة تعليقه بالمفعول به اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي القنوي: أي جوز فيه

فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ أي اليوم المذكور. الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها، والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها، فمعنى قوله: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ﴾ إلا لانتها مدة معدودة بحذف المضاف، أو ما تؤخر هذا اليوم إلا لتنتهي المدة التي ضربناها لبقاء الدنيا.

﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ. فَمِنْهُمْ سُفٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾ (وبالياء مكّي. وافقه أبو عمرو ونافع وعلي) في (الوصل). وإثبات الياء هو الأصل إذ لا علة تُوجب حذفها. وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل ونظيره ﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾ [الكهف: الآية ٦٤] وفاعل ﴿يَأْتُ﴾ ضمير يرجع إلى قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ﴾ لا اليوم المضاف إلى ﴿يَأْتُ﴾ و﴿يَوْمَ﴾ منصوب باذكر أو بقوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ أي لا تتكلم ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي لا يشفع أحد إلا بإذن الله، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥] ﴿فَمِنْهُمْ﴾ الضمير لأهل الموقف لدلالة ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ عليه وقد مر ذكر الناس في قوله: ﴿يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ﴾ ﴿سُفٌّ﴾ معذب ﴿وَسَعِيدٌ﴾ أي ومنهم سعيد أي منعم.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ هو أول نهيق الحمار ﴿وَشَهِيقٌ﴾ هو آخر، (أو هما إخراج النفس ورده)، والجملة في موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذي في النار.

فجعل اليوم نفسه مشهوداً مع أنه وصف الخلائق بملابسة الظرفية والمظروفية، وله نظائر كثيرة كصام نهاره، وقام ليله، وهذا أريد به المبالغة، وهنا أريد به تعظيم اليوم وتفضيحه. اهـ. قوله: (وبالياء مكّي) أي ابن كثير المكّي وصلاً ووقفاً، (وافقه أبو عمرو ونافع وعلي) الكسائي في (الوصل)، والباقون بالحذف في الحاليين لقصد التخفيف على حد لا أدر<sup>(١)</sup> اكتفاءً بالكسر.

قوله: (أو هما إخراج النفس ورده) عبارة تفسير البيضاوي: الزفير إخراج النفس والشهيق رده، واستعمالهما في أول النهيق وآخره. اهـ. وفي مختار

(١) سمع من العرب: لا أدر ولا أبال، وهي لغة لهذيل. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿خَلْدَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٠٧)

﴿خَلْدَيْنِ فِيهَا﴾ حال مقدرة ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ في موضع النصب أي مدة دوام السموات والأرض، والمراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد. والدليل على أن لها سموات وأرضاً قوله: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨]، وقيل: ما دام فوق وتحت ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما (يقلهم) ويظلهم إما سماء أو عرش وكل ما أظلك فهو سماء، أو هو عبارة عن التأيد ونفي الانقطاع كقول العرب: (ما لاح) كوكب، وغير ذلك من كلمات التأيد ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ هو استثناء من الخلود في عذاب النار، وذلك لأن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار، أو ﴿مَا شَاءَ﴾ بمعنى مَنْ شَاءَ وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضاً لمفارقتهم إياها بكونهم في النار أياماً، فهؤلاء لم يشقوا شقاوة مَنْ يدخل النار على التأيد، ولا سعادوا سعادة مَنْ لا تمسه النار، وهو مروي عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضي الله عنهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ بالشقي والسعدي.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَيَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُورٍ﴾ (١٠٨)

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾، ﴿سَعِدُوا﴾ وحمزة وعلي وحفص لازم، وسعده يسعده متعدي ﴿فَيَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ هو استثناء

الصحاح: الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره؛ لأن الزفير إدخال النفس والشهيق إخراجها. اهـ. وأيضاً فيه في فصل الشين: شهيق الحمار آخر صوته وزفيره أوله. اهـ. وأيضاً فيه وقيل: الشهيق رد النفس. والزفير إخراجها.

قوله: (يقلهم) أي يحملهم. قوله: (ما لاح) أي أومض.

قوله: ﴿سَعِدُوا﴾ بضم السين بالبناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده (حمزة وعلي) الكسائي (وحفص)، وقرأ الباقون بفتحها مبنياً للفاعل من اللازم، (سعد) من باب سليم (لازم وسعده يسعده) بفتحين (متعدي).

من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه، أو معناه إلا مَنْ شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الاستثناء في الآيتين لأهل الجنة» ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها، ولا يكون له أيضًا خلود في الجنة لأنه لم يدخل الجنة ابتداءً، والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردّوا الأحاديث المروية في هذا الباب وكفى به إثماً مبيناً ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ يُجْدَوْزِ﴾ غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: الآية ٢٥] وهو نصب على المصدر أي أعطوا عطاء. قيل: (كفرت الجهمية) بأربع آيات ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ يُجْدَوْزِ﴾ ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ﴾ [الرعد: الآية ٣٥]، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: الآية ٩٦]، ﴿لَا مَقْطُوعَ وَلَا مَمْنُونَةٍ﴾ [الواقعة: الآية ٣٣].

لما قصّ الله قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحلّ بهم من نقمه وما أعدّ لهم من عذابه قال:

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُونَ هَؤُلَاءَ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُؤْفَوُهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرُ مَنْقُوصٍ ﴿١١٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُونَ هَؤُلَاءَ﴾ أي فلا تشك بعدما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلياً لرسول الله ﷺ وعدة بالانتقام منهم ووعيداً لهم. ثم قال: ﴿مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِن قَبْلُ﴾ يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم. وقد بلغك ما نزل بأبائهم فسينزلن بهم مثله، وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المربة و«ما» في ﴿مِمَّا﴾ و﴿كَمَا﴾ مصدرية أو موصولة أي من عبادتهم وعبادتهم. أو مما يعبدون من الأوثان ومثل ما يعبدون منها ﴿وَإِنَّا لَمُؤْفَوُهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾ حظهم من العذاب كما وفيها آباءهم أنصباؤهم ﴿غَيْرُ مَنْقُوصٍ﴾ حال من ﴿نَصِيبُهُمْ﴾ أي كاملاً ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾

قوله: (كفرت الجهمية) أصحاب جهنم بن صفوان. يقول: إن الجنة والنار

تفنيان.

أَلِكْتَبَ التَّوْرَةَ ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ آمَنَ بِهِ قَوْمٌ وَكَفَرَ بِهِ قَوْمٌ كَمَا اخْتَلَفَ فِي الْقُرْآنِ وَهُوَ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ إِنَّهُ لَا يُعَاجِلُهُم بِالْعَذَابِ ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ قَوْمِ مُوسَىٰ أَوْ قَوْمِكَ بِالْعَذَابِ الْمُسْتَأْصِلِ ﴿وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكِّ مَنَّةٍ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنَ الْعَذَابِ ﴿مُرِيبٍ﴾ مَنْ أَرَابَ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ ذَا رِيَّةٍ عَلَى الْإِسْنَادِ الْمُجَازِيِّ.

﴿وَإِنْ كَلَّا لَيُوقِفَنَّهِنَّ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

﴿وَإِنْ كَلَّا﴾ التَّنْوِينُ عَوِضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ يَعْنِي وَإِنْ كَلَّمَهُمْ أَيْ وَإِنْ جَمِيعَ الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِ (﴿وَإِنْ﴾ مُشَدَّدَةٌ ﴿لَمَّا﴾ مُخَفَّفَةٌ: بَصْرِي وَعَلِيٌّ)، «مَا» مُزِيدَةٌ جِيءَ بِهَا لِيُفَصِّلَ بِهَا بَيْنَ لَامِ «إِنْ» وَلَامِ ﴿لَيُوقِفَنَّهِنَّ﴾ وَهُوَ جَوَابُ قِسْمٍ مَحْذُوفٍ، وَاللَّامُ فِي ﴿لَمَّا﴾ مُوْطِئَةٌ لِلْقِسْمِ وَالْمَعْنَى وَإِنْ جَمِيعُهُمْ وَاللَّهُ لَيُوقِفَنَّهِنَّ ﴿رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أَيْ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ مِنْ إِيْمَانٍ وَجُحُودٍ وَحَسَنٍ وَقَبِيحٍ. (بِعَكْسِ الْأَوَّلِ: أَبُو بَكْرٍ، مُخَفَّفَانِ: مَكِّي وَنَافِعٌ) عَلَى إِعْمَالِ الْمُخَفَّفَةِ عَمَلِ الثَّقِيلَةِ اعْتِبَارًا لِأَصْلِهَا الَّذِي هُوَ التَّثْقِيلُ، وَلِأَنَّ «إِنْ» تُشَبِّهُ الْفِعْلَ وَالْفِعْلَ يَعْمَلُ قَبْلَ الْحَذْفِ وَبَعْدَهُ نَحْوُ «لَمْ يَكُنْ» وَ«لَمْ يَكْ» فَكَذَا الْمُشَبَّهُ بِهِ مُشَدَّدَتَانِ غَيْرُهُمَا وَهُوَ مُشْكَلٌ. وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ (لَمَمْتُ) الشَّيْءَ جَمَعْتَهُ لَمًّا، ثُمَّ وَقَفَ فَصَارَ «لَمَّا» ثُمَّ أَجْرَى الْوَصْلَ مُجْرَى الْوَقْفِ، وَجَازَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ الدَّعْوَى وَالشَّرْوَى وَمَا نَفِيهِ أَلْفُ التَّأْنِيثِ مِنَ الْمَصَادِرِ. وَقَرَأَ (الزَّهْرِيُّ) ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَّا﴾ بِالتَّنْوِينِ كَقَوْلِهِ: ﴿أَكْثَلًا لَمَّا﴾ [الفجر: الآية ١٩]. وَهُوَ

قَوْلُهُ: (و﴿وَإِنْ﴾ مُشَدَّدَةٌ ﴿لَمَّا﴾ مُخَفَّفَةٌ بَصْرِي) أَيْ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ الْبَصْرِيُّ وَيَعْقُوبُ الْبَصْرِيُّ، وَلَيْسَ مِنَ السَّبْعَةِ، (وَعَلِيٌّ) الْكَسَائِيُّ. قَوْلُهُ: (بِعَكْسِ الْأَوَّلِ: أَبُو بَكْرٍ) أَيْ قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ بِتَخْفِيفِ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ جَعَلَ ﴿إِنْ﴾ نَافِيَةً، وَ﴿لَمَّا﴾ كَلًّا، وَكَلًّا مُنْصُوبٌ بِمُفْسِّرِ قَوْلِهِ: ﴿لَيُوقِفَنَّهِنَّ﴾ [هُود: الآية ١١١]، أَوْ بِتَقْدِيرِ أَمْرِي. أَهْدَ إِتْحَافٍ. قَوْلُهُ: (مُخَفَّفَانِ) أَيْ بِتَخْفِيفِ نُونِ ﴿أَنْ﴾ وَمِيمِ ﴿لَمَّا﴾ [هُود: الآية ١٠١] (مَكِّي) أَيْ ابْنُ كَثِيرٍ الْمَكِّيُّ، (وَنَافِعٌ) الْمَدَنِيُّ. قَوْلُهُ: (لَمَمْتُ) بِأَبِهِ رَدًّا. قَوْلُهُ: (الزَّهْرِيُّ) هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَهَابِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زَهْرَةَ الْقُرَشِيِّ أَحَدِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْأَعْلَامِ التَّابِعِينَ بِالْمَدِينَةِ، رَأَى عَشْرَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضْوَانَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ. وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ

يؤيد ما ذكرنا والمعنى، وإن كلاً ملمومين أي مجموعين كأنه قيل: وإن كلاً جميعاً كقوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتْمَعُونَ﴾ [الحجر: الآية ٣٠]. وقال صاحب الإيجاز: «لما» فيه معنى الظرف وقد دخل في الكلام اختصار كأنه قيل: وإن كلاً لما بعثوا ليوفيتهم ربك أعمالهم. وقال الكسائي: ليس لي بتشديد «لما» علم. ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢)

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها غير عادل عنها ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ معطوف على المستتر في «استقم» وجاز للفاصل يعني فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع إلى الله مخلصاً ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ ولا تخرجوا عن حدود الله ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهو مجازيكم فاتقوه. قيل: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية كانت أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال: «شيبتني هود».

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمِمَّا كُنْتُمْ لَنَاوٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣)

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ولا تميلوا. (قال الشيخ) رحمه الله: هذا خطاب لأتباع الكفرة أي لا تركنوا إلى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم

الأئمة، منهم مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري. توفي ليلة الثلاثاء سبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة. والزهري - بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء - هذه النسبة إلى زهرة بن كلاب بن مرة، وهي قبيلة كبيرة من قريش.

قوله: (قال الشيخ) ... الخ. عبارة الشيخ الإمام علم الهدى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي رضي الله تعالى عنه. قوله: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وإن خرج مخرج العموم فهو خاص؛ لأنه لا كل ظالم يركن إليه تمسه النار، وكان هذا لأتباع الكفرة، أي لا تركنوا إلى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم إليه، فتمسكم النار، والله أعلم. انتهت.



إليه ﴿فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ وقيل: الركون إليهم الرضا بكفرهم. وقال قتادة: ولا تلحقوا بالمشركين. (وعن الموفق) أنه صلى خلف الإمام فلما قرأ هذه الآية غشي عليه فلما أفاق قيل له فقال: هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم! وعن الحسن جعل الله الدين بين لادين ﴿وَلَا تَقْطَعُوا﴾، ﴿وَلَا تَزْكُوا﴾ وقال سفيان: في جهنم وإد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك. وعن (الأوزاعي): ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عالماً. وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا لظَالِمٍ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فِي أَرْضِهِ». ولقد سُئِلَ (سفيان الثوري) عن ظالم أشرف على الهلاك في بريّة هل يسقى شربة ماء فقال: لا، فقيل له: يموت قال: دعه يموت ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ حال من قوله: ﴿فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة، ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء يقدرّون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ثم لا ينصركم هو لأنه حكم بتعذيبكم. ومعنى «ثم» الاستبعاد أي النصرة من الله مستبعدة.

قوله: (وعن الموفق) أي موفق الدين الموصلي البغدادي الإمام العلامة ذي الفنون وصاحب التصانيف أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ مولده ببغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة، ومات بها في ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة. قوله: (الأوزاعي) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَدَ إمام أهل الشام لم يكن بالشام أعلم منه، قيل: إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وكان يسكن بيروت. رُوِيَ أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي، فخرج حتى لقيه بذي طوى، فحلّ سفيان بعيره من القطار ووضع على رقبته، فكان إذا مرّ بجماعة قال: الطريق للشيخ. سمع من الزهري وعطاء، وروى عنه الثوري وأخذ عنه عبد الله بن المبارك وجماعة كثيرة، توفي سنة سبع وخمسين ومائة. والأوزاعي بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة هذه النسبة إلى أوزاع، وهي بطن من ذي الكلاع من اليمن، وقيل: بطن من همدان، واسمه مرثد بن زيد، وقيل: الأوزاع قرية بدمشق على طريق باب الفراديس، ولم يكن أبو عمرو منهم وإنما نزل فيهم، فُنُسِبَ إليهم. قوله: (سفيان الثوري) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الكوفي، كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم،

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ ذَلِكَ ذِكْرُ لِلذَّكْرَيْنِ﴾ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ غدوة وعشية ﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ وساعات من الليل (جمع زلفة) وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قرَّبه. وصلاة الغدوة الفجر، وصلاة العشية الظهر والعصر، لأن ما بعد الزوال عشي، وصلاة الزلف المغرب والعشاء، وانتصاب ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك: «أقيمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره». تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ﴾ إن الصلوات الخمس يُذهبن الذنوب وفي الحديث «إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب» أو الطاعات. قال عليه السلام: «أتبع السيئة الحسنة تمحها» أو سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ﴿فَأَسْتَقِمَّ﴾ فما بعده أو القرآن ﴿ذِكْرُ لِلذَّكْرَيْنِ﴾ عِظَةٌ للمتَّعِظِينَ. نزلت في (عمرو بن غزية الأنصاري) بائع التمر قال لامرأة: في البيت تمر أجود فدخلت فقبلها فندم فجاءه حاكبًا باكبًا فنزلت فقال عليه السلام: «هل شهدت معنا العصر؟» قال: نعم. قال: «هي كفارة لك». فقيل: أله خاصة؟ قال: «بل للناس عامة». ﴿وَأَصْبِرْ﴾ على امتثال ما أمرت به والانتهاز عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه إلا به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ جاء بما هو مشتمل على جميع الأوامر والنواهي من قوله: ﴿فَأَسْتَقِمَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَصْبِرْ﴾ وغير ذلك من الحسنات.

وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين، مولده في سنة خمس، وقيل: ست، وقيل: سبع وتسعين للهجرة، وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة. والثوري - بفتح الثاء المثناة وبعدها واو ساكنة وراء مهملة - هذه النسبة إلى ثور بن عبد مناة.

قوله: (جمع زلفة) كظلم وغُرف في جمع ظُلْمة وغُرْفة. قوله: (عمرو بن غزية) - بغين معجمة مفتوحة ثم زاي مكسورة وتحتانية ثقيلة - ابن عمرو بن ثعلبة، شهد العقبة وبدراً رضي الله عنه. (الأنصاري) الخزرجي.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١١٦)

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فهذا كان وهو موضوع للتحضيض ومخصوص بالفعل ﴿أُولُوا بَقِيَّةَ﴾ أولو فضل وخير، وسُمي الفضل والجود بقية لأن الرجل يستبقي مما يخرج جوده وأفضله فصار مثلاً في الجودة والفضل. ويقال: فلان من بقية القوم أي من خيارهم، ومنه قولهم: «في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا» ﴿يَتَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ عجب محمد عليه السلام وأمه أن لم يكن في الأمة التي ذكر الله إهلاكهم في هذه السورة جماعة من أولي العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ استثناء منقطع أي ولكن قليلاً ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي. و«من» في ﴿مِمَّنْ أَنْجَيْنَا﴾ للبيان لا للتبعيض لأن النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَتَهُونَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأعراف: الآية ١٦٥]. ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي التاركون للنهي عن المنكر، وهو عطف على مضمير أي قليلاً ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على «نهوا» ﴿مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أي أتبعوا ما عرفوا فيه من التمتع والترفة من حب الرئاسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء، ورفضوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (اعتراض) وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصِحُّونَ﴾ (١١٧) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ لَفِ عَقْبِهِمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ اللام لتأكيد النفي ﴿بِظُلْمٍ﴾ حال من الفاعل أي لا يصح أن يهلك الله القرى ظالماً لها ﴿وَأَهْلُهَا﴾ قوم ﴿مُصِحُّونَ﴾ تنزيهاً لذاته عن الظلم. وقيل: الظلم الشرك أي لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها

قوله: (اعتراض) جعله اعتراضاً بناءً على أنه يكون في آخر الكلام عند أهل المعاني.

وهم مُصْلِحُونَ فِي الْمَعَامَلَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ لَا يَضْمُونَ إِلَى شِرْكِهِمْ فسادًا آخَرَ ﴿١٢٠﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَمَعَلَّ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴿١٢١﴾ أَيُّ مُتَّفَقِينَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَاتِ عَنْ احْتِبَارٍ وَلَكِنْ لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ. وَقَالَتِ الْمَعْتَزَلَةُ: هِيَ مَشِئَةُ قَسْرٍ. وَذَلِكَ رَافِعٌ لِلْإِبْتِدَاءِ وَلَا يَجُوزُ ﴿١٢٢﴾ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٢٣﴾ فِي الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ أَيُّ وَلَكِنْ شَاءَ أَنْ يَكُونُوا مُخْتَلِفِينَ لَمَّا عَلِمَ مِنْهُمْ اخْتِيَارَ ذَلِكَ ﴿١٢٤﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴿١٢٥﴾ إِلَّا نَاسًا عَصَمَهُمُ اللَّهُ عَنِ الْاِخْتِلَافِ فَاتَّفَقُوا عَلَى دِينِ الْحَقِّ غَيْرِ مُخْتَلِفِينَ فِيهِ ﴿١٢٦﴾ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١٢٧﴾ أَيُّ وَلَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فَعِنْدَهَا خَلَقَهُمُ لِلَّذِي عَلِمَ أَنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ اِخْتِلَافٍ أَوْ اتَّفَاقٍ وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ لِغَيْرِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّهُ سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ، كَذَا فِي شَرْحِ التَّأْوِيلَاتِ ﴿١٢٨﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴿١٢٩﴾ وَهِيَ قَوْلُهُ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لَعَلَّمَهُ بِكَثْرَةِ مَنْ يَخْتَارُ الْبَاطِلَ.

﴿وَلَا تَقْصُرْ عَنْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثِثُ بِهِ، فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَأَسْطَرُوا إِنَّا مُنْظَرُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿وَلَا﴾ التَّنْوِينُ فِيهِ عَوَظٌ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ قِيلَ: وَكُلُّ نَبَأٍ وَهُوَ مَنْصُوبٌ بِقَوْلِهِ: ﴿تَقْصُرْ عَنْكَ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ بَيَانٌ لِكُلِّ وَقَوْلُهُ: ﴿مَا نُثِثُ بِهِ، فُؤَادَكَ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿وَلَا﴾. ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ أَيُّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَوْ فِي هَذِهِ الْأَنْبَاءِ الْمَقْتَضَةِ مَا هُوَ حَقٌّ ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَمَعْنَى تَثْبِيتِ فُؤَادِهِ زِيَادَةُ يَقِينِهِ لِأَنَّ تَكَثُّرَ الْأَدْلَةِ أَثْبَتَ لِلْقَلْبِ ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ ﴿أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ﴾ عَلَى حَالِكُمْ وَجَهْتِكُمْ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ عَلَى مَكَاتِنَا ﴿وَأَسْطَرُوا﴾ بَنَا الدَّوَاتِرِ ﴿إِنَّا مُنْظَرُونَ﴾ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ نَحْوُ مَا اقْتَضَى اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّقْمِ النَّازِلَةِ بِأَشْبَاهِكُمْ ﴿وَلِيَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِمَّا يَجْرِي فِيهِمَا فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُكُمْ ﴿وَالِيَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فَلَا يَذُنُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ وَأَمْرُكَ فَيَنْتَقِمَ لَكَ مِنْهُمْ. ﴿يَرْجِعُ﴾: نَافِعٌ وَحْفَصٌ ﴿فَعِنْدَهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فَإِنَّهُ كَافِيكَ وَكَفْلُكَ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (وَبِالنَّاءِ: مَدْنِي

قَوْلُهُ: ﴿يَرْجِعُ﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْجِيمِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَنْفَعُولِ (نَافِعٌ وَحْفَصٌ).  
وَالْبَقُولُ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْجِيمِ. قَوْلُهُ: (وَبِالنَّاءِ) عَلَى الْخَطْبِ (مَدْنِي) أَيُّ نَافِعٌ

وشامي وحفص)، أي أنت وهم على تغليب المخاطب. قيل: خاتمة التوراة هذه الآية وفي الحديث «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى».

المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وحفص)، والباقون بالياء على الغيبة.

تمت سورة هود بعون الله الملك المعبود  
والحمد للمنعم الودود والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
صاحب الشفاعة العظمى والحوض المورود  
وعلى آله وصحبه ما تجدد الموجود وتباعد المفقود

## (سورة يوسف)

(مكية مائة وإحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ . ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات هذه السورة، و﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاب العرب، أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر، أو الواضحة التي لا تشبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم، أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام، فقد روي أن علماء اليهود قالوا للمشركين: سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة يوسف عليه السلام

قوله: (سورة يوسف عليه السلام، مكية مائة وإحدى عشرة آية) بالاتفاق، وعدد كلماتها ألف وتسعمائة وست وتسعون كلمة، وعدد حروفها سبعة آلاف ومائة وستة وسبعون حرفاً. اهـ خطيب.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ ﴿٣﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه قرآنًا عربيًّا، وسُمِّي بعض القرآن قرآنًا لأنه اسم جنس يقع على كله وبعضه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا معانيه ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت: الآية ٤٤]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ نبيِّن لك أحسن البيان. والفاصل الذي يأتي بالقصة على حقيقتها عن (الزجاج)، وقيل: القصص يكون مصدرًا بمعنى الاقتصاص تقول: قصَّ الحديث يقصُّه قصصًا، ويكون فعلًا بمعنى مفعول كالنقض والحسب، فعلى الأول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي بإيحاءنا إليك هذه السورة على أن يكون ﴿أَحْسَنَ﴾ منصوبًا نصب المصدر لإضافته إليه والمقصود محذوف لأن ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ مُغْنٍ عنه. والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتصر على أبداع طريقة وأعجب (أسلوب) فإنك لا ترى اقتصاصه في كتب الأولين مُقَارِبًا لاقتصاصه في القرآن. وإن أريد بالقصص المقصود فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث، وإنما كان أحسن لما يتضمن من (العبر) والحكم والعجائب التي ليست في غيره. والظاهر أنه أحسن ما يقتصر في بابهِ كما يقال: «فلان أعلم الناس» أي في فته، واشتقاق القصص من قصَّ أثره إذا تبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئًا فشيئًا ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ الضمير

**قوله: (الزجاج)** هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل النحوي كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنَّف كتابًا في معاني القرآن الكريم، وأخذ الأدب عن المبرِّد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فُسِب إليه، توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله. **قوله: (أسلوب)** في مختار الصحاح: الأسلوب الفن. اهـ. وأيضًا فيه: الفن واحد الفنون وهي الأنواع والأفانين، الأساليب وهي أجناس الكلام وطرقه ورجل مُتَفَنُّن أي ذو فُتُون وافنن الرجل في حديثه وفي خطبته بوزن اشتَوَّ جاء بالأفانين. **قوله: (العبر)** جمع عبرة مثل سدره وسدر.

يرجع إلى «ما أوحينا»، ﴿لَمِنَ الْغَفْلِينَ﴾ عنه «إن» مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعني وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الجاهلين به.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾

﴿إِذْ قَالَ﴾ (بدل اشتمال) من ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ لأن الوقت مشتمل على القصص أو التقدير: اذكر إذ قال ﴿يُوسُفُ﴾ اسم (عبراني) لا عربي إذ لو كان عربيًا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف ﴿لِأَبِيهِ﴾ يعقوب ﴿يَتَأْتِ﴾ «أبت» (شامي) وهي تاء تأنيث عوضت عن ياء الإضافة لتناسبهما، لأن كل واحدة منهما زائدة في آخر الاسم ولهذا قلبت هاء في الوقف. (وجاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر كما في: رجل ربعة)، وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة. ومن فتح التاء فقد حذف الألف من «يا أبتا» واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من

قوله: (بدل اشتمال) لاشتمال الظرف وهو وقت قول يوسف عليه السلام لأبيه بالمظروف، وهو ما يقص في ذلك الوقت، والمراد بالوقت الأمر الممتد يتسع ما يقص فيه جميعًا. اهـ قنوي. قوله: (عبراني) أي أنه علم أعجمي؛ إذ العجمة ما عدا العربية. وفي لسان العرب: العبرانية لغة اليهود والعبري بالكسر العبراني لغة اليهود. اهـ. قوله: ﴿يَتَأْتِ﴾ بفتح التاء (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالكسر. عبارة الخطيب: قوله: ﴿يَتَأْتِ﴾ أصله يا أبي، فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة، ولذلك قلبها ابن كثير وابن عامر هاء في الوقف، ووقف الباقون بالتاء كالرسم، وفي الوصل بالتاء للجميع، وفتح التاء في الوصل ابن عامر وكسرها الباقون، انتهت بحروفها. قوله: (وجاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر) فإن قلت: كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر؟ أجيب بأنه كثيرًا ما يوصف المذكر بما فيه تاء التأنيث (كما في: رجل ربعة) الربعة بسكون الباء مربوع الخلق لا قصير ولا طويل. قوله: (يا أبتا) وإنما جاز يا أبتا ولم يجز يا أبتني؛ لأنه جمع بين العوض والمعوض، وهذا لا يجوز. وأما علة جواز يا أبتا هو أنه جمع بين العوضين، ولا كلام في جوازه ووقوعه.



حذف الياء في «يا غلام» ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ (من الرؤيا لا من الرؤية) ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ (أسمائها ببيان النبي عليه السلام): جربان والذئال والطارق وقابس وعمودان والفليق والمصباح والصروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ هما أبواه أو أبوه وخالته والكواكب إخوته. قيل: الواو بمعنى «مع» أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر. وأجريت مجرى العقلاء في ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ لأنه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤيا لأن الأولى تتعلق بالذات والثانية بالحال، أو الثانية كلام مُستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له كأن أباه قال له: كيف رأيتهما؟ فقال: رأيتهما لي ساجدين أي متواضعين وهو حال، وكان ابن ثنتي عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة أو ثمانون.

قوله: (من الرؤيا لا من الرؤية)، لقوله: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾... الخ. يعني كليهما مصدر لرأى، لكن فرق بين كونها بصرية بجعل مصدرها رؤية وحُلْمية بجعله رؤيا. قوله: (أسمائها ببيان النبي عليه السلام)... الخ. رُوِيَ عن جابر أن يهودياً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهَنَ يوسف؛ فسكت، فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك، فقال: «إذا أخبرتك فهل تُسلم؟» قال: نعم، قال: «جربان والطارق والذئال وقابس وعمودان والفليق والمصباح والصروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له»، فقال اليهودي: أي والله إنها لأسمائها، هذا الحديث أخرجه جماعة كابن أبي حاتم والحاكم وجماعة من المفسرين، واختلف في صحته فقال أبو زرعة وابن الجوزي: إنه منكر موضوع، وقال الحاكم: إنه صحيح على شرط مسلم. وذكرُوا أن اسم اليهودي سنان، وجربان - بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد الباء - منقول من اسم طوق القميص، والطارق معلوم ما يطلع ليلاً، والذئال من ذوات الأذنان، وقابس - بقاف وموحدة وسين - مقتبس النار، وعمودان تشنية عمود، والفليق نجم منفرد، والمصباح ما يطلع قبيل الفجر، والفرغ - بفاء وراء مهملة ساكنة وغين معجمة - نجم عند الدلو، ووثاب - بتشديد المثلة - سريع الحركة، وذو الكتفين تشنية كتف نجم كبير. اهـ بياضوي وشهاب وقنوي.

﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُرُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٣)

﴿قَالَ يَبْنَئُ﴾ (بالفتح حيث كان: حفص) ﴿لَا نَقْصُرُ رُءْيَاكَ﴾ هي بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة، وفرق بينهما بحر في التانيث (كما في القربة والقربى) ﴿عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ﴾ جواب النهي أي إن قصصتها عليهم كادوك. عرف يعقوب عليه السلام أن الله يصطفيه للنبوّة ويُنعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد الإخوة. وإنما لم يقل فيكيدوك كما قال: ﴿فَيَكِيدُونِي﴾ [هود: الآية ٥٥] (لأنه ضمن معنى فعل يتعدى باللام) ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون أكد وأبلغ في التخويف وذلك نحو «فيحتالوا لك» ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر وهو ﴿كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (ظاهر العداوة) فيحملهم على الحسد والكيد.

﴿وَكَذَلِكَ يَجَنَّبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبْنَائِكَ مِنْ قَبْلُ ۖ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٤)

﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك الاجتناء الذي دلّت عليه رؤياك ﴿يَجَنَّبُكَ رَبُّكَ﴾ يصطفيك، والاجتناء الاصطفاء افتعال من جبت الشيء إذا حصلته لنفسك، وجبت الماء في الحوض جمعته ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل: وهو يعلمك ﴿مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي تأويل الرؤيا، وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا، أو تأويل أحاديث الأنبياء وكتب الله

قوله: (بالفتح حيث كان: حفص) على أن أصلها: يا بني، الذي أصله: ﴿يَبْنَئُ﴾، أبدلت ياء الإضافة ألفاً؛ كما قيل في يا غلامي يا غلاماً بناءً على أن الألف والفتحة أخف من الياء والكسرة، وقرأ الباقون: ﴿يَبْنَئُ﴾ بحذف ياء الإضافة اكتفاء بالكسرة، كما قيل: يا غلام، في يا غلامي، فإن ابن يصغر على بني فإذا أضيف إلى ياء المتكلم قيل: يا بني. قوله: (كما في القربة) للتقرب المعنوي بعبارة ونحوها، (والقربى) للنسبى. قوله: (لأنه ضمن معنى فعل يتعدى باللام) كأنه قيل: فيكيدوك محتالين لك، أو فيحتالوا كائدين. قوله: (ظاهر العداوة) بيان لأن ﴿مُبِينٌ﴾ من أبان اللازم.

(وهو اسم جمع للحديث) وليس بجمع أحداثثة ﴿وَبُيِّنَتْ نِعْمَتُكَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة أي جعلهم أنبياء الدنيا وملوكًا، ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الجنة. وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم، وأصل آل أهل بدليل تصغيره على «أهيل» إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له (خطر)، يقال: آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام، ولكن أهله، وإنما علم يعقوب أن يوسف يكون نبيا وإخوته أنبياء استدلالاً بضوء الكواكب فلذا قال: ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾، ﴿كَمَا أَتَمَّمَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ أراد الجد وأبا الجد ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ عطف بيان لـ ﴿أَبَوَيْكَ﴾، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ يعلم من يحق له الاجتباء ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء في مواضعها.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ ﴿٧﴾

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ أي في قصتهم وحديثهم ﴿ءَايَاتٌ﴾ علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته في كل شيء. ﴿(آية مكي)﴾ ﴿لِّلسَّائِلِينَ﴾ لمن

قوله: (وهو اسم جمع للحديث) ولم يجعله جمعاً للحديث لأن فعلاً لا يجمع على أفاعيل، بل يجمع على فعل، نحو: قبيل وقيل، وعلى أفعلة نحو قفيز وأقفزة، وفعلان قفيز وقفزان، وعلى أفعلاء نحو نبي وأنبياء، وعلى فُعلاء نحو شهيد وشهداء، وعلى فعال نحو كريم وكرام، وعلى أفعال نحو شريف وأشراف؛ فنحو أقاطيع وأحاديث ينبغي أن يجعل اسم جمع حديث وقطيع. قال صاحب الكشف عفا الله عنه في سورة المؤمن: الأحاديث تكون اسم جمع للحديث، ومنه أحاديث رسول الله ﷺ، وتكون جمعاً للأحداث التي هي مثل الأضحوة والأعجوبة، ولا يصح أن يجعل جمع أحداثثة في الآية؛ لأنها عبارة عما سيحدث به الناس تلهياً بحيث يتعجب منه ويضحك؛ لأنه يقال: أحاديث الشيء. ومن الممتنع أن يُطلق على الكلام النبوي أحداثثة، وقيل: إنه جمع لواحد غير ملفوظ به، كأنهم جمعوا حديثاً على أحداثثة، ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطيع وأقطعة وأقاطيع. قوله: (خطر) أي قدر ومنزلة.

قوله: ﴿(آية مكي)﴾ أي قرأ ابن كثير المكي: ﴿آية﴾ بالإفراد على إرادة الجنس، والباقون بالجمع تصريحاً بالمراد.

سأل عن قصتهم وعرفها، أو آيات على نبوة محمد ﷺ للذين سألوهم من اليهود عنها فأخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب، وأسماءهم : (يهودا وروبيل وشمعون ولاوي) وزبولون ويشجر وأمهم (ليا بنت ليان)، ودان ونفتالي وجاد وآشر (من سُرَّيتين زلفة وبلهة)، فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل (فولدت له بنيامين ويوسف).

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِذْ أَبَانَ لِفِي صَلَاحٍ مُبِينٍ﴾

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا﴾ اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة، أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه. وإنما قالوا ﴿وَأَخُوهُ﴾ وهم إخوته أيضًا لأن أهمهما كانت واحدة، وإنما قيل : ﴿أَحَبُّ﴾ في الاثنين (لأن أفعل من) لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث، (ولا بد من الفرق مع لام التعريف) وإذا أضيف ساغ الأمران. والواو في ﴿وَنَحْنُ غُصْبَةٌ﴾ للحال أي أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه، فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ﴿إِنَّ أَبَانَ لِفِي صَلَاحٍ مُبِينٍ﴾ غلط في تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الدين لكفروا. والعصبة العشرة فصاعدًا.

**قوله :** (يهودا) بدال مهملة وأصله بالمعجمة بالعبرانية، لكن تصرف فيه العرب فأهملوها. اهـ شيخنا. اهـ جمل. وهو أكبرهم وأحسنهم رأيًا، وهو أبو الملوك. **قوله :** (وروبيل) وهو أكبرهم سنًا. **قوله :** (وشمعون) بكسر الشين. اهـ قنوي. وفي المغني : بفتح معجمة. اهـ. **قوله :** (ولاوي) ويروى : ليوي، كأنه إمالة، وهو أبو الأنبياء عليهم السلام. **قوله :** (ليا بنت ليان) وهي ابنة خال يعقوب. **قوله :** (من سُرَّيتين) بضم السين وتشديد الراء والياء، أي من جاريتين (زلفة وبلهة). **قوله :** (فولدت له بنيامين ويوسف) بكسر الباء - قال مولانا سعدى : وماتت راحيل من نفاسه، فيكون بنيامين آخر ولده، فعلم أن يوسف عليه السلام أكبر سنًا منه، فتقديمه في الذكر للترقي.

**قوله :** (لأن أفعل من) أي لأن أفعل التفضيل المستعمل بلفظة من. **قوله :** (ولا بد من الفرق) إذا كان معرّفًا (مع لام التعريف).

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ ﴿٩﴾

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ من جملة ما حكى بعد قوله: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال لا تقتلوا يوسف. وقيل: الأمر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا أمرين ﴿أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها عن الوصف (ولهذا الإبهام نصبت نصب الظروف المبهمة) ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيْكُمُ﴾ يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم، والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركون فيها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم، لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه، وجاز أن يُراد بالوجه الذات كما قال: ﴿وَسَقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: الآية ٢٧]، ﴿وَتَكُونُوا﴾ مجزوم عطفاً على ﴿يَخْلُ لَكُمْ﴾، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب، أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير إلى مصدر «اقتلوا» أو «اطرحوا» ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ تائبين إلى الله مما جنيتم عليه أو يصلح حالكم عند أيكم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٠﴾

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأياً ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ فإن القتل عظيم ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ في قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر.

قوله: (ولهذا الإبهام نصبت نصب الظروف المبهمة) يعني أن قوله: ﴿أَرْضًا﴾ [يوسف: الآية ٩] منصوب على أنه ظرف مكان، وظرف المكان إنما ينصب بتقدير في إذا كان مبهماً غير محدود، ولفظ ﴿أَرْضًا﴾ [يوسف: الآية ٩] لما كان نكرة غير موصوفة بصفة كان مبهماً وتنكيرها في حكم توصيفها بكونها مجهولة بعيدة عن العمران وعن أرض أبيه، فازداد بذلك إبهاماً. فإن قيل: المعلوم أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يخلُ من الكون في أرض، فتبين أنهم أرادوا أرضاً بعيدة غير التي هو فيها، ومثل هذا المكان لا يتعدى إليه إلا بواسطة في، فلا بد أن يكون انتصابه مبنياً على إسقاط الخافض؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: الآية ١٦]. فالجواب أن الظرف المبهم عبارة عما ليس له حدود تحصره ولا أقطار تحويه، و﴿أَرْضًا﴾ [يوسف: الآية ٩] في الآية الكريمة من هذا القبيل.

(غيابات وكذا ما بعده: مدني) ﴿يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ بعض الأقوام (الذين يسировون) في الطريق ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَإِينَ﴾ به شيئاً.

﴿قَالُوا يَتَّانَا مَا لَكَ لَا تَأْمِنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصَحُونَ﴾ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ ﴿١٢﴾

﴿قَالُوا يَتَّانَا مَا لَكَ لَا تَأْمِنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصَحُونَ﴾ ﴿١١﴾ أي لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه، وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف (استنزاله عن رأيه) وعادته في حفظه منهم، وفيه دليل على أنه أحسن منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ﴾ - نرتع - نتسع في أكل الفواكه وغيرها والرتعة السعة ﴿وَيَلْعَبُ﴾ - ونلعب - نتفرج بما يُباح كالصيد والرمي والركض. (بالياء فيهما مدني وكوفي، وبالنون فيهما: مكّي وشامي وأبو عمرو، وبكسر العين: حجازي من ارتعى يرتعي افتعال من الرعي) ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ من أن يناله مكروه.

قوله: (غيابات) بالجمع (وكذا ما بعده: مدني) أي قرأه نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، كأنه كان لتلك الجبّ غيابات، وهي - أي الغيابة - قعره أو حفرة في جانبه، والباقون بالافراد؛ لأنه لم يُلَقْ إلا في واحدة، والجبّ البئر التي لم تُطَو. قوله: (الذين يسировون) أي ﴿السَّيَّارَةِ﴾، اللام فيها موصولة، وهي بمعنى المضارع كما هو مقتضى المقام.

قوله: (استنزاله عن رأيه) أي تبديل رأي يعقوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام من خوفه عليه منهم. قوله: (بالياء فيهما مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (وكوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي (وبالنون فيهما مكّي) أي ابن كثير المكّي (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو عمرو. وبكسر العين حجازي) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي. (من ارتعى يرتعي افتعال من الرعي) وسكن العين أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ﷻ مضارع رتع: انبسط في الخصب، فيكون صحيح الآخر جزمه بالسكون.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (١٣)  
 قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَيْرِيرُونَ ﴿١٤﴾

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ أي يحزنني ذهابكم به واللام لام الابتداء  
 ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ اعتذر إليهم بأن ذهابهم به مما  
 يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة وأنه يخاف عليه من (عدوة) ﴿الذِّئْبُ﴾ إذا غفلوا  
 عنه برعيهم ولعبهم ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ اللام موطئة للقسم. والقسم  
 محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب. والواو في ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي فرقة مجتمعة  
 مقتدرة على الدفع للحال ﴿إِنَّا إِذَا لَخَيْرِيرُونَ﴾ جواب للقسم مجزئ عن جزاء  
 الشرط أي إن لم تقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذا وخسرناها، وأجابوا  
 عن عذره الثاني دون الأول (لأن ذلك كان يغيظهم).

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ، وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا  
 وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥)

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ، وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ﴾ (أي عزموا على إلقائه) في  
 البئر وهي بئر على ثلاثة (فراسخ) من منزل يعقوب عليه السلام، وجواب «لما»  
 محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الأذى، فقد روي أنهم لما برزوا به إلى البرية  
 أظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا، فلما أرادوا إلقاءه في

قوله: (عدوة) بالفتح. قوله: ﴿الذِّئْبُ﴾ (يهمز ولا يهمز، ويقع على الذكر  
 والأنثى، وربما دخلت الهاء في الأنثى، فقليل: ذئبة. اه مصباح. قوله: (لأن ذلك  
 كان يغيظهم) ويذيقهم الأمرين - بكسر (١) الراء - قال أبو منصور: جاء هذا على لفظة  
 الجماعة بالنون عن العرب أي الدواهي فأعاروه آذاناً صماً ولم يعبؤوا به. اه كشف.

قوله: (أي عزموا على إلقائه) إشارة إلى معنى أصل الإجماع، أي أصل  
 معنى الإجماع العزم المصمم، وأنه على حذف الجار من متعلّقه، أي على أن  
 يجعلوه. قوله: (فراسخ) جمع الفرسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف  
 ذراع، والذراع أربع وعشرون أصبعاً، والأصبع ست شعيرات، بطن كل واحدة إلى

(١) وفتحها على الشنية عن ابن الأعرابي. منه عم فيضهم.

الجبّ تعلق بشبابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطّخوه (بالدم) فيحتالوا به على أبيهم ودلوه في البئر، وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي وكان يهوذا يأتيه بالطعام. ويُرَوَى أن إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار جُرّد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق، وإسحاق إلى يعقوب فجعله يعقوب في (تميمة) علّقها في عنق يوسف فأخرجته جبريل وألبسه إياه ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ قيل: أوحى إليه في الصغر كما أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام. وقيل: كان إذ ذاك (مدرّكاً) ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ أي لتحذثن إخوتك بما فعلوا بك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك، وذلك أنهم حين دخلوا عليه (ممتارين) فعرفهم وهم له منكرون، دعا (بالصّواع) فوضعه على يديه ثم نقره فطن فقال: إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وأنكم ألقيتموه في غيابة الجب وقتلتم لأبيه أكله الذئب وبعتموه بثمان بخس، أو يتعلق ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾ أي أنساه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون بذلك.

﴿وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ﴾ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعَةٍ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ﴿١٧﴾

﴿وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءَ﴾ للاستتار والتجسر على الاعتذار ﴿يَبْكُونَ﴾ حال عن (الأعمش) لا تصدق باكية بعد إخوة يوسف، فلما سمع صوتهم فزع وقال: ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا. قال: فما بالكم وأين يوسف؟

الأخرى. قوله: (بالدم) أي بدم سخلة ذبحوها. قوله: (تميمة) التيممة عوذة تُعلّق على الإنسان. اهـ مختار الصحاح. قوله: (مدرّكاً) أي بالغاً كاملاً أشدّه. قوله: (ممتارين) في المصباح: مارهم ميّزاً من باب باع أتاهاهم بالميرة - بكسر الميم - وهي الطعام وامتارها لنفسه. اهـ. قوله: (بالصّواع) في مختار الصحاح: الصّواع لغة في الصاع، وقيل: هو إناء يشرب فيه. اهـ.

قوله: (الأعمش) هو أبو محمد سليمان بن مهران الكوفي الإمام المشهور كان ثقة عالمًا فاضلاً، توفي في سنة ثمان وأربعين ومائة في شهر ربيع الأول، وقيل: سنة سبع وأربعين، وقيل: سنة تسع وأربعين رحمه الله تعالى.



﴿قَالُوا يَبْنَآءَ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ﴾ أي نتسابق في العدو أو في الرمي. والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامي وغير ذلك ﴿وَرَكَّعْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَنَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ بمصدق لنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سىء الظن بنا غير واثق بقولنا؟!

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (ذي كذب) أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته. رُوي أنهم ذبحوا (سخلة ولطخوا) القميص بدمها وزلَّ عنهم أن يمزقوه، ورُوي أن يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال: أين القميص، فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى (خضب) وجهه بدم القميص وقال: تالله ما رأيت كالיום ذنباً أحلم من هذا، أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه. وقيل: كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلاً ليعقوب على كذبهم ﴿عَلَيْهِ أَقْنَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾، ودليلاً على براءة يوسف حين قُدَّ من دبره. ومحل ﴿عَلَيْهِ قَمِيصِهِ﴾ النصب على الظرف كأنه قيل: وجاءوا فوق قميصه بدم ﴿قَالَ﴾ يعقوب عليه السلام ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت أو سهلت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ عظيماً ارتكبتموه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ خبر أو مبتدأ لكونه موصوفاً أي فأمرى صبر جميل، أو فصبر جميل أجمل وهو ما لا (شكوى) فيه إلى الخلق ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ أي أستعينه ﴿عَلَى﴾ احتمال ﴿مَا تَصِفُونَ﴾ من هلاك يوسف والصبر على (الرزء) فيه.

قوله: (ذي كذب)... الخ. بيان؛ لأنه وصف بالمصدر كرجل عدل، فإما أن يكون بتقدير مضاف أو أنه وصف بالمصدر مبالغة. قوله: (سخلة) في المصباح: السخلة تُطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز ساعة تولد. اهـ. قوله: (ولطخوا) في مختار الصحاح: لَطَخَهُ كَذَا مِنْ بَابِ قَطَعَ فَتَلَطَّخَ بِهِ لَوْثَهُ بِهِ فَتَلَوَّثَ. اهـ. قوله: (خضب) من باب ضرب. قوله: ﴿عَلَيْهِ أَقْنَهُ﴾ طرح القميص ﴿عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾ رجع ﴿بَصِيرًا﴾. قوله: (شكوى) بالفتح. قوله: (الرزء) بالفتح المصيبة.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشِّرُنِي هَذَا عَلَّمَ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَأَلَّهِ عَيْمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ رفقة تسير من قبل (مدين) إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب، فأخطؤوا الطريق فنزلوا قريباً منه، وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحاً (فعذب) حين أُلقي فيه يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعي ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ أرسل الدلو ليملاها (فتشبث) يوسف بالدلو فترعوه ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾ (كوفي) نادى البشري كأنه يقول: تعالي فهذا أوانك. غيرهم «بشراي» على إضافتها لنفسه أو هو اسم غلامه فناده مضافاً إلى نفسه ﴿هَذَا عَلَّمَ﴾ قيل: ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به ﴿وَأَسْرُوهُ﴾ الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة، أو لإخوة يوسف فإنهم قالوا للرفقة: هذا غلام لنا قد (أبق) فاشتروه منا، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ﴿بَضْعَةً﴾ حال أي أخفوه متاعاً للتجارة، والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أي قطع ﴿وَأَلَّهِ عَلَيْهِ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بما يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع.

﴿وَسَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِرِينَ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿وَسَرَّوهُ﴾ وباعوه ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ (مبخوس) ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً (أو زيف) ﴿دَرَاهِمَ﴾ بدل من «ثمن»، ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ قليلة تُعَدُّ عدداً ولا تُوزَن لأنهم كانوا يعدون ما دون الأربعين ويزنون الأربعين وما فوقها وكانت عشرين درهماً

قوله: (مدين) هي قرية جهة الشام. قوله: (فعذب) بابه سهل. قوله: (فتشبث) في مختار الصحاح: التشبث بالشيء التعلق به. قوله: (بشري) بغير ياء الإضافة (كوفي) أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي. قوله: (أبق) في مختار الصحاح: أبق العبد يَأْبُقُ بكسر الباء وضمتها أي هرب. اهـ.

قوله: (مبخوس) يعني أن البخس مصدر بخسه حقّه يبخسه، أي نقصه والثمن لا يوصف بالمعنى المصدرى، فلذلك جعله بمعنى المبخوس إما لرداءة عينه، أو لنقصان وزنه. قوله: (أو زيف) في المصباح: زافت الدراهم تزيف زيفاً

﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ مَمَّنْ يرغب عما في يده فيبيعه بالثمن (الطفيف)، أو معنى ﴿وَشَرَوْهُ﴾ واشتروه يعني الرفقة من إخوته ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ أي غير راغبين لأنهم اعتقدوا أنه آبق. وَيُرَوَّى أن إخوته اتبعوهم وقالوا: استوثقوا منه لا يَأْبَقُ. ﴿وَفِيهِ﴾ ليس من صلة ﴿الزَّاهِدِينَ﴾ أي غير راغبين (لأن الصلة) لا تتقدم على الموصول، وإنما هو بيان كأنه قيل: في أي شيء زهدوا؟ فقال: زهدوا فيه.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ وَلَنُكَبِّرَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١﴾

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر - والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز برزته ورقًا - وحريرًا ومِسْكَ وهو ابن سبع عشرة سنة، وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة ﴿لِأَمْرَأَتِهِ﴾ (راعيلا أو زليخا) واللام متعلقة بـ ﴿قَالَ﴾ لا بـ ﴿اشْتَرَاهُ﴾ ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ اجعلي منزله ومقامه عندنا كريمًا أي حسنًا مرضيًا بدليل قوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾. وعن الضحاك: بطيب معاشه (ولين لباسه) ووطىء فراشه ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ لعله إذا (تدرب) وراض الأمور فهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله ﴿أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا﴾ أو نتبناه ونقيم مقام الولد، وكان قطفير عقيمًا وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما قدم من إنجائه وعطف قلب العزيز عليه. والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الإنجاء والعطف ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ أي كما

من باب سار رذأت ثم وصف بالمصدر، فقيل: درهم زيف. اهـ. قوله: (الطفيف) مثل القليل وزنًا ومعنى. اهـ مصباح. قوله: (لأن الصلة) أي متعلق الصلة.

قوله: (راعيلا أو زليخا) الأول بمهملات بوزن هابيل والثاني بفتح الزاي وكسر اللام والخاء المعجمة وفي آخره ألف وهو المشهور، وقيل: إنه بضم أوله على هيئة المصغر، وقيل: أحدهما لقبها والآخر اسمها. قوله: (ولين لباسه) وفي نسخة: لين ريشه، أي ملبوسه. قوله: (تدرب) اعتاد.

أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنّا له ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي أرض مصر وجعلناه ملكًا يتصرف فيها بأمره ونهيه ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (كان ذلك الإنجاء والتمكين) ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ لا يمنع عما شاء أو على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد إخوته ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ عَيْنُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ منتهى استعداد قوته وهو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون ﴿عَيْنُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه أو حكمًا بين الناس وفقها ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ تنبيه على أنه كان مُحْسِنًا في عمله متقيًا في (عُتُقْوَانِ أَمْرِهِ).

﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَائِي فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُمْ رَبِّي أَحْسَنَ مَوَازٍ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَائِي فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي طلبت يوسف أن يُواقعها والمُراودة مُفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه، وهي عبارة عن (التمحل) لمواقعته إياها ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ وكانت سبعة ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ هو اسم لتعال وأقبل وهو مبني على الفتح ﴿هَيْتَ﴾ مكّي بنائه على الضم.

قوله: (كان ذلك الإنجاء والتمكين) لأن غرضنا ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل. اهـ كشاف. وفي تفسير الخازن: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي مكنّا له في الأرض، لكي نعلمه من تأويل الأحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها. اهـ. وفي تفسير الجلالين وغيره: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا عطف على مقدّر متعلق بـ ﴿مَكْنًا﴾، أي لنملكه أو الواو زائدة. اهـ.

قوله: (عُنْوَانِ أَمْرِهِ) في المصباح: عنوان كل شيء ما يستدل به عليه ويُظهره. اهـ.

قوله: (التمحل) أي الاحتيال. قوله: ﴿هَيْتَ﴾ بفتح الهاء وضمّ التاء بينهما ياء ساكنة (مكي) أي ابن كثير المكي (بنائه على الضم) تشبيهًا بحيث

﴿هَيْتَ﴾ مدني وشامي واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ (أعوذ بالله معاذاً) ﴿إِنَّهُ﴾ أي إن الشأن والحديث ﴿رَبِّي﴾ سيدي ومالكي يريد قطفير ﴿أَحْسَنَ مَثْوًى﴾ حين قال لك ﴿أَكْرَمِي مَثْوَهُ﴾ فما جزاؤه أن أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الخائنون (أو الزناة)، أو أراد بقوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ الله تعالى لأنه مُسَبِّب الأسباب ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ هم عزم ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَافْتَحَ اللَّهُ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢٤﴾

وقال (الشيخ أبو منصور) رحمه الله: وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذه عليه. ولو كان معه كهتمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين. وقيل: وهم بها (وشارف) أن يهتّم بها، يقال: همّ بالأمر إذا قصده وعزم عليه. وجواب ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ محذوف أي لكان ما كان. وقيل: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ جوابه ولا يصح، لأن جواب «لولا» لا يتقدم عليها لأنه في حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة. ويجوز أن يكون ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ داخلًا في حكم القسم في قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾، ويجوز أن يكون خارجًا. ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلامًا برأسه أن يقف على ﴿بِهِ﴾ ويتبدى بقوله: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾، وفيه أيضًا إشعار بالفرق بين الهمّين. وفسر هم يوسف بأنه حل (تكة سراويله) وقعد

﴿هَيْتَ﴾ بكسر الهاء وفتح التاء بينهما ياء ساكنة (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي. وقراءة الأكثرين ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بفتح الهاء والتاء بينهما ياء ساكنة. قوله: (أعوذ بالله معاذاً) إشارة إلى أنه منصوب على المصدرية بفعل محذوف. قوله: (أو الزناة) بضم جمع زان، مثل قاضٍ وقضاة.

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريدي يقال له إمام الهدى له المصنفات الجليلة، مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة رحمة الله عليه. قوله: (وشارف) أي دنا وقارب. قوله: (تكة سراويله) التكة معروفة،

(بين شعبها الأربع) وهي مستلقية على قفاها، وفسّر البرهان بأنه سمع صوتاً إياك وإياها مرتين فسمع ثالثاً أعرض عنها (فلم ينجع فيه) حتى مثل له يعقوب (عاضاً على أناملته)؛ وهو باطل، ويدلّ على بطلانه قوله: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ ولو كان ذلك منه أيضاً لما برأ نفسه من ذلك، وقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفاً عنه وقوله: ﴿كَذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ ولو كان كذلك لكانه بالغيب، وقوله: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، ﴿أَلَفَنَ﴾ (حَصَرَ) الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِي، وَإِنَّمَا لِمَنْ الصَّادِقِينَ ولأنه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذي النون وداود عليه السلام، وقد سمّاه الله مخلصاً فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولي العزم ناظرًا في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء. ومحل الكاف في ﴿كَذَلِكَ﴾ نصب أي مثل ذلك التثبيت ثبّتناه، أو رفع أي الأمر مثل ذلك ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ خيانة السيد

والجمع تكك مثل سدره وسدر. قال ابن الأنباري: وأحسبها معرّبة واستك بالتكة أدخلها في السراويل. اهـ مصباح. قوله: (بين شعبها الأربع) أي يديها ورجليها والشعب النواحي، واحدها شعبة. قوله: (فلم ينجع فيه) في مختار الصحاح: نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء، أي دخل وأثر وبابه خضع. اهـ.

قوله: (عاضاً على أناملته) في المصباح: عضضت اللقمة وبها وعليها عَضًا أمسكتها بالأسنان، وهو من باب تعب في الأكثر، لكن المصدر ساكن، ومن باب نفع لغة قليلة، وفي أفعال ابن القطاع من باب قتل. اهـ. وأيضاً فيه الأنملة من الأصابع العقدة، وبعضهم يقول: الأنامل رؤوس الأصابع، وعليه قول الأزهري الأنملة المفصل الذي فيه الظفر. وهي بفتح الهمزة وفتح الميم أكثر من ضمّها، وابن قتيبة يجعل الضمّ من لحن العوام، وبعض المتأخرين من النحاة، حكى تثلث الهمزة مع تثلث الميم، فيصير تسع لغات. اهـ. قوله: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ أي طلبتني بالجماع. قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أريناه البرهان ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ الخيانة ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ الزنا. قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال. قوله: ﴿حَصَرَ﴾ وضع.

﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ الزُّنَا ﴿إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (بفتح اللام حيث كان: مدني وكوفي) أي الذين أخلصهم الله لطاعته، وبكسرهما غيرهم أي الذين أخلصوا دينهم لله. ومعنى ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين.

﴿وَأَسْتَفَا أَبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَمُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا أَبَابٍ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٥)

﴿وَأَسْتَفَا أَبَابَ﴾ وتسابقا إلى الباب. هي للطلب وهو (للهرب). على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله: ﴿وَأَخْنَزَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٥] أو عى تضمين ﴿وَأَسْتَفَا﴾ معنى ابتدرا ففر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرع وراءه لتمنعه الخروج ووحد الباب وإن كان جمعه في قوله: ﴿وَعَلَقَتْ الْأُتُوبَ﴾ لأنه أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار. ولما هرب يوسف جعل (فراش القفل) يتناثر ويسقط حتى خرج ﴿وَقَدَّتْ قَيْصَمُ مِنْ دُبُرٍ﴾ اجتذبت من خلفه فانقذ أي انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا أَبَابٍ﴾ وصادفا بعلمها قطفير مقبلاً يريد أن يدخل، فلما رآته احتالت لتبرئة (ساحتها) عند زوجها من (الريبة) ولتخويف يوسف طمعاً في أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «ما» نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن أو عذاب أليم وهو الضرب (بالسياط)، ولم تصرح بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءاً لأنها قصدت العموم أي كل من أراد بأهلك سوءاً

قوله: (بفتح اللام حيث كان: مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (وكوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي.

قوله: (للهرب) في مختار الصحاح: الهرب الفرار وقد هرب يهرب هرباً مثل طلب يطلب طلباً. اهـ. قوله: (فراش القفل) في مختار الصحاح: فراشة القفل - بالتخفيف - ما ينشب فيه يقال: أقفل فأفرش. اهـ. وأيضاً فيه نشب الشيء في الشيء بالكسر نشوباً علق فيه. اهـ. قوله: (ساحتها) في لسان العرب: الساحة الناحية. اهـ. قوله: (الريبة) التهمة. قوله: (بالسياط) في المصباح: السوط معروف والجمع أسواط وسياط مثل ثوب وأثواب وثياب. اهـ.

فحقه أن يُسَجَنَ أو يُعَذَّبَ، لأنه ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف. ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه.

﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (هو ابن عم لها)، وإنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف. وقيل: كان ابن خال لها وكان صبيًا في المهد. وسُمِّيَ قوله شهادة لأنه أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ والتقدير: وشهد شاهد فقال: إن كان قميصه. وإنما دلَّ قُدَّ قميصه من قبل على أنها صادقة لأنه يسرع خلفها ليلحقها (فيعثر) في مقام قميصه فيشقّه، ولأنه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها فيتخرق قميصه من قبل. وأما تنكير ﴿قُبُلٍ﴾ و﴿دُبُرٍ﴾ فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر، (وإنما جمع بين «إن» التي للاستقبال وبين «كان» لأن المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قُدَّ).

قوله: (هو ابن عم لها) وكان رجلًا حكيمًا ذا لحية، واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها، وقال: قد سمعت من وراء الباب صوت شقّ القميص، إلا أنني لا أدري أيكما قدام صاحبه، فإن كان شقّ القميص من قدامه فأنت صادقة والرجل كاذب، وإن كان من خلفه فالرجل صادق وأنت كاذبة. قوله: (فيعثر) في المصباح: عثر الرجل في ثوبه يعثر، والدابة أيضًا من باب قتل، وفي لغة من باب ضرب عثارًا - بالكسر - والعثرة المرة، ويقال للزلة: عثرة؛ لأنها سقوط في الاسم، وفرق بينهما في مختصر العين بالمصدر، فقال: عثر الرجل عثرًا أو عثر الفرس عثارًا.

قوله: (وإنما جمع بين إن التي للاستقبال وبين كان) يعني أن كلمة إن تدلّ على الاستقبال، وكان على الماضي، فينبغي أن لا يجمع بينهما؛ لأن المعنى أن



﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ يُوسُفُ  
أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ﴾ قطفير ﴿قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾ وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها  
﴿قَالَ إِنَّهُ﴾ إن قولك: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ أو إن هذا الأمر وهو  
الاحتتيال لنيل الرجال ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ الخطاب لها ولأمتها ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾  
لأنهن (الطف) كيدا وأعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال، (والقصریات) منهن معهن  
ما ليس مع غيرهن من (البوائق). وعن بعض العلماء: إني أخاف من النساء أكثر  
مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:  
الآية ٧٦]. وقال لهن: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾. ﴿يُوسُفُ﴾ حذف منه حرف النداء لأنه  
منادى قريب مفاطن للحديث، وفيه تقريب له وتلطيف لمحلله ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾  
الأمر واكتمه ولا تتحدث به. ثم قال لراعي: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ  
الْخَاطِئِينَ﴾ من جملة القوم المتعمدين للذنوب. يقال: خطيء إذا أذنب متعمداً،  
وإنما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث، وكان العزيز رجلاً حليماً قليل  
الغيرة حيث اقتصر على هذا القول.

﴿وَقَالَ يَسُوَّةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنَّا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقَالَ يَسُوَّةٌ﴾ جماعة من النساء وكنَّ خمساً: امرأة الساقى وامرأة الخباز  
وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب. والنسوة اسم مفرد

يعلم أنه كان قميصه يعني أن الشرط وإن كان ماضياً بحسب اللفظ، لكنه في تأويل  
المضارع؛ لأن المراد إرشاد العزيز إلى أن يتبع الإمارة التي تدل على تعيين الصادق  
وتمييزه من الكاذب، وهو نظير قولك: إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك من قبل  
لمن يمنن عليك بإحسانه، فإن المعنى إن تمنن علي بإحسانك أمنن عليك بإحساني  
السابق، وإن تعد إحسانك إلي فيما مضى، فأعد إحساني إليك فيه، فلما كان الشرط  
في تأويل المستقبل ارتفعت المنافاة بينه وبين كلمة أن. قوله: (الطف) أي أخفى.  
قوله: (والقصریات) أي الساكنات في القصر. قوله: (البوائق) في المصباح: البائقة  
النازلة، وهي الداهية والشر الشديد وبأقت الداهية إذا نزلت، والجمع البوائق. اهـ.

لجمع المرأة وتأنيثها غير حقيقي ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون (وضمها) ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر ﴿أَمْرًاثُ الْعَزِيزِ﴾ يردن قطفير، والعزيز الملك بلسان العرب ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ غلامها يقال فتاي وفتاتي أي غلامي وجاريتي ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ لتنال شهوتها منه ﴿فَدَّ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ تمييز أي قد شغفها حبه يعني خرق حبه (شغاف) قلبها حتى وصل إلى الفؤاد، والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي صِلَالٍ مُّبِينٍ﴾ في خطأ وبُعد عن طريق الصواب.

﴿فَمَا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَوُضِعَ لَكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينٌ وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَتْهُ أَلْزَمَهُ وَفَطَعَتْ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ بِنْتِ هَذَا نَسَرَّ بِنِ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ رَاعِيلُ بِمَكْرِهِنَّ﴾ باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها. (وسمى الاغتياب مكرًا) لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره. (وقيل: كانت استكتمتهن سرها) فأفشينه عليها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ دعتهن. قيل: دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ وهيأت افعلت (من العتاد) ﴿لَهُنَّ مُتَّكَأٌ﴾ ما يتكئن عليه من (نمارق) قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها، لأن المتكيء إذا بهت لشيء وقعت يده

قوله: (وضمها) وبالضم قرأ المفضل والأعمش والسلمي، كما قال القرطبي رحمه الله؛ فلا عبرة بمن أنكرها. اهـ شهاب. قوله: (شغاف) بالفتح.

قوله: (وسمى الاغتياب مكرًا) ... الخ. أي إنما سمى اغتيابهن مكرًا، والغيبة ليس من قبيل المكر تشبيهاً له بالمكر بجامع الإخفاء، فالمكر من باب الاستعارة المصروفة. اهـ تمجيد. قوله: (وقيل: كانت استكتمتهن سرها) أي طلبت منهن كتمان سرها في حب يوسف، فوعدن بذلك لكن ما وفين بالوعد، بل أفشين سرها بالاغتياب بين الناس، فعلى هذا يكون المكر على حقيقته؛ لأن حقيقة المكر إيصال المكروه إلى من خفي عنه ذلك. اهـ تمجيد. قوله: (من العتاد) بالفتح. قوله: (نمارق) جمع نمرقة الوسائد. في مختار الصحاح: النُّمْرُقُ والنُّمْرُقَةُ وسادة صغيرة، والنُّمْرُقَةُ بالكسر لغة فيه. اهـ. وفي القاموس: النمرق والنمرقة مثلثة

على يده ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ وكانوا لا يأكلون في ذلك الزمان إلا بالسكاكين كفعل الأعاجم ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ (بكسر التاء: بصري) وعاصم وحمزة، وبضمها: غيرهم.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ (أعظمته وهبن) ذلك الحُسن (الرائق) والجمال الفائق، وكان فضل يوسف على الناس في الحُسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء، وكان إذا سار في (أزقة) مصر يرى تلالؤ وجهه على (الجدران)، وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه. وقيل: ورث الجمال من جدته سارة. وقيل: «أكبرن» بمعنى جُضُن (والهاء للسكت)، إذ لا يقال النساء قد حضنه لأنه لا يتعدى إلى

نُوسدة الصغيرة. اهـ. قوله: (بكسر التاء بصري) أي أبو عمرو البصري، ويعقوب البصري وليس من السبعة. قوله: (أعظمته<sup>(١)</sup>) فعلى هذا يكون همزة أفعل في ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ للوجدان، أي وجدته كبيرًا. اهـ تمجيد. قوله: (وهبن) جمع مؤنث من هاب يهاب، والواو للعطف، ففعل به ما فعل ببعن، وهذا لازم معناه إذ المراد بتعظيمه تعظيم حسنه لا تعظيم ذاته، والقرينة عليه ما بعده ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، فإنه يدل على أن حُسنه وجماله غير معهود للبشر. اهـ قنوي رُكَّع. قوله: (الرائق) في المصباح: راقني جماله أعجبنى. اهـ. وفي نسخة: الرائع، في المصباح: راعني جماله أعجبنى. اهـ.

قوله: (أزقة) في المصباح: الزقاق دون السكة، نافذة كانت أو غير نافذة. قال الأخفش: أهل الحجاز يؤثثون الزقاق والطريق والسبيل والسوق والصراط. وتميم تذكر والجمع أزقة، مثل غراب وأغربة. اهـ. قوله: (الجدران) في المصباح: الجدار الحائط والجمع جُدر، مثل كتاب وكُتب، والجدر لغة في الجدار، وجمعه جدران. اهـ. وفي مختار الصحاح: الجُدر كالفلس والجدار الحائط، وجمع الجدار جُدر، وجمع الجُدر جُدران، كبُطن وبُطنان. اهـ. قوله: (والهاء للسكت<sup>(٢)</sup>) في القاموس: هاء السكت وهي اللاحقة لبيان حركة أو حرف، نحو ماهيه وهائته، وأصلها أن يوقف عليها، وربما وُصلت بنية الوقف. اهـ.

(١) فأكبره بمعنى كبره أي عظمه. اهـ شهاب. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) وأجرى الوصل مجرى الوقف وحركت تشبيهاً له بالضميم. ١٢ منه عم فيضهم.

مفعول. يقال: أكبرت المرأة حاضت، وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حدّ الصغر وكان (أبا الطيب) أخذ من هذا التفسير (قوله:

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق)

﴿وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ (وجرحنها) كما تقول: كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها أي أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فذهشن لما رأينه (فخدشن)

**قوله:** (أبا الطيب) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور، هو من أهل الكوفة وقدم الشام في صباه وجال في أقطاره، واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها، وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحواشيها ولا يسئل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر، وإنما قيل له المتنبي لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية فأسرّه وتفرّق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه، وقيل غير ذلك، وهذا أصح. قُتل سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، ومولده في سنة ثلاث وثلاثمائة بالكوفة في محلة تسمى كندة، فنسب إليها، وليس هو من كندة التي هي قبيلة، بل هو جعفيّ القبيلة - بضم الجيم وسكون العين المهملة وبعدها فاء - وهو جعفي بن سعد العشيرة ابن مذحج، واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وإنما قيل له سعد العشيرة لأنه كان يركب فيما قيل في ثلاثمائة من ولده وولد ولده، فإذا قيل له: مَنْ هؤلاء؟ قال: عشيرتي، مخافة العين عليهم. **قوله:** (قوله)... الخ. وهو من قصيدة مدح بها الحسين بن إسحق التنوخي، (خف الله واستر ذا الجمال) بنصب الجمال نعت، ذا اسم إشارة، وجوّز فيه أن يكون ذا بمعنى صاحب، والجمال مجرور بالإضافة، والمراد بذو الجمال الوجه، والأول أولى روايةً ودرايةً، أي استر جمالك (ببرقع) ترسله على وجهك (فإن لُحت) أي إن ظهرت (حاضت) عشقاً وصبابةً (في الخدور) جمع خدر - بالكسر - وهو ستر يُمدّ في جانب البيت للنساء (العواتق)، جمع عاتق، وهي المرأة الشابة. **قوله:** (وجرحنها) يعني أن القطع ليس بمعنى الإبانة كما قيل؛ لأنه خلاف الظاهر، وهذا معنى حقيقيّ له أيضاً. وقال صاحب الكشف: الأصح أنه مجاز. **قوله:** (فخدشن) في المصباح: خدشته خدشاً من باب ضرب جرحته في ظاهر الجلد

أيديهن ﴿وَقُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ﴾ «حاشا» كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول: أساء القوم حاشا زيد. وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة. (فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله. وقراءة أبي عمرو «حاشا لله») نحو قولك: سقيا لك كأنه قال: براءة، ثم قال: لله، لبيان من يُبرىء وينزه. (وغيره «حاش لله» بحذف الألف الأخيرة) والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ نفين عنه البشرية لغرابة جماله وأثبتن له الملكية و(بتنن) بها الحكم لما (ركز) في الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان.

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمُنْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَفْعَلْ وَإِن كُنَّا مِنَ الصَّاعِرِينَ﴾

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمُنْتَنِي فِيهِ﴾ تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمُنْتَنِي فيه، تعني إنكن لم تصوّرنه حقّ صورته وإلا (لعدرتنني) في الاقتتان به ﴿وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها،

وسواء دمي الجلد أو لا، ثم استعمل المصدر اسماً وجمع على خدوش. اهـ.  
**قوله:** (فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله) وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة. اهـ كشاف. (وقراءة أبي عمرو: «حاشا لله») بألف حال الوصل، فإذا وقف حذفها اتباعاً للخط في تفسير الكشاف. وقراءة أبي عمرو: «حاش لله» بحذف الألف الآخرة. اهـ. فافهم. وأيضاً فيه: فإن قلت: فلم جاز في «حاشا لله» أن لا ينون بعد إجرائه مجرى براءة لله؟ قلت: مراعاةً لأصله الذي هو الحرفية. اهـ. وأيضاً فيه قراءة أبي السمال: «حاشاً لله» بالنون. اهـ.  
**قوله:** (وغيره: «حاش لله» بحذف الألف الأخيرة) وقفًا ووصلاً. **قوله:** (بتنن) البتّ القطع. اهـ مختار الصحاح. من باب ضرب وقتل. اهـ مصباح. **قوله:** (ركز) في المصباح: ركزت الرُمح ركزاً من باب قتل أثبتته بالأرض فارتكز، والمركز وزان مسجد موضع الثبوت. اهـ.

**قوله:** (لعدرتنني) أي لجعلتنني معذورة.

وهذا بيان جلّي على أن يوسف عليه السلام بريء مما فسر به أولئك الفريق الهُم والبرهان. ثم قلن له: أطع مولاتك، فقالت راعيل: ﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ﴾ الضمير راجع إلى «ما» وهي موصولة، (والمعنى ما أمره به. فحذف الجار) كما في قوله: «أمرتك الخير»، أو «ما» مصدرية والضمير يرجع إلى يوسف أي ولئن لم يفعل أمري إياه أي موجب أمري ومقتضاه ﴿لَيَسْجَنَنَّ﴾ ليحبسن، والألف في ﴿وَلَيَكُونَنَّ﴾ بدل من نون التأكيد الخفيفة ﴿مِنَ الْفَتَرَيْنِ﴾ مع السراق (والسفك والأباق) كما سرق قلبي وأبق مني وسفك دمي بالفراق، فلا يهنأ ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك كما منعني هنا كل ذلك، ومن لم يرض بمثلي في الحرير على السرير أميرًا حصل (في الحصر على الحصر حسيًا). فلما سمع يوسف تهديدها.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ أسند الدعوة إليهن لأنهن قلن له ما عليك لو أجبت مولاتك، أو افتتنت كل واحدة به فدعته إلى نفسها سرًا فالتجأ

قوله: (والمعنى ما أمره به. فحذف الجار) من به وأوصل الفعل إليه. قوله: (والسفك) جمع سافك، في المصباح: سفكت الدّم والدمع سفكًا من باب ضرب، وفي لغة: من باب قتل أَرْقُتَهُ، والفاعل سافك وسفكًا للمبالغة. قوله: (والأباق) جمع أبق، في المصباح: أبق العبد أبقًا من بابي تعب وقتل في لغة، والأكثر من باب ضرب إذا هرب من سيده من غير خوف ولا كدّ عمل، هكذا قيده في العين. وقال الأزهري: الأباق هروب العبد من سيده، والإباق - بالكسر - اسم منه، فهو أبق، والجمع أباق، مثل كافر وكُفّار. اهـ. قوله: (في الحصر) أي الحبس (على الحصر) أي البارية، في المصباح: الحصر الحبس، والحصر البارية. اهـ. وأيضًا فيه: البارية الحصر الخشن وهو المشهور في الاستعمال، وهي في تقدير فاعولة، وفيها لغات إثبات الهاء وحذفها، والبارياء على فاعلاء مخفف ممدود، وهذه تؤنث، فيقال: هي البارياء، كما يقال: هي البارية بوجود علامة التأنيث. وأما مع حذف العلامة، فمذكّر فيقال: هو الباريء، وقال المطرزي: الباري الحصر، ويقال له بالفارسية البورياء. اهـ بحروفه. قوله: (حسيرا) ذليلاً.

إلى ربه، قال ربّ السجن أحبّ إليّ من ركوب المعصية ﴿وَأِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ (فزع منه إلى الله) في طلب العصمة ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أمل إليهن. والصبوة الميل إلى الهوى (ومنه الصبا لأنّ النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها) ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْخِٰٔلِينَ﴾ من الذين لا يعملون بما يعلمون لأنّ من لا (جدوى) لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء، أو من السفهاء. فلما كان في قوله: ﴿وَأِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ معنى طلب الصرف والدعاء قال:

﴿فَسَتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ هُمُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتٍ نِسْجُهُنَّ حَتَّىٰ جِئَ ﴿٣٥﴾

﴿فَسَتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي أجاب الله دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُمْ هُمُ السَّمِيعُ﴾ ندعوات الملتجئين إليه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحاله وحالهن ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ﴾ (فاعله مضمّر لدلالة ما يفسره عليه وهو ﴿نِسْجُهُنَّ﴾ والمعنى بدا لهم بدء أي ظهر لهم رأي)، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ للعزيز وأهله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتٍ﴾ وهي الشواهد على براءته كقذّ القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك ﴿نِسْجُهُنَّ﴾ لإبداء

قوله: (فزع منه إلى الله) في المصباح: فزعت إليه لجأت، وهو مفزع أي ملجأ. اهـ. قوله: (ومنه الصبا) - بالفتح - وهو ريح يهبّ من جانب الشرق ويقابله الدبور، وإنما سُمّيَت هذه الريح بالصبا (لأنّ النفوس تصبو) أي تميل (إليها لطيب نسيمها) في المصباح: النسيم نفس الريح. اهـ. (وروحها) في مختار الصحاح: الرّوْح - بالفتح - من الاستراحة. قوله: (جدوى) أي نفع.

قوله: (فاعله مضمّر لدلالة ما يفسره عليه، وهو ﴿نِسْجُهُنَّ﴾، والمعنى: بدا لهم بدء، أي ظهر لهم رأي) كذا في تفسير الكشاف. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة شهاب عليه رحمة الله الوهاب: وجملة ﴿نِسْجُهُنَّ﴾ تحتمل ثلاثة أوجه: أن تكون مفعولاً لقول مضمّر، والتقدير: قالوا ليسجنته، وإليه ذهب المبرد. وأن تكون مفسّرة للضمير المستتر في بدا، فلا موضع لها، والضمير إما للبدا بمعناه المصدري، أو بمعنى الرأي أو للسجن بالفتح المفهوم من الكلام. وأن تكون جواباً لبدا؛ لأنّ بدا من أفعال القلوب، والعرب تُجرّيها مجرى القسم وتلقاها بما يتلقّى به، ففي الفاعل له أقوال، واختار أبو حيان رحمه الله تعالى أنّه

عذر الحال وإرخاء الستر على القيل والقال، وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وكان مطوعاً لها (وَجُمَيْلاً ذُلُولاً)، زمامه في يدها وقد طمعت أن يذللّه السجن ويسخره لها، أو خافت عليه العيون وظنّت فيه الظنون فألجأها الخجل من الناس، (والوجل) من البأس، إلى أن رضيت بالحجاب، مكان خوف الذهاب، لتشتفي بخبيره، إذا منعت من نظره ﴿حَتَّىٰ حِينَ﴾ إلى زمان كأنها اقترحت أن يُسجن زماناً حتى تُبصر ما يكون منه.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعَصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْراً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ عبدان للملك خبّازه و(شرابيه) بتهمة السم، فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف لأن «مع» يدل على معنى الصحبة تقول: خرجت مع الأمير تريد مُصاحباً له فيجب أن يكون دخولهما السجن مُصاحبين له ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ أي شرابيه ﴿إِنِّي أَرْنِي﴾ أي في المنام (وهي حكاية حال ماضية) ﴿آعَصِرُ خَمْراً﴾ أي عنباً تسمية للعنب بما يؤول إليه، (أو الخمر بلغة عمان اسم للعنب) ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾ أي خبّازه ﴿إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْراً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾

للسجن. اهـ. قوله: (وَجُمَيْلاً) تصغير جمل. قوله: (ذُلُولاً) في المصباح: ذَلَّت الدابة ذلاً - بالكسر - سهلت وانقادت، فهي ذلول، والجمع ذلل مثل رسول ورسل. اهـ. قوله: (الوجل) الخوف.

قوله: (شرابيه) منسوب إلى الشراب، أي ساقيه، والنسبة لتولية الشراب وسقيه الملك. قوله: (وهي حكاية حال ماضية) وإلا فالظاهر أن يقال: إني رأيت. فإنه من الرؤيا ورؤياه قد مضت، فعدل عما يقتضيه الظاهر إلى صيغة الحال استحضاراً للصورة الماضية وتصويرها كما رأى. قوله: (أو الخمر بلغة عمان اسم للعنب) في المصباح: عُمَان وزان غراب موضع باليمن. اهـ. وأما الذي بالشام، فهو عَمَان - بالفتح والتشديد - اهـ مختار الصّحاح. وفي لسان العرب: والعرب تسمي العنب خمراً. قال ابن سيده: وأظنّ ذلك لكونها منه، حكاه أبو حنيفة قال: وهي لغة يمانية، وقال في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرْنِي آعَصِرُ خَمْراً﴾ أن الخمر



نَيْتًا بِتَأْوِيلِهِ ﴿٣٦﴾ بِتَأْوِيلِ مَا رَأَيْنَاهُ ﴿٣٧﴾ إِنَّكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾ (من الذين يحسنون عبارة الرؤيا) أو من المحسنين إلى أهل السجن فإنك تداوي المريض (وتعزي) الحزين وتوسع على الفقير، فأحسِن إلينا بتأويل ما رأينا. وقيل: إنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي: إني رأيت كأني في بستان، فإذا بأصل (حبله) عليها ثلاثة (عناقيد) من عنب (فقطفتها وعصرتها) في كأس الملك وسقيته وقال الخباز: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث (سلال) فيها أنواع الأطعمة، فإذا سباع الطير (تنهش) منها.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنْ تَرَكْتُ بَلَدَ قَوْمٍ لَا يُمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣٧)

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي لبيان ماهيته وكيفيته (لأن ذلك يشبه تفسير المشكل) ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ ولما استعبراه ووصفاه بالإحسان (افترص) ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار

هنا العنب. اهـ. قوله: (من الذين يحسنون عبارة الرؤيا) لعلمهم بذلك؛ إذ عبر لبعضهم رؤياه. قوله: (وتعزي) في المصباح: عزي يعزي من باب تعب صبر على ما نابه، وعزيتة تعزية قلت له: أحسن الله عزاءك، أي رزقك الصبر الحسن، والعزاء مثل سلام اسم من ذلك مثل سلم سلامًا وكلّم كلامًا. اهـ. قوله: (حبله) بفتح الباء، ويجوز حبله بالحزم، أي عنبه. في لسان العرب: الحبل شجر العنب، واحده حبله. اهـ. قوله: (عناقيد) في مختار الصحاح: العنقود - بالضم - واحد عناقيد العنب. قوله: (فقطفتها) في المصباح: قطفت العنب ونحوه قطعًا من بابي ضرب وقتل قطعت. اهـ. قوله: (وعصرتها) من باب ضرب. قوله: (سلال) في لسان العرب: السلّة كالجونة المطبقة، والجمع سلّ وسلال. اهـ. قوله: (تنهش) منها بالمهملة والمعجمة، أي تأخذ منها وتقضم بمقدّم الفم، وفعله على مثال منع.

قوله: (لأن ذلك يشبه تفسير المشكل) أي لأن بيان ماهية الطعام وكيفيته قبل الإتيان إليهما يشبه تفسير المشكل، يريد بيان وجه ذكر لفظ التأويل المستعمل في بيان المشكل من القرآن والحديث. اهـ تمجيد. قوله: (افترص) أي اغتتم. قوله:

بالغيب، وأنه ينبتهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول: يأتیکما طعام مِّن صفته (کیت وکیت) فیکون کذلک، ویجعل ذلک تَخْلَصًا إلى أن یذكر لهما التوحید ویعرض علیهما الإیمان ویزینہ لهما ویقبح إلیها الشُّرک. وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو (بصدده)، وغرضه أن (یقتبس) منه ما لم یکن من باب التزکیة ﴿ذَلِکَ مَا﴾ إشارة لهما إلى التأویل (أي ذلک التأویل) والإخبار بالمغیبات ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ وأوحى به إلی ولم أقله عن تکهن وتنجم ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ یجوز أن یكون کلامًا مبتدأ وأن یكون تعلیلًا لما قبله أي علّمني ذلک وأوحى به إلیّ لأنی رفضت ملة أولئک وهي أهل مصر ومَن کان الفتيان علی دينهم.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَشْرَكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٨)

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وهي الملة الحنيفية، وتكریر «هم» للتوكید وذكر الآباء ليريهما أنه من بیت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي یوحى إلیه بما ذکر من إخباره بالغیوب ليقوی رغبتهما في اتباع قوله، والمراد به ترك الابتداء لا أنه کان فيه ثم تركه ﴿مَا كَانَتْ لَنَا﴾ ما صحّ لنا (معشر الأنبياء) ﴿أَنْ

(کیت وکیت) في لسان العرب: وکان من الأمر کَیْتُ وَکَیْتُ، وإن شئت کسرت التاء، وهي کنایة عن القصة أو الأحداث، حکاها سیبویه. اهـ. قوله: (بصدده) في المصباح: الصَّدَد - بفتحین - القرب. اهـ. وفي لسان العرب: الصَّدَد الناحية، والصدد ما استقبلک وهذا صَدَدٌ هذا بصدده وعلى صده، أي قُبالته، والصدد القرب، والصدد القصد. قال ابن سيدة: قال سیبویه: هو صدّدک ومعناه القصد. اهـ. قوله: (یقتبس) أي یستفاد. قوله: (أي ذلک التأویل) المراد بالتأویل کشفه عن الطعام قَبْل مجيئه؛ لأنه لما ذکره لهما قالاً له: هذا کهانة، أي سحرًا وتنجم. أي استخراج له بما علّم من علّم النجوم، فقال: لا بل هو مما علّمني الله تعالی بوحیه وإلهامه.

قوله: (معشر الأنبياء) أي جماعة الأنبياء قاطبة، الظاهر أنه منصوب بتقدير، یعنی بالضمیر معشر الأنبياء.

﴿نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (أي شيء كان) صنمًا أو غيره. ثم قال: ﴿(ذَلِكَ) التَّوْحِيدُ﴾ من فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فضل الله فيُشْرِكُونَ به ولا يتبهون.

﴿يَنْصَحِي السَّجْنَاءَ رَبِّبٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَوْ اللَّهُ تَوَحُّدُ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾

﴿يَنْصَحِي السَّجْنَاءَ﴾ (يا ساكني السجن كقوله: ﴿أَصْحَبُ النَّارِ﴾) [البقرة: الآية ٣٩]، و﴿أَصْحَبُ الْجَنَّةِ﴾ [البقرة: الآية ٨٢] ﴿رَبِّبٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَوْ اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ يريد التفرق في العدد والتكاثر أي أن تكون أرباب (شئ) يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم يكون لكما رب واحد قهار لا يُغَالِب ولا يُشَارِك في الربوبية؟ وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ خطاب لهما ولمن كان على دينهما من أهل مصر ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ﴾ أي سَمَّيْتُمْ ما لا يستحق الإلهية آلهة ثم (طفقتم) تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء لا مُسَمَّيات لها، ومعنى ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ سَمَّيْتُمْ بها

قوله: (أي شيء كان) أي كلمة من زائدة في المفعول، سواء كان مفعولاً مطلقاً أو مفعولاً به<sup>(١)</sup>، فيفيد العموم، أي لا نُشْرِكُ بِاللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ، قليلاً أو حقيراً، صنمًا أو ملكًا أو جنًا أو غير ذلك. قوله: ﴿(ذَلِكَ) التَّوْحِيدُ﴾ جعل المشار إليه التوحيد المأخوذ من نفي صحة الشُّرك لقربه.

قوله: (يا ساكني السجن) أي المراد بالصاحب الساكن؛ إذ الصُّحْبَةُ بمعنى السكنى شائع؛ (كقوله) تعالى: ﴿(أَصْحَبُ النَّارِ)﴾ لِمَلازمتهم بالسكنى لها. قوله: (شئ) جمع شئيت، أي متفرقون من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك. قوله: (طفقتم) في مختار الصحاح: طَفَّقَ يَفْعَلُ كَذَا، أي جعل يفعل كذا، وبابه طرب. اهـ. وفي لسان العرب: طَفَّقَ يَفْعَلُ كَذَا يَطْفُقُ طَفْقًا جَعَلَ يَفْعَلُ وَأَخَذَ. اهـ. أي أخذتم.

(١) أي شيئًا من الإشراك. ١٢ منه.

يقال: سَمِيَتْهُ زَيْدًا وَسَمِيَتْهُ بَزِيدَ ﴿مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بِتَسْمِيَّتِهَا ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾ فِي أَمْرِ الْعِبَادَةِ وَالِدِينِ ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ ثُمَّ بَيَّنَّ مَا حَكَمَ بِهِ فَقَالَ: ﴿أَمْرٌ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمُ﴾ الثَّابِتُ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْبَرَاهِينُ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعُقُوبَةَ تَلْزِمُ الْعَبْدَ وَإِنْ جَهِلَ إِذَا أُمِكنَ لَهُ الْعِلْمُ بِطَرِيقِهِ.

﴿يَصْجِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ. قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَنَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ﴿٤٢﴾

ثُمَّ عَبَّرَ الرُّوْيَا ﴿يَصْجِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ يَرِيدُ الشَّرَابِي ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ سَيِّدَهُ ﴿حَمْرًا﴾ أَيَّ يَعُودُ إِلَى عَمَلِهِ ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ أَيَّ الْخَبَازِ ﴿فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ رُوي أَنَّهُ قَالَ لِلأَوَّلِ: مَا رَأَيْتَ مِنَ (الْكِرْمَةِ) وَحُسْنِهَا هُوَ الْمَلِكُ وَحُسْنُ حَالِكٍ عِنْدَهُ، وَأَمَّا (الْقُضْبَانِ) الثَّلَاثَةُ فَبِنِهَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ تَمْضِي فِي السَّجْنِ ثُمَّ تَخْرُجُ وَتَعُودُ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ. وَقَالَ لِثَانِي: مَا رَأَيْتَ مِنَ السَّلَالِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَخْرُجُ فَتَقْتُلُ. وَلَمَّا سَمِعَ الْخَبَازُ صَلْبَهُ قَالَ: مَا رَأَيْتَ شَيْئًا. فَقَالَ يَوْسُفُ: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (أَيَّ قَطَعَ وَتَمَّ) مَا تَسْتَفْتِيَانِ فِيهِ مِنْ أَمْرِكُمَا وَشَأْنِكُمَا أَيَّ مَا يَجَزُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَاقِبَةِ وَهِيَ هَلَاكُ أَحَدِهِمَا وَنَجَاةُ الْآخَرِ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ الظَّانُّ هُوَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ كَانَ تَأْوِيلُهُ بِطَرِيقِ الْاجْتِهَادِ، وَإِنْ كَانَ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ فَالظَّانُّ هُوَ الشَّرَابِي أَوْ يَكُونُ الظَّنُّ بِمَعْنَى الْيَقِينِ ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ صَفْنِي عِنْدَ الْمَلِكِ بِصِفَتِي وَقَصِّ عَنِّي قِصَّتِي لَعَلَّهُ يَرْحَمُنِي وَيُخَلِّصُنِي مِنْ

**قوله:** (الكرمة) في لسان العرب: الكرمة شجرة العنب، واحداثها كرامة. اهـ.

**قوله:** (القضبان) في مختار الصحاح: القضيب لغضن وجمعه قضبان - بضم القاف وكسرهما أيضًا - نقلهما الأزهرى. اهـ. وفي المصباح: قضبت الشيء قضبًا من باب ضرب، فانقضبت قطعتة فانقضبت مثل اقتطعته وزنًا ومعنى، ومنه قيل للغصن المقطوع قضيب فعيل بمعنى مفعول، والجمع قضبان - بضم القاف والكسر - لغة. اهـ. **قوله:** (أَيَّ قطع وتمم) . . . الخ. قيل: إنه مخصوص بيوسف النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه علم بالوحي كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُكَ

هذه (الورطة) ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ﴾ فأنسى الشرايبي ﴿ذَكَرَ رَبَّهُ﴾ (أن يذكره لربه أو عند ربه). أو فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره، وفي الحديث «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعاً». ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ أي سبعاً عند الجمهور، والبضع ما بين الثلاث إلى التسع.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَةٍ إِنِّي أَخْتُمُ فِي رُءُوسِكُمْ أَقْتُونِي فِي رُءُوسِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءُوسِ يَا تَعْبُرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَةٍ﴾ لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته، رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعاً أخر يابسات قد (استحصدت وأدركت فالتوت) اليابسات على الخضر حتى (غلبن عليها)، فستعيرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها. وقيل: كان ابتداء بلاء

من تأويل الأحاديث. والتعليم إنما هو بالوحي. قوله: (الورطة) الهلاك وأصلها الوحل يقع فيه الغنم فلا تقدر على التخلص، وقيل: أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يرشد إلى الخلاص. اهـ مصباح. قوله: (أن يذكره لربه أو عند ربه) يعني مقتضى الظاهر أن يقال: فأنساه الشيطان ذكره عند ربه، لكن عدل عن مقتضى الظاهر إلى أن يقال ﴿ذَكَرَ رَبَّهُ﴾ بإضافة الذكر إلى ربه مكان ذكره عند ربه، وهذه ليس بإضافة المصدر إلى فاعله أو إلى مفعوله، فصحتها بأنها إضافة لأدنى ملابسة الذكر لربه في أن ربه هو الذي ألقى إليه الخبر وخوطف به عند الذكر وإلقاء الخبر. هـ تسجيل. وفي حاشية البيضاوي للعلامة شيخ زاده: يعني الظاهر أن يقال ذكره لربه عى: بإضافة المصدر إلى مفعوله؛ لأن الشائع في إضافته أن يُضاف إلى فاعل أو إلى المفعول به الصريح، إلا أنه أضيف إلى غير الصريح للملابسة. اهـ.

قوله: (استحصدت) أي قُرب وقت حصادها. قوله: (وأدركت) أي نضجت. قوله: (فالتوت) أي التفت عليها. قوله: (غلبن عليها) أي عصرتها حتى أذهبها ولم يبق منها شيء كما أكلت السمان العجاف.

يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاته أيضًا الرؤيا. سمان: جمع سمين و(سمينة)، والعجاف: المهازيل، و(العجف) الهزال الذي ليس بعده سمانة، والسبب في وقوع عجاف جمعًا لعجفاء - وأفعل وفعلاء لا يُجمعان على فعال - حمله على نقيضه وهو سمان، ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض. وفي الآية دلالة على أن السنبلات اليابسة كانت سبغًا كالخضر لأن الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنبال الخضر فوجب أن يتناول معنى الآخر السبع ويكون قوله: ﴿وَأُخْرَ يَاسَسَتْ﴾ بمعنى سبغًا آخر ﴿يَأْتِيَا الْمَلَأُ﴾ كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء ﴿أَفْتَوَى فِي رُؤْيَى إِنْ كُنْتُ لِلرُّؤْيَا نَعْبُورُ﴾ اللام في ﴿لِلرُّؤْيَا﴾ للبيان، كقوله: ﴿وَكَاوُوا فِيهِ مِنَ الزَّهْدِ﴾ أو لأن المفعول به إذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه (فعضد بها)، تقول: عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت. أو يكون ﴿لِلرُّؤْيَا﴾ خبر «كان» كقولك: «كان فلان لهذا الأمر» إذا كان مستقلًا به متمكنًا منه، و﴿نَعْبُورُ﴾ خبر آخر أو حال. وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول: «عبرت النهر» إذا قطعتة حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه «أولت الرؤيا» إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها. وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر.

﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَصْنَافِ بِعَمِينَ﴾

﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ أي هي أضغاث أحلام أي تخاليلها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان. وأصل الأضغاث ما جمع من

قوله: (سمينة) وهي الممتلئة لحمًا وشحمًا. قوله: (العجف) في المصباح: عَجَفَ الفرس عَجْفًا من باب تَعِبَ وَضَعَفَ، ومن باب قَرَبَ لَغَةً فهو أَعْجَفَ وَشَاةٌ عَجْفَاءُ، وجمع الأعجف عِجَافٌ على غير قياس، وإنما جمع على عِجَافٍ إمَّا حَمَلًا على نقيضه وهو سمان، وإمَّا حَمَلًا على نظيره وهو ضِعَافٌ، ويعدَّى بالهمزة فيقال: أَعْجَفْتَهُ وربما عُدِّيَ بالحركة، فقليل: عَجَفْتَهُ عَجْفًا من باب قَتَلَ. اهـ. قوله: (فعضد بها) في مختار الصحاح: عَضَدَهُ من باب نصر أعانته. اهـ.

أخلاق النبات (وحُزْم) من أنواع الحشيش، الواحد ضغث فاستعيرت لذلك، والإضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام. وإنما جمع وهو (حلم) تزايداً في وصف الحلم بالبطلان، وجاز أن يكون قد قصّ عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَلْحَامِ بِعَالَمِينَ﴾ أرادوا بالأحلام المنامات الباطلة فقالوا: ليس لها عندنا تأويل، إنما التأويل للمنامات الصحيحة، أو اعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بخابرين.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (٤٥)

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا﴾ من القتل ﴿مِنْهُمَا﴾ من صاحب السجن ﴿وَادَّكَرَ﴾ بالبدال هو الفصيح وأصله «اذتكر» فأبدلت الذال دالاً والتاء دالاً وأدغمت الأولى في الثانية لتقارب الحرفين. وعن الحسن: و«اذكر» ووجهه أنه قلب التاء ذالاً وأدغم أي تذكر يوسف وما شاهد منه ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه (وأعضل) على الملك تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه أن يذكره عند الملك ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ أنا أخبركم به عمن عنده علمه ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ وبالياء (يعقوب بن إسحق) أي فابعثوني إليه لأسأله فأرسلوه إلى يوسف فاتاه فقال:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى لَدُنِّ لَعْنَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٤٦)

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِقُ﴾ أيها البليغ في الصدق وإنما قال له ذلك لأنه ذاق وتعرّف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ

قوله: (وحُزْم) في المصباح: حزمت الشيء جعلته حُزْمة، والجمع حُزْم مثل غرفة وغُرف. اهـ. قوله: (حلم) في مختار الصحاح: الحُلْم - بضم اللام وسكونها - ما يراه النائم. اهـ.

قوله: (وأعضل) في مختار الصحاح: وقد أعضل الأمر اشتد واستغلق، وأمرٌ مُعْضِل لا يهتدى لوجهه، والمُعْضِلَات الشدائد. اهـ. قوله: (يعقوب بن إسحق) الحضرمي البصري، وليس من السبعة.

إِلَى الْآثَارِ ﴿٤٧﴾ إِلَى الْمَلِكِ وَاتَّبَاعِهِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فَضْلَكَ وَمَكَانَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَيُطْلَبُوكَ وَيُخْلَصُوكَ مِنْ مَحْتِكَ .

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَكُونُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ هو خبر في معنى الأمر كقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ﴾ [الصف: الآية ١١] . دليله قوله: ﴿فَذَرُّوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في وجود المأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه ﴿دَأَبًا﴾ بسكون الهمزة وحفص يحركه (وهما مصدرًا دأب في العمل) وهو حال من المأمورين أي دائبين ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ كي لا يأكله (السوس) ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ في تلك السنين ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ﴾ هو من إسناد المجاز جعل أكلهن مسندًا إليهن ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي في السنين (المخصة) ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ تحرزون و(تخبثون).

قوله: (وهما مصدرًا دأب في العمل) في مختار الصحاح: دأب في عمله جَدَّ وَتَعَبَ وبابه قطع وخضع، فهو دائب بالألف لا غير، انتهى. قوله: (السوس) الدود الذي يأكل الحنطة ونحوها فيفسدها؛ إذ غلال مصر ونواحيها إن لم تترك في سنبله بل ميّز حيواته عن تبته، فاستولى عليه السوس فيفسده، فأرشدته عليه السلام إلى صلاح الأمر، وهو دوس ما أرادوا أكله وترك الباقي في سنبله. قوله: (المخصة) في المصباح: الخصب وزان حمل الثماء والبركة، وهو خلاف الجذب، وهو اسم من أخصب المكان بالألف، فهو مخصب. وفي لغة: خصب يخصب من باب تعب، فهو خصب، وأخصب الله الموضع إذا أنبت به العشب والكلأ. اهـ. وفي مختار الصحاح: الخُصْب - بالكسر - ضد الجذب، ويقال: بلد خُصْب وأخْصَابٌ أيضًا، وصفوه بالجمع؛ كأنهم جعلوا الواحد أجزاء وله نظائر وقد أَخْصَبَتِ الأرض ومكان مُخْصِبٌ وَخَصِيبٌ، انتهى. قوله: (تخبثون) في المصباح: خبأت الشيء خبأ مهموز من باب نفع سترته، ومنه الخابية، وترك الهمزة تخفيفًا لكثرة الاستعمال، وربما همزت على الأصل، وخبأت حفظته، والتشديد تكثير ومبالغة، والخَبْء - بالفتح - اسم لما خبيء، انتهى.



﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ أي من بعد أربع عشرة سنة عام ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ (من الغوث) أي يُجَاب مُسْتَغِيثُهُمْ، (أو من الغيث) أي يُمْطَرُونَ يقال: غِيثَتِ الْبِلَادُ إِذَا مَطَرَتْ ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ العنب والزيتون (وَالسَّمْسِمُ) فَيَتَخَذُونَ الْأَشْرَبَ وَالْأَدَهَانَ «تَعْصِرُونَ» حمزة) فأول البقرات السَّمان والسنبلات الخضراء بسنين مخاصيب. والعجاف واليابسات بسنين (مجذبة). ثم بَشْرُهُمْ بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركًا كثير الخير (غزير) النَّعْم، وذلك من جهة الوحي.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَيْكَ فَتَسْأَلُهُ مَا بَأَلُ الْيَسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٠﴾

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ليخرجه من السجن ﴿قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَيْكَ﴾ أي الملك ﴿فَتَسْأَلُهُ مَا بَأَلُ الْيَسْوَةِ﴾ أي حال النسوة ﴿الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾

قوله: (من الغوث) أي يجوز أن تكون ألف يغاث مبدلة من الواو على أن تكون من الغوث الذي هو الفرج وزوال الهم والكرب، وعلى هذا يكون فعله رباعيًا، يقال: استغاث الله تعالى فأغاثه، أي أنقذه من الكرب الذي فيه، وهو القحط في قصة الرؤيا. قوله: (أو من الغيث) أي يجوز أن تكون ألف يغاث مقلوبة من الياء على أن يكون مشتقًا من الغيث الذي هو مصدر قولك: غاث الله البلاد يُغِيثُهَا غِيثًا إِذَا أَنْزَلَ بِهَا الْغِيثَ وهو المطر، وقد غِيثَتِ الْأَرْضُ تُغَاثُ إِذَا أَمَطَرَتْ. قوله: (السَّمْسِمُ) في مختار الصحاح: السَّمْسِمُ حَبُّ الْحَلِّ. اهـ. وأيضًا فيه الْحَلُّ دُفْنُ السَّمْسِمِ. اهـ.

قوله: («تَعْصِرُونَ») بالتاء على الخطاب؛ لأن الكلام كله مع الخطاب (حمزة)، وفي تفسير البيضاوي وغيره قرأ حمزة والكسائي بالتاء. اهـ. والباقون بالياء على الغيبة ردًا إلى الناس. قوله: (مجذبة) في المصباح: الْجَذْبُ هُوَ الْمَحَلُّ وَزَنَا وَمَعْنَى، وهو انقطاع المطر وبس الأرض، يقال: جذب البلد - بالضّم - جدوبة فهو جذب وجذيب وأرض جدبة وجدوب وأجذبت إجدابًا وجدبت تجذب من باب تعب مثله، فهي مجذبة والجمع مجاديب. اهـ. قوله: (غزير) أي كثير.

إنما تَثَبَّتَ يوسف و(تَأَنَّى) في إجابة الملك وقَدَّمَ سؤال النسوة لِيُظْهِرَ براءة ساحته عما رُمِيَ به وسجن فيه لثلا (يتسلق) به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سُلَّمًا إلى حطّ منزلته لديه، لثلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير. وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التَّهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها، وقال عليه السلام: «لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره (والله يغفر له) حين سُئِلَ عن البقرات العجاف والسَّمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشتَرط أن يُخْرِجُونِي، ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال: ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ولو كنت مكانه ولبثت في السجن لأسرعت الإجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العُذْرَ إن كان لحليمًا (ذا أناة)». ومن كلامه وحُسن أدبه أنه لم يذكر سيده مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المُقَطَّعات أيديهنَّ ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْتَدِئُهُنَّ عَلِيمٌ﴾ أي إن كيدهن عظيم لا يعلمه إلا الله وهو مجازيهن عليه. فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المُقَطَّعات أيديهنَّ ودعا امرأة العزيز ثم.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنَنْصَحَنَّ الْحَقُّ أَتَانَا رَاَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿٥١﴾﴾

﴿قَالَ لَهُنَّ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ ما شأنكن ﴿إِذْ رَاَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه ميلًا إليكن ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تعجبًا من قدرته على خلق عفيف مثله

قوله: (تَأَنَّى) تمكث ولم يعجل. قوله: (يتسلق) في لسان العرب: التسلق الصعود على حائط أُمْلَسَ. اهـ. وأيضًا فيه: تَسَلَّقَ صعد على حائط. اهـ. قوله: (والله يغفر له) ونحوه مقدّمة تذكر أمام المقصود تعظيمًا لمن قيل له ذلك وتوقيرًا، وهو كما تقول لمن تعظّمه: عفا الله عنك ما صنعت في أمري. قوله: (ذا أناة) في المصباح: تَأَنَّى في الأمر تمكث ولم يعجل، والاسم منه أناة وزن حصة. اهـ. قال البغوي: وصفه بالأناة والصبر حيث لم يبادر إلى الخروج حين جاءه الرسول بالعفو عنه مع طول سجنه، بل قال: ﴿أَرْجِعْ﴾ [يوسف: الآية ٥٠] ... الخ. إقامة للحجة على ظلمه، وإنما قال النبي ﷺ ذلك تواضعًا منه لا أنه لو كان مكانه بادر وعجل، وإلا فحلّمه ﷺ وتحملّه معلوم. اهـ شهاب.

﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ من ذنب ﴿قَالَتْ أَمْرَأْتُ الْعَزِيزُ الْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ ظهر واستقر ﴿أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قوله: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ ولا مزيد على شهادتهم له للبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن إنه لم يتعلق بشيء مما قُذِفَ به .

ثم رجع الرسول إلى يوسف وأخبره بكلام النسوة وإقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف:

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِبِينَ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿ذَلِكَ﴾ أي امتناعي من الخروج والتثبت لظهور البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ بظهر الغيب في حرمة، و﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني، أو ليعلم الملك أنني لم أخن العزيز ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ أي وليعلم أن الله ﴿لَا يَهْدِي الْخَائِبِينَ﴾ لا يسدده وكأنه تعريض بامراته في خيانتها أمانة زوجها. ثم أراد أن يتواضع لله و(يهضم) نفسه لثلاث يكون لها مُرْكَبًا وليبين أن ما فيه من الأمانة بتوفيق الله وعصمته فقال:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من (الزلل) وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكّيها في عموم الأحوال، أو في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو الخطرة البشرية لا عن طريق القصد والعزم ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ أراد الجنس أي إن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة، ويجوز أن يكون ﴿مَا رَحِمَ﴾ في معنى الزمان

قوله: (يهضم) من باب ضرب، أي يكسر.

قوله: (الزلل) في المصباح: زَلَّ عن مكانه زَلًّا من باب ضرب تنحى عنه وزَلَّ زَلًّا من باب تعب لغة، والاسم الزَّلَّة - بالكسر - والزَّلَّة - بالفتح - المرة، والمزلة المكان الدَّحْضُ وهو بفتح الميم، وأما الزاي فالكسر أفصح من الفتح، يقال: أرضٌ مزلةٌ تَزَلُّ فيها الأقدام، وزَلَّ في منطقته أو فعلة يَزَلُّ من باب ضرب زَلَّةً خطأ. اهـ.

(أي إلا وقت رحمة ربي) يعني أنها أمانة بالسوء في كل وقت إلا وقت العصمة، (أو هو استثناء منقطع) أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة. وقيل: هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أنني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سُئلت عنه، وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فإنني قد خنته حين قَذَفْتُهُ وقلت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾ وأودعته السجن. تريد الاعتذار مما كان منها إن كل نفس لأمانة بالسوء إلا ما رحم ربي إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ﴿إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ استغفرت ربها واسترحمتها مما ارتكبت وإنما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر لأن المعنى يقود إليه. وقيل: هذا من تقديم القرآن وتأخير أي قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ متصل بقوله: ﴿فَشَكَّلَهُ مَا بَالَ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ آيَاتُهَا﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْثِرُ بِهِ أَاسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾  
 ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْثِرُ بِهِ أَاسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي﴾ (أجعله خالصاً لنفسي) ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ وشاهد منه ما لم يحتسب ﴿قَالَ﴾ الملك ليوسف ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (ذو مكانة ومنزلة، أمين مؤتمن) على كل شيء. روي أن الرسول جاءه ومعه سبعون حاجباً وسبعون مركباً وبعث إليه لباس الملوك فقال: أجب الملك، فخرج من السجن ودعا لأهله: اللَّهُمَّ (اعطف) عليهم قلوب الأخيار (ولا تعم عليهم الأخبار)

قوله: (أي إلا وقت رحمة ربي) يريد أن الاستثناء في ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، مفرغ وما في ﴿مَا رَحِمَ﴾ دوامية يعني مصدرية بتقدير وقت مضاف إلى ﴿مَا رَحِمَ﴾ فالمعنى أن النفس لأمانة بالسوء في جميع الأوقات إلا وقت رحمة ربي، فإنها لا تأمر بالسوء في ذلك الوقت. قوله: (أو هو استثناء منقطع) فعلى هذا لا يقدر الوقت قبل ما رحم، وما مصدرية ﴿وَالَا﴾ بمعنى لكن، وما بعده مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: لكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة.

قوله: (أجعله خالصاً لنفسي) أي باب الاستفعال للتعدية لا للطلب. قوله: (ذو مكانة ومنزلة) أي مكين من المكانة وصيغة فعيل، وهو مكين للنسبة كلابن وتامر. قوله: (أمين مؤتمن) على كل شيء من أمور السلطنة ولوازم الوزارة. قوله: (اعطف) أي أمل. قوله: (ولا تعم عليهم الأخبار) في مختار الصحاح:

فهم أعلم الناس بالأخبار في الوقعات. وكتب على باب السجن: هذه منازل البلواء وقبور الأحياء و(شماتة الأعداء) وتجربة الأصدقاء. ثم اغتسل وتنظف من (درن) السجن ولبس ثياباً (جُددًا)، فلما دخل على الملك قال: اللَّهُمَّ إني أسألك (بخيرك) من خيره، وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره. ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال: أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك. قال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن، ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك وقال له: من حقا أن تجمع الطعام في (الأهراء) فيأتيك الخلق من النواحي و(يمتارون) منك ويجمع لك من الكنوز ما لم يجمع لأحد قبلك. قال الملك: ومن لي بهذا ومن يجمعه؟

عَمِيَ عَلَيْهِ الأمر التبس، ومنه قوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ [القصص: الآية ٦٦]، وقرىء ﴿فَعُمِيَ عَلَيْهِمُ﴾ بالتشديد. قوله: (شماتة الأعداء) في مختار الصحاح: الشَّماتة الفَرْح ببلية العدو وبابه سَلِم. اهـ. قوله: (درن) وَسَخ. قوله: (جددًا) بضمّتين جمع جديد كسُرُر وسرير. قوله: (بخيرك) بنصرك وفتحك وعونك وصونك وسائر أنواع فضلك من خيره، أي من خير الملك لفظة من ابتدائية من منشائية وإضافة الخير إلى الملك لأدنى ملابسة، والخير كلّه منه تعالى، والمعنى: أطلب منك خيرك الكائن من خير أودعته في يد الملك وأظهرته فيها، ولهذا السرّ لم يقل: اللَّهُمَّ إني أسألك بخيره من خيرك، وكون من تبعية بعيد، والسؤال كما يعدّى بعن لتضمّنه معنى التفتيش يعدّى بالياء لتضمّنه معنى الاعتناء، ولا يبعد أن يكون زائدة، وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره، ولم يقل من شرك مع أن الكل من عند الله لمراعاة الأدب، ولا يخفى حُسْن موقع صفة العزّة والقدرة هنا من سائر الصفات العلى. اهـ قنوي.

قوله: (الأهراء) واحدها هُرَي وهو الأنبار. في القاموس: الهُرَي - بالضم - بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان، ج أهراء، انتهى. قوله: (يمتارون) أي يشترون، وفي المصباح: مارهم ميرًا من باب باع أتاهم بالميرة - بكسر الميم - وهي الطعام، وامتارها لنفسه. اهـ.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٥)

﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ وَلَنِي عَلَى خَزَائِنِ أَرْضِكَ يَعْنِي مِصْرَ ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ آمِينَ أَحْفَظُ مَا تَسْتَحْفِظُنِيهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ عَالِمٌ بِوُجُوهِ التَّصَرُّفِ. وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْأَمَانَةِ وَالْكَفَايَةِ وَهُمَا طَلِبَةُ الْمُلُوكِ مِمَّنْ يُولُونَهُ. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِيَتَوَصَّلَ إِلَى إِمْضَاءِ أَحْكَامِ اللَّهِ وَإِقَامَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ الْعَدْلِ وَالتَّمَكُّنِ مِمَّا لِأَجَلِهِ بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ إِلَى الْعِبَادِ، وَلَعَلَّمَهُ أَنْ أَحَدًا غَيْرَهُ لَا يَقُومُ مَقَامَهُ فِي ذَلِكَ فَطَلَبَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ لَا لِحُبِّ الْمَلِكِ وَالدُّنْيَا، وَفِي الْحَدِيثِ «رَحِمَ اللَّهُ أَخِي يُوسُفَ لَوْ لَمْ يَقُلْ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ لَاسْتَعْمَلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ وَلَكِنَّهُ أَخَّرَ ذَلِكَ سَنَةً» قَالُوا: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَتَوَلَّى الْإِنْسَانُ (عِمَالَةً) مِنْ يَدِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَتَوَلَّوْنَ الْقَضَاءَ مِنْ جِهَةِ الظُّلْمَةِ. وَإِذَا عَلِمَ النَّبِيُّ أَوْ الْعَالِمُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى الْحُكْمِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَدَفْعِ الظُّلْمِ إِلَّا بِتَمَكُّينِ الْمَلِكِ الْكَافِرِ أَوْ الْفَاسِقِ فَلَهُ أَنْ يَسْتَظْهَرَ بِهِ. وَقِيلَ: كَانَ الْمَلِكُ يَصْدُرُ عَنْ رَأْيِهِ وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَا رَأَى وَكَانَ فِي حُكْمِ التَّابِعِ لَهُ.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ بَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦)

﴿وَكَذَلِكَ﴾ وَمِثْلُ ذَلِكَ التَّمَكُّينِ الظَّاهِرِ ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ (أَرْضُ مِصْرَ) وَكَانَتْ أَرْبَعِينَ (فَرَسَخًا) فِي أَرْبَعِينَ، وَالتَّمَكُّينِ الْإِقْدَارَ وَإِعْطَاءَ (الْمَكْنَةَ) ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ بَشَاءُ﴾ أَيُّ كُلِّ مَكَانٍ أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَهُ مَنْزَلًا لَمْ يَمْنَعْ مِنْهُ لَاسْتِيْلَاثَهُ عَلَى جَمِيعِهَا وَدُخُولِهَا تَحْتَ سُلْطَانِهِ. ﴿نَشَاءُ﴾ (مَكِّي) ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾ بِعَطَائِنَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَلِكِ وَالْغَنَى وَغَيْرَهُمَا مِنَ النُّعْمِ ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾ مَنْ اقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ أَنْ نَشَاءَ لَهُ ذَلِكَ ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فِي الدُّنْيَا.

قوله: (عِمَالَةً) - مثلثة - أجر العمل، كذا في نسخة. وفي أكثر النسخ: عملاً بدل عِمَالَةٍ.

قوله: (أَرْضُ مِصْرَ) فاللام للعهد الخارجي. قوله: (فَرَسَخًا) الفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون أصبعًا. قوله: (الْمَكْنَةُ) القوة والشدة. قوله: ﴿نَشَاءُ﴾ (يُوسُفَ: الآية ١٥٦) بالنون على أنها نون العظمة لله تعالى (مَكِّي) أي ابن كثير المَكِّي، والباقون بالياء، والضمير ليوسف.

﴿وَلَاخِرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٥٧)

﴿وَلَاخِرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يريد يوسف وغيره من المؤمنين إلى يوم القيامة ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الشرك والفواحش. قال (سفيان بن عيينة): المؤمن يُثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من (خلاق) وتلا الآية. رُوي أن الملك تَوَجَّ يوسف وختمه بخاتمه (ورداه بسيفه) ووضع له سريراً من ذهب مكللاً بالدرّ والياقوت، فقال: أما السرير (فأشد)

قوله: (سفيان بن عيينة) كان إماماً عالماً ثبّثاً زاهداً ورِعاً مُجْمَعاً على صحة حديثه وروايته، وحجّ سبعين حجة، وروى عن الزهري وأبي إسحق السبعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأبي الزناد وعاصم بن أبي النجود المقرئ والأعمش وعبد الملك بن عمير وغير هؤلاء من أعيان العلماء، وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد بن إسحق وابن جريج والزيبر بن بكار وعمّه مصعب وعبد الرزاق بن همام الصنعاني ويحيى بن أكثم القاضي وخلق رضي الله تعالى عنه. قال سفيان: دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار، قال: فجاء الناس يسألوني عن عمرو بن دينار، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة فذاكرته. فقال لي: يا بني ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث يضطرب في حفظ تلك الأحاديث. ومولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة، ونقله أبوه إلى مكة وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة، وقيل أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة بمكة، ودُفِنَ بالحجون رحمه الله تعالى. وغُيّنة بضم العين المهملة وفتح الياء الأولى وسكون الثانية المثنتين من تحتها وفتح النون وبعدها هاء ساكنة، والحجون بفتح الحاء المهملة وضم الجيم وبعدها الواو الساكنة نون، جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها، وهو من تابعي التابعين، وكان يُعَدُّ من حكماء أصحاب الحديث، وكان حديثه نحو سبعة آلاف، ولم يكن له كتب.

قوله: (خلاق) نصيب. قوله: (ورداه بسيفه) أي قلده سيفه. قوله: (فأشد) في المصباح: شد الشيء يشد من باب ضرب شدة قوي، فهو شديد وشددته شداً من باب قتل أوثقته. اهـ.

به ملكك، وأما الخاتم فأدبر به أمرك، وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فجلس على السرير و(دانت) له الملوك، وفوّض الملك إليه أمره وعزل قبطير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيراً مما طلبت! (فوجدتها عذراء) فولدت له ولدين - افرائيم وميشا - وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء، وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس، وباع من أهل مصر في سبني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الأولى حتى لم يبقَ معهم شيء منها، ثم (بالحلي) والجواهر في الثانية، ثم بالدواب في الثالثة، ثم بالعبيد والإماء في الرابعة، ثم (بالدُّور والعقار) في الخامسة، ثم بأولادهم في السادسة، ثم برقابهم في السابعة حتى استرقّهم جميعاً، ثم أعتق أهل مصر عن آخرهم ورزّ عليهم أملاكهم، وكان لا يبيع لأحد من الممتارين أكثر من حمل بعير، وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب مصر (فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا) وذلك قوله:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ بلا تعريف ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ لتبذل (الزّي) ولأنه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو أربعون سنة، ورؤي أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم: أخبروني من أنتم وما شأنكم؟ قالوا: نحو

قوله: (دانت) خضعت. قوله: (فوجدتها عذراء) إذ القبطير كان عتيّاً. في المصباح: عذرة الجارية بكارتها، والجمع عُذر مثل غرفة وعُرف، وامرأة عذراء مثل حمراء، أي ذات عذرة، وجمعها عذارى بفتح الراء وكسرهما. اهـ. قوله: (بالحلي) في مختار الصحاح: الحَلْيُ حَلْيُ المرأة والجمع حُلْيٌ مثل ثدي وثُدْيٌ، وقد تكسر الحاء وقرئ: ﴿مِنْ حُلِيِّهِنَّ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٨] بضم الحاء وكسرهما. اهـ. قوله: (بالدُّور) جمع دار. قوله: (والعقار) بالفتح مخففاً الأرض والضّياع. قوله: (فأرسل يعقوب) على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام (بنيه ليمتاروا) لاستماعه أن ملك مصر بذل العطاء واجتهد في الكرم والندى.

قوله: (الزّي) اللباس والهيئة. اهـ مختار الصحاح. وفي المصباح: الزّي - بالكسر - الهيئة، وأصله زوي. اهـ.



قوم من أهل الشام (رعاة) أصابنا (الجهد) فجئنا نُمْتَار. فقال: لعلكم جئتم (عيوناً) تنظرون عورة بلادي. فقالوا: معاذ الله نحن بنو نبي حزين لَفَقْد ابن كان أَحَبَّنا إليه وقد أَمْسَك أَخا له من أمه يستأنس به فقال: اتنوني به إن صدقتم.

﴿وَلَمَّا حَضَرَهُمْ يَحْزَاهُمْ قَالِ اتَّنُونِي بِأَجْ نَكْم مِّنْ نَّيَكْمُ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَرَّوْدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَعْلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَلَمَّا حَضَرَهُمْ يَحْزَاهُمْ قَالِ﴾ أعطى كل واحد منهم جمل بعير، وقرىء بكسر الجيم شاذاً ﴿اتَّنُونِي بِأَجْ نَكْم مِّنْ نَّيَكْمُ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ﴾ أتمه ﴿وَلَمَّا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ كان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام على الرجوع إليه ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ فلا أبيعكم طعاماً ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ أي فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾ أو هو بمعنى النهي ﴿قَالُوا سَرَّوْدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سَخَّادَعه عنه ونحتال حتى نزرعه من يده ﴿وَإِنَّا لَفَعْلُونَ﴾ ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى. قال: فدعوا بعضكم رهناً، فتركوا عنده شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف.

﴿وَقَالَ لِفَتْنِيهِ أَجْعَلُوا بِضَعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقِلِبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَقَالَ لِفَتْنِيهِ﴾ كوفي غير أبي بكر «الفتيته» غيرهم، وهما جمع فتى كإخوة وإخوان في أخ، وفعلة للقلة، وفعلان للكثرة أي لغلمانة الكياليين ﴿أَجْعَلُوا بِضَعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ أوعيتهم وكانت نعالاً أو (أدماً) أو ورقاً وهو أليق (بالدس) في (الرحال)

قوله: (رعاة) بالضم جمع راعٍ مثل قاضٍ وقضاة. قوله: (الجهد) - بالفتح - المشقة. قوله: (عيوناً) جمع عين بمعنى الجواسيس<sup>(١)</sup>.

قوله: (أدماً) بفتحتين وبضمّتين أيضاً وهو القياس جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ. قوله: (بالدس) أي الإخفاء. قوله: (الرحال) جمع رحل وهو الوعاء

(١) بمعنى جاسوس.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ يعرفون حق ردها وحق التكريم بإعطاء البدلين ﴿إِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ (وفرغوا ظروفهم) ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا، أو ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون أو ما فيهم من الديانة يُعيدهم لرد الأمانة، أو لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنًا.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَتَابَنَا مُنْعٌ مِنَّا الْكِيدُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَمُ لَحْفَظُونَ﴾ ﴿١٣﴾

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ﴾ بالطعام وأخبروه بما فعل ﴿قَالُوا يَتَابَنَا مُنْعٌ مِنَّا الْكِيدُ﴾ يريدون قول يوسف: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْدَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ لأنهم إذا أُذِّدُوا بمنع الكيل فقد مُنِعَ الكيل ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ﴾ نرفع المانع من الكيل ونكُتِل من الطعام ما نحتاج إليه. («يكتل» حمزة وعلي) أي يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا ﴿وَإِنَّا لَمُ لَحْفَظُونَ﴾ عن أن يناله مكروه.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أنكم قلتم في يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ ﴿١٣﴾ كما تقولونه في أخيه ثم (ختمتم) بضمانكم فما يأمنني من مثل ذلك؟ ثم قال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ كوفي غير أبي بكر. فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم وهو حال أو تمييز، ومن قرأ ﴿حَفِظًا﴾ فهو تمييز لا غير. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأرجو أن يُنعم عليَّ بحفظه

الذي يجعل المسافرين أسبابه فيه. قوله: (وفرغوا ظروفهم) في المصباح: فرغ الشيء خلا ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أفرغته وفرغته. اهـ.

قوله: (يكتل) بالياء من تحت (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بالنون.

قوله: (ختمتم) من باب قال. قوله: ﴿حَفِظًا﴾ بفتح الحاء وألف بعدها وكسر الفاء كوفي غير أبي بكر، أي قرأه حفص وحمزة والكسائي وخلف، والباقون: ﴿حَفِظًا﴾ بكسر الحاء وسكون الفاء.

ولا يجمع عليّ مصيبتين. قال (كعب): لما قال ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ قال الله تعالى: وعزّتي وجلالي (لأردنّ عليك كليهما).

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَا مَا نَبِغِي هَذِهِ. بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ﴾ ﴿٦٥﴾

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَا مَا نَبِغِي﴾ «ما» للنفي (أي ﴿مَا نَبِغِي﴾ في القول) ولا تتجاوز الحق أو ما نبغي شيئاً وراء ما فعل بنا

**قوله:** (كعب) بن ماته الحميري، أبو إسحق المعروف بكعب الأحبار ثقة مُحَضَّرٌ أي أدرك الجاهلية والإسلام، من أهل اليمن، فسكن الشام مات في خلافة عثمان، وقد زاد على المائة؛ كذا في تقريب التهذيب. وفي كتاب تهذيب الأسماء: كعب بن ماته بالناء المثناة فوق هو كعب الأحبار التابعي المشهور مذكور في المختصر في جزاء الصّيد، وفي المذهب وآخر الاستسقاء: هو أبو إسحق كعب بن ماته بن هينوع، ويقال: هيسوع، ويقال: عمرو بن قيس بن معمر بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قَطَن بن عوف بن زهير بن أيمن بن جُمَيْر بن سبأ الحميري المعروف بكعب الأحبار، أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل: في خلافة عمر رضي الله تعالى عنهما، وصحب عمر وأكثر الرواية عنه، وروى أيضاً عن ضُهيّب. روى عنه جماعة من الصحابة، منهم ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو هريرة، وخلائق من التابعين منهم ابن المسيّب، وكان يسكن حمص ذكره أبو الدرداء فقال: إن عنده علماً كثيراً، واتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه، وكان قبل إسلامه على دين اليهود وكان يسكن اليمن، مات في خلافة عثمان سنة ثنتين وثلاثين، ودُفِنَ بحمص متوجّهاً إلى الغزو ويقال له: كعب الأحبار، وكعب الحبر - بكسر الحاء وفتحها - لكثرة علمه ومناقبه وأحواله وحكمه كثيرة مشهورة، انتهى بحروفه. **قوله:** (لأردنّ عليك كليهما) بعدما توكّلت عليّ.

**قوله:** (أي ﴿مَا نَبِغِي﴾ في القول) ... الخ. أي لا نكذب ولا نتعدّى فيما نتكلّم في وصفه مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال على أن البغي بمعنى التعدي لا بمعنى الطلب.

من الإحسان، أو ما نريد منك بضاعة أخرى، أو للاستفهام أي شيء نطلب وراء هذا؟ ﴿هَلْهِيَ يَصْنَعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ جملة مستأنفة موضحه لقوله: ﴿مَا بَعَى﴾ والجمل بعدها معطوفة عليها أي أن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ في رجوعنا إلى الملك أي نجلب له ميرة وهي طعام يُحمل من غير بلدك ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ في ذهابنا ومجئنا فما يصيبه شيء مما نخافه ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ نزداد (وسق بعير) باستصحاب أخينا ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ سهل عليه متيسر لا يتعاضمه.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ، إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ فَمَا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا﴾ (وبالياء: مكى) ﴿مَوْثِقًا﴾ عهدًا ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ والمعنى حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أي أراد أن يحلفوا له بالله. وإنما جعل الحلف بالله موثقاً منه لأن الحلف به مما يؤكد به العهد وقد أذن الله في ذلك فهو إذن له ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ﴾ جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتني به ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلا أن تغلبوا فلم تطبقوا الإتيان به فهو مفعول له، والكلام المثبت وهو قوله: ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ﴾ في تأويل النفي أي لا تمتنعوا من الإتيان به إلا للإحاطة بكم يعني لا تمتنعوا منه لعل من العلل إلا لعل واحدة وهو أن يحاط بكم، فهو استثناء من أعم العام في المفعول له. والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي فلا بد من تأويله بالنفي ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ قيل: حلفوا بالله رب محمد عليه السلام ﴿قَالَ﴾ بعضهم يسكت عليه لأن المعنى قال يعقوب: ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ من طلب الموثق وإعطائه ﴿وَكَيْلٌ﴾ (رقيب مطلع) غير أن (السكته) تفصل

قوله: (وسق بعير) أي جمل بعير.

قوله: (وبالياء) أي بإثبات الياء بعد النون وقفًا ووصلًا، (مكى) أي ابن كثير المكى، وقرأ أبو عمرو بإثبات الياء وصلًا لا وقفًا، وحذفها الباقون وقفًا ووصلًا. قوله: (رقيب مطلع) فسره به لأن الوكيل بالأمر يراقبه ويحفظه، فالمراد لازمه؛ إذ معنى الوكيل وهو القائم بأمر عباده ليس يناسب هنا، وإنما عبر به للمبالغة في الحفظ؛ إذ الوكالة نوع التزام إياه بخلاف المراقبة، وذكر المطلع للتنبيه على أن الرقيب بمعنى العليم. اهـ قنوي. قوله: (السكته) وقفة

بين القول والمَقول وذا لا يجوز، فالأولى أن يُفَرَّقَ بينهما بالصوت فيقصد بقوة النعمة اسم الله .

﴿وَقَالَ يَبْنَئِ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَوْبٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٦٧)

﴿وَقَالَ يَبْنَئِ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَوْبٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ الجمهور على أنه خاف عليهم (العين) لجمالهم وجلالة أمرهم ولم يأمرهم بالتفرق في الكثرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين في الكثرة الأولى، فالعين حق عندنا وجوده بأن يحدث الله تعالى عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصاناً فيه وخللاً، وكان النبي ﷺ يعوذ (الحسن والحسين) رضي الله عنهما فيقول: «أعيذكما (بكلمات الله التامة) من كل (هامة) ومن كل عين (لامّة) وأنكر (الجبائي) العين وهو مردود بما ذكرنا.

لطيفة من غير تنفس، كذا في المنح الفكرية في شرح الجزرية لملا علي القاري رحمه الله تعالى.

**قوله:** (العين) أي إصابة العين. **قوله:** (الحسن) بن علي بن أبي طالب الهاشمي سبط رسول الله ﷺ وريحانته. وقد صحبه وحفظ عنه، مات شهيداً بالسم سنة تسع وأربعين، وهو ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل بعدها. **قوله:** (والحسين) بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله ﷺ وريحانته حفظ عنه، استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة.

**قوله:** (بكلمات الله التامة) المراد بكلمات الله: كتبه المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام. **قوله:** (هامة) واحدة الهوام، وهي الحيات وكل ذي سم يقتل. وأما ما لا سم له يقتل، فهو السّوام وواحدتها سامة؛ كالعقرب والزنبور، وقد تقع الهوام على كل ما يدب من الحيوان. **قوله:** (لامّة) اللامة الملمّة من ألّمت به، أي نزلت وجيء بها على فاعلة، ولم يقل: ملمّة؛ لازدواج هامة، ويجوز أن تقال على ظاهرها بمعنى جامعة للشر على المعيون من لّمه يلمّه إذا جمعه، يقال: إن دارك تلمّ الناس، أي تجمعهم. **قوله:** (الجبائي) بضم الجيم وتخفيف الباء وتشديدها منسوب إلى الجباء، وهي قرية من قرى البصرة، وهو أبو

وقيل: إنه أحب أن لا يفتن بهم أعداؤهم فيحتالوا لإهلاكهم ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مَوْلَىٰ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي إن كان الله أراد بكم سوءاً لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم (لا محالة) ﴿إِنَّ الْعَالَمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْذُوبُ قَضْنَهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَمٍ لِّمَا عَلَّمَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨﴾

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي متفرقين ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ دخولهم من أبواب متفرقة ﴿مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي شيئاً قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم واقتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الضواع في رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم ﴿إِلَّا حَاجَةٌ﴾ استثناء منقطع أي ولكن حاجة ﴿فِي نَفْسٍ يَعْذُوبُ قَضْنَهَا﴾ وهي شفقتة عليهم ﴿وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَمٍ﴾ يعني قوله: وما أغني عنكم وعلمه بأن (القدر) لا يغني عنه (الحذر) ﴿لِّمَا عَلَّمْتَهُ﴾ لتعليمنا إياه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ضم إليه بنيامين. وروى أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم: أحسنت فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه فقال يوسف: بقي أخوكم وحيداً فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال: ومن يجد

علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام - بتخفيف اللام - كان شيخ المعتزلة، وُلد في سنة خمس وثلاثين ومائتين، وتوفي في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة. قوله: (لا محالة) بضم الميم وفتحها.

قوله: (القدر) في مختار الصحاح: القدر والقدر أيضاً ما يقدره الله تعالى من القضاء. اهـ. قوله: (الحذر) في مختار الصحاح: الحذر والحذر: التحرز.

أَخَا مِثْلِكَ وَلَكِنْ لَمْ يَلِدْكَ يَعْقُوبُ وَلَا رَاحِيلُ فَبَكَى يُوسُفُ وَعَانَقَهُ ثُمَّ ﴿قَالَ﴾ لَهُ ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ يُوسُفُ ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فَلَا تَحْزَنْ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بِنَا فِيمَا مَضَى فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَجَمَعَنَا عَلَى خَيْرٍ وَلَا تُعْلِمُهُمْ بِمَا أَعْلَمْتِكَ. وَرُويَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: فَأَنَا لَا أَفَارِقُكَ. قَالَ: لَقَدْ عَلِمْتَ اغْتِمَامَ وَالِدِي بِي فَإِنْ (حَبَسْتُكَ) أَزْدَادَ غَمِّهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَسْبِكَ إِلَى مَا لَا يَحْمَدُ. قَالَ: لَا أَبَالِي فَا فَعَلْ مَا بَدَأَ لَكَ. قَالَ: فَإِنِّي أَدَسُّ صَاعِي فِي رَحْلِكَ ثُمَّ أَنَادِي عَلَيْكَ بِأَنَّكَ سَرَقْتَهُ لِيْتَهَيَّأَ لِي رَدُّكَ بَعْدَ تَسْرِيحِكَ مَعَهُمْ فَقَالَ: افْعَلْ.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ ﴿٧١﴾

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ هَيَّأَ أَسْبَابَهُمْ وَأَوْفَى الْكَفِيلَ لَهُمْ ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ السَّقَايَةُ هِيَ (مَشْرَبَةٌ) يُسْقَى بِهَا وَهِيَ الصَّوَاعُ. قِيلَ: كَانَ يُسْقَى بِهَا الْمَلِكُ ثُمَّ جُعِلَتْ صَاعًا يُكَالُ بِهِ لَعَزَةُ الطَّعَامِ وَكَانَ يَشْبَهُ (الطَّاسُ) مِنْ فِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ أَذْنَهُ أَيَّ أَعْلَمَهُ، وَأَذَّنَ: أَكْثَرَ الْإِعْلَامَ، وَمِنْهُ الْمُؤَذِّنُ لِكَثْرَةِ ذَلِكَ مِنْهُ. رُويَ أَنَّهُمْ ارْتَحَلُوا وَأَمْهَلَهُمْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى انْطَلَقُوا ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَأَدْرَكُوا وَحَبَسُوا ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ هِيَ الْإِبِلُ الَّتِي عَلَيْهَا الْأَحْمَالُ لِأَنَّهَا تُعِيرُ أَيَّ تَذْهَبُ وَتُجِيءُ وَالْمُرَادُ أَصْحَابَ الْعِيرِ ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ كُنَايَةٌ عَنْ سَرَقَتِهِمْ إِيَّاهُ مِنْ أَبِيهِ.

﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٣﴾

﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ ﴿هـ﴾ الصَّاعُ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ يَقُولُهُ الْمُؤَذِّنُ يَرِيدُ وَأَنَا

قوله: (حَبَسْتُكَ) مِنْ بَابِ ضَرْبٍ.

قوله: (مَشْرَبَةٌ) بِكسر الميم إِنْاء يُشْرَبُ بِهِ. وَأَمَّا الْمَشْرَبَةُ - بِفَتْحِ الميم - فَهُوَ مَعْنَى الْغُرْفَةِ، كَذَا فِي شَرْحِ الْكَشَافِ، وَهُوَ الْقِيَاسُ. وَقَدْ نَقَلَ فِي الْأَوَّلِ الْفَتْحَ لِكُونِهِ مُحَلًّا لِلْمَاءِ الْمَشْرُوبِ، وَهَذَا وَإِنْ صَحَّ لَكِنْ اعْتِبَارُ كُونِهِ آلَةً لِلشَّرْبِ أَوْلَى. اهـ. قنوي. قوله: (الطَّاسُ) الَّذِي يُشْرَبُ فِيهِ.

بحمل البعير كفيل أؤديه إلى مَنْ جاء به وأراد وسق بغير من طعام (جعلاً) لِمَنْ حصَّله.

﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (٧٣) ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٧٤) ﴿قَالُوا حَزْؤُهُ مِنْ وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧٥)

﴿قَالُوا تَأَلَّه﴾ (قسم فيه معنى التعجب) مما أضيف إليهم ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحلهم مشدودة لثلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق، ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ وما كنا نُوصَف قط بالسرقة ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ الضمير للضواع أي فما جزاء سرقة ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في جحودكم وادعائكم البراءة منه ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مِنْ وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ﴾ أي جزاء سرقة أخذ من وَجْدٍ في رَحْلِهِ، وكان حُكَم السارق من آل يعقوب أن يُسَرَّقَ سنة فلذلك استفتوا في جزائه. وقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ تقرير للحكم أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير، أو ﴿جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي السُّرَّاق بالاسترقاق.

قوله: (جعلاً) - بالضم - ما يُجعل للشخص في مقابلة عمله.

قوله: (قسم فيه معنى التعجب) أي يلازمه التعجب غالباً، ومنه قوله تعالى: ﴿تَأَلَّه تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يَوْسُفُ﴾ [يوسف: الآية ٨٥]، والمعنى: ما أعجب حالكم أنتم تعلمون علماً حالياً لا رَيْب فيه لما شاهدتم من أحوالنا أننا بريئون مما تنسبونه إلينا، فكيف تقولون لنا إنكم لسارقون؟

قوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ محل الكاف النصب على النعت لمصدر محذوف، أي نجزي السارقين جزاء مثل ذلك، والإشارة إلى الحكم، وهو من كلام إخوة يوسف صلى الله على نبينا وعليه وسلم، أي هذا شرعنا في جزاء السارق.



﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِيسَىٰ﴾ ﴿٧٦﴾

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال: ما أظن هذا أخذ شيئاً فقالوا: والله لا نتركه حتى ننظر في رَحْله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي الصُّوعاء ﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ ذكر ضمير الصُّوعاء مرات ثم أنه لأن التأنيث يرجع إلى السقاية، أو لأن الصُّوعاء يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ.

الكاف في ﴿كَذَلِكَ﴾ (في محل نصب) أي مثل ذلك الكيد العظيم ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ (يعني علمناه إياه) ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ (تفسير للكيد وبيان له) لأن الحكم في دين الملك أي في سيرته للسلطان أن يُعَرِّمَ مثلي ما أخذ لا أن يُسْتَعْبَدَ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي ما كان ليأخذه إلا بمشيئة الله وإرادته فيه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ﴾ (بالتنوين: كوفي) ﴿مَنْ نَّشَاءُ﴾ أي في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه

قوله: (في محل نصب) على أنه نعت لمصدر محذوف، أي كدنا له كيداً مثل ذلك الكيد العظيم، يعني علمناه إياه وأوحينا به إليه. قوله: (يعني علمناه إياه) فسر الكيد المسند إليه تعالى بالتعليم والإيحاء؛ لأن حقيقة الكيد مستحيل في حقّه تعالى، وذلك لأن الكيد عبارة عن المكر والخديعة، وهو أن تُوهَمَ غيرك خلاف ما تُخفيه، فهو في حقّ الله تعالى محمول على التمثيل، فإنّ صورة صنع الله تعالى في تعليم يوسف عليه الصّلاة والسلام أن لا يحكم على إخوته حكم الملك، وهو أن يضرب السارق ويغرمه مثلي ما أخذه، بل يحكم عليهم على سُنن مذهبهم وهو أن يستعبد السارق سنة صورة صنع مَنْ يُوهَمَ الغير خلاف ما يخفيه؛ لأن مقصود يوسف عليه الصّلاة والسلام إيواء أخيه إليه، وكان لا يتم ذلك إلا بهذه الحيلة، ولما كان قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ هو عين الكيد قال المصنّف رحمة الله عليه: (تفسير للكيد وبيان له). قوله: (بالتنوين) أي بتنوين التاء (كوفي) أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي، والباقون بغير تنوين على الإضافة.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ فَوْقَهُ أَرْفَعُ دَرَجَةً مِنْهُ فِي عِلْمِهِ أَوْ فَوْقَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهِمْ عَلِيمٌ هُمْ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَفَ يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ . وَلَمْ يَدِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أرادوا يوسف . قيل : دخل (كنيسة) فأخذ تمثالاً صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه . وقيل : كان في المنزل (دجاجة) فأعطاهما السائل . وقيل : كانت (منطقة) لإبراهيم عليه السلام يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحاق . ثم وقعت إلى ابنته - وكانت أكبر أولاده - (فحضنت) يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه ، فلما (شَبَّ) أراد يعقوب أن ينزعه منها (فعمدت) إلى المنطقة (فحضنتها) على يوسف تحت ثيابه وقالت : فَقَدْتُ مِنْطَقَةَ إِسْحَاقَ فَانظُرُوا مَنْ أَخَذَهَا ، فوجدوها (مجزومة) على يوسف ، فقالت : إنه لي سَلَمٌ أَفْعَلُ بِهِ مَا شِئْتُ فَخَلَاهُ يَعْقُوبُ عِنْدَهَا حَتَّى مَاتَ . وَرُوي

قوله : (كنيسة) في المصباح : الكنيسة متعبد اليهود ، وتُطلق أيضاً على متعبد النصراني معربة . اهـ . قوله : (دجاجة) في مختار الصحاح : الدجاجة معروف وفتح الدال أفصح من كسرهما ، الواحدة دجاجة ذكر أو أنثى ، والهاء للإفراد كحمامة وبطة . اهـ . قوله : (منطقة) بالكسر ما يُشَدُّ في الوسط . قوله : (فحضنت) في مختار الصحاح : الحَضْنُ ما دون الإبط إلى الكشح ، وحَضَنَ الطائر بيضه من باب نصر ودخل إذا ضَمَّهُ إلى نفسه تحت جناحه ، وحضنت المرأة ولدها حضانة أي جعلته في حضنها وحضانة الصبي التي تقوم عليه في تربيته . اهـ . قوله : (شَبَّ) في المصباح : شَبَّ الصبي يشب من باب ضرب شباباً وشبيبة وهو شاب ، وذلك سرَّ قبل الكهولة . اهـ . وأيضاً فيه : الكهل مَنْ جاوز الثلاثين ، وخطه<sup>(١)</sup> الشَّيب ، وقيل : مَنْ بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ . اهـ . قوله : (فعمدت) في المصباح : عمدت للشئ عمداً من باب ضرب ، وعمدت إليه قصدت . اهـ . قوله : (فحضنتها) من باب ضرب : أي فشَدَّتها . قوله : (مجزومة) أي مشدودة .

(١) قوله : وخطه الشَّيب كوعده خالطه . اهـ قاموس . ١٢ منه عم فيضهم .

أنهم لما استخرجوا الصّاع من رَحْلِ بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له: (فضحتنا) وسَوَدَّتْ وجوهنا يا بني راحيل، ما يزال لنا منك بلاء، متى أخذت هذا الصّاع؟ فقال بنو راحيل الذين لا يزال منك عليهم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصّواع في رَحْلِي الذي وضع البضاعة في رَحَالِكُمْ ﴿فَاسْرَهَا﴾ أي مقالتهم إنه سرق كأنه لم يسمعها ﴿يُوشَعُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ تمييز أي أنتم شرّ منزلة في (السرق) لأنكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ تقولون أو تكذبون.

﴿قَالُوا يَتَّيِبُهَا لَمَرْزُؤِنَا لَهُ بَأْسٌ شَدِيدٌ فَحِذْ أَحَدًا مَكْنَهُ﴾ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا تُطْلَمُونَ ﴿٧٩﴾

﴿قَالُوا يَتَّيِبُهَا لَمَرْزُؤِنَا لَهُ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ في السن (وفي القدر) ﴿فَحِذْ أَحَدًا مَكْنَهُ﴾ أبدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد فإن أباه يتسلى به عن أخيه المفقود ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلينا فأتيم إحسانك أو من عادتكَ الإحسان فأجر على عادتكَ ولا تغيّرْها ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ﴾ أي نعوذ بالله معاذًا من أن نأخذ فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من ﴿إِنَّا إِذَا تُطْلَمُونَ﴾ «إِذَا» جواب لهم وجزاء لأن المعنى إن أخذنا بدلَه ظلمنا، وهذا لأنه وجب على قضية فتواكم أخذ مَنْ وُجِدَ الصّاع في رَحْلِهِ واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلمًا في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم.

قوله: (فضحتنا) في مختار الصحاح: فضحه فافتضح، أي كشف مساوئه، وبابه قطع والاسم الفضيحة والفُضُوحَةُ أيضًا بضمّتين. اهـ. قوله: (السرق) بفتحيتين.

قوله: (وفي القدر) لأنه نبيّ من أولاد الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام.

﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَتَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِیَ أَيْنَ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا﴾ ينسوا (وزيادة السين والتاء للمبالغة) كما مر في ﴿استعصم﴾. ﴿مِنْهُ﴾ من يوسف وإجابته إياهم ﴿خَلَصُوا﴾ انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم ﴿نَجِيًّا﴾ ذوي نجوى أو فوجًا نجيا أي مُنَاجِيًا لِمُنَاجَاة بعضهم بعضًا. (أو تمحضوا تناجيا) لاستجماعهم لذلك وإفاضتهم فيه بجِدِّ واهتمام كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته.

فالنَجْيَ يكون بمعنى المُنَاجِي كالسمير بمعنى المسامر، وبمعنى المصدر الذي هو التناجي وكان تناجيهم في تدبير أمرهم على أي صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السن وهو روبيل، أو في العقل والرأي وهو يهوذا، أو رئيسهم وهو شمعون ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ «ما» (صلة) أي ومن قبل هذا قَصَرْتُمْ في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم، أو مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ فلن أفارق أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِیَ أَيْنَ﴾ في الانصراف إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بالخروج منها أو بالموت (أو بقتالهم) ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأنه لا يحكم إلا بالعدل.

قوله: (وزيادة السين والتاء للمبالغة)، فإن السين للطلب؛ فتدلّ على أنهم كانوا في يأس، وهو انتفاء الطمع، فطلبوا من أنفسهم الزيادة على ما هم فيه، وبناء استفعل بمعنى المجزّد إلا أنه أبلغ منه.

قوله: (أو تمحضوا تناجيا) أي انفردوا عن الناس، فصاروا بحيث لا يخالطهم سواهم كائنين تناجيًا محضًا. قوله: (صلة) أي مزيدة. قوله: (أو بقتالهم) فأقاتلهم حتى أسترّد أخي.

﴿أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١) وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعٌ إِنَّهُمْ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾

﴿أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ﴾ (وقرىء «سرق») أي نسب إلى السرقة ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه بالسرقة ﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ من سرقة وتيقنا إذ الصواع استخرج من وعائه ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يعني مصر أي أرسل إلى أهلها فاسألهم عن (كنه القصة) ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْلْنَا فِيهَا﴾ وأصحاب العير وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا فرجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أردتموه وإلا فمَنْ أدرى ذلك الرجل أن السارق يسترق لولا فتواكم وتعليمكم ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعٌ﴾ بيوسف وأخيه وكبيرهم ﴿إِنَّهُمْ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالي في الحزن والأسف ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لم يتلني بذلك إلا لحكمة.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَابْتِصَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤) ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ وأعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به ﴿وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَىٰ يَوْسُفَ﴾ أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه. (والألف بدل من ياء الإضافة،

قوله: (وقرىء «سرق») بالتشديد هذه القراءة منقولة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. وليست بمتواترة.

قوله: (كنه القصة) في المصباح: كنه الشيء حقيقته ونهايته وعرفته كنه المعرفة، والكنه الغاية، والكنه الوقت. قال الشاعر:

فإن كلام المرء في غير كنهه

أي: غير وقته، ولا يُشتَق منه فعل. اهـ.

قوله: (والألف بدل من ياء الإضافة)، والأصل: يا أسفي ففتحت الفاء وصيرت الياء ألفاً طلباً للتخفيف؛ لأن الفتحة والألف أخف من الكسرة والياء،

والتجانس بين الأسف ويوسف غير متكلف ونحوه: ﴿ثَأَلْتُمُ إِلَى الْأَرْضِ  
أَرْضِيْتُمْ﴾ [التوبة: الآية ٣٨]، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية ٢٦]،  
﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٤]، ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ [النمل: الآية ٢٢]. وإنما تأسف دون أخيه وكبيرهم لتمادي أسفه على يوسف دون الآخرين،  
وفيه دليل على أن (الرزء) فيه مع (تقادم) عهده كان (غضًا) عنده طريًا ﴿وَأَيُّضْتُ  
عَيْنَاهُ﴾ (إذ أكثر الاستعبار ومحقت العبرة) سواد العين وقلبته إلى بياض كدر.

وليحصل امتداد الصوت الذي هو المقصود في الندامة، ونداء مثل الأسف والحسرة  
مجاز، والمقصود إنشاء التأسف والتحرز لتحقيق ما يُوجبهما، وقوة ما يدعو إليهما  
من الأسباب والعلل؛ كأنه يقول: هذا أوانك أيها الأسف فاحضر. اهـ شيخ زاده  
رحمته. قوله: (والتجانس بين) لفظتي (الأسف ويوسف) مما يقطع مطبوعًا (غير  
متكلف) أي غير متعمل فيملح ويبدع (ونحوه: ﴿ثَأَلْتُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ﴾،  
﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية ٢٦]، و﴿يَحْسَبُونَ﴾ [الكهف: الآية ١٠٤])  
يظنون ﴿يَنْهَوْنَ يَحْسَبُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٤]، ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ [النمل: الآية ٢٢].  
قوله: ﴿ثَأَلْتُمُ﴾ بإدغام التاء في الأصل في المثلثة واحتلاب همزة  
الوصل، أي تباطأتم وملتئم عن الجهاد إلى الأرض والقعود فيها. قوله: ﴿وَهُمْ  
يَنْهَوْنَ﴾ الناس ﴿عَنْهُ﴾ أي عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَنْتَوْنَ﴾ يتابعدون ﴿عَنْهُ﴾  
فلا يؤمنون به. قوله: و﴿يَحْسَبُونَ﴾ يظنون ﴿يَنْهَوْنَ يَحْسَبُونَ صُنْعًا﴾ عملاً يُجازون  
عليه. قوله: ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ بالصرف وتركه قبيلة باليمن سُميت باسم جد لهم  
وباعتباره صرف ﴿سَبِيلٍ﴾ بخبر.

قوله: (الرزء)<sup>(١)</sup> بضم الراء وسكون الزاي المعجمة وبالهزمة وهو المصيبة.  
قوله: (تقادم) في مختار الصحاح: قَدُم الشيء بالضم قَدَمًا بوزن عَنَب فهو قديم  
وتقادم مثله. اهـ. قوله: (غضًا) في مختار الصحاح: شيء غَضَّ وَغَضِيضُ أي  
طَرِيّ. اهـ. وأيضًا فيه شيء طَرِيّ بَيْنَ الطَّارَةِ. اهـ. قوله: (إذ أكثر الاستعبار  
ومحقت العبرة) في مختار الصحاح: العبرة - بالفتح - تحلب الدمع، وغير الرجل  
والمرأة والعين من باب طَرِبَ، أي جرى ذمعه. والنعت في الكل عابر،

وقيل: قد (عمي) بصره. وقيل: كان قد يدرك إدراكًا ضعيفًا ﴿مِنَ الْحُزَنِ﴾ لأن الحزن سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن. قيل: ما جفت عيننا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عامًا وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب، ويجوز للنبي عليه السلام أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لأن الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الحزن (فلذلك حمد صبره، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم)، وقال: «القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنّا عليك يا إبراهيم لمحزونون».

وإنما المذموم (الصياح والنياحة ولطم الصدور) والوجوه (وتمزيق الثياب) ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم ففعل بمعنى

واستعبرت<sup>(١)</sup> عينه أيضًا، والغبران الباكي. اهـ. قوله: (عمي) من باب صدي<sup>(٢)</sup>. قوله: (فلذلك حمد صبره) وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن. قوله: (ولقد بكى رسول الله ﷺ) حديث صحيح أخرجه الشيخان عن أنس ؓ. قوله: (على ولده إبراهيم) أبناء النبي ﷺ ثلاثة: القاسم وبه يُكنى؛ إذ هو أول أولاده عاش ستين ومات قبل البعثة بمكة، وعبد الله وهو الطيب الطاهر مات في الرضاع بعد البعثة ودُفن بمكة، وهما من خديجة رضي الله تعالى عنها؛ وإبراهيم من مارية القبطية، وُلد في ذي الحجة في ثمان من الهجرة عق عنه عليه السلام بكبشين يوم سابع ولادته وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدُفن في الأرض ومات في الرضاع، وهو ابن ثمانية عشر شهرًا ودُفن بالبقيع. قوله: (الصياح) في المصباح: صاح بالشيء يصيح به صيحة وصياحًا صرخ. اهـ. وفي مختار الصحاح: الصياح الصوت، وقد صاح يصيح صيحًا وصيحة وصياحًا - بكسر الصاد وضمها - وصيحيانًا - بفتح الياء - والمصايحة والتصايح أن يصيح القوم بعضهم ببعض. اهـ. قوله: (النياحة) في مختار الصحاح: ناحت المرأة من باب قال، ونياحًا - بالكسر - والاسم النياحة. قوله: (ولطم الصدور) أي ضربها بباطن الكف، وبابه ضرب. قوله: (وتمزيق الثياب) في

(١) أي دمت. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) الصدى العطش. قد صدى بالكسر صدى فهو ضد وضديان وامرأة صدياء. اهـ مختار الصحاح. ١٢ منه عم فيضهم.

مفعول بدليل قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: الآية ٤٨] (من كظم السقاء) إذا شده على ملته.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥)  
 قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرَيْرٍ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا﴾ أي لا تفتأ (فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس) إذ لو كان إثباتاً لم يكن بُد من اللام والنون. ومعنى لا تفتأ لا تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ (مُشْفِيًا عَلَى الْهَالِكِ) مرضاً ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرَيْرٍ إِلَى اللَّهِ ﴿الْبَيْتُ أَصْعَبُ الْهَمِّ الَّذِي لَا يَصِيرُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ﴾ (فيثته) إلى الناس أي ينشره أي لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى الله ربي داعياً له ومُلْتَجِئًا إِلَيْهِ (فخلوني وشكايتي). وَرُوي أَنَّهُ أَوْحَى إِلَى يَعْقُوبَ: (إنما وجدت عليكم) لأنكم ذبحتُم شاة فوقف ببابكم مسكين فلم تُطعموه وإن أحبب خلقي إليَّ الأنبياء ثم المساكين فأصنع طعاماً وأدعُ عليه المساكين. وقيل: اشترى

المصباح: مَزَقَتِ الثوب مَرْقًا من باب ضرب شققته، ومَزَقْتَهُ بِالتثْقِيلِ فتمزق. اهـ.  
 قوله: (من كظم السقاء) إذا شده على ملته، فإنه إذا شد فم السقاء يكون ما فيه مستورًا مخفيًا. في مختار الصحاح: السَّقاء يكون لِلْبَنِّ وَالْمَاءِ، وَالْقُرْبَةِ لِلْمَاءِ خَاصَّةً. اهـ. قوله: (فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس) بالإثبات، و﴿تَفْتَوْا﴾ ههنا جواب القسم في قوله: ﴿تَاللَّهِ﴾ [يوسف: الآية ٧٣]، وتقديره: لا تفتأ ويدل عليه، أي على حذف حرف النفي فيه أنه لو كان مثبتًا لكان بلام الابتداء ونون التوكيد معًا عند البصريين، نحو: والله ليفعلن، أو بأحدهما عند الكوفيين؛ فلو قيل: والله أحبك، كان المراد لا أحبك، وهو من قبيل التورية، فإن كثيرًا من الناس يتبادر ذهنهم منه إلى إثبات المحبة، وليس كذلك، فظهر أن المعنى: لا تفتأ. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (مُشْفِيًا عَلَى الْهَالِكِ) أي مشرفًا عليه وقريبًا منه. قوله: (فيثته) من باب رد. قوله: (فخلوني وشكايتي) الواو بمعنى مع. قوله: (إنما وجدت عليكم) في المصباح: وجدت عليه مَوْجِدَةٌ غَضَبٌ. اهـ. وفي لسان العرب: وَجَدَ عَلَيْهِ فِي الْغَضَبِ يَجِدُ وَيَجِدُ وَجْدًا وَجْدَةً وَمَوْجِدَةٌ وَوَجْدَانًا غَضَبٌ، وفي حديث الإيمان:



جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى غميت ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وأعلم من رحمته أنه يأتيني (بالفرج) من حيث لا أحسب، وزوي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله: هل (قبضت) روح يوسف؟ فقال: لا والله هو حي فاطلبه وعلمه هذا الدعاء «يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معرفه أبد ولا يحصيه غيرك فرج عني».

﴿يَبْنَئِ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأَيَّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضَّرُّ وَحُشْنَا بِضَعَةٍ مُزْنَحَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿يَبْنَئِ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الإحساس وهو المعرفة ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه ﴿إِنَّهُ﴾ إن الأمر والشأن ﴿لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ لأن من آمن يعلم أنه متقلب في رحمة الله ونعمته، وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا قلبه في نعمته فيياس من رحمته، فخرجوا من عند أبيهم راجعين إلى مصر ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ على يوسف ﴿قَالُوا يَتَأَيَّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضَّرُّ﴾ (الهزال) من الشدة والجوع ﴿وَحُشْنَا بِضَعَةٍ مُزْنَحَةٍ﴾ مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من أزجته إذا دفعته وطرده. وقيل: كانت (دراهم زيوفاً) لا تؤخذ إلا (بوضيعة). وقيل: كانت صوفاً و(سمناً) ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ الذي هو حقناً ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾

«إني أسألك فلا تجذ علي»، أي لا تغضب من سؤالي، ومنه الحديث: «لم يجد الصائم على المفطر»، انتهى. قوله: (بالفرج) في المصباح: فرج الله الغم - بالتشديد - كشفه، والاسم الفرغ - بفتحيتين - وفرجه فرجاً من باب ضرب لغة. اهـ. قوله: (قبضت) بابه ضرب.

قوله: (الهزال) نقيض السمن. قوله: (دراهم زيوفاً) في المصباح: زافت الدراهم تزيف زيفاً من باب سار رذات، ثم وصف بالمصدر فقيل: درهم زيف، وجمع على معنى الاسمية، فقيل: زيوف مثل فلس وفلوس. اهـ. أي دراهم معيبة. قوله: (بوضيعة) في لسان العرب: الوضيعة الخسارة. اهـ. قوله: (سمناً) في المصباح: السمن ما يُعمل من لبن البقر والغنم، والجمع سُمْنان مثل ظهر وظهران

وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا أو هب لنا أخانا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصِفِينَ﴾ ولما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه وطلبوا منه أن يتصدق عليهم (ارفضت عيناه) ولم يتمالك أن عرفهم نفسه حيث قال:

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ يُّوسُفُ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨٩) ﴿قَالُوا أَيْئَلَيْكَ لَأَنَّتَ يُّوسُفُ قَالَ أَنَا يُّوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْرِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٠)

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ يُّوسُفُ﴾ أي هل علمتم قُبْح ما فعلتم بيوسف ﴿وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ لا تعلمون قبحه أو إذ أنتم في حدّ (السفه والطيش) وفعلهم بأخيه تعريضهم إياه للغم بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وإيذاؤهم له بأنواع الأذى ﴿قَالُوا أَيْئَلَيْكَ﴾ (بهمزتين: كوفي وشامي) ﴿لَأَنَّتَ يُّوسُفُ﴾ اللام لام الابتداء ﴿وَأَنْتَ﴾ مبتدأ و﴿يُّوسُفُ﴾ خبره، والجملة خبر «إن» ﴿قَالَ أَنَا يُّوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾

وبطن وبطنان. اهـ. قوله: (ارفضت عيناه) في لسان العرب: ارفض الدمع ارفضاضاً وترفض سال وتفرق وتتابع سيلانه وقطرانه، ورفض دمعاً ارفضاضاً إذا نهلاً متفرقاً، وارضاض الدمع ترششهُ. اهـ.

قوله: (السفه) نقص في العقل، وأصله الخفة. اهـ مصباح. قوله: (الطيش) الخفة. اهـ مصباح. قوله: (بهمزتين كوفي) أي عاصم وحمة والكسائي، (وشامي) أي ابن عامر الشامي. عبارة الخطيب: قرأ ابن كثير بهمزة مكسورة بعدها نون على الخبر، وقرأ قالون<sup>(١)</sup> وأبو عمرو بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة مسهلة بينهما ألف على الاستفهام، وقرأ ورش<sup>(٢)</sup> بغير ألف بينهما والتسهيل في الثانية على الاستفهام أيضاً. وقرأ الباقون بتحقيق الهمزتين مع القصر، ولهشام<sup>(٣)</sup> وجه ثانٍ وهو المد، انتهت بحروفها. وعبارة كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، وقرأ: ﴿أَيْئَلَيْكَ لَأَنَّتَ يُّوسُفُ﴾ بهمزة واحدة ابن كثير وأبو جعفر، والباقون بهمزتين على الاستفهام التقريري. وهم على أصولهم. فقالون وأبو عمرو بتسهيل

(١) يُروى عن نافع ١٢.

(٢) يُروى عن ابن عامر الشامي. ١٢ منه عم فيضهم.

وإنما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه ﴿قَدْ مَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالألفة بعد الفرقة وذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالملامة ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ الفحشاء ﴿وَيَصْرِ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين. وقيل: من يتق مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع أجره في دنياه وعقباه.

﴿قَالُوا تَنْتَهَوُا لَقَدْ عَازَّكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ يَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)

﴿قَالُوا تَنْتَهَوُا لَقَدْ عَازَّكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ وإن شأنا وحالنا أننا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لا جزم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾ لا تعيير عليكم ﴿الْيَوْمَ﴾ متعلق بالثريب أو بـ ﴿يَعْفُرُ﴾ والمعنى لا أثر بكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة الثريب فما ظنكم بغيره من الأيام! ثم ابتداء فقال: ﴿يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم. يقال: غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضي والمضارع، أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله. ورؤي أن رسول الله ﷺ أخذ (بعضادتي باب الكعبة) يوم الفتح فقال لقريش: «ما ترونني فاعلًا بكم»؟ قالوا: نظن خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم، وقد (قدرت). فقال: «أقول ما

الثانية مع الفصل بالألف، وورش ورؤيس<sup>(١)</sup> كذلك لكن بلا فصل، وقرأ الحلواني من مشهور طرقة عن هشام، وكذا الشذائي عن الداجوني بالتحقيق مع الفصل، وقرأ الداجوني غير الشذائي عنه بالتحقيق بلا فصل، وبه قرأ الباقر، انتهت بحروفها.

قوله: (بعضادتي باب الكعبة) في المصباح: العضادة - بالكسر - جانب العتبة من الباب. اهـ. قوله: (قدرت) في المصباح: قدرت على الشيء أقدر من

(١) يروى عن يعقوب. ١٢ منه عم فيضهم.

قال أخى يوسف لا تثريب عليك اليوم». ورؤي أن (أبا سفيان) لما جاء ليسلم قال له (العباس): إذا أتيت رسول الله فاتل عليه ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ ففعل فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك ولمن علمك». ويروى أن إخوته لما عرفوه أرسلوا إليه أنك تدعوننا إلى طعامك بكرة وعشيًا ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك. فقال يوسف: إن أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنهم ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدًا بيع بعشرين درهمًا ما بلغ. ولقد (شرفت) الآن بكم حيث علم الناس أنني من (حفدة) إبراهيم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي إذا رحمتكم وأنا الفقير (القتور) فما ظنكم بالغني الغفور؟ ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا: إنه غمي من كثرة البكاء قال:

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُوبُ بِأَمْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣)

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ قيل: هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف. وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مُبْتَلًى ولا سقيم إلا غوفي ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يصر بصيرًا. تقول: جاء البناء محكمًا أي صار، أو يأت إلي وهو بصير. قال يهوذا: أنا أحمل قميص

باب ضرب قويت عليه وتمكنت منه، والاسم القدرة والفاعل قادر وقدير. اهـ. وفي مختار الصحاح: قدر على الشيء قُدْرَةً وَقُدْرَانًا أَيضًا بضم القاف وقدر يقدر لغة فيه كعلم يعلم. اهـ. قوله: (أبا سفيان) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي صحابي مشهور أسلم عام الفتح، ومات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل بعدها .

قوله: (العباس) بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ مشهور، مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها، وهو ابن ثمان وثمانين رضي الله تعالى عنه. قوله: (شرفت) مبني للمفعول من التشريف. قوله: (حفدة) - بفتح الحاء - أولاد أولاد. في المصباح: حفد حفدًا خدم فهو حافد، والجمع حفدة. مثل كافر وكفرة، ومنه قيل للأعوان حفدة، وقيل لأولاد الأولاد حفدة؛ لأنهم كالخدام في الصغر. قوله: (القتور) في المصباح: قتر على عبائه قترًا وقتورًا من بابي ضرب وقعد ضيق في النفقة وأقتر إقتارًا وقتر تقيرًا مثله. اهـ.

الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء. وقيل: حملة وهو (حاف حاسر) من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخًا ﴿وَأَتَوْفٍ بِأَفْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لينعموا بآثار ملكي كما اغتموا بأخبار (هلكي).

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَمِى ضَلَالِكِ الْكَدِيمِ ﴿٩٥﴾

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ (خرجت من عريش مصر). قال: فصل من البلد فصولًا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لولد ولده ومن حوله من قومه ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ التفنيد النسبة إلى (الفند) وهو الحزن وإنكار العقل من هرم. يقال: شيخ مفند. والمعنى لولا تفنيديكم إياي لصدقتُموني ﴿قَالُوا﴾ أي (أسباطه) ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَمِى ضَلَالِكِ الْكَدِيمِ﴾ لفي ذهابك عن الصواب قديمًا في

**قوله:** (حاف) في المصباح: حفى الرجل يحفى من باب تعب حفاء مثل سلام مشى بغير نعل ولا خفّ فهو حافٍ، والجمع حُفَاة مثل قاضٍ وقُضاة. اهـ. **قوله:** (حاسر) أي مكشوف الرأس. **قوله:** (هلكي) في المصباح: هلك الشيء هلكًا من باب ضرب، وهلاكًا وهلوکًا ومهلكًا بفتح الميم. وأمّا اللام، فمثلثة والاسم الهلك مثل قفل. اهـ.

**قوله:** (خرجت من عريش مصر) أي عمرانها. اهـ جمالين. وفي الكمالين: خرجت من عرش مصر. أي من بيوتها. والعرش - بضم العين والراء - جمع عريش. اهـ. وفي الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للذقائق الخفية للعلامة الشيخ سليمان الجمل رحمه الله: **قوله:** خرجت من عريش مصر، أي خرجت من مصر ووصلت إلى العريش. ثم خرجت منه متوجهًا إلى أرض كنعان. والعريش بلدة معروفة آخر بلاد مصر وأوّل بلاد الشام، وهذا أحد قولين. والثاني: أنها خرجت من نفس مصر. اهـ من الخازن. وفي المختار: وفصل من الناحية خرج منها وبابه جلس. اهـ بحروفه. **قوله:** (الفند) - بفتح الحاء - ضعف الرأى من الهرم. اهـ مختار الصحاح. وأيضً فيه: الهرم كبر السن. اهـ. **قوله:** (أسباطه) في المصباح: السبط ولد الولد. والجمع أسباط مثل حمل وأحمل. اهـ.

إفراط محبتك ليوسف أو في خطئك القديم من حب يوسف وكان عندهم أنه قد مات.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۚ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَتَّابَانَا ۖ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ أي يهوذا ﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ طرح البشير القميص على وجهه يعقوب أو ألقاه يعقوب ﴿فَارْتَدَّ﴾ فرجع ﴿بَصِيرًا﴾ يقال: رده فارتد وارتده إذا ارتجعه ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ﴾ يعني قوله: ﴿إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أو قوله: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾. وقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ورؤي أنه سأل البشير كيف يوسف؟ قال: هو ملك مصر. فقال: ما أصنع بالملك، على أي دين تركته؟ قال: على دين الإسلام. قال: الآن تمت النعمة ﴿قَالُوا يَتَّابَانَا ۖ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾﴾ أي سل الله مغفرة ما ارتكبنا في حقك وحق ابنك إنا تبتنا واعترفنا بخطايانا ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ أخر الاستغفار إلى وقت السحر، أو إلى ليلة الجمعة، أو ليتعرف حالهم في صدق التوبة، أو إلى أن يسأل يوسف هل عفا عنهم. ثم إن يوسف وجهه إلى أبيه جهازاً ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن معه، فلما بلغ قريباً من مصر خرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ﴾ ضم إليه ﴿أَبَوَيْهِ﴾ واعتنقهما. قيل: كانت أمه باقية. وقيل: ماتت وتزوج أبوه خالته - والخالة أم كما أن العم أب - ومنه قوله: ﴿وَاللَّهُ ءَاتَاكَ إِزْرَهٗمَ ۖ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: الآية ١٣٣] ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر أنه حين استقبلهم أنزلهم في (مضرب) خيمة أو

قوله: (مضرب) في لسان العرب: المضرب فسطاط الملك. اهـ.

قصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضم إليه أبويه ﴿وَقَالَ﴾ لهم بعد ذلك ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾  
 إن شاء الله ءَامِنِينَ من ملوكها وكانوا لا يدخلونها إلا بجوار أو من القحط.  
 وزوي أنه لما لقيه قال يعقوب عليه السلام: السلام عليك يا مُذهب الأحزان، وقال  
 له يوسف: يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعننا؟  
 فقال: بلى ولكن خشيت أن يُسلب دينك فيُحال بيني وبينك. وقيل: إن يعقوب  
 وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجال ونساء، وخرجوا منها مع  
 موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلاً سوى الذرية  
 (الهرمي)، وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا  
 رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ  
 الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ قيل: لما دخلوا مصر وجلس في  
 مجلسه مستويًا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخرّوا له  
 - يعني الإخوة الأحد عشر والأبوين - سُجْدًا، وكانت السجدة عندهم جارية مجرى  
 التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد. وقال (الزجاج): سنة التعظيم في  
 ذلك الوقت أن يسجد للمعظم. وقيل: ما كانت إلا انحناء دون (تعفير) الجباه  
 وخرورهم سُجْدًا يأباه. وقيل: وخرّوا لأجل يوسف سُجْدًا لله وشكرًا (وفيه نبوة)  
 أيضًا واختلف في استنبائهم ﴿وَقَالَ يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا﴾ أي

وأيضًا فيه: قال الزمخشري: الفُسْطَاط ضرب من الأبنية في السفر دون  
 السَّرَادِق. اهـ. وأيضًا فيه: السرادق ما أحاط بالبناء. اهـ. قوله: (الهرمي) جمع  
 هرم. في المصباح: هرم هرمًا من باب تعب، فهو هرم كبر وضعف وشيوخ هرمي  
 مثل زمن وزمني، وامرأة هرمة ونسوة هرمى وهرمات أيضًا. اهـ.

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحق بن إبراهيم بن محمد. قوله: (تعفير) في  
 المصباح: العفر - بفتحتين - وجه الأرض، ويُطلق على التراب، وعفرت الإناء  
 عفرًا من باب ضرب دلّكته بالعفر فانعفر هو واعتفر وعفّرت - بالثقل - مبالغة  
 فتعفر. اهـ. قوله: (وفيه نبوة) أيضًا في لسان العرب: نَبَا عن الشيء نَبْوًا وَنَبْوَةٌ

الرؤيا ﴿رَبِّ حَقًّا﴾ أي صادقة وكان بين الرؤيا وبين التأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو ثنتان وعشرون ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ يقال: أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ولم يذكر الحب لقوله: ﴿لَا تَزِرُ بِكَ وَالْيَوْمَ﴾، ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ من البادية لأنهم كانوا أصحاب مَوَاشٍ ينتقلون في المياه (والمناجع) ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ أي أفسد بيننا و(أغرى) ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ (أي لطيف التدبير) ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ بتأخير الآمال إلى الآجال أو حكم بالاثتلاف بعد الاختلاف.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ مُلْكٌ مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا و«من» فيهما للتبويض إذ لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ انتصابه على النداء ﴿أَنْتَ وَلِيِّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ طلب الوفاة على حال الإسلام كقول يعقوب لولده ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٢] وعن الضحاك: مخلصًا. وعن (التستري): مسلمًا إليك أمري وفي عصمة الأنبياء إنما دعا به يوسف ليقترني به

زايلاه. اهـ. وفي المصباح: نَبَأُ الشيء بعد. اهـ. يعني أنَّ في الكلام نبوة عنه. قال صاحب الكشف: لأنه جعله تأويل رؤياه من قبل وقد ذكر فيها: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: الآية ٤]، انتهى. وفي تفسير العلامة أبي السعود: وقيل: خروا لأجله سجداً لله شكراً، ويردّه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ [يوسف: الآية ١٠٠]... الخ. قوله: (والمناجع) في القاموس ولسان العرب: الْمُتَنَجِّعُ المنزل في طلب الكلاء. اهـ. وفي لسان العرب: ويقال للمُتَنَجِّعِ مُتَنَجِّعٌ وجمعه مَنَاجِجٌ. اهـ. قوله: (أغرى) أي ألقى الفتنة. قوله: (أي لطيف التدبير) يعني اللطيف هنا بمعنى العالم بخفايا الأمور المدبّر لها والمسهّل لصعابها.

قوله: (التستري) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع الصالح المشهور لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع،



قومه ومن بعده ممَّن ليس بمأمون العاقبة، لأن ظواهر الأنبياء لنظر الأمم إليهم ﴿وَالْحَقِّي بِالصَّدِيقِينَ﴾ من آبائي أو على العموم. رُوِيَ أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال: يا بني ما أعقَّكَ عندك هذه القراطيس وما كتبت إليَّ على ثمان مراحل. فقال: أمرني جبريل. قال: أو ما تسأله؟ قال: أنت أبسط إليه مني فاسأله. فقال جبريل: الله أمرني بذلك لقولك: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ اللَّذَنُتُ﴾ فهلا خفتني.

ورُوِيَ أن يعقوب أقام معه أربعًا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحق، فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثًا وعشرين سنة، فلما تمَّ أمره طلبت نفسه المُلْك الدائم فتمنى الموت. وقيل: ما تمنَّاه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبًا طاهرًا، فتخاصم أهل مصر

وكان صاحب كرامات ولقي الشيخ ذا النون المصري رحمه الله تعالى بمكة، وكان له اجتهد وافر ورياضة عظيمة، وكان سبب سلوكه هذا الطريق خاله محمد بن سوار، فإنه قال: قال لي خالي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت له: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلُّبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي الله ناظر إليَّ الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قلها في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قلها في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوة، فلمَّا كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علِّمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة؛ فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل، مَنْ كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده يعصيه إياك والمعصية، فكان ذلك أول أمره.

وسكن البصرة زمانًا وعبادان مدَّة، وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين ومائتين رضي الله تعالى عنه بالبصرة. والتستري - بضم التاء المثناة من فوقها وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها الثانية وبعدها راء - هذه النسبة إلى تستر، وهي بلدة من كور الأهواز من خوزستان، يقول الناس بها ششتر - بشينين معجمتين - بها قبر البراء بن مالك رضي الله تعالى عنه.

(وتشاحوا) في دفنه كلٌّ يحب أن يُدفن في محلّتهم حتى همّوا بالقتال، فرأوا أن يعملوا له صندوقًا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه (شرعًا) حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعمئة سنة تابوته إلى بيت المقدس. وولد له إفرايم وميشا، وولد لإفرايم نون، ولنون يوشع فتى موسى، ولقد توارثت (الفراعنة) من (العماليق) بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف، والخطاب لرسول الله ﷺ وهو مبتدأ ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ خبران ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى بني يعقوب ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ عزموا على ما همّوا به من إلقاء يوسف في البئر ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾

قوله: (تشاحوا<sup>(١)</sup>) الرجلان على الأمر لا يريدان أن يفوتهما. اهـ. وفي لسان العرب: وتشاحوا في الأمر وعليه شخّ به بعضهم على بعض، وتبادروا إليه حذر فوته، ويقال: هما يتشاحان على أمر إذا تنازعا لا يريد كل واحد منهما أن يفوته، والنعت شحيح والعدد أشحّة، وتشاح الخصمان في الجدل كذلك. اهـ. قوله: (شرعًا) أي سواء. في مختار الصحاح: قولهم الناس في مدّ الأمر شرع، أي سواء يحرك ويُسكن ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. اهـ. وفي لسان العرب: ونحن في هذا سواء وشرع واحد، أي سواء لا يفوق بعضنا بعضًا يحرك ويسكن والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث فيه سواء. اهـ.

قوله: (الفراعنة) في مختار الصحاح: فرعون لقب الوليد بن مُضْعَب ملك مصر وكل عات فرعون، والعُتات الفراعنة. اهـ. قوله: (العماليق) في مختار الصحاح: العماليق والعمالقة قوم من ولد عمّليق بن لاوز بن إزم بن سام بن نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وهم أمم تفرّقوا في البلاد. اهـ.

(١) وفي مختار الصحاح: تشاح.

بيوسف ويبغون له (الغوائل)، والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على إلقاء أخيه في البئر ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣) أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ أو على القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ جعل ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ ما هو إلا موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ (حُثٌّ) على طلب النجاة على لسان رسول من رسله ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ﴾ من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ على الآيات أو على الأرض ويشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا﴾ عن الآيات ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من (العبر).

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٦) أَفَدِمُوا أُرْتَبِئَهُمْ عَنِّيهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَنْبِئَهُمُ السَّاعَةَ نَعْتَهُ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٦) أي وما يؤمن أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مُشْرِكٌ بعبادة الوثن الجمهور على أنها نزلت في المشركين لأنهم مقرون بالله خالقهم ورازقهم، وإذا (حزبهم) أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يُشْرِكُونَ به غيره. من جملة الشُّرك ما

قوله: (الغوائل) في مختار الصحاح: فلان قليل الغائلة والمغالة - بالفتح - أي الشر، والغوائل الدَّواهي. وأيضاً فيه: الداهية الأمر العظيم، ودواهي الدهر ما يُصيب الناس من عظيم نُوبه. اهـ.

قوله: (حُثٌّ) في المصباح: حثت الإنسان على الشيء حُثًّا من باب قتل وحرَّضته عليه بمعنى. اهـ. قوله: (العبر) جمع العبرة مثل سدره وسدر.

قوله: (حزبهم) - بحاء مهملة وزاي مفتوحة وموحدة مخففة - أي أهمهم ونزل بهم.

يقوله (القدرية) من إثبات قدرة التخليق للعبد، والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو أنه لا خالق إلا الله ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ حال أي (فجأة) ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يأتيناها.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي، والسبيل والطريق يُذكَران ويُؤثَّان. ثم فسر سبيله بقوله: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير (عمياء) ﴿أَنَا﴾ تأكيد للمستتر في ﴿أَدْعُو﴾، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ عطف عليه أي أدعو إلى سبيل الله أنا ويدعو إليه من اتبعني، أو ﴿أَنَا﴾ مبتدأ و﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ خبر مقدم و﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ عطف على ﴿أَنَا﴾ يخبر ابتداء بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ (وأنزهه عن الشركاء) ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مع الله غيره.

قوله: (القدرية) بفتح الدال وتسكن هم المنكرون للقدر القائلون بأن أفعال العباد مخلوقة بقدرتهم ودواعيهم لا بقدرة الله وإرادته، وإنما نسب هذه الطائفة إلى القدر لأنهم يبحثون في القدر كثيراً. اهـ مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح. قوله: (فجأة) بفتح الفاء وسكون الجيم مع القصر ويجوز ضمّ الفاء ومدّ الجيم. اهـ قنوي. وفي حاشية البيضاوي للعلامة الشهاب رحمه الله: فجأة بضم الفاء والمدّ وبالفتح والقصر بمعنى المفاجأة والبعثة. اهـ. وفي المصباح: فجئت الرجل أفجؤه مهموز من باب تعب، وفي لغة وزان تمرة، وفجئته الأمر من باب تعب ونفع أيضاً، - بالضم والمدّ - وفي لغة وزان تمرة، وفجئته الأمر من باب تعب ونفع أيضاً، وفاجأه مفاجأة أي عاجله. اهـ.

قوله: (عمياء) في المصباح: عمي فقد بصره، فهو أعمى والمرأة عمياء، والجمع عُمي من باب أحمر وعميان أيضاً. اهـ. قوله: (وأنزهه عن الشركاء) على أن سبجان اسم بمعنى التسبيح منصوب بفعل مضمر، أي أسبح الله تسبيحاً من الشركاء.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ مِنْ اَهْلِ الْقُرُوءِ اَفَلَمْ يَسِيْرُوْا فِي الْاَرْضِ فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْاٰخِرَةِ حَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ اتَّقَوْا اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ﴾ (١٠٩)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون: لو شاء ربنا لأنزل ملائكة، أو ليست فيهم امرأة ﴿(نُوحِيْ)﴾ بالنون (حفص) ﴿إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرُوءِ﴾ لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل و(الجفاء) ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي ولدار الساعة الآخرة ﴿حَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشُّرْكُ وآمنوا به ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (وبالياء: مكِّي وأبو عمرو وحمزة وعلي).

﴿حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ كَاءَهُ صَرْنًا فَجِيَّ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠)

﴿حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ﴾ يئسوا من إيمان القوم ﴿(وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا)﴾ - كذبوا - (وأيقن الرسل أن قومهم كذبوهم. وبالتخفيف: كوفي أي وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا أي أخلفوا)، أو وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أي كذبتهم الرسل في أنهم يُنصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه

قوله: ﴿(نُوحِيْ)﴾ بالنون، أي بنون العظمة وكسر الحاء مبنياً للفاعل (حفص) وحده، والباقون بضم الياء من تحت وفتح الحاء مبنياً للمفعول. قوله: (الجفاء) ممدود ضد البر. اهـ مختار الصحاح. قوله: (وبالياء مكِّي) أي ابن كثير المكِّي (وأبو عمرو وحمزة وعلي) الكسائي، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب، وليس من السبعة بالتاء على الخطاب.

قوله: ﴿(وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا)﴾ بالتشديد، كما قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (وأيقن الرسل أن قومهم كذبوهم، وبالتخفيف) أي بتخفيف الذال وبناء الفعل للمفعول (كوفي) أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي (أي وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا، أي أخلفوا) بالبناء للمفعول، أي أخلفهم الله وعده إياهم بالنصر، فمعنى كذبوا بالتخفيف أخلفوا، أي أخلف الله وعدهم بالنصر. وعلى

﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ للأنبياء والمؤمنين بهم فجأة من غير احتساب ﴿فَنَجَّى﴾ (بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الباء: شامي وعاصم على لفظ الماضي المبني للمفعول والقائم مقام الفاعل ﴿مَنْ﴾. الباقون (فنجي) ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ أي النبي ومَنْ آمَن به ﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِ﴾ الكافرين.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي في قصص الأنبياء وأمهم أو في قصة يوسف وإخوته ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ حيث نقل من غاية الحب، إلى غيابة الحب، ومن الحصر، إلى السرير، فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة، ونهاية المكر (وخامة) وندامة ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ ما كان القرآن حديثًا مُفْتَرَى كما زعم الكفار ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ولكن تصديق الكتب التي تقدمته ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الدين لأنه القانون الذي تستند إليه السُّنة والإجماع والقياس ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله وأنبيائه (وما نصب بعد «لكن» معطوف على

قراءة التخفيف يكون الظَرْ على بابه. قوله: (بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الباء شامي) أي ابن عامر الشامي (وعاصم على لفظ الماضي المبني للمفعول والقائم مقام الفاعل ﴿مَنْ﴾). وقرأ (الباقون: «فنجي») بنونين مضمومة فساكنة فجيم مكسورة مخففة فياء ساكنة مضارع أنجي ﴿وَمِنْ﴾ مفعوله.

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ الآية. في الدر المنثور أخرج ابن السني والدَّيْلَمِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا عسر على المرأة ولادتها أخذ إناء نظيف وكتب عليه: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: الآية ٣٥] إلى آخر الآية، ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ لَوْ بَلَّتُوا إِلَّا عِشَّةً أَوْ ضُحًى﴾ [النازعات: الآية ٤٦] إلى آخر الآية، ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ [يوسف: الآية ١١١] إلى آخر الآية، ثم يُغسل المرأة منه وينضح على بطنها وفرجها» انتهى بحروفيه. قوله: (وخامة) أي ثقل. قوله: (وما نصب بعد «لكن» معطوف على

خبر «كان» عن رسول رسول الله ﷺ: «علموا أرقاءكم سورة يوسف) فأیما عبد تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هوّن الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً» قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: في ذكر قصة يوسف عليه السلام وإخوته تصبير لرسول الله ﷺ على أذى قريش كأنه يقول: إن إخوة يوسف مع موافقتهم إياه في الدين ومع الأخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك، فأنت مع مخالفتهم إياك في الدين (أخرى) أن تصبر على أذاهم. وقال (وهب): إن الله تعالى لم ينزل كتاباً إلا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم.

خبر كان) عبارة تفسير الكشاف: وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان. اهـ. قوله: (عن رسول الله ﷺ: «علموا أرقاءكم سورة يوسف») الأرقاء - بالمد - جمع رقيق، الحديث رواه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب ؓ. قوله: (أخرى) أليق. قوله: (وهب) بن منه أبو عبد الله اليماني صاحب الأخبار والقصص، وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسير الملوك، وذكر عنه ابن قتيبة في كتاب المعارف أنه كان يقول: قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتاباً، ورأيت له تصنيفاً ترجمه بذكر الملوك المتوجة من جمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم في مجلد واحد، وهو من الكتب المفيدة. اهـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. وتوفي وهب في المحرم سنة عشر، وقيل: أربع عشرة، وقيل: ست عشرة ومائة بصنعاء اليمن، وعمره تسعون سنة رضي الله تعالى عنه. اهـ وفيات الأعيان. وفي تقريب التهذيب: وهب بن منه بن كامل اليماني، أبو عبد الله الأبتاوي - بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون - ثقة. اهـ.

تمت سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والحمد لله حقّ حمده على جميع آلائه والصلاة والسلام على رسوله خاتم أنبيائه وعلى آله وصحبه ما دُعي الحق بأسمائه وتُقرب إلى الله بتلاوة الآيات وأستغفر الله لي ولجميع أهل الإسلام من قرابتي وأحبائي ولجميع المؤمنين والمؤمنات. اللهم يسر لنا خدمة كلامك ووفقنا لفهم معانيه بإلهامك، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير

## (سورة الرعد)

(مكية، وهي ثلاث أو خمس وأربعون آية)

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَرْ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾  
 اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي  
 لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

﴿الْمَرْ﴾ أنا الله أعلم وأرى عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ أريد بالكتاب السورة (أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة) العجيبة في بابها ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي القرآن كله ﴿الْحَقُّ﴾ خبر ﴿وَالَّذِي﴾، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فيقولون

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الرعد مكية وهي ثلاث أو خمس وأربعون آية)، وعدد كلماتها ثمانمائة وخمسة وخمسون كلمة، وعدد حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وسبعة أحرف. اهـ خطيب.

قوله: (أي تلك الآيات، آيات السورة الكاملة) معنى الكمال مستفاد من التعريف الجنسي في الكتاب، كما يقال: زيد هو الرجل، أي هو الكامل في



(تقوله) محمد ثم ذكر ما يُوجب الإيمان فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ أي خلقها مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها ﴿وَالَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾، ﴿يَغْيِرُ عَمَدٍ﴾ حال وهو جمع عماد أو عمود ﴿تُرُونَهَا﴾ الضمير يعود إلى السموات أي ترونها كذلك فلا حاجة إلى البيان، أو إلى عمد فيكون في موضع جر على أنه صفة لـ ﴿عَمَدٍ﴾ أي بغير عمد مرئية ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْغُرِيِّ﴾ استولى بالاعتدار ونفوذ السلطان ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لمنافع عباده ومصالح بلاده ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو انقضاء الدنيا ﴿يُذِيرُ الْأَمْرَ﴾ أمر ملكوته وربوبيته ﴿بِفَضْلٍ آلَآتٍ﴾ يبين آياته في كتبه المنزلة ﴿لَعَلَّكُمْ يَفْقَهُ رَبِّكُمْ تَوْفُونُ﴾ لعلكم توقنون بأن هذا المدير والمفصل لا بد لكم من الرجوع إليه.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ بسطها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ (جبالاً ثوابت) ﴿وَأَنْهَارًا﴾ جارية ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ اثْنَيْنِ﴾ أي الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير (وما أشبه ذلك) ﴿يُغْشَىٰ اللَّيْلُ النَّهَارَ﴾ (يلبسه مكانه)

الرجولية دلالة على أنه لاستجماعه صفات الرجولية على التمام كان كأنه الجنس كله، وليس رجل غيره. قوله: (تقوله) اختلق القرآن.

قوله: (جبالاً ثوابت) من رسي الشيء إذا ثبت جمع راسية أشار إلى موصوفها المقدر، وقوله: ثوابت، أي تمسكها عن الاضطراب. قوله: (وما أشبه ذلك) من الأصناف المختلفة كالحر والبارد.

قوله: (يلبسه مكانه) يعني أن الإغشاء إلباس الشيء الشيء، ولما كان إلباس الليل والنهار وتغطية النهار به غير معقول؛ لأنهما متضادان لا يجتمعان، واللباس لا بد أن يجتمع مع اللابس قدر المضاف وهو مكانه، ومكان النهار هو الجو، وهو الذي يلبس ظلمة الليل شبه إحداث الظلمة في الجو الذي هو مكان الضوء بإلباسها إياه وتغطيته بها، فأطلق عليه اسم الإغشاء والإلباس، فاشتق منه لفظ يغشى، فصار استعارة تبعية.

فيصير أسود مظلماً بعد ما كان أبيض منيراً. ﴿يُعْشَى﴾ حمزة وعلي وأبو بكر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن لها صنائعاً عليمًا حكيمًا قادرًا.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّزٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَبٍ وَزَرَعَ وَنَحِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُقُضٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّزٌ﴾ (بقاع) مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة. إلى (سبخة) وكريمة، إلى (زهيدة) وصلبة. إلى رخوة وذلك دليل على قادر مدبر يريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه ﴿وَجَنَّتْ﴾ معطوفة على ﴿قِطْعٌ﴾. ﴿مِنْ أَعْتَبٍ وَزَرَعَ وَنَحِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ (بالرفع مكّي وبصري وحفص عطف على ﴿قِطْعٌ﴾) غيرهم: بالجذر بالعطف على ﴿أَعْتَبٍ﴾. والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلها واحد (وعن حفص بضم الصاد) وهما لغتان ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ﴾ (وبالياء عاصم وشامي) ﴿وَنُقُضٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ﴾ (وبالياء: حمزة وعلي) ﴿فِي الْأَكْلِ﴾ في الثمر. (وبسكون الكاف: نافع ومكي) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

قوله: ﴿يُعْشَى﴾ وبفتح الغين وتشديد الشين (حمزة وعلي وأبو بكر)، والباقون بالسكون والتخفيف من أغشى.

قوله: (بقاع) جمع بُقعة. قوله: (سبخة) بكسر الباء وإسكانها تخفيف وفتح الباء أيضًا، أي ملحة. قوله: (زهيدة) قليلة الخير. قوله: (بالرفع) أي برفع الأربعة (مكي) أي ابن كثير المكي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (وحفص عطف على ﴿قِطْعٌ﴾) أي فرفع ﴿وَزَرَعَ وَنَحِيلٌ﴾ بالعطف على قطع ورفع ﴿صِنَوَانٌ﴾ لكونه تابعاً لـ ﴿وَنَحِيلٌ﴾ و﴿غَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ لعطفه عليه. قوله: (وعن حفص بضم الصاد) قال في الجمالين: ولعله رواية شاذة، انتهى. قوله: (وبالياء) من تحت على التذكير أي المذكور (عاصم، وشامي) أي ابن عامر الشامي، وقراءة الباقيين بالتاء على التأنيث، أي الجنات وما فيها. قوله: (وبالياء) من تحت (حمزة وعلي) (الكسائي ليطابق قوله تعالى: ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ﴾، والباقون بالنون. قوله: (وبسكون الكاف نافع ومكي) أي ابن كثير المكي، والباقون بالرفع.

لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ عن (الحسن) مثل اختلاف القلوب في آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع في أنهارها وأزهارها وثمارها.

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ أَيْدَا كُنَّا تَرْبَا أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ﴾ يا محمد من قولهم في إنكار البعث ﴿فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ﴾ خبر ومبتدأ أي فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر على إنشاء ما عدد عليك كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان إنكارهم (أعجوبة من الأعاجيب) ﴿أَيْدَا كُنَّا تَرْبَا أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ في محل الرفع بدل من ﴿قَوْلُهُمْ﴾. (قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزةين) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أولئك الكافرون

قوله: (الحسن) البصري، كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه، وكانت جنازته مشهورة. قال حميد الطويل: توفي الحسن عشية الخميس وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره، وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفناه، فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به، فلم تقم صلاة العصر بالجامع، ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلّا يومئذ؛ لأنهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد من يصلّي العصر، وأغمي على الحسن عند موته ثم أفاق، فقال: لقد نبهتموني من جنّات وعيون ومقام كريم، وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين: رأيت كأن طائرا أخذ أحسن حصاة بالمسجد، فقال: إن صدقت رؤياك مات الحسن، فلم يكن إلّا قليلا حتى مات الحسن رضي الله تعالى عنه.

قوله: (أعجوبة من الأعاجيب) في مختار الصحاح: العجيب والعجاب - بالضم - الأمر الذي يتعجب منه، وكذا العُجَاب وبتشديد الجيم وهو أكثر، وكذا الأعْجُوبة والتعاجيب والعجائب ولا يجمع عَجَبٌ ولا عجيب، وقيل: جمع عجيب عجائب، مثل أفيل وأفيل وتبيع وتبايع، وقولهم: أعاجيب كأنه جمع أعجوبة مثل أحدىثة وأحاديث. اهـ. قوله: (قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزةين) عبارة الخطيب: (تنبيه): هنا آيتان في كل منهما همزتان، فقرأ قالون بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية، ويدخل بينهما ألفا على الاستفهام. وفي الآية الثانية بهمزة

المتمادون في كفرهم ﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَلُ فِيْٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ (وصف لهم بالإصرار) أو من جملة الوعيد ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُونَ﴾ دلّ تكرار أولئك على تعظيم الأمر.

﴿وَسَتَجِدُنَاكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لِّنَّاسٍ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

﴿وَسَتَجِدُنَاكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ بالثقة قبل العافية وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُتُ﴾ أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا. (والمثلة) العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: الآية ٤٠]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لِّنَّاسٍ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أي ظالمين لأنفسهم. قال (السدي): يعني المؤمنين وهي

مكسورة وبعدها نون مشددة على الخبر، وورث كذلك إلا أنه لا يدخل بين الهمزتين في ﴿أَذَا﴾ ألفاً، وينقل في الثاني على أصله، وابن كثير يقرأ بالاستفهام فيهما من غير إدخال ألف بين الهمزتين مع تحقيق الأولى وتسهيل الثانية فيهما، وأبو عمرو كذلك مع إدخال ألف بينهما، وابن عامر في الأول بهمزة مكسورة بعدها ذال مفتوحة على الخبر، وفي الثاني بهمزة مفتوحة محققة وهمزة مكسورة محققة على الاستفهام، وأدخل هشام<sup>(١)</sup> بينهما ألفاً بخلاف عنه. والباقون بهمزتين محققتين الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، ولا ألف بينهما في الموضعين، انتهت بحروفها. قوله: (وصف لهم بالإصرار) ... الخ. يعني هذه الجملة إن نظر إلى ما قبلها وجعلت وصفاً لهم بامتناعهم عن الإيمان وإصرارهم على الكفر، فهي تشبيه وتمثيل لحالهم في الدنيا في الإصرار وعدم الالتفات إلى الحق بحال طائفة في أعناقهم أغلال لا يمكنهم الالتفات، وإن نظر إلى ما بعدها يكون لوصف حالهم في الآخرة.

قوله: (والمثلة) بفتح الميم وضمّ الشاء المثناة. قوله: (السدي) في المصباح: السدة الباب ويُنسب إليها على اللفظ. فيقال: السدي، ومنه الإمام

(١) يُروى عن أبي عامر الشامي .

أرجى آية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فإن التوبة تُزيلها وترفعها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ على الكافرين أو هما جميعاً في المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما أي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْ مَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله ﷺ عناداً فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى ف قيل لرسول الله ﷺ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ إنما أنت رجل أرسلت منذراً مخوفاً لهم من سوء العاقبة وناصحاً كغيرك من الرسل، (وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر)، وصحة ذلك حاصلة بأي آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بآية خص بها لا بما يريدون ويتحكمون.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا يَغِيظُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا يَغِيظُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ﴾ «ما» في هذه المواضع الثلاثة موصولة أي يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو من ذكورة وأُنوثة، وتام (وخداج)، وحسن وقبح، وطول (وقصر) وغير ذلك، وما تغيضه الأرحام أي ويعلم ما تنقصه. يقال: غاض الماء وغضته أبناً، وما تزداده والمراد عدد الولد فإنها تشتمل على واحد واثنتين وثلاثة وأربعة، أو جسد الولد فإنه يكون تاماً ومخدجاً، أو مدة الولادة فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها (إلى سنتين عندنا، وإلى أربع

المشهور وهو إسماعيل السدي، لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدة مسجد الكوفة. اهـ.

قوله: (وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر) من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك.

قوله: (خداج) نقصان. قوله: (قصر) في مختار الصحاح: قَصُرَ الشيء ضد طال، يقَصُرُ بالضم قَصَراً بوزن عَنَبٍ. اهـ. قوله: (إلى سنتين عندنا، وإلى أربع

عند الشافعي، وإلى خمس عند مالك)، أو مصدرية أي يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيضر الأرحام وازديادها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: الآية ٤٩].

﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾

﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عن الخلق ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما شاهدوه ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم الشأن الذي كل شيء دونه ﴿الْمُتَعَالِ﴾ المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها. (وبالياء في الحاليين: مكّي).

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِأَلِيلٍ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ لَمْ مَعْقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَفِيَ. بِحُفُوظِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءٌ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ أي في علمه ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِأَلِيلٍ﴾ (متوار) ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ذاهب في (سربه) أي في طريقه ووجهه. يقال: (سرب) في الأرض سروباً. (و﴿وَسَارِبٌ﴾ عطف على ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ﴾ لا على «مستخف» أو على «مستخف» غير أن ﴿وَمَنْ﴾ في معنى الاثنين)، والضمير في

عند الشافعي، وإلى خمس<sup>(١)</sup> عند مالك) وعن أحمد روايتان المشهور كمذهب الشافعي، والآخر كمذهب إمامنا الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (وبالياء) بعد اللام (في الحاليين) أي في الوقف والوصل (مكّي) ابن كثير المكّي، والباقون بغير ياء وفقاً ووصلاً.

قوله: (متوار) أي مستتر. قوله: (سربه) بفتح السين وسكون الراء. قوله: (سرب) بابه دخل. قوله: (﴿وَسَارِبٌ﴾ عطف على ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ﴾ لا على مستخف، أو على مستخف غير أن ﴿وَمَنْ﴾ في معنى الاثنين) جواب عما يقال: إن الاستواء يقتضي شيئين، فكيف يصح أن يعطف سارب على قوله مستخف، مع أنه

(١) وفي رواية عنه: أربع سنين أو سبع سنين. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿لَهُ﴾ مردود على ﴿مَنْ﴾ كأنه قيل: لمن أسرَّ ومن جهر ومن استخفى ومن سرب ﴿مُعَقَّبٌ﴾ جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه، والأصل معتقات فادغمت التاء في القاف أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه لأن بعضهم يعقب بعضاً، أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ أي قدامه ووراءه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ هما صفتان جميعاً وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل: له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظه. أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ﴾ من العافية والنعمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الحال الجميلة بكثرة المعاصي ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا﴾ عذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ فلا يدفعه شيء ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ من دون الله ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم.

مستلزم تحقق الأشياء بالاستواء في شخص واحد له صفتان: الاستخفاء والبروز؛ وذلك لأن جملة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ معطوفة على جملة قوله تعالى: ﴿مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾، وهما مبتدأ حكم عليهما بالاستواء، فلما عطف عليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ لزم أن يكون هذا المعطوف أيضاً محكوماً عليه بالاستواء، وهو شخص واحد له صفتان؛ فحق العبارة أن يقال: ومن هو مُسْتَخْفٍ بالليل ومن هو سارب بالنهار، ليتحقق شيئين يحكم عليهما بالاستواء.

وأجاب المصنف عنه رحمه الله تعالى بوجهين: تقرير الأول ما ذكر إنما يلزم أن لو كان ﴿وَسَارِبٌ﴾ معطوفاً على قوله: ﴿مُسْتَخْفٍ﴾ وليس كذلك، بل هو معطوف على ﴿وَمَنْ﴾، فيتحقق شيان كأنه قيل: سواء منكم إنسان وهو مستخف وسارب. وتقرير الوجه الثاني: سلمنا أنه معطوف على مُسْتَخْفٍ لكن لا نسلم استلزامه لكون الاستواء في شخص واحد بناءً على أن كلمة ﴿وَمَنْ﴾ عبارة عن الاثنين، كأنه قيل: سواء منكم اثنان هما مستخف بالليل وسارب بالنهار، وعلى الوجهين تكون كلمة ﴿وَمَنْ﴾ موصوفة لا موصولة، فيحمل الأولان أيضاً على ذلك ليتوافق الكل.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ انتصبا على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع، أو من المخاطبين أي خائفين وطماعين، والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال (أبو الطيب):

(فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق) أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت (يكف) ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر، ويطمع فيه من له نفع فيه، ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ﴾ (هو اسم جنس) والواحدة سحابة ﴿الثَّقَالَ﴾ بالماء وهو جمع ثقيلة، تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الرُّسُلَ فَضْبًّا بِهِمْ مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ قيل: (يسبح سامعو الرعد) من العباد الراجين للمطر أي يصيحون بسبحان الله والحمد لله. (وعن النبي ﷺ أنه قال: «الرعد ملك

قوله: (أبو الطيب) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي، الشاعر المشهور. قوله: (فتى كالسحاب جمع سحابة. اهـ شواهد الكشاف. (الجون) الأسود ههنا، ورواه ابن جني بضم الجيم. وفي مختار الصحاح: الجون الأبيض، والجون الأسود، وهو من الأضداد. اهـ. (يخشى ويرتجى. يرجى الحيا منه) في المصباح: الحيا مقصور الغيث. اهـ. وفي مختار الصحاح: الحيا مقصور المطر والخضب (وتخشى الصواعق) جمع صاعقة. قوله: (يكف) في مختار الصحاح: وكف البيت قَطَر وبابه وعد. اهـ. قوله: (هو اسم جنس) جمعي.

قوله: (يسبح سامعو الرعد) بحذف مضاف أو إسناد مجازي لكونه سببا حاملا، وهو الأرجح. اهـ قنوي. (وعن النبي ﷺ أنه قال: «الرعد»). الخ. أخرجه الترمذي وصححه النسائي.



موكل بالسحاب معه (مخاريق) من نار يسوق بها السحاب» والصوت الذي يسمع زجره السحاب حتى ينتهي إلى حيث أمر ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ ويسبح الملائكة (من هيئته) وإجلاله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ الصاعقة: نار تسقط من السماء. لما ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دلّ على قدرته (الباهرة) ووحدانيته قال: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ يعني الذين كذبوا رسول الله ﷺ يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم: مَنْ يحيي العظام (وهي رميم). ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الأجسام بقولهم الملائكة بنات الله. أو الواو للحال أي فيصيب بها مَنْ يشاء في حال جدالهم، وذلك أن (أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري) قال لرسول الله ﷺ حين (وفد) عليه مع عامر بن (الطفيل) قاصدين لقتله، (فرمى الله عامراً بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية)، وأرسل على أربد صاعقة فقتله: أخبرني عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد. ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ أي المماحلة وهي شدة المُمَاكِرَة والمكايِدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلف لاستعماله الحيلة واجتهد فيه، (ومحل بفلان) إذا كاده وسعى به إلى السلطان، والمعنى أنه شديد المكر والكَيْد لأعدائه يأتيهم (بالهلكة) من حيث لا يحتسبون.

قوله: (مخاريق) جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يُلَفّ ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً، والمراد به ههنا آلة يسوق بها الملائكة السحاب. قوله: (من هيئته) أي هيئة الله تعالى وجلاله، وقيل: الضمير للرعد. قوله: (الباهرة) الغالبة. قوله: (وهي رميم) أي بالية، ولم يقل بالتاء؛ لأنه اسم جامد لما بلي من العظام لا صفة بمعنى فاعل حتى يجب تأنيثه، كذا قاله الزمخشري. قوله: (أربد) بوزن أفعل بالباء الموحدة. قوله: (أخا لبيد بن ربيعة العامري) لأمه. قوله: (وفد) أي ورد وبابه وعد. قوله: (الطفيل) مصغر. قوله: (فرمى الله عامراً بغدة كغدة البعير. وموت في بيت سلولية) الغدة الطاعون للإبل، وقُلِّمًا تسلم منه، يقال: أغد البعير، أي صار ذا غدة وهي الطاعون. وسلول قبيلة من العرب أقلهم وأرذلهم، كان عامر يقول: ابتليت بأمرين كل واحد منهما شرٌّ من الآخر، أحدهما: أنْ غَدَّتِي كغدة البعير، وأن موتي موت في بيت أرذل الخلائق. قوله: (ومحل بفلان) بابه قطع. قوله: (بالهلكة) في المصباح: الهلكة مثال قصبة بمعنى الهلاك. اهـ.

﴿لَهُمْ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَنَسِيطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَنْفَعِهِ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

﴿لَهُمْ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أضيفت إلى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على أن الدعوة مُلابسة للحق وأنها بمعزل من الباطل، والمعنى أن الله سبحانه يُدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سُؤله فكانت دعوة مُلابسة للحق لكونه حقيقةً بأنه يوجّه إليه الدعاء لما في دعوته من (الجدوى والنفع) بخلاف ما لا ينفع (ولا يجدي) دعاؤه. واتصال ﴿شَدِيدُ الْحَالِ﴾ و﴿لَهُمْ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ بما قبله على قصة أربد ظاهر لأن إصابته بالصاعقة مُحال من الله ومكر به من حيث لم يشعر. وقد دعا رسول الله ﷺ عليه وعلى صاحبه بقوله: «اللَّهُمَّ اخسفهما بما شئت» فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق. وعلى الأول وعيد للكفرة على مجادلته رسول الله ﷺ بحلول مُحال بهم وإجابة دعوة رسول الله ﷺ فيهم إن دعا عليهم ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ والآلهة الذين يدعوهم الكفار ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ﴾ (من طلباتهم) ﴿إِلَّا كَنَسِيطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ الاستثناء من المصدر أي من الاستجابة التي دلّ عليها لا يستجيبون لأن الفعل بحروفه يدل على المصدر، وبصيغته على الزمان، وبالضرورة على المكان والحال، فجاز استثناء كلٍّ منها من الفعل فصار التقدير: لا يستجيبون استجابة إلا استجابة كاستجابة باسط كَفَّيْهِ إلى الماء أي كاستجابة الماء لمن بسط كَفَّيْهِ إليه يطلب منه أن يبلغ فاه. والماء جماد لا يشعر ببسْط كَفَّيْهِ ولا (بعطشه) وحاجته إليه، ولا يقدر أن يُجيب دعاءه ويبلغ فاه، وكذلك ما يذعنونه جماد (لا يحس) بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم. واللام في ﴿لِيَبْلُغَ﴾ متعلق بـ «باسط كَفَّيْهِ»، ﴿وَمَا هُوَ بِيَنْفَعِهِ﴾ وما الماء ببالغ

قوله: (الجدوى) بالفتح (والنفع) عطف تفسير. (ولا يُجدي) أي لا ينفع. قوله: (من طلباتهم) بيان لشيء وهو جمع طلبة بمعنى مطلوب. قوله: (بعطشه) العَطَش ضد الرِّيِّ، وبابه طرب. قوله: (لا يحس) في المصباح: أحسن الرجل الشيء إحساساً عَلم به يتعدى بنفسه مع الألف، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكَفَرَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وربما زيدت الباء فقليل: أحسن به على معنى شَعُر به وحسست به من باب قتل لغة فيه، والمصدر الحَسَّ بالكسر يتعدى بالباء على معنى شعرت أيضًا، ومنهم مَنْ يخفف الفعلين بالحذف، فيقول: أحسنته

فاه ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ في (ضياع) لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبههم وإن دعوا الأصنام لم تستطع إجابتهم.

﴿وَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَطَنُهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿١٥﴾

﴿وَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سجود تعبد وانقياد ﴿طَوْعًا﴾ حال يعني الملائكة والمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ يعني المنافقين والكافرين في حال الشدة والضييق ﴿وَطَنُهَا﴾ معطوف على ﴿مَنْ﴾ جمع ظل ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ جمع غداة، (كقني) وقناة ﴿وَالْآصَالِ﴾ جمع أضل أصيل). قيل: ظل كل شيء يسجد لله بالغدو والآصال، وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره، وظل المؤمن يسجد طوعًا وهو طائع.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ حَقًّا كَمَقْهٍ فَتَشْهَ الْحَقُّ عَلَيْهِ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿١٦﴾

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ حكاية لاعترافهم لأنه إذا قال لهم مَنْ رب السموات والأرض لم يكن لهم بُدٌّ من أن يقولوا: الله، دليله قراءة

وحسنت به، ومنهم مَنْ يخفف فيهما بإبدال السين ياء، فيقول: فحسنت وأحسنت وحسنت بالخبر من باب تعب ويتعدى بنفسه، فيقال: حسنت الخبر من باب قتل، فهو محسوس وتحسنته تطلبته ورجل حساس للأخبار كثير العلم بها، وأصل الإحساس الإبصار، ومنه: ﴿هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ [مریم: الآية ٩٨]، أي هل ترى. ثم استعمل في الوجدان والعلم بأي حاسة كانت، وحواس الإنسان مشاعره الخمس: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، الواحدة حاسة مثل دابة ودواب. اهـ.

قوله: (ضياع) في مختار الصحاح ضاع الشيء يضيع ضياعًا بكسر الضاد وفتحها هلك. اهـ.

قوله: (كقني) بضم القاف وكسر النون وتشديد الياء وقناة بفتح القاف وهي الرمح، ويطلق على مجرى الماء. قوله: ﴿وَالْآصَالِ﴾ أصله آصال - بهمزتين - فقلبت الثانية ألفًا. قوله: (جمع أضل) والأصل جمع (أصيل) وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس.

(ابن مسعود) و(أبي) «قالوا الله» أو هو تلقين أي فإن لم يجيبوا فلقنهم فإنه لا جواب إلا هذا ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه آلهة ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضرراً عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتهم على الخالق الرازق الميثب المعاقب فما أبين ضلالتكم.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ أي الكافر والمؤمن أو من لا يبصر شيئاً ومن لا يخفى عليه شيء ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي (لَطُمْتُ) وَالْتَوَزُّ﴾ مثل الكفر والإيمان. ﴿يَسْتَوِي﴾ كوفي غير حفص ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ خلقوا مثل خلقه وهو صفة لـ ﴿شُرَكَاءَ﴾ أي أنهم لم يتخذوا الله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله ﴿فَتَشَبَّهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما (قدر) الله عليه فاستحقوا العبادة فتتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يُعبد. ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلاً أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق ﴿قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي خالق الأجسام والأعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة، ومن قال إن الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾ المتوحد بالربوبية ﴿الْفَهَّارُ﴾ لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور.

قوله: (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل - بمعجمة وفاء - ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأمره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها بالمدينة. قوله: (أبي) بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن نجار الأنصاري الخزرجي أبو المنذر، سيد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضاً من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافاً كثيراً، قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك. قوله: ﴿لَطُمْتُ﴾ جمعها لأن الكفر أنواع متعدّدة والإيمان شيء واحد، فلذلك أفرد النور. قوله: ﴿يَسْتَوِي﴾ بالياء على التذكير (كوفي غير حفص) أي قرأه أبو بكر شعبة وحمزة والكسائي، والباقون بالتاء على التأنيث. قوله: (قدر) من باب ضرب.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِبًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَصْرُثُ أَلَهُ الْحَقُّ وَالْظُّلُمَآةُ أَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْفَغُ النَّاسُ فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَصْرُثُ أَلَهُ الْأَمْثَالُ ﴿١٧﴾﴾

﴿أَنْزَلَ﴾ أي الواحد القهار وهو الله سبحانه ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ من السحاب ﴿مَاءً﴾ مطراً ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ جمع وادٍ وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة، وإنما نكر لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بمقدارها الذي علم الله أنه نافع للممطرور عليهم غير ضار ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ﴾ (أي رفع) ﴿زَبَدًا﴾ هو ما علا على وجه الماء من (الرغوة) والمعنى علاه زبد ﴿رَابِبًا﴾ منتفخاً مرتفعاً على وجه السيل ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾ (بالباء كوفي غير أبي بكر) و«من» لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد الماء، أو للتبعية أي وبعضه زبد ﴿فِي النَّارِ﴾ حال من الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ أي مما توقدون عليه ثابتاً في النار ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في ﴿يُوقِدُونَ﴾، ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ من الحديد و(النحاس) و(الرصاص) يتخذ منها (الأواني) وما يتمتع به في الحضر والسفر، وهو معطوف على ﴿حِلْيَةٍ﴾ أي زينة من الذهب والفضة ﴿زَبَدٌ﴾ (خبث) وهو مبتدأ ﴿زَبَدٌ مِثْلُهٗ﴾ نعت له ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ خبر له أي لهذه (الفلزات) إذا أغليت زبد مثل زبد الماء.

قوله: (أي رفع) إشارة إلى أن احتمل بمعنى حمل، فإن افتعل قد يكون بمعنى فعل، نحو: جال واجتال. قوله: (الرغوة) في المصباح: الرغوة الزبد يعلو الشيء عند غليانه بفتح الراء وضمها، وحكي الكسر وجمع المفتوح رغوات مثل شهوة وشهوات، وجمع المضموم رغي مثل مدية ومُدَى. اهـ. قوله: (وبالباء كوفي غير أبي بكر) أي قرأ حفص وحزمة والكسائي بالياء على الغيبة على أن الضمير للناس وإضمامه للعلم به، والباقون بالياء على الخطاب. قوله: (الأواني) جمع آنية، وهي معروفة. قوله: (النحاس) معروف. قوله: (الرصاص) بالفتح معروف والعمدة تقوله بالكسر. اهـ مختار الصحاح. قوله: (خبث) بفتحيتين ما نفاه الكبير بالكسر، هو منفاخ الحداد، أي زق الحداد الذي ينفخ به ويكون من جلد غليظ ذي حافات. قوله: (الفلزات) جمع فلز بكسر الفاء واللام وتشديد الزاي

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي مثل الحق والباطل ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ حال أي متلاشيًا وهو ما تقذفه القدر عند الغليان والبحر عند الطغيان، والجفاء الرمي وجفأت الرجل صرعته ﴿وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسُ مِنَ الْمَاءِ وَالْحَلِيِّ وَالْأَوَانِي﴾ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ ﴿فَيَثْبِتُ الْمَاءُ فِي الْعَيُونِ وَالْآبَارِ وَالْحُبُوبِ وَالشُّمَارِ وَكَذَلِكَ الْجَوَاهِرُ تَبْقَى فِي الْأَرْضِ مَدَّةً طَوِيلَةً﴾ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِيُظْهِرَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ. وقيل : هذا مثلٌ ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه، فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع، وبالفلز الذي ينتفعون به في (صوغ الحلبي منه) واتخاذ الأواني والآلات المختلفة، وذلك ماكث في الأرض باقٍ بقاء ظاهرًا يثبت الماء في منفعه، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة. وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله (وشك) زواله بزبد السيل الذي يرمي به. وبزبد الفلز الذي (يطفو) فوقه إذا أُذِيب. قال الجمهور: وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل، فالماء القرآن نزل لحياة (الجنان) كالماء للإبدان والأودية: القلوب. ومعنى ﴿يَقْدَرُهَا﴾ يقدر سعة القلب وضيقه، والزبد (هواجس) النفس ووساوس الشيطان، والماء الصافي المنتفع به في مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلاً ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فمثل للأحوال السَّيِّئَةِ والأخلاق الزكية، وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للأعمال الممدة بالإخلاص المعدة للخلاص، فإن الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما أن تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب، وأما الزبد فالرياء والخلل (الملل) والكسل.

وهو ما في الأرض من الجواهر المعدنية أو نحوها كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها. اهـ شيخ زاده رحمته. قوله: (الحلي) بوزن رمى أو بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء ما يُتَحَلَّى وَيُتَزَيَّن به. قوله: (صوغ الحلبي منه) في المصباح: صاغ الرجل الذهب يصوغه صوغاً جعله حلياً، فهو صائغ وصَوَّغ وهي الصياغة. اهـ. قوله: (وشك) أي سُرْعَة. قوله: (يطفو) أي يعلو. قوله: (الجنان) بالفتح القلب. قوله: (هواجس) خواطر. قوله: (الملل) في المصباح: مللته ومللت منه مللاً من باب تعب وملالة سئمت وضجرت والفاعل ملول. اهـ.

﴿لَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَ وَلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ هُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلْهَادِثِينَ﴾

واللام في ﴿لَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ أي أجابوا متعلقة بـ ﴿يَضْرِبُ﴾ أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا ﴿لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَ﴾ وهي صفة لمصدر ﴿اسْتَجَابُوا﴾ أي استجابوا الاستجابة الحسنی ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ أي للكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلاً الفريقين. وقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين أي لو ملكوا الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله. والوجه أن الكلام قد تم على الأمثال وما بعده كلام مستأنف و﴿الْحَسَنَ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ والمعنى لهم المثوبة الحسنی وهي الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ مبتدأ خبره «لو» مع ما في حيزه ﴿أُولَئِكَ هُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ المناقشة فيه (في الحديث «من نوقش الحساب عذب»). ﴿وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ﴾ و مرجعهم بعد المحاسبة النار ﴿وَيَسَّرَ لِلْهَادِثِينَ﴾ المكان الممهّد والمذموم محذوف أي جهنم.

﴿أَفَمَنْ يَعْتَرِئَ ثَمَارًا مِنْ رَبِّكَ الْخَوْفَ كَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾

دخلت همزة الإنكار على الفاء في ﴿أَفَمَنْ يَعْتَرِئَ﴾ لإنكار أن تقع شبهة ما بعد ضرب من المثل في أن حال مَنْ علم ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله: ﴿كَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ كبُعْد ما بين الزبد والماء والخبث و(الإبريز) ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا.

قوله: (في الحديث: «من نوقش الحساب) أي غوسر فيه (عذب») أي تكون نفس تلك المضايقة عذاباً أو سبباً مغضباً للعذاب، رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

قوله: (الإبريز) الحلي الصافي من الذهب. اهـ لسان العرب.  
قوله: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] أنت ربنا.

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ أَلَيْتَهُ﴾ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْتَوْنَ رَهْمَ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ مبتدأ والخبر ﴿أُولَئِكَ لَمْ تُغْفَى الدَّارُ﴾ كقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقْضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾... ﴿أُولَئِكَ لَمْ تُغْفَى﴾ [الرعد: الآية ٢٥]، وقيل: هو صفة لأولي الألباب والأول أوجه، وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألت بربكم؟ قالوا: بلى، ﴿وَلَا يَقْضُونَ أَلَيْتَهُ﴾ ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الأرحام والقربات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله ﷺ وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان، إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم (الذَّب) عنهم والشفقة عليهم وإفشاء السلام عليهم وعبادة مرضاهم، ومنه مراعاة حق الأصحاب (والخدم) والجيران والرفقاء في السفر ﴿وَيَخْتَوْنَ رَهْمَ﴾ أي وعيده كله ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ خصوصاً فيحاسبون أنفسهم قبل أن يُحاسَبوا.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَمْ تُغْفَى الدَّارُ﴾ ﴿٢٢﴾

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا ليقال ما أصبره وأحملة للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لبلا يُعاب في الجزع ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ داوموا على إقامتها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أي من الحلال (وإن كان الحرام رزقاً عندنا) ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يتناول

قوله: (الذَّب) المنع والدفع وبابه رَدَّ. اهـ مختار الصحاح. قوله: (الخدم) في مختار الصحاح: الخادم واحد الخَدَم غلاماً كان أو جارية. اهـ.

قوله: (وإن كان الحرام رزقاً عندنا) في ضوء المعالي لبء الأمالي للعلامة علي القاري رحمة الله عليه أنَّ الحرام مرزوق مثل الحلال؛ لأن الرزق ما يسوقه الله إلى الحيوان لينتفع به حراماً كان أو حلالاً، وفي المسألة خلاف، المعتزلة مستدلّين بأن الرزق مستند إليه سبحانه في الجملة والمسند إليه يقبح أن يكون



النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض (لأن المجاهر بها أفضل نفياً للثهمة) ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ الْكَسْبَةَ﴾ ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم، أو إذا حرموا أعطوا، وإذا ظلموا عفوا، وإذا قُطعوا وصلوا، وإذا أذنبوا تابوا، وإذا (هربوا) أنابوا، وإذا رأوا منكراً أمروا بتغييره، (فهذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أرادها الله أن تكون (عاقبة الدنيا) ومرجع أهلها.

حراماً يعاقبون عليه. أُجيب بأنه لا قبيح بالنسبة إليه تعالى؛ لأنه يفعل ما يشاء في ملكه ويحكم ما يريد في ملكه وعقابهم على الحرام لسوء مباشرتهم أسباب الأحكام مع أنه يلزم المعتزلة أن المنتفع بالحرام طول الأيام من عمره لم يرزقه الله أصلاً، وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: الآية ٦]. اهـ.

قوله: (لأن المجاهر بها أفضل نفياً للثهمة). وفي الجمالين: ﴿رِزْقُهَا﴾ أي بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه سرّاً لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن يعرف به. اهـ. قوله: (هربوا) في مختار الصحاح: الهَرْبُ الفرار هَرْبَ يَهْرُبُ هَرْباً مثل طَلَبَ يَطْلُبُ طلباً. اهـ. قوله: (فهذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة). عبارة الخازن: قال عبد الله بن المبارك: هذه ثمان خلال مشيرة إلى أبواب الجنة الثمانية. قلت: إنما هي تسع خلال، فيحتمل أنه عدّ خلتين بواحدة، انتهت.

قوله: (عاقبة الدنيا) أي التي تخلف الدنيا وتجيء بعدها، وكلّ ما جاء بعد شيء فهو عاقبته والتاء لتأنيث الموصوف، وهي الجنة، فإنها هي التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها والنار، وإن كانت عاقبة الدنيا بالنسبة إلى الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الزهد: الآية ٣٥]، إلا أنها لما كانت عاقبة لها بالنسبة إليهم لسوء اختيارهم ليس كونها عاقبة لها مقصوداً بالذات، قال الواحدي رحمه الله تعالى: العقبى كالعاقبة ويجوز أن يكون مصدرًا كالشورى والقربى والرجعى أضيف إلى فاعله، والمعنى: أولئك لهم أن تعقب أعمالهم الدار التي هي الجنة. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣)

﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ بدل من ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾، ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ﴾ أي آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ (وقرىء ﴿صَلَحَ﴾) والفتح أفصح و﴿مِنْ﴾ في محل الرفع بالعطف على الضمير في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ (ساغ) ذلك وإن لم يؤكد لأن ضمير المفعول صار فاصلاً. وأجاز (الزجاج) أن يكون مفعولاً معه، ووصفهم بالصلاح ليعلم أن الأنساب لا تنفع بنفسها، (والمراد أبو كل واحد منهم) فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ في قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا.

﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) وَالَّذِينَ يَقُصُّونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)

﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في موضع الحال إذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات، أو على أمر الله، (أو بسلام) أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والأول أوجه ﴿فِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الجنات ﴿وَالَّذِينَ يَقُصُّونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والظلم ﴿أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ﴾ الإبعاد من الرحمة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾

قوله: ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾ أي اللاتي مُتن في عصمتهم. اهـ جمل. قوله: (وقرىء ﴿صَلَحَ﴾) بضم اللام قارئه ابن أبي عيلة. قوله: (ساغ) أي جاز. قوله: (الزجاج) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد النحوي رَحِمَهُ اللهُ، توفي سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد. قوله: (والمراد أبوا كل واحد منهم) عبارة تفسير الكشاف: وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم. اهـ.

قوله: (أو) متعلق (بسلام)... الخ. وفي حاشية البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: لا بسلام؛ لأنه لا يفصل بين المصدر ومعموله بالخبر؛ لأنه أجنبي، قاله أبو البقاء وجوزّه غير أبي البقاء. قال في الدرّ المصون: وجهه أنّ المنع إنما هو في المصدر المؤول بحرف مصدريّ وفعل وهذا ليس منه، والمصنّف

يحتمل أن يُراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبي الدار، وأن يراد بالدار جهنم وبسوتها عذابها.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ (٢٦)

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده وهو يبسط الرزق ويقدر دون غيره ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما بسط لهم من الدنيا (فرح بطر وأشر) لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً (نزرًا) يتمتع به (كعجالة الراكب) وهو ما يتعجله من ثميرات أو شربة سويق.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قَدْ أَتَى اللَّهَ بُحْلُكُم مِّنْ إِثْمِكُمْ وَتَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا نَتَطَمَّئِنُّ فَتُبْنَهُمْ يُذَكِّرُ اللَّهُ الْقُلُوبَ الْغَلِيظَ﴾ (٢٧) ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا كُنتُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٨) ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا كُنتُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٩)

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي الآية المقترحة ﴿قَدْ أَتَى اللَّهَ بُحْلُكُم مِّنْ إِثْمِكُمْ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا كُنتُوا يَعْمَلُونَ﴾

تَعَلَّقَ تبع فيه أبا البقاء مع الرضى جوزه مع التأويل أيضًا، وقال: لا أراه مانعًا، لأن كل مؤول بشيء لا يثبت له جميع أحكامه. وقال صاحب الكشف: إن عليكم بحسب أصله ليس بأجنبي، فلذا أجاز الفصل به. اهـ.

قوله: (فرح بطر) في مختار الصحاح: البطر الأشر، وهو شدة المرح، وبابه طرب. اهـ. وأيضا في المرح شدة الفرح والنشاط، وبابه طرب. اهـ. قوله: (وأشر) في مختار الصحاح: الأشر البطر وبابه طرب فهو أشر. اهـ. وفي المصباح: أشر أشرا فهو أشر من باب تعب بطر وكفر النعمة، فلم يشكرها. اهـ. قوله: (نزرًا) أي قليلاً. في مختار الصحاح: النزر التافه القليل. وبابه ظرف وعطاء منزور أي قليل. اهـ. وفي المصباح: نزر الشيء - بالضم - نزارة ونزورًا، فهو نزر ونزورًا - بالفتح - ونزير أي قليل. اهـ. قوله: (كعجالة الراكب) بضم العين.

أَنَابَ ﴿ وَيُرْشِدُ إِلَى دِينِهِ مَنْ رَجَعَ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ ﴾ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هم الذين أو محله  
النصب بدل من ﴿مَنْ﴾ ، ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾ تسكن ﴿يَذْكُرِ اللَّهُ﴾ على الدوام أو  
بالقرآن أو بوعده ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ بسبب ذكره تطمئن قلوب  
المؤمنين ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ خبره وهو مصدر  
من طاب كبشرى. ومعنى طوبى لك أصبت خيراً وطيباً، (ومحلها النصب أو الرفع)  
كقولك طيباً لك وطيب لك وسلاماً لك وسلام لك. واللام في ﴿لَهُمْ﴾ للبيان  
مثلها في سقيا لك. والواو في ﴿طُوبَى﴾ منقلبة عن ياء لزمة ما قبلها كموقن.  
والقراءة في ﴿وَحَسُنَ مَا بَ﴾ مرجع. بالرفع والنصب تدل على محلها.

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ آلَ الذِّى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ  
يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ (مثل ذلك الإرسال) أرسلناك إرسالاً له شأن وفضل على  
سائر الإرسالات. ثم فسر كيف أرسله فقال: ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ أُمَمٌ﴾  
أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمة كثيرة فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء  
﴿لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ آلَ الذِّى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك  
﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ وحال هؤلاء أنهم يكفرون ﴿بِالرَّحْمَنِ﴾ بالبليغ الذي وسعت  
رحمته كل شيء ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ ورب كل شيء ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي هو ربي  
الواحد المتعالي عن الشركاء ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في نصرتي عليكم ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾  
مرجعي فيثبني على مصابرتكم. «متابي» و«عقابي» و«مآبي» في الحالين:  
(يعقوب).

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ الْمُؤْمِنُ بَلْ يَتَّبِعُ الْأَمْرُ  
جَمِيعاً أَلَمْ يَجْعَلْ يَنْفِيسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى الدَّسَّ جَمِيعاً وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ

قوله: (ومحلها النصب) على المصدرية، كأنه قيل: طيب الله طوبى  
وحسنهم حسن مآب (أو الرفع) بالابتداء، وإن كانت نكرة لأنها للدعاء.

قوله: (مثل ذلك الإرسال) أي إرسال الرسل المتقدمين إلى أممهم. قوله:  
(يعقوب) وليس من السبعة.

كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخِيفُ الْمُبْعِدَ ﴿٣١﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ عن مقارها ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ حتى تنصدع وتتزييل قطعاً ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ فتسمع وتجب (لكان هذا القرآن) لكونه غية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف، فجواب «لو» محذوف. أو معناه: ولو أن قرآنًا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبئهم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ نَزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكُكَّةَ﴾ [الأنعام: الآية ١١١]. (الآية) ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها ﴿أَفَلَمْ يَأْتِئِصِ الَّذِينَ ءَمَنُوا﴾ أفلم يعلم وهي لغة قوم من (النخع). وفي: إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليأس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل السنين في معنى الترك لتضمن ذلك، دليله قراءة علي رضي الله عنه أفلم يتبين وفي: إنما كتبه الكاتب (وهو ناعس مستوي السينات) وهذه والله (فرية) من فبه مرية ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَعَوْا﴾ من كفرهم وسوء أعمالهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تفرعهم بما

قوله: (لكان هذا القرآن)... الخ. وهذا معنى قول قتادة، فإنه قال: معناه من كفرهم بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ نَزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكُكَّةَ﴾ الآية) وحرف الآية: ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١١١]. قوله: (النخع) في القاموس: النخع محرّكة قبيلة باليمن، وهو ابن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد. اهـ. قوله: (وهو ناعس) في المصباح: نعس ينعس من باب قتل والاسم النعاس، فهو ناعس والجمع نعس مثل راعع ورعّع والمرأة ناعسة والجمع نواعس، وربما قيل: نعسان ونعسى حملوه على وسنان ووسنى، وأول النوم ننعاس، وهو أن يحتاج الإنسان إلى النوم. اهـ. قوله: (مستوي السينات) أي السينات تسمية للجزء الذي هو العمدة باسم الكل؛ إذ ما عدا السينات يطرح في الدرج، وفي لسان العرب قال أبو سعيد: وقولهم: فلان لا يحسن سينة يريدون شعبة من شعبه وهو ذو ثلاث شعب. اهـ. قوله: (فرية) - بالكسر - في مختار الصحاح: فرى كذباً خلقه وافتراه اختلقه، والاسم الفرية. اهـ. قوله: مرية في

يحلّ الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرْيَةً مِّن دَارِهِمْ﴾ أو تحلّ القارعة قريباً منهم فيفزعون ويتطايروا عليهم (شرورها) ويتعدى إليهم شرورها ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ أي موتهم أو القيامة، أو ولا يزال كفّار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لأن جيش رسول الله (يغير) حول مكة ويختطف منهم، (أو تحل أنت يا محمد) قريباً من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ أي لا خلف في مواعده.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٣٢) أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُهُ بِمَا لَا بَعَثُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زَيْنٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ (٣٣) هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤)

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الإملاء الإمهال وأن يترك (ملاوة) من الزمان في (خفض) وأمن ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ﴾ احتجاج عليهم في إشراكهم بالله يعني آفانه الذي هو رقيب ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ صالحة أو (طالحة) ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعلم خيره وشره ويعدّ لكل جراه كمن ليس كذلك. ثم استأنف فقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أي الأصنام ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي

مختار الصحاح المزية الشك. وقد يُضَمُّ بهما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود: الآية ١٧]. اهـ. قوله: (شرورها) الشرر واحد شرارة، وهي ما يتطايروا من النار. قوله: (يغير) من أغار على العدو. قوله: (أو تحل أنت يا محمد)... الخ. وقد حلّ بالحديبية في السنة السادسة ومنعوه من دخول مكة وصالحوه على أن يمكثوا من الدخول في السنة التي بعدها، وقد دخل في السابعة، وامتد وفتح مكة في الثامنة، وحجّ في العاشرة مرة ولم يحجّ غيرها.

قوله: (ملاوة) بفتح الميم وضمّها وكسرهما، أي حيناً. قوله: (خفض) أي راحة. قوله: (طالحة) في لسان العرب: الطلاح نقيض الصلاح، والطالح خلاف

سَمَوْهُمْ لَهُ مِنْ هُمْ وَنَبَّوْهُ بِأَسْمَائِهِمْ ثُمَّ قَالَ: ﴿أَمْ تَسْتَوْنَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ على «أم» المنقطعة أي بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض، فإذا لم يعلمهم علم أنهم (ليسوا بشيء) والمراد نفي أن يكون له شركاء ﴿أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ٣٠]، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ [يوسف: الآية ٤٠] ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ (كيدهم للإسلام بشركهم) ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ عن سبيل الله (بضم الصاد: كوفي، وبفتحتها: غيرهم)، ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ من أحد يقدر على هدايته ﴿هَلُمَّ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر وأنواع (المحن) ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد لدوامه ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ من حافظ من عذابه.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ لَا يَتَّبِعُهُمْ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ نِعْمَتَ اللَّهِ قُلْ إِنَّمَا أُبْرِئُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكُ بِهِ إِلَهِهُ أَدْعُوا إِلَيْهِ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٦﴾

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ صفتها التي هي في غرابة المثل، وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (كما تقول صفة زيد أسمر) ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ ثمرها دائم الوجود لا

الصالح. اهـ. قوله: (ليسوا بشيء) يتعلق به العلم. قوله: (كيدهم للإسلام بشركهم) المكر حيلة يجلب بها مضرة، فالمكر هنا مجازاً والإسلام ليس من شأنه الكيد، فالمراد إخلالهم له بشركهم وإضرارهم له. اهـ قنوي باختصار. قوله: (بضم الصاد) على البناء للمفعول، (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي (وبفتحتها) على البناء للفاعل (غيرهم). قوله: (المحن) جمع مِحنة مثل سدره وسدر.

قوله: (كما تقول صفة زيد أسمر) جواب عما يقال: كيف يصح أن يكون المثل ههنا بمعنى الصفة، ثم يكون مبتدأ وخبره: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، فإن المثل إذا كان بمعنى الصفة كان تقدير الكلام صفة الجنة فيها أنهار، والحال أنه لا

ينقطع ﴿وَزُلْزِلَتْهَا﴾ دائم (لا ينسخ) كما ينسخ في الدنيا بالشمس ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ أَتَفَوْا﴾ أي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعني منتهى أمرهم ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنَّا بِهِمْ أَلِكْتَبَ﴾ يريد من أسلم من اليهود (كابن سلام) ونحوه ومن النصراري بأرض (الحبشة) ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أي ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه (والسيد والعاقب وأشياعهما) ﴿مَنْ يُنْكِرْ بَعْضَهُمْ﴾ لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم، وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرّفوه وبدّلوه من الشرائع ﴿قُلْ إِنَّمَا أُخِذْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ هو جواب للمنكرين أي قل إنما أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله ولا أشرك به، فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادّعاءكم وجوب عبادة الله وأن لا يُشرك به ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ خصوصاً لا أدعو إلى غيره ﴿وَالِإِيَّاهُ﴾ لا إلى غيره ﴿مَثَابُ﴾ مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم.

﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْإِلَهِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْهُ﴾ ومثل ذلك الإنزال أنزلناه ماثوراً فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ حكمة عربية مترجمة

معنى لقولنا: صفة الجنة فيها أنهار؛ لأن الأنهار في نفس الجنة لا في صفتها، وتقدير الجواب أنّ ما ذكر إنما يلزم أن لو كان ضمير فيها راجعاً إلى الصفة في قولنا: صفة الجنة فيها أنهار، وليس كذلك؛ كما إذا قيل: صفة زيد أسمر، يريد أن ضمير أسمر راجع إلى نفس زيد لا إلى صفته، فلا يرد ما ذكر لأنه إنما يرد أن لو كان ضمير أسمر راجعاً إلى الصفة، وليس كذلك؛ بل هو راجع إلى نفس زيد، كأنه قيل: صفة السُّمرة فيه. قوله: ﴿وَزُلْزِلَتْهَا﴾ مبتدأ حذف خبره، كما أشار له المصنّف رحمة الله تعالى عليه. قوله: (لا ينسخ) أي لا يزال. قوله: (كابن سلام) بتخفيف اللام. قوله: (الحبشة) - بفتحيتين - الجماعة من الحبش، وهم طائفة من السودان. قوله: (والسيد والعاقب) علماّن لأسقفي نجران. قوله: (وأشياعهما) أتباعهما.



بلسان العرب وانتصابه على الحال، كانوا يدعون رسول الله ﷺ إلى أمور يشاركهم فيها فقيل: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة ﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ أي لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه واق، وهذا من باب التهيج والبعث للسامعين على الثبات في الدين وأن لا يزل زالٌ عند الشبهة بعد استمسكه بالحجة وإلا فكان رسول الله ﷺ من شدة الثبات بمكان. وكانوا يُعيّبونه (بالزواج والولاد) ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ نساءً وأولاداً ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي ليس في وسعه إتيان الآيات على ما يقترحه قومه وإنما ذلك إلى الله ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (لكل وقت حكمٌ يُكتب) على العباد أي يُفرض عليهم على ما تقتضيه حكمته.

قوله: (بالزواج) في المصباح: الزواج - بالفتح - يجعل اسمًا من زوج مثل سَلَّمَ سلامًا وكَلَّمَ كلامًا، ويجوز الكسر ذهابًا إلى أنه من باب المفاعلة؛ لأنه لا يكون إلا من اثنين كالنكاح والزنا. اهـ. قوله: (والولاد) في مختار الصحاح ولسان العرب: وَلَدَتِ المرأة ولادًا أو ولادة. اهـ.

قوله: (لكل وقت حكمٌ يُكتب) يعني أن الكتاب بمعنى الحكم المكتوب المفروض على المكلفين بالشرائع والأحكام؛ لأن الطاعنين في نبوته ﷺ قالوا: لو كان صادقًا في دعوة النبوة لم ينسخ الأحكام التي نصّر الله تعالى على ثبوتها في الشرائع المتقدمة في التوراة والإنجيل، لكنه نسخها وحرّفها نحو تحريف القبلة ونسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل؛ فوجب أن لا يكون نبيًا حقًا. فأجاب الله تعالى عنه بقوله: لكل وقت حكم يليق بصلاح أهله وحالهم، فإن الحكمة تقتضي اختلاف الأحكام على حسب الأعصار والأمم، وعلى حسب تخصيص المشيئة الإلهية أهل كل عصر بحكم على حدة؛ كما قال الله تعالى:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩)

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (ينسخ ما يشاء نسخه) ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ (بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ)، أو يمحو من ديوان الحفظ ما يشاء ويثبت غيره، أو يمحو كُفْر التائبين ويثبت إيمانهم، (أو يثبت من حان أجله وعكسه) ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ مدني وشامي وحمزة وعلي) ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه.

﴿وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضُ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّهُ عَلَيْكَ الْبَلْعُ وَعَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (٤٠)

﴿وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضُ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ﴾ وكيفنا دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ﴾ فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة (فحسب) ﴿وَعَيْنَا الْحِسَابُ﴾ وعينا حسابهم جزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلا يهملك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ إن فسر بما ذكره المصنف رحمه الله تعالى

بقوله: (ينسخ ما يشاء نسخه، ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ).  
قوله: (أو يثبت من حان) أي قُرب (أجله وعكسه) قال الحسن: يمحو ما يشاء، أي من جاء أجله يذهب به ويثبت من لم يجرى أجله إلى أجله. اهـ. وعن ابن عباس وغيره: يمحو ما يشاء إلا الشقاوة والسعادة والحياة والممات وعن كثير من السلف كعمر بن الخطاب وابن مسعود وغيرهما أنهم كانوا يدعون بهذا الدعاء: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنا أَشْقِيَاءَ فامحه واكتبنا سعداء، وَإِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنا سَعْدَاءَ فَأُثَبِّتْنَا فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثَبِّتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ. وهذا الدعاء نقل في الحديث قراءته في ليلة النصف من شعبان. اهـ جمالين. قوله: ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ بفتح الشاء وتشديد الباء الموحدة من التثبيت (مدني) أي نافع المدني (وشامي) أي ابن عامر الشامي (وحمزة وعلي) الكسائي. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بسكون الشاء المثناة وتخفيف الباء الموحدة من أثبت.

قوله: / محسب، أي فقط.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٤١﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ أرض الكفرة ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بما نفتح على المسلمين من بلادهم فنتقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام وذلك من آيات النصر والغلبة، والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونبتئ ما وعدناك من النصر والظفر ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ لا راد لحكمه. والمعقب الذي (يكر) على الشيء فيبطله، وحقيقته الذي يعقبه أي يقبّه أي بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقبّي غريمه بالاقتضاء والطلب، والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس. ومحل ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ النصب على الحال كأنه قيل: والله يحكم نافذاً حكمه كما تقول: جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة له تريد حاسراً ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (فعماً قليل) يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْتُبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلُ الْكَفَرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي كفار الأمم الخالية بأنبيائهم والمكر إرادة المكروه في خفية ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ ثم فسّر ذلك بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْتُبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلُ الْكَفَرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ يعني العاقبة المحمودة لأن من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله، لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة عما يراد بهم (الكافر). على (إرادة الجنس حجازي وأبو عمرو).

قوله: (يكر) في مختار الصحاح: الكر الرجوع وبابه رد. اهـ. قوله: (عما قليل) من الزمان، وما زائدة.

قوله: (الكافر) بالألف بعد الكاف على الأفراد، والكاف مفتوحة والفاء مكسورة مخففة على (إرادة الجنس حجازي) أي إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي، أي قرأه نافع المدني وابن كثير المكي (وأبو عمرو)، وقرأ الباقون بالألف بعد الفاء على الجمع، فالكاف مضمومة والفاء مفتوحة مشددة، فمن قرأ بالأفراد

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٤٣)

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ المراد بهم كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود قالوا: لست مُرْسَلًا، ولهذا قال عطاء هي مكيّة إلا هذه الآية ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بما أظهر من الأدلة على رسالتي، والباء دخلت على الفاعل و﴿شَهِيدًا﴾ تمييز ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قيل: هو الله عز وجل، والكتاب: اللوح المحفوظ (دليله قراءة مَنْ قَرَأَ ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾) أي ومن لدنه علم الكتاب لأن علم من علمه من فضله ولطفه، وقيل: ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم. وقال ابن سلام: في نزلت هذه الآية. وقيل: هو جبريل عليه السلام. ﴿وَمَنْ﴾ في موضع الجر بالعطف على لفظ ﴿اللَّهُ﴾ أو في موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور إذ التقدير: كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدّر في الظرف فيكون فاعلاً، لأن الظرف صلة لـ «من» و«من» هنا بمعنى الذي والتقدير مَنْ ثَبَتَ عنده علم الكتاب، وهذا لأن الظرف إذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو: «مررت بالذي في الدار أخوه» فأخوه فاعل كما تقول: «بالذي استقر في الدار أخوه» (وفي القراءة بكسر ميم «من» يرتفع العلم بالابتداء).

أراد الجنس؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: الآية ٢] ليوافق الجمع.

قوله: (دليله قراءة مَنْ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾) بكسر الميم والبدال، وهي قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهي من الشواذ. قوله: (وفي القراءة بكسر ميم «من») على أنه حرف جر (يرتفع العلم بالابتداء) أي يكون علم الكتاب مرفوعاً على الابتداء وما قبله خبره.

تَمَّتْ سورة الرعد والحمد لله على التمام.

وهذا أو أن الشروع فيما يتعلق بسورة إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام

## (سورة إبراهيم عليه السلام)

(مَكِّيَّة: اثنتان وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ  
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾

﴿الرَّ كَتَبَ﴾ هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعني السورة، والجملة التي هي ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ في موضع الرفع صفة للنكرة ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ بدعائك إياهم ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الضلالة إلى الهدى ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بتيسيره وتسهيله (مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب) وذلك ما يمنحهم من التوفيق ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ بدل من ﴿النُّورِ﴾ بتكرير العامل ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب بالانتقام ﴿الْحَمِيدُ﴾ الم محمود على الإنعام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة إبراهيم عليه السلام مكية اثنتان وخمسون آية) وعدد كلماتها ثمانمائة وإحدى وثلاثون كلمة، وعدد حروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وثلاثون حرفاً. اهـ خطيب. قوله: (مستعار من الإذن الذي هو تسهيل<sup>(١)</sup> الحجاب) أي

(١) المراد به الرفع المانع. ١٢ منه.

﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾

﴿اللَّهُ﴾ (بالرفع مدني وشامي على هو «الله») وبالجر غيرهما على أنه (عطف بيان لـ ﴿الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾) ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً. ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل وهو نقيض الوال وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فقال: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وهو مبتدأ وخبر، وصفة).

مجاز مرسل على طريق إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، فإن لفظ الإذن حقيقة في الإطلاق ورفع الحجاب ويلزمه التسهيل والتيسير، فإن الدخول في حق الغير وملكه متعذر، فإذا صُودف الإذن يكون تسهياً وتيسيراً، فلما كان التسهيل من لوازم الإذن صح استعمال لفظ الإذن فيه مجازاً، فالمراد بقوله: مستعار الاستعارة اللغوية لا ما هو مصطلح أهل البيان. وقوله: ﴿لُخْرِجَ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾. وقوله: ﴿يَاْذِنْ رَبِّهِمْ﴾ يجوز أن يتعلق بالإخراج، أي لتخرجهم بتسهيله وتيسيره، وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من ضمير الفاعل، أي مأذوناً لك أو من الناس، أي مأذوناً لهم شبه الكفر بالظلمات لأنها نهاية ما يتحير الرجل فيه ولا يهتدي به إلى الحق والصواب، وشبه الإيمان بالنور لأنه نهاية ما يتجلى به الحق المطلوب، وجمع الظلمات لتعدد طرق الكفر وأنواعه. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (بالرفع مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي (على هو الله) أي على أنه خير مضمّر، أي هو الله أو مبتدأ خبره الموصول. قوله: (عطف بيان لـ ﴿الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾) لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته على المعبود بحق. قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وهو مبتدأ وخبر وصفة) أي ﴿وَوَيْلٌ﴾ مبتدأ، و﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ خبره، ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في موضع رفع صفة لويل بعد الخبر، وهو جائز، ولا يجوز أن يتعلق بويل من أجل الفصل بينهما بالخبر. اهـ تبيان في إعراب القرآن للإمام محب الدين أبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرِي.

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتَوْنَهَا عِوَجًا  
أُولَئِكَ فِي صُلَىٰ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ويؤثرون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن دينه ﴿وَيَعْتَوْنَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون لسبيل الله زيغًا واعوجاجًا، والأصل ويغيون لها فحذف الجار وأوصل الفعل. ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ خبره ﴿أُولَئِكَ فِي صُلَىٰ بَعِيدٍ﴾ عن الحق. ووصف الضلال بالبُعد من الإسناد المجازي والبُعد في الحقيقة للضال لأنه هو الذي يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جدَّ جدّه، أو مجرور صفة للكافرين، أو منصوب على الذم، أو مرفوع على أعني الذين، أو هم الذين.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ إلا متكلمًا بلغتهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما هو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له: لم نفهم ما خُوطبنا به. فإن قلت: إن رسولنا ﷺ بعث إلى الناس جميعًا بقوله: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨] بل إلى الثقيلين وهم على ألسنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة. قلت: لا يخلو ما إن ينزل بجميع الألسنة أو بواد منها فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعيّن أن ينزل لسان واحد، وكان لسان قومه أولى بالتعيين لأنهم أقرب إليه ولأنه أبعد من التحريف والتبديل ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من أثر سبب الضلالة ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ من أثر سبب الاهتداء ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا يُغَالَب على مشيئته ﴿الْحَكِيمُ﴾ فلا يخذل إلا أهل الخذلان. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ التسع ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ (بأن أخرج أو أي أخرج) لأن الإرسال فيه

قوله: (بأن أخرج أو أي أخرج) أشار إلى أن ﴿أَنْ﴾ في ﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ [إبراهيم: الآية ٥] يجوز أن تكون مصدرية، وأن تكون مفسرة لوقوعها بعد فعل في

معنى القول كأنه قيل: أرسلناه وقلنا له: أخرج قومك ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّنِّمَ اللَّهِ﴾ وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود، ومنه أيام العرب لحروبها (وملاحمها) أو بأيام الإنعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المَنَّ والسلوى وفلق لهم البحر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على البلايا ﴿شَكُورٍ﴾ على العطايا كأنه قال لكل مؤمن إذ الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ مَّالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْحِقُونَ آبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٦﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ مَّالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ «إذ» ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك الوقت، أو بدل اشتغال من نعمة الله أي اذكروا وقت إنجائكم ﴿وَيُدْحِقُونَ آبَاءَكُمْ﴾ ذكر في البقرة ﴿يُدْحِقُونَ﴾ [الآية ٤٩]، وفي الأعراف ﴿يَقْتُلُونَ﴾ [الآية ٤١] بلا واو، وهنا مع الواو. والحاصل أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرًا للعذاب وبيانًا له، وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث إنه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ وفي ذلك بلاءٌ من ربكم عظيمٌ الإشارة إلى العذاب (والبلاء المحنة) أو إلى الإنجاء والبلاء والنعمة. ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْغَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥].

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿١٧﴾

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ﴾ أي آذن ونظير «تأذن» و«آذن» توعد وأوعد. ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل: وإذ آذن ربكم إيذانًا بليغًا تنتفي عنده

معنى القول. قوله: (وملاحمها) الملاجم جمع ملحمة، والملحمة هي الحرب وموضع القتال. اهـ لسان العرب. وأيضا فيه: الملحمة الحرب ذات القتل الشديد، والملحمة الوقعة العظيمة في الفتنة. اهـ.

قوله: (والبلاء المحنة) . . . الخ. لأن البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْغَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥].



الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه، وانتصابه للعطف على ﴿فَعَمَّتْ  
 اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ كأنه قيل: وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين  
 تأذن ربكم والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل ما  
 (خولتكم) من نعمة الإنجاء وغيرها ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمة إلى نعمة فالشكر قيد  
 الموجود وصيد المفقود. وقيل: إذا سمعت النعمة نعمة الشكر تأهبت للمزيد.  
 وقال (ابن عباس) رضي الله عنهما: لئن شكرتم بالجد في الطاعة لأزيدنكم بالجد  
 في المثوبة ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ ما أُنعمت به عليكم ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ لمن كفر  
 نعمتي، أما في الدنيا فسلب النعم، وأما في العقبى فتوالى النعم.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّكَ اللَّهُ لَغَيُّ حَيْدٍ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهُمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل ﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾  
والناس كلهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ عن شكركم ﴿حَيِّدٌ﴾ وإن لم يحمدوه الحامدون  
وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ  
نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ من كلام موسى لقومه أو  
ابتداء خطاب لأهل عصر محمد عليه السلام ﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ  
إِلَّا اللَّهُ﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضاً، أو عطف ﴿الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾  
على ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ و﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ اعتراض، والمعنى أنهم من الكثرة  
بحيث لا يعلم عددهم إلا الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: بين عدنان  
وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون. وروى أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية:

قوله: (خولتكم) أعطيتكم. قوله: (ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِدَ قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يُسمى البحر والحبر لسعة علمه، مات سنة ثمانٍ وستين بالطائف، وهو أحد المُكثَرين من الصحابة وأحد العبادة من فقهاء الصحابة.

(كذب النسابون) ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ الضميران يعودان إلى الكفرة أي أخذوا أناملهم بأسنانهم تعجباً أو عضوا عليها غيظاً، أو الثاني يعود إلى الأنبياء أي ردّ القوم أيديهم في أفواه الرسل كيلا يتكلموا بما أرسلوا به ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ من الإيمان بالله والتوحيد ﴿مُريبٍ﴾ موقع في الرية.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفَرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أُنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَ عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُّوْنَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه، وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾، ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى الإيمان ﴿لِيَغْفَرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ إذا آمنتم ولم تجيء مع «من» إلا في خطاب الكافرين كقوله: ﴿وَأَتَّقُوا وَأَطِيعُوا﴾ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [سوح: الآيتان ٣، ٤]، ﴿يَقُومَنَّ أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: الآية ٣١]، وقال في خطاب المؤمنين: ﴿هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ عِزَّةٍ﴾ إلى أن قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الصف: الآيات ١٠ - ١٢] وغير ذلك مما يُعرف بالاستقراء، وكان ذلك للترقية بين الخطابين ولئلا يسوّي بين الفريقين في الميعاد ﴿وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت وقد سماه وبين مقداره.

﴿قَالُوا﴾ أي القوم ﴿إِنْ أُنْتُمْ﴾ ما أنتم ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تُخصّصوا بالنبوة دوننا ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ﴾

قوله: (كذب النسابون) لأنهم يدعون علم الأنساب، وقد نفى الله علمها عن العباد.

قوله: ﴿لِيَغْفَرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ إذا آمنتم في الأشباه: أن الحربي يُغفر له كل ذنب، والذمي يغفر له ما عدا المظالم. اهـ.

﴿أَبَاؤُنَا﴾ يعني الأصنام ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة بيّنة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات، وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها (تعتنا ولجأنا).

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ تسليم لقولهم إنهم بشر مثلهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بالإيمان والنبوة كما من علينا ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ جواب لقولهم: ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ والمعنى أن الإتيان بالآية التي قد اقترحتها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصداً أولياً كأنهم قالوا: ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومُعاداتكم وإيذائكم، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ معناه وأني عذر لنا في أن لا نتوكل عليه ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين. قال (أبو تراب): التوكل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والشكر عند العطاء، والصبر عند البلاء ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾ جواب قسم مضمّر أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يُمسيكوا عن دعائهم

قوله: (تعتنا) في لسان العرب: تعتته تعتنا سألته عن شيء أراد به اللبس عليه والمشقة. قوله: (لجأنا) في مختار الصحاح: لَجِجْتُ - بالكسر - لجأنا ولجأنا - بفتح اللام - فيها - فأنت لجوج ولجوجة والهاء للمبالغة، ولَجِجْتُ - بالفتح - تلجج - بالكسر - لغة، والمَلَاَجَةُ التماذي في الخصومة. اهـ.

قوله: (أبو تراب) عسكر بن حصين النخشي صحب حاتم الأصم وأبا حاتم العطار المصري، مات سنة خمس وأربعين ومائتين، قيل: مات بالبادية نهسته السباع رحمة الله عليه.

﴿رَعَىٰ اللَّهُ فَلَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ أي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكررًا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِتْنَتِنَا فَاتَّخَذُوا إِلَهُهُمْ رَبَّهُمْ لَتُبْلَىٰ لَهُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣) وَلَتَسْكُنَنَّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (١٤)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ﴾ ، ﴿سُبُّنَا﴾ ، ﴿لِرُسُلِهِمْ﴾ أبو عمرو ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا﴾ من ديارنا ﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِتْنَتِنَا﴾ أي ليكونن أحد الأمرين إخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك ، (والعود بمعنى الصيرورة) وهو كثير في كلام العرب ، أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه (فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد) ﴿فَاتَّخَذُوا إِلَهُهُمْ رَبَّهُمْ لَتُبْلَىٰ لَهُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (القول مضمرة) أو أجرى الإيحاء مجرى القول (لأنه ضرب منه) . ﴿وَلَتَسْكُنَنَّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي أرض الظالمين وديارهم . في الحديث «من أذى جاره ورثه الله داره» ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإهلاك والإسكان أي ذلك الأمر حق ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ موقعي وهو موقف الحساب ، (أو المقام) مُقَحَّم ، أو خاف قيامي عليه بالعلم كقوله : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: الآية ٣٣] . والمعنى أن ذلك حق للمتقين ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ ، ﴿عَذَابِي﴾ (وبالياء : يعقوب) .

قوله : ﴿سُبُّنَا﴾ و﴿رُسُلُهُمْ﴾ أبو عمرو أي أسكن باء ﴿سُبُّنَا﴾ [إبراهيم: الآية ١٢] وسين ﴿رُسُلُهُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٩] أبو عمرو ، والباقون بالرفع . قوله : (والعود بمعنى الصيرورة) أي والعود ههنا خارج عن أصل معناه الذي وضع هو له وهو الرجوع إلى ما كان عليه أولاً ، فهذا جواب عما عسى يُسأل ، ويقال : إن لفظ العود يُشعر بأنهم كانوا على ملتهم وليس كذلك ، فما معنى العود؟ فأجيب بأن ليس المراد بالعود حقيقة معناه ، بل المراد به الصيرورة مجازًا . قوله : (فغلبوا في الخطاب الجماعة) وهم الذين آمنوا معه (على الواحد) أي الرسول ؛ إذ كل قوم خاطبوا نبيهم الذي بُعث إليهم وهو الواحد . قوله : (القول مضمرة) أي فعل الإيحاء لا يلائم ليهلكن . اهـ شهاب . قوله : (أو المقام) أي لفظ المقام مُقَحَّم ، أي مزيد . قوله : (لأنه ضرب منه) أي لأن الإيحاء نوع من القول ، ولما كان الإيحاء نوعًا منه ، فأية حاجة إلى اعتبار إضمار القول . قوله : (وبالياء) في الحاليين (يعقوب) وليس من السبعة .

﴿وَأَسْفَتْحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عِندِ ﴿١٥﴾ مَن وَرَّاهُ جَهَنَّمَ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾  
 ﴿وَأَسْفَتْحُوا﴾ واستنصروا الله على أعدائهم وهو معطوف على ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾، ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ﴾ وخسر كل متكبر بظر ﴿عَن يَدِ﴾ مُجَانِبٍ للحق. معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم. وقيل: الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرُّسل ظناً منهم بأنهم على الحق والرُّسل على الباطل، وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه ﴿مَن وَرَّاهُ﴾ من بين يديه ﴿جَهَنَّمَ﴾ وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها، أو وصف حاله في الآخرة حيث يبعث ويوقف ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقي فيها ما يلقي ويسقى ﴿مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ ما يسيل من جلود أهل النار، و﴿صَدِيدٍ﴾ عطف بيان لماء لأنه مبهم فبين بقوله: ﴿صَدِيدٍ﴾.

﴿يَنْجَرَعُهُمْ وَلَا يَكْذُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرَّاهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿يَنْجَرَعُهُمْ﴾ يشربه جرعة جرعة ﴿وَلَا يَكْذُ يُسِغُهُ﴾ ولا يقارب أن يسيفه فكيف تكون الإساعة كقوله: ﴿لَوْ يَكْدُ بِرَبِّهَا﴾ [النور: الآية ٤٠] أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده، وهذا تفضيع لما يصيبه من الآلام أي لو كان ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكاً ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ لأنه لو مات لاستراح ﴿وَمَنْ وَرَّاهُ﴾ ومن بين يديه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشد مما قبله وأغلظ. وعن (الفضيل: هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد).

قوله: ﴿مَن وَرَّاهُ﴾ من بين يديه قال أبو عبيدة: هو من الأضداد، يعني أنه يقال: وراء بمعنى خلف، وبمعنى أمام.

قوله: (الفضيل) بن عياض مات بمكة في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة رحمة الله عليه. قوله: (هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد) أي لا يمكنه أن يتنفس لاستيلاء اللهب والدخان عليه.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (١٨)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ﴾ مبتدأ محذوف الخبر أي فيما يتلى عليكم مثل الذين ﴿كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول: كيف مثلهم؟ فقيل: أعمالهم كرماد ﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾، (الرياح مدني) ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك: «يوم ماطر». وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسرى وعقر الإبل للأضياف وغير ذلك، شبهها في حيويتها لبنائها على غير (أساس) وهو الإيمان بالله تعالى - برماد طيرته الريح العاصف ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من أعمالهم ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ أي لا يرون له أثراً من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ إشارة إلى بُعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَلْحَقُ إِنَّ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم الخطاب لكل أحد ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ﴿خَلَقَ﴾ مضافاً: حمزة وعلي ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالحكمة والأمر العظيم ولم يخلقها عبثاً ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق

قوله: (الرياح) بالجمع (مدني) أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، والباقون بالافراد. قوله: ﴿يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة؛ كقولهم: نهاره صائم وليله قائم. اهـ. بياضوي. قوله: (أساس) بالفتح أصل البناء.

قوله: ﴿خَلَقَ﴾ مضافاً) بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف اسم فاعل وخفض ﴿السَّمَوَاتِ﴾ على الإضافة ﴿وَالْأَرْضَ﴾ على العطف عليه، (حمزة وعلي) الكسائي. والباقون بفتح الخاء واللام بلا ألف وفتح القاف فعلاً ماضياً ونصب السموات بالكسرة، والأرض على المفعولية.

مكانهم خلقًا آخر على شكلهم، أو على خلاف شكلهم إعلامًا بأنه قادر على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (٢١) ﴿بِمَتَّعَدَّرَ﴾.

﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ حِمِيمًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَعَاً فَهَلْ مُتَّعُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَكُمُ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (٢١).

﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ حِمِيمًا﴾ وبرزون يوم القيامة. وإنما جيء به بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد. ونحوه ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٤]، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٠]، وغير ذلك، ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خافٍ على الله، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا عند أنفسهم وعلموا أن الله لا تخفى عليه خافية، أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ في الرأي وهم السفلة والأتباع. وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم السادة والرؤساء الذين استغفروهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء وأتباعهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَعَاً﴾ تابعين. جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب. (أو ذوي تبع) والتبع الأتباع يقال: تبعه تبعًا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّعُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فهل تقدرّون على دفع شيء مما نحن فيه. و«من» الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل: فهل أنتم مُتَّعُونَ عَنَّا بعض الشيء الذي هو عذاب الله، أو هما للتبعيض أي فهل أنتم مُتَّعُونَ عَنَّا بعض شيء هو بعض عذاب الله؟ لما كان قول الضعفاء توبيخًا لهم وعتابًا على استغوائهم لأنهم علموا أنهم لا يقدرّون على الإغناء عنهم ﴿قَالُوا﴾ لهم مُجِيبِينَ معتردين ﴿لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَكُمُ﴾ أي لو هدانا الله إلى الإيمان في الدنيا لهديناكم إليه، أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لأغنيا عنكم وسلطنا بكم طريق النجاة كما سلطنا بكم طريق (الهلكة) ﴿سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ (مستويان علينا الجزع

قوله: (أو ذوي تبع) على إضمار مضاف أو مصدر نعت به. قوله: (الهلكة) مثال قَصْبة بمعنى الهلاك. اهـ مصباح. قوله: (مستويان علينا الجزع

والصبر)، والهمزة وأم للتسوية. رُوِيَ أنهم يقولون في النار: تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع، فيقولون: تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر، ثم يقولون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ واتصاله بما قبله من حيث إن عتابهم لهم كان جزعاً مما هم فيه، فقالوا لهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مُجْتَمِعِينَ فيها يقولون: ما هذا الجزع والتوبيخ، ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر ﴿مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ﴾ (منجي) ومهزَّب جزعنا أم صبرنا، ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعاً.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَتُوبُونَ وَلَوْ مُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ حُكِمَ بالجنة والنار لأهليهما وفرغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ورُوِيَ أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيباً على منبر من نار فيقول لأهل النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ كذبتكم ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ من تسلط واقتدار ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ لكنني دعوتكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني،

والصبر) أشار إلى أن ﴿سَوَاءٌ﴾، إنما أفرد لأنه في الأصل مصدر والمراد التثنية، وضميره راجع إلى الجزع والصبر لكونهما مبتدأ مقدَّمان عليه. اهـ قنوي. وفي حاشية البيضاوي للعلامة شيخ زاده رَحِمَهُ اللهُ: قوله: مستويان علينا الجزع والصبر إشارة إلى أن قوله: ﴿أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ في محلّ الرفع على الابتداء، والجملة إنما يمتنع الإخبار عنها إذا كانت نسبتها ملحوظة تفصيلاً. وأما إذا أُريد بها مطلق الحدث المدلول عليه ضمناً على الاتساع، فهي كالاسم في الإضافة والإسناد إليه. اهـ. وفي مختار الصحاح: الجَزَعُ ضدُّ الصبر، وبابه طرب. اهـ. قوله: (منجي) بالقصر.



والاستثناء منقطع لأن الدعاء ليس من جنس السلطان ﴿فَأَسْرَعْتُمْ﴾ (فأسرعتم إجابتي) ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ لأن من تجرد للعداوة لا يلام إذا دعا إلى أمر قبيح مع أن الرحمن قد قال لكم: ﴿لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ آبَاكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: الآية ٢٧]، ﴿وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ حيث اتبعتموني بلا حجة ولا برهان. وقول المعتزلة هذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه، وليس من الله إلا التمكين، ولا من الشيطان إلا التزيين، باطل لقوله: ﴿لَوْ هَدَّيْنَاهُ اللَّهَ﴾ أي إلى الإيمان ﴿هَدَيْنَكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٢١] كما مر ﴿مَا أَنَا بِمُفْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتَ بِمُفْرِخٍ﴾ لا ينجي بعضنا بعضاً من عذاب الله ولا يغيثه. والإصرار الإغاثة ﴿بِمُفْرِخٍ﴾ حمزة) اتباعاً للخاء، غيره بفتح الياء لثلاث تجتمع الكسرة والياءان بعد كسرتين وهو جمع مصرخ، فالياء الأولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ (وبالياء بصري) و«ما» مصدرية ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ متعلق بـ ﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾ أي كفرت اليوم بإشراككم إياي مع الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله: ﴿وَيَوْمَ أَقِيمَتِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: الآية ١٤] ومعنى كفره بإشراكهم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله: ﴿إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: الآية ٤]، أو ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ متعلق بـ ﴿كَفَرْتُ﴾ و«ما» موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتموني به وهو الله عز وجل. تقول: أشركني فلان أي جعلني له شريكاً، ومعنى إشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزئنه لهم من عبادة الأوثان وهذا آخر قول الشيطان، وقوله: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قول الله عز وجل. وقيل: هو من تمام كلام إبليس، (وإنما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفاً للسامعين).

قوله: (فأسرعتم إجابتي) إشارة إلى أن استجاب وأجاب وإن كان بمعنى واحد إلا أن استجاب أبلغ. قوله: ﴿بِمُفْرِخٍ﴾ بكسر الياء مع التشديد (حمزة) اتباعاً للخاء. قوله: (وبالياء بصري) أي أثبت ياء ﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾ وصلاً أبو عمرو البصري، وفي الحاليين يعقوب البصري وليس من السبعة. قوله: (وإنما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفاً للسامعين) في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول إليه، وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول، فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم.

﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيِّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۚ﴾

﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ عطف على ﴿بَرَزُوا﴾ ، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿وَأَدْخِلَ﴾ أي أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره ﴿يُحَيِّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ هو تسليم بعضهم على بعض في الجنة أو تسليم الملائكة عليهم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أي وصفه وبينه ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ نصب بمضمر أي جعل كلمة طيبة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو تفسير لقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ نحو شرف الأمير زيذا كساه حلة وحمله على فرس، أو انتصب ﴿مَثَلًا﴾ و﴿كَلِمَةً﴾ بـ ﴿ضَرَبَ﴾ أي ضرب كلمة طيبة مثلاً يعني جعلها مثلاً ثم قال: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هي كشجرة طيبة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي في الأرض ضارب بعروقه فيها ﴿وَفَرْعُهَا﴾ وأعلاها ورأسها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ والكلمة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان، وفرعها إقرار باللسان، وأكلها عمل الأركان، وكما أن الشجرة شجرة وإن لم تكن حاملاً فالمؤمن مؤمن وإن لم يكن عاملاً ولكن الأشجار لا تُراد إلا للثمار، فما أقوات النار إلا من الأشجار إذا اعتادت (الإخفار) في عهد الإثمار. والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على أنها النخلة، فعن (ابن عمر) أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي؟ (فوقع الناس في شجر البوادي)، وكنت صبيّاً فوق في قلبي أنها النخلة (فهبت) رسول الله ﷺ أن أقولها وأنا

قوله: (الإخفار) في مختار الصحاح: أخفزه نقض عهده وغدر. اهـ.

قوله: (ابن عمر) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ العدوي أبو عبد الرحمن، وُلِدَ قبل البعثة ببسير واستصغر يوم أُخِذَ وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المُكثَرين من الصحابة والعبادة، وكان من أشدّ الناس اتِّباعاً للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها وأوّل التي تليها. قوله: (فوقع الناس في شجر البوادي) أي ذهبت أفكارهم إليها دون النخلة. قوله: (فهبت) في المصباح: هاب

أصغر القوم فقال رسول الله ﷺ: «ألا إنها النخلة» فقال عمر: يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من (حمر النعم).

﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٥)  
وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ تُعْطِي ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بتيسير خالقها وتكوينه ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كل شجرة لا يطيب ثمرها وفي الحديث أنها شجرة (الحنظل) ﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ استؤصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها وهو في مقابلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي استقرار، يُقال قر الشيء قرارًا كقولك ثبت ثبوتًا، شبه بها القول الذي لا (يعضد) بحجة فهو (داحض) غير ثابت.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٦)

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يُديمهم عليه ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هو قول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حتى إذا فُتِنُوا في دينهم لم يزلوا

يهاؤه من باب تعب هيبة خدره ويهييه من باب ضرب لغة. اه باختصار. قوله: (حمر النعم) بضم حاء وسكون ميم أي أقواها وأجلدها، أي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب.

قوله: (الحنظل) نبات يخرج أغصانًا وأوراقًا مفروشة على الأرض له بطاطيح مدوّرة هي مرّة شديدة المرارة. اه تمجيد. قوله: (يعضد) في المصباح: عضدت الرجل عضدًا من باب قتل أصبت عضده أو أعنته فصرت له عضدًا، أي مُعينًا وناصرًا. اه. قوله: (داحض) أي باطل.

(كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود) وغير ذلك ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الجمهور على أن المراد به في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب، فعن (البراء) أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح المؤمن فقال: «ثم تُعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيُجلسانه في قبره فيقولان له من ربك (وما دينك) ومن نبيك؟ (فيقول: ربي الله) وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، فينادي مُنادٍ (من السماء أن صدق) عبدي فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ ثم يقول الملكان: عشت سعيداً

قوله: (كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود) الشق في الأرض، روي مرفوعاً: «أن ملكاً كان له ساحر، فلما كبر ضم إليه غلاماً ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه إليه، فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس، فأخذ حجرًا وقال: اللّهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها، فقتلها، وكان الغلام بعده يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدوية وعمي جليس الملك فأبرأه، فسأله الملك: من أبرأك؟ فقال: ربي، فغضب الملك فدلّ على الغلام فَعَرَّبَهُ، فعزّ على الراهب فقده فدعا فهلك من معه ونجا فأجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه، فغرقوا ونجا، فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهمًا من كناتي، وتقول: باسم رب الغلام ثم ترميني به، فرماه فوق السهم في صدعه فمات، فأمن الناس فأمر بأخايد أوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم بطرحه حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي: أمّاه اصبري، فإنك على الحق، فاقتحمت». اهـ شيخ زاده رحمه الله. وكان ذلك في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ، وزوي أنه كان ذلك قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة. اهـ كمالين.

قوله: (البراء) بن عازب بن الحارث بن عديّ الأنصاري الأوسي صحابي ابن صحابي نزل الكوفة استُصغر يوم بدر، وكان هو وابن عمر لذة، مات سنة اثنتين وسبعين. قوله: (وما دينك) أي الذي اخترته من بين الأديان. قوله: (فيقول: ربي الله) بفتح الياء ويسكن ولو كان الميت أعجميًا صار عربيًا. قوله: (من السماء) أي من جهتها. قوله: (أن صدق) أن مفسرة للنداء، لأنه في معنى القول.

و(مُتَّ) حميدًا (نَم) نومة (العروس) ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ فلا يثبتهم على القول الثابت في مواقف الفتن و(تزل) أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضلّ وأزلّ ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ فلا اعتراض عليه في تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَنْسَوْنَ الْفَرَارَ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ (أي شكر نعمة الله) ﴿كُفْرًا﴾ لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرًا، فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلًا وهم أهل مكة، كرمهم بمحمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾ الذين تابعوهم على الكفر ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ دار الهلاك ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصَلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَيَنْسَوْنَ الْفَرَارَ﴾ وبش المقر جهنم. ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أمثالا في العبادة أو في التسمية ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (ويفتح الباء: مكي وأبو عمرو) ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ في الدنيا والمراد به

قوله: (مُتَّ) في مختار الصحاح: مَات يموت وَيَمَات أيضا فهو مَيّت وميّت مشدّدًا ومخفّفًا. اهـ. قوله: (نَم) أمر من نام ينام. قوله: (العروس) يُطلق على الذكر والأنثى في أول اجتماعهما. قوله: (تزل) في مختار الصحاح: زلّ في طين أو منطوق يَزِن بالكسر زَلِيلًا، وقال الفراء: زَلّ يَزُلُّ بالفتح زَلَلًا والاسم الزَّلَّة. اهـ.

قوله: (أي شكر نعمة الله) قدر المضاف لأن الكفر المذكور بجنب النعمة يُراد به الكفران، ومقابلة الشكر. واعلم أن بدل يتعدّى إلى مفعولين إلى أولهما بنفسه وإلى ثانيهما بواسطة الباء، وأن المجرور بالياء هو المتروك والمنصوب هو الحاصل المختار. وقد يُحذف حرف الجرّ فيتعدّى الفعل إليهما بنفسه، كما في هذا المقام والمجرور بالياء ههنا هو النعمة لأنها هي المتروكة، والذي تعدّى الفعل إليه بنفسه هو الكفران، فهو المفعول الأول.

قوله: (ويفتح الباء) من ضلّ يضلّ (مكي) أي ابن كثير المكي (وأبو عمرو)، والبايون بضم الياء من أضلّ يضلّ. واللام في ﴿يُضِلُّوا﴾ سواء قرئ

(الخدلان) والتخلية. وقال (ذو النون): التمتع أن يقضي العبد ما استطاع من شهوته ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ مرجعكم إليها.

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ ﴿٣١﴾

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خَصَّهم بالإضافة إليه تشريفًا. و(بسكون الياء شامي وحمزة وعلي والأعشى) ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ المَقُول محذوف لأن ﴿قُلْ﴾ تقتضي مقولًا وهو أقيموا وتقديره: قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا. وقيل: إنه أمر وهو المَقُول والتقدير ليقيموا ولينفقوا، فحذف اللام لدلالة ﴿قُلْ﴾ عليه، ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ انتصبا على الحال أي ذوي سر وعلانية يعني مُسِرِّين ومعلنين، أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية، أو على المصدر أي إنفاق سر وإنفاق علانية، والمعنى إخفاء التطوع وإعلان الواجب ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ أي لا انتفاع فيه بمبايعة (ولا مخالاة والخلال المخالاة)،

بفتح الياء أو ضمها لام العاقبة؛ لأن كل واحد من الضلال والإضلال نتيجة اتّخاذ الأنداد وعاقبته. قوله: (الخدلان) في مختار الصحاح: خذله يخذله بالضم خذلانٌ - بكسر الخاء - ترك عونه ونصرته. اهـ.

قوله: (ذو النون) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري. وقيل: الفيض بن إبراهيم توفي سنة خمس وأربعين ومائتين رضي الله تعالى عنه.

قوله: (بسكون الياء شامي) أي ابن عامر الشامي (وحمزة وعلي) الكسائي (والأعشى)<sup>(١)</sup> أي أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى، وفتح ياء الإضافة من ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ﴾ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم ورؤيس وأبو جعفر وخلف عن نفسه. اهـ إتحاف. قوله: (ولا مخالاة) أي خلال مصدر فاعل كالمفاعلة. قوله: (والخلال المخالاة) وهي المصاحبة والمصادقة، يقال: خالته خلالاتًا ومخالاةً.

(١) يُروى عن أبي بكر بن عيش عن عاصم. ١٢ مه عم فيضهم.

وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله . بفتحهما : (مكي) و(بصري) ، والباقون بالرفع والتنوين .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خبره ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ من السحاب مطراً ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقاً هو ثمرات أو ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ مفعول ﴿أَخْرَجَ﴾ و﴿رِزْقًا﴾ حال من المفعول ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾ و﴿سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ دائمين وهو حال من الشمس والقمر أي (يدأبان) في سيرهما وإنارتهما (ودرئهما) الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يتعاقبان (خلفة) لمعاشكم (وسباتكم) .

﴿وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَسْأَلَتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّكُم لَأَنسَوْنَ نِعْمَهُ كَذَرٌ كَذَرٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَسْأَلَتُمُوهُ﴾ «من» للتبويض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه، أو آتاكم من كل شيء سألتموه وما لم تسألوه ف «ما» موصولة والجملة صفة لها، وحذفت الجملة الثانية لأن الباقي يدل على المحذوف كقوله : ﴿سَرَّيْلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ﴾ [سحر : آية ٨١] . ﴿مِّن كُلِّ﴾ عن أبي عمرو و﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾

قوله : (مكي) أي ابن كثير المكي . قوله : (بصري) أبو عمرو البصري .

قوله : (يدأبان) أي يدأبان ويستمران ويعبران أبداً فيما يسند إليهما من الأفعال . يقال : دأب فلان في عمله دؤوباً ، أي جدّ وتعب . قوله : (ودرئهما) أي دفعهما . قوله : (خلفة) أي يخلف كل منهما الآخر فيما ينبغي أن يفعل فيه . قوله : (سباتكم) راحتكم .

قوله : ﴿مِّن كُلِّ﴾ بالتنوين (عن أبي عمرو) عبارة تفسير النيسابوري : ﴿مِن كُلِّ﴾ بالتنوين يزيد وعباس ، والباقون بالإضافة ، انتهت . وقوله : يزيد ، هو أبو

نفي ومحلّه النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه، أو «ما» موصولة أي وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ لا تطبقوا عدّها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدّوها على الإجمال وأما التفصيل فلا يعلمه إلا الله ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ﴾ بظلم النعمة بإغفال شكرها ﴿كَفَّارٌ﴾ شديد الكفران لها أو ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفّار في النعمة (يجمع ويمنع) والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۖ رَبِّ إِنَّهُمْ أَصْلَحَ كَثِيرًا ۖ مِنْ النَّاسِ ۖ فَمَنْ يَتَّبِعِ فَإِنَّهُمْ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٥) (٣٦)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ واذكر إذ قال إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ أي البلد الحرام ﴿آمِنًا﴾ ذا أمن والفرق بين هذه وبين ما في البقرة أنه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التي يأمن أهلها، وفي الثاني أن يُخرجه من صفة الخوف إلى الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمناً ﴿وَاجْنُبْنِي﴾ وبعُدني أي ثبّني وأدمني على اجتناب عبادتها كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ [البقرة: الآية ١٢٨] أي

جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وليس من السبعة. وقوله: عباس، هو العباس بن الفضل يروي عن أبي عمرو بن العلاء، وفي كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة: وهي قراءة العشرة المشهورة وقراءة الأعمش.

مسألة: قرأ الأعمش: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ بتنوين كلّ تفرد بذلك الباكون من كلّ ما من غير تنوين على الإضافة. اهـ بحروفه. وفي كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: وعن الحسن والأعمش ﴿مِنْ كُلِّ﴾ بتنوين ﴿كُلِّ﴾ و﴿مَا﴾ بعدها إما نافية أو موصولة، فالجمهور على إضافة ﴿كُلِّ﴾ إلى ﴿مَا﴾. اهـ بحروفه. وفي كتاب المُحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب، ومن ذلك قراءة ابن عباس والحسين والضحاك ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمد وعمرو بن فائد ويعقوب: ﴿مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ بالتنوين. اهـ. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم. قوله: (يجمع ويمنع)، أي يجمع المال ويمنعه من مستحقه.



ثَبَّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ ﴿وَبَيَّنَّا﴾ أَرَادَ بَنِيهِ مِنْ صِلْبِهِ ﴿أَنْ تَقْبَدَ الْأَصْنَامَ﴾ مِنْ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿رَبِّ إِنْتَهُنَّ أَضْلَلْنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ جَعَلْنَ مُضِلَّاتٍ عَلَى طَرِيقِ التَّسْيِيبِ لِأَنَّ النَّاسَ ضَلُّوا بِسَبَبِهِنَّ فَكَأَنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَهُمْ ﴿فَمَنْ يَبْعَثْ﴾ عَلَى مِلَّتِي وَكَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا مِّثْلِي ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أَيُّهُوَ بَعْضِي لِفَرْطِ اخْتِصَاصِهِ بِي ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ فِيمَا دُونَ الشَّرْكِ ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أَوْ وَمَنْ عَصَانِي عَصِيَانِ شَرِّكَ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ إِنْ تَابَ وَأَمَنَ.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرَّتَيْكَ وَادٍ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَجَعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧)

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرَّتَيْكَ﴾ بَعْضُ أَوْلَادِي وَهُمْ إِسْمَاعِيلُ وَمَنْ وُلِدَ مِنْهُ ﴿وَادٍ﴾ هُوَ وَادٍ بِمَكَّةَ ﴿غَيْرَ ذِي زَرْعٍ﴾ لَا يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ زَرْعٍ قَطُّ ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ هُوَ بَيْتُ اللَّهِ سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ التَّعَرُّضَ لَهُ وَالتَّهَافُوتَ بِهِ وَجَعَلَ مَا حَوْلَهُ حَرَمًا لِمَكَانِهِ، أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مَمْنَعًا يَهَابُهُ كُلُّ جَبَّارٍ، أَوْ لِأَنَّهُ مُحْتَرَمٌ عَظِيمٌ الْحُرْمَةُ لَا يَحِلُّ انْتِهَاكُهَا، أَوْ لِأَنَّهُ حَرَمٌ عَلَى الطُّوفَانِ أَيُّ مَنْعٍ مِنْهُ كَمَا سُمِّيَ عَتِيقًا لِأَنَّهُ أَعْتَقَ مِنْهُ ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ اللَّامُ مُتَعَلِّقَةٌ بِـ ﴿أَسْكَنْتُ﴾ أَيُّ مَا أَسْكَنْتَهُمْ بِهَذَا الْوَادِي (الْبَلْع) إِلَّا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ وَيَعْمُرُوهُ بِذِكْرِكَ وَعِبَادَتِكَ ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ﴾ أَفْئِدَةٌ مِنْ أَفْئِدَةِ النَّاسِ وَ«مِنْ» لِلتَّبَعِيضِ لَمَّا رُويَ عَنْ (مُجَاهِدٍ): لَوْ قَالَ أَفْئِدَةُ النَّاسِ لَزَاحَمَتْكُمْ عَلَيْهِ فَارْسُ وَالرُّومُ وَالثُّرُكُ وَالْهِنْدُ. (أَوْ لِلابْتِدَاءِ) كَقَوْلِكَ: «الْقَلْبُ مِنِّي سَقِيمٌ» تَرِيدُ قَلْبِي فَكَأَنَّهُ قِيلَ أَفْئِدَةُ نَاسٍ، وَنَكَرَتْ الْمُضَافُ إِلَيْهِ فِي هَذَا التَّمْثِيلِ لَتَنْكِيرِ أَفْئِدَةٍ لِأَنَّهَا فِي الْآيَةِ نَكْرَةٌ لِيَتَنَاوَلَ بَعْضُ الْأَفْئِدَةِ

قَوْلُهُ: (الْبَلْع) الْأَرْضُ الْقَفْرَاءُ الَّتِي لَا شَيْءَ بِهَا، وَالْقَفْرَاءُ مَفَازَةٌ لَا نَبَاتَ بِهَا وَلَا مَاءً. قَوْلُهُ: (مُجَاهِدٌ) بْنُ جَبْرِ بَفَتْحِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ ثِقَةً إِمَامًا فِي التَّفْسِيرِ وَفِي الْعِلْمِ، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَاثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ أَوْ أَرْبَعَ وَمِائَةَ وَلَهُ ثَلَاثُ وَثَمَانُونَ. قَوْلُهُ: (أَوْ لِلابْتِدَاءِ) كَقَوْلِكَ: الْقَلْبُ مِنِّي سَقِيمٌ، أَيُّ الْقَلْبُ الْكَائِنُ مِنِّي، وَأَفْئِدَةٌ كَائِنَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَالْمُصَنَّفُ ﷺ نَكَرَ لَفْظَ النَّاسِ حَيْثُ قَالَ: أَفْئِدَةُ نَاسٍ، مَعَ أَنَّهُ فِي الْآيَةِ مَعْرُوفٌ بِاللَّامِ، لِأَنَّ الْأَفْئِدَةَ فِي الْآيَةِ وَقَعَتْ مُنْكَرَةً، وَلَمَّا أَرَادَ تَصْوِيرَ كَوْنِ الْقُلُوبِ مُبْتَدَأَةً مِنَ النَّاسِ أَضَافَ الْأَفْئِدَةَ إِلَيْهِمْ، وَنَكَرَ النَّاسَ لِيَحْفَظَ مَعْنَى تَنْكِيرِ

﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ تسرع إليهم من البلاد الشاسعة وتطير نحوهم شوقاً ﴿وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ مع سكناهم وادياً ما فيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد (الشاسعة) ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ النعمة في أن يُرزقوا أنواع الثمرات في وإد ليس فيه شجر ولا ماء .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾  
 ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾

﴿رَبَّنَا﴾ النداء المكرر دليل التضرع (واللجأ) إلى الله ﴿إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ﴾ تعلم السر كما تعلم (العلن) ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ من كلام الله عز وجل تصديقاً لإبراهيم عليه السلام، أو من كلام إبراهيم و«من» للاستغراق كأنه قيل: وما يخفى على الله شيء ما ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ «علي» بمعنى «مع» وهو في موضع الحال أي وهب لي وأنا كبير ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ رُوِيَ أن إسماعيل وُلِدَ له وهو ابن تسع وتسعين سنة، وُولد له إسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروِيَ أنه وُلِدَ له إسماعيل لأربع وستين، وإسحاق لتسعين، وإنما ذكر حال الكبر لأن المِنَّة بهبة الولد فيها أعظم لأنها حال وقوع اليأس من الولادة، والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم، ولأن الولادة في تلك السن العالية كانت آية لإبراهيم ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ مُجِيب

﴿أَفْتَدَهُ﴾ في الآية، فإن تنكير المضاف إليه يفيد ما يُستفاد من تنكير المضاف في مقام الإثبات من البعضية وعدم الاستغراق والعموم وناس اسم جمع، فمعنى أفتدَهُ ناس أي مما يُطلق عليه لفظ ناس، وهو معنى قوله: ﴿أَفْتَدَهُ مِنَ النَّاسِ﴾، وإن كان لفظ الناس المعرف باللام في هذا التعبير محمولاً على العموم. قوله: (الشاسعة) البعيدة، في المصباح: شسع المكان يشسع - بفتحيتين - بُعد فهو شاسع وبلاد شاسعة. اهـ. وفي مختار الصحاح. الشاسع والشُسُوع - بالفتح - البعيد. اهـ.

قوله: (اللجأ) في مختار الصحاح: لجأ إليه يلجأ مثل قطع يقطع لجأ - بفتحيتين - انتهى. قوله: (العلن) في مختار الصحاح: العلانية ضد السر، يقال: علن الأمر من باب دخل وطرِب. اهـ. وفي المصباح: علن الأمر علوناً من باب قعد ظهر وانتشر، فهو عالِن وعلِن علناً من باب تعب لغة، فهو علن وعلين

الدعاء من قولك: «سمع الملك كلام فلان» إذا تلقاه بالإجابة والقبول، ومنه (سمع الله لمن حمده) وكان قد دعا ربه وسأله الولد فقال: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، فشكر الله ما أكرمه به من إجابته. وإضافة السميع إلى الدعاء من إضافة الصفة إلى مفعولها (وأصله ﴿لَسْمِيعُ الدُّعَاءِ﴾) وقد ذكر (سيبويه) فعلاً في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك: «هذا رحيم أباه».

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ وبعض ذريتي عطفاً على المنصوب في ﴿اجْعَلْنِي﴾ وإنما بعض لأنه علم بإعلاء الله أنه يكون في ذريته كفاراً. عن (ابن عباس) رضي الله عنهما: لا يزال من ولد إبراهيم ناس على الفطرة إلى أن تقوم

والاسم العلانية مخفف. اهـ. قوله: (سمع الله لمن حمده) معناه: قُبِلَ حَمْدُ مَنْ حمده، واللام في لمن للمنفعة والهاء في حمده للكناية، وقيل: للسكينة والاستراحة، ذكره ابن الملك. وقال الطيبي: أي أجاب حمده وتقبله يقال: اسْمَعْ دعائي، أي أجِبْ؛ لأن غرض السائل الإجابة والقبول، انتهى. فهو دعاء بقبول الحمد، كذا قيل، ويحتمل الإخبار. اهـ مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح. قوله: (وأصله ﴿لَسْمِيعُ الدُّعَاءِ﴾) بالتثنية (﴿الدُّعَاءُ﴾).

قوله: (سيبويه) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو. توفي سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة سبع وسبعين وعمره نيف وأربعون سنة، وسيبويه بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء ساكنة، ولا يقال بالتاء البتة، وهو لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفاح. وقال إبراهيم الحربي: سُمِّيَ سيبويه لأن وجنتيه كأنهما تفاحتان، وكان في غاية الجمال رحمه الله.

قوله: (ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله ﷺ، وُلِدَ قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يُسَمَّى البحر والحبر لسعة علمه، مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء

الساعة ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ بالياء في الوصل والوقف: (مكي)، وافقه أبو عمرو وحمزة في الوصل. الباقلون بلا ياء أي استجب دعائي (أو عبادتي) ﴿وَأَعِزِّلْكُمْ﴾ وَمَا نَدْعُونَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿امرئ: الآية ٤٨﴾. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي﴾ أي آدم وحواء، أو قاله قبل النهي واليأس عن إيمان أبويه ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ أي يثبت أو أسند إلى الحساب قيام أهله إسنادًا مجازيًا مثل ﴿وَسَلِّ الْقُرْيَةَ﴾ [يوسف: الآية ٨٢].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ تسليية للمظلوم وتهديد للظالم، والخطاب لغير الرسول عليه السلام وإن كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلًا كقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٤]. ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [القصص: الآية ٨٨]، وكما جاء في الأمر ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: الآية ١٣٦]، وقيل: المراد به الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء، وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٣]. ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ أي عقوبتهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ (تَشْخَصُ فِيهِ) ﴿الْأَبْصَارُ﴾ أي أبصارهم لا تقرر في أماكنها من هول ما ترى.

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْقَدَتْهُمْ هَوَاهُ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين إلى الداعي ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعيها ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم ﴿وَأَفْقَدَتْهُمْ هَوَاهُ﴾ (صفر) من

الصحابة. قوله: (مكي) أي ابن كثير المكي بحته. قوله: (أو عبادتي) بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَعِزِّلْكُمْ﴾ وَمَا نَدْعُونَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿امرئ: الآية ٤٨﴾.

قوله: ﴿تَشْخَصُ﴾ (صفر) صفة ليوم وشخص البصر ارتفاعه وعدم استقراره في مكانه من حدة النظر، وقيل: نقاؤه مفتوحًا بحيث لا يغمض ولا يرتد إليه طرفه.

قوله: (صفر) وزان حمل أي خالٍ.

الخير لا (تعني) شيئاً من الخوف، والهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل: قلب فلان هواء إذا كان (جباناً) لا قوة في قلبه ولا (جرأة). وقيل: جوف لا عقول لهم.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ حَتَّى دَعْوَتِكَ وَتَشْجِعَ الرَّسُلَ أُولَمْ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِمَّن قَبْلَ مَا لَكُمْ مِنَ زَوَالٍ ۖ﴾

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ أي يوم القيامة. و﴿يَوْمَ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿نَذِيرٍ﴾ لا ظرف إذ الإنذار لا يكون في ذلك اليوم ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي الكفار ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ حَتَّى دَعْوَتِكَ وَتَشْجِعَ الرَّسُلَ﴾ أي رُدُّنا إلى الدنيا ونمهِّلنا إلى (أمد) وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رُسلك فيقال لهم: ﴿أُولَمْ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِمَّن قَبْلَ مَا لَكُمْ مِنَ زَوَالٍ﴾ أي حلفتُم في الدنيا أنكم إذا مُتُم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرتم بالبعث كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: الآية ٣٨] و﴿مَا لَكُمْ﴾ جواب القسم. وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله: ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾ ولو حكى لفظ المقسمين لقال ما لنا من زوال، أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل، أو يوم موتهم معذيين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى فإنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب.

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ۖ﴾

(يقال: سكن الدار) وسكن فيها ومنه ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر لأن السكنى من السكون وهو اللبث والأصل تعديته بـ «في» نحو

قوله: (تعني) تحفظ. قوله: (جباناً) ضعيف القلب. قوله: (جرأة) وزان غرفة أي شجاعة.

قوله: (أمد) في مختار الصحاح: الأمد - بفتحتين - الغاية. اهـ.

قوله: (يقال: سكن الدار)... الخ. أي وقد يُستعمل بمعنى التبوؤ، فيجري

«قَرَّ في الدار وأقام فيها» ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تُصَرَّف فيه ف قيل : «سكن الدار» كما قيل : «تبوأه»، ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائر سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون من أيام الله، وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا و(يرتدعوا) ﴿وَبَيَّنَّا لَكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ بالأخبار أو المشاهدة. وفاعل ﴿بَيَّنَّا﴾ مُضَمَّرٌ دَلَّ عليه الكلام أي تبين لكم حالهم و﴿كَيْفَ﴾ ليس بفاعل لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وإنما نصب ﴿كَيْفَ﴾ بقوله: ﴿فَمَكَّنَّا بِهِمْ﴾ أي أهلكناهم وانتقمنا منهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ (أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم) وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر وبُطْلان الإسلام ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ وهو مضاف إلى الفاعل الأول. والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مُجَازِيهِم عليه بمكر هو أعظم منه. أو إلى المفعول أي عند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يأتيهم من حيث لا يشعرون ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ بكسر اللام الأولى ونصب الثانية والتقدير: وإن وقع مكرهم لزوال أمر النبي ﷺ، فعبر عن النبي عليه السلام بالجبال لعظم شأنه. و«كان تامة» و«إن» نافية، واللام مؤكدة لها كقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأفسر: الآية ٣٣] والمعنى ومُحَال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل آيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال (الراسية) ثباتًا وتمكنًا دليله قراءة (ابن مسعود) «وما كان مكرهم»

قوله: (يرتدعوا) في مختار الصحاح: رَدَّعَهُ عن الشيء فارتدع. أي كَفَّه فكَفَّ وبابه قطع. اهـ. قوله: (أي صفات ما فعلوا) من المناهي والمكروهات (وما فعل بهم) من تدميرهم بأنواع العقوبات.

قوله: (الراسية) الثابتة الراسخة. قوله: (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل - بمعجمة وفاء - ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة. مات سنة اثنتين وثلاثين أو في

(وبفتح اللام الأولى ورفع الثانية: علي)، أي وإن كان مكربهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها ف «إن» مخففة من «إن» واللام مؤكدة.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدَهُ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (٤٧)

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدَهُ رَسُولُهُ﴾ يعني قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: الآية ٥١]، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: الآية ٢١]. ﴿مُخْلَفٌ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ وأضاف ﴿مُخْلَفٌ﴾ إلى ﴿وَعَدَهُ﴾ وهو المفعول الثاني له والأول ﴿رَسُولُهُ﴾ والتقدير مُخْلَفٌ رَسُولُهُ وعده، وإنما قُدِّمَ المفعول الثاني على الأول ليعلم أنه لا يُخْلَفُ الوعد أصلاً كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: الآية ٩]، ثم قال: ﴿رَسُولُهُ﴾ ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً فكيف يخلفه رَسُولُهُ الذي هم (خيرته) وصفوته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يُمَارِكُ ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ لأوليائه من أعدائه.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨)

وانتصاب ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ على الظرف للانتقام، أو على إضمار اذكر، والمعنى يوم تُبَدَّلُ هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة، وتبدل السموات غير السموات، وإنما حذف دلالة ما قبله عليه، والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك: «بدلت الدراهم دنانير»، وفي الأوصاف كقولك: «بدلت الحلقة خاتماً» إذا أذبتها وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل. واختلف في تبديل الأرض والسموات فقيل: تبدل أوصافها وتسير عن الأرض جبالها (وتفجر بحارها) وتُسَوَّى فلا ترى فيها (عوجاً) ولا (أمثاً). وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (هي تلك الأرض وإنما تغير). وتبدل السماء بانتشار

التي بعدها بالمدينة رضي الله تعالى عنه. قوله: (وبفتح اللام الأولى ورفع الثانية علي) الكسائي، والباقون بكسر الأولى ونصب الثانية.

قوله: (خيرته) بفتح الياء وتسكينها يوصف به الواحد والجمع.

قوله: (وتفجر بحارها) أي ييسر. قوله: (عوجاً) انخفاصاً. قوله: (أمثاً) ارتفاعاً. قوله: (هي تلك الأرض وإنما تغير) صفاتها.

كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبواباً. وقيل: تخلق بدلها أرض وسموات أخر. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة. وعن (علي) رضي الله عنه: تبدل أرضاً من فضة وسموات من ذهب ﴿وَيَبْرُؤُا﴾ وخرجوا من قبورهم ﴿لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾ هو كقوله: ﴿لَمَّا أَلْمَلُكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: الآية ١٦] لأن المَلِكُ إذا كان لواحد (غلاب) لا يُغالب (فلا مُستغاث) لأحد إلى غيره كان الأمر في غاية الشدة.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرٍ وَيَتَشَقَّىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ (قرن) بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغلّلين ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ متعلق بـ ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي يقرون في الأصفاد، أو غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين، والأصفاد القيود أو الأغلال ﴿سَرَابِلُهُمْ﴾ قمصهم ﴿مِّنْ قِطْرٍ﴾ (هو) ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل) فيطبخ (فتنهاً) به الإبل الجربى فيُحرق

قوله: (علي) رضي الله تعالى عنه ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأولين المرجح أنه أول من أسلم وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح. قوله: (غلاب) اسم فاعل بزنة المبالغة. قوله: (فلا مُستغاث) الظاهر أنه مصدر، أي لا طلب العون لأحد من غيره.

قوله: (قرن) بالتشديد والتخفيف. قوله: (هو ما يتحلب) أي يتقاطر (من) شجر يسمى الأبهل) بضم الهمة وسكون الباء وضم الهاء. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللهُ. وفي ترجمة القاموس: الأبهل بوزن أحمد. اهـ. قوله: (فتنهاً<sup>(١)</sup>) بضم التاء الفوقية

(١) أي تُطلى ١٢ منه.



الْجَرَبَ بَحْدَتَهُ وَحَرَّهُ، وَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُسْرِعَ فِي اشْتِعَالِ النَّارِ، وَهُوَ أَسْوَدُ اللَّوْنِ مُتَتِنَ الرِّيحِ فَيُطْلَى بِهِ جُلُودُ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَعُودَ طَلَاؤُهُ لَهُمْ كَالسَّرَابِيلِ لِيَجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ (لِذَعِ الْقَطْرَانِ) وَحَرَقَتْهُ وَإِسْرَاعُ النَّارِ فِي جُلُودِهِمْ وَاللَّوْنُ الْوَحْشُ وَتَتَنَ الرِّيحُ، عَلَى أَنْ (التَّفَاوُتَ بَيْنَ الْقَطْرَانَيْنِ) كَالْتَّفَاوُتَ بَيْنَ النَّارَيْنِ، وَكُلُّ مَا وَعَدَهُ اللَّهُ أَوْ وَعَدَهُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا نَشَاهِدُ مِنْ جَنْسِهِ مَا لَا يَقَادِرُ قَدْرُهُ، وَكَأَنَّهُ مَا عِنْدَنَا مِنْهُ إِلَّا الْأَسَامِي وَالْمُسَمَّيَاتِ ثَمَّةً نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ وَعَذَابِهِ ﴿مَنْ قَطْرَانٍ﴾ (زيد (عن يعقوب) نحاس مُذَابٌ بَلَغَ حَرَّهُ إِنَّهُ ﴿وَقَفَّشْنِ وَجُوهَهُمْ أَلْتَّارُ﴾ تَعْلُوهَا بِاشْتِعَالِهَا. وَخَصَّ الْوَجْهَ لِأَنَّهُ أَعَزُّ مَوْضِعٍ فِي ظَاهِرِ الْبَدَنِ كَالْقَلْبِ فِي بَاطِنِهِ وَلِذَا قَالَ: ﴿تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِدَةِ﴾ [الهمزة: الآية ٧].

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١) هَذَا بَلَّغٌ لِنَتَائِرِ وَلِيُسَدِّرُوا بِهِ. وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا أَوَّلُوا الْأَلْبِ (٢)

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أَيُّ يَفْعَلُ بِالْمَجْرُمِينَ مَا يَفْعَلُ لِيَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ مَجْرَمَةً مَا كَسَبَتْ، أَوْ كُلَّ نَفْسٍ مِنْ مَجْرَمَةٍ أَوْ مَطِيعَةٍ لِأَنَّهُ إِذَا عَاقَبَ الْمَجْرُمِينَ لِإِجْرَامِهِمْ عَلَى أَنَّهُ يُثِيبُ الْمُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يَحَاسِبُ جَمِيعَ الْعِبَادِ فِي أَسْرَعِ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ ﴿هَذَا﴾ أَيُّ مَا وَصَفَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا

وَسَكُونُ الْهَاءِ وَفَتْحُ النُّونِ وَفِي آخِرِهِ هَمْزَةٌ مَقْصُورَةٌ مِنَ الْهِنَا كَالطَّلَا لَفْظًا وَمَعْنَى. قَوْلُهُ: (لِذَعِ الْقَطْرَانِ) بِفَتْحِ اللَّامِ وَسَكُونِ الذَّالِ الْمَعْجَمَةِ وَالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ الْإِحْرَاقِ. فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ: لِذَعَتْهُ النَّارُ أَحْرَقَتْهُ وَبِهِ قَطْعٌ. اهـ.

قَوْلُهُ: (التَّفَاوُتَ بَيْنَ الْقَطْرَانَيْنِ) أَيُّ قَطْرَانِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَوْلُهُ: ﴿مَنْ قَطْرَانٍ﴾ (بِفَتْحِ الْقَافِ وَكسْرُ<sup>(١)</sup> الطَّاءِ وَتَنْوِينِ الرَّاءِ<sup>(٢)</sup>) وَإِنْ عَلَى وَزْنِ رَامٍ، فَيَكُونُ قَطْرُ أَنْ كَلِمَتَيْنِ وَالْقَطْرُ النَّحَاسُ الْمُذَابُ وَالْآنِي اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَنِّي يَأْنِي أَنَا، أَيُّ تَنَاهَى فِي الْحَرَارَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ مَآكِ﴾ [الرُّحْمَنُ: الْآيَةُ ٤٤]، زَيْدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ (عَنْ يَعْقُوبَ) وَلَيْسَ مِنَ السَّبْعَةِ.

(١) كَمَا فِي الدَّرِّ الْمَصُونِ، وَيُقَالُ فِيهِ: قَطْرُ بَكْسَرٍ فَسَكُونُ. ١٢ مِنْهُ عَمَ فَيُضْمُهُمْ.

(٢) كَذَا فِي حَاشِيَةِ شَيْخِ زَادَةَ وَشَهَابٍ. ١٢ مِنْهُ.

تَحْسَنَ ﴿٥٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ، ﴿بَلِّغُ لِلنَّاسِ﴾ كفاية في التذكير والموعظة ﴿وَلْيُنْذَرُوا بِهِ﴾ بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أي لينصحووا ولينذروا ﴿وَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعته المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله ﴿وَلْيَذَكِّرُوا وَلَوْ أَتَيْنِي﴾ ذوو العقول.

تمت سورة إبراهيم بحمد الله وحسن توفيقه  
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

## (سورة الحجر)

(مكية تسع وتسعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾﴾ ، ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب، والقرآن المبين السورة، وتنكير القرآن للتفخيم، والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وأي قرآن مبين كأنه قيل: الكتاب الجامع للكمال وللغربة في البيان ﴿رَبِّمَا﴾ (بالتخفيف: مدني وعاصم، وبالتشديد: غيرهما)، و«ما» هي الكفّة لأنها حرف يجر ما بعده، ويختص بالاسم النكرة فإذا كُفّت وقع بعدها الفعل الماضي والاسم. وإنما جاز ﴿يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل: ربما ودّ، وودادتهم تكون عند التزع أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين، أو إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلماً، كذا روي عن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الحجر مكية) أي إجماعاً (تسع وتسعون آية) أي إجماعاً أيضاً وستمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستون حرفاً. قوله: (بالتخفيف) أي بتخفيف الباء الموحدة (مدني) أي نافع المدني. وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (وعاصم، وبالتشديد غيرهما) لغتان.

ابن عباس رضي الله عنهما ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ حكاية ودادتهم). وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك: «حلف بالله ليفعلن» ولو قيل: «حلف بالله لأفعلن» و«لو كنّا مسلمين» لكان حسناً وإنما قلل بـ «رب» لأن أهوال القيامة تشغلهم عن التمني فإذا أفاقوا من سكرات العذاب ودّوا لو كانوا مسلمين. وقول من قال: إن «رب» يعني بها الكثرة سهو لأنه ضد ما يعرفه أهل اللغة لأنها وُضعت للتقليل.

﴿ذَرَهُمْ يَأْكُتُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَجِرُّونَ ﴿٥﴾

﴿ذَرَهُمْ﴾ أمر إهانة أي اقطع طمعك من (ارعوائهم) ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلصهم ﴿يَأْكُتُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ﴾ ويشغلهم أملهم وأمانيتهم عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء صنيعهم، وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ (٤) ولها كتاب جملة واقعة صفة لـ ﴿قَرْيَةٍ﴾ والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذَرُونَ﴾ (الشعراء: الآية ٢٠٨) وإنما توسّطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف إذ الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجيء بالواو تأكيداً لذلك. والوجه أن تكون هذه الجملة حالاً لـ ﴿قَرْيَةٍ﴾ لكونها في حكم الموصوفة كأنه قيل: وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفاً. وقوله: ﴿كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ أي مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كُتب في اللوح المحفوظ وبين ألا ترى إلى قوله: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا﴾ في موضع

قوله: ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ حكاية ودادتهم) يعني أن قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ حكاية لودادتهم بقول مقدر، والتقدير يوّد الذين كفروا قائلين لو كانوا مسلمين، فالظاهر حينئذ أن يقال: لو كنّا مسلمين لتكون الحكاية مطابقة للمحكّي، إلا أنه جيء بها على لفظ الغيبة لتطابق اللفظ الذي ذكر قبلها، وهو قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قوله: (ارعوائهم) بمعنى انزجارهم وانكشافهم عن القبيح.

كتابها ﴿وَمَا يَسْتَحْزِنُونَ﴾ أي عنه وحذف لأنه معلوم، وأنت الأمة أولاً ثم ذكرها آخرًا حملاً على اللفظ والمعنى.

﴿وَقَالُوا يَتَّيِّبُهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَقَالُوا﴾ أي الكفار ﴿وَقَالُوا يَتَّيِّبُهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ أي القرآن ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ يعنون محمداً عليه السلام، وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: الآية ٢٧] وكيف يقرّون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهمك (سائق) ومنه ﴿بَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: الآية ٢١]، ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: الآية ٨٧]، والمعنى إنك لتقول قول المجانين حيث تدّعي أن الله نزل عليك الذكر ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾﴾ «لو» ركبت مع «لا» و«ما» لامتناع الشيء لوجود غيره أو للتخصيص، و«هل» رُكِبَتْ مع «لا» للتخصيص (فحسب)، والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك، أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقاً.

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْطَرِفِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ حَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ﴾ كوفي غير أبي بكر، ﴿نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ﴾ (أبو بكر) ﴿نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ﴾ أي تنزل: (غيرهم) ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلا تنزيلاً ملتبساً بالحكمة ﴿وَمَا كَانُوا

قوله: (سائق) جائز. قوله: (فحسب) أي فقط.

قوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ﴾ بنونين الأولى مضمومة والأخرى مفتوحة وكسر الزاي مشددة مبنياً للفاعل ﴿الْمَلَكَةَ﴾ بالنصب مفعولاً به (كوفي غير أبي بكر) يعني قرأه حفص وحمزة والكسائي ﴿نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ﴾ بضم التاء وفتح النون والزاي مشددة مبنياً للمفعول الملائكة بالرفع نائب الفاعل (أبو بكر) ﴿نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ﴾ بفتح التاء والنون والزاي مشددة مبنياً للفاعل مسنداً للملائكة، (أي تنزل) أي وأصله تنزل حذفت إحداهما تخفيفاً للملائكة بالرفع فاعله (غيرهم).

إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿١٠﴾ ﴿إِذَا﴾ جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين إذا وما آخر عذابهم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ للقرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (وهو رد لإنكارهم واستهزائهم) في قولهم: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ﴾ [الحجر: الآية ٦] ولذلك قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ فأكد عليهم إنه هو المُنزَّل على القطع وأنه هو الذي نزلَه محفوظًا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيًا فوق التحريف. ولم يكمل القرآن إلى غير حفظه وقد جعل قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ دليلًا على أنه مُنزل من عنده آية إذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه، أو الضمير في ﴿لَهُ﴾ لرسول الله ﷺ كقوله: ﴿وَأَنَّهُ يَفْصِلُكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٦٧].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَجِ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٢﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَجِ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾﴾ أي ولقد أرسلنا من قبلك رُسُلًا في الفِرَق الأولى، والشيعية: الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة ﴿وَمَا

قوله: ﴿إِذَا﴾ جواب لهم وجزاء) فَإِنَّ ﴿إِذَا﴾ إنما يذكر حيث خاطبك أحد بشيء وتريد أن تجيبه فتقول في جواب كلامه: إذا يكون كما إذا قال لك إنسان: أنا أتيك فتقول: إذا أكرمك، كأنك قلت ههنا إن كان الأمر كما ذكرت أكرمك؛ فكذا هذه الآية. قوله: (وهو رد لإنكارهم واستهزائهم) فَإِنَّ الكفرة قالوا: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ فقد أنكروا أن ينزل عليه ذكر من ربه، واستهزؤوا به حيث نادوه بهذا العنوان زاعمين أنه عليه الصلاة والسلام غير موصوف به، فكأنهم قالوا: يا أيها المفترى إن الله تعالى لم ينزل عليك الذكر، وهذا الذي تزعم أنه من عند الله ليس منه، بل هو من إلقاء الجن ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾؛ فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾، وأكدته من وجوه تصدير الجملة بأن توسط ضمير الفصل بين اسمها وخبرها والتعبير عن المتكلم الواحد بضمير الجمع للتعظيم والإجلال وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وتقديره وإسمية الجملة.

يَأْتِيهِمْ ﴿١٥﴾ حكاية حال ماضية لأن ما لا تدخل على المضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماضٍ إلا وهو قريب من الحال ﴿مَنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يعزي نبيّه عليه السلام ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي كما سلكتنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الأولين نسلكه أي الكفر أو الاستهزاء في قلوب المجرمين من أمتك من اختار ذلك. يقال: سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الأصلح وخلق الأفعال ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالله أو بالذكر وهو حال ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ مضت طريقتهم التي سنّها الله في إهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء ﴿فَنَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ﴾ يصعدون.

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَرُنَا﴾ (خُيرت أو حُبست من الإبصار من السُّكْر أو) من (السُّكْر، ﴿سُكِّرَتْ﴾ مكّي) أي حبست كما يحبس النهر من الجري، والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسرّ لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ قد سحرنا محمد بذلك، أو الضمير للملائكة أي لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانًا لقالوا ذلك. وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مُستوضحين لما يرون وقال: إنما ليدلّ على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرًا للأبصار.

قوله: (خُيرت) بالبناء للمفعول (أو حُبست من الإبصار) بكسر الهمزة من الإفعال مصدر أبصر (من السُّكْر) بضم السين ضد الصَّحو، ولما كانت الحيرة لازمة له فسرّ ﴿سُكِّرَتْ﴾ بخيرت، (أو) من (السُّكْر) بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر أسكره إذا سدّته. قوله: ﴿سُكِّرَتْ﴾ بتخفيف الكاف وبناء المفعول (مكّي) أي ابن كثير المكّي ﷺ. وباقى السبعة قرؤوا على بناء المفعول أيضًا إلا أنهم شددوا الكاف.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مِنْ أَسْفَلِ السَّمَاءِ فَنَافَعُهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ﴾ خلقنا فيها ﴿بُرُوجًا﴾ نجومًا أو قصورًا فيها (الحرس) أو منازل للنجوم ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ أي السماء ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ أي السماء ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ملعون أو مرمي بالنجوم ﴿إِلَّا مِنْ أَسْفَلِ السَّمَاءِ﴾ أي المسموع و"من" في محل النصب على الاستثناء ﴿فَنَافَعُهُ شِهَابٌ﴾ نجم ينقض فيعود ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر للمُبْصِرِينَ. قيل: كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فلما وُلِدَ عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات، فلما وُلِدَ محمد ﷺ مُنِعُوا من السموات كلها.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَوْبَتْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها من تحت الكعبة، (والجمهور على أنه تعالى مدها على وجه الماء) ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ في الأرض (جبالاً ثوابت) ﴿وَأَوْبَتْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان، أو له وزن وقدر في أبواب المنفعة والنعمة، أو ما يُوزَن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها، وَخَصَّ ما يُوزَن (لانتهاه الكيل إلى الوزن).

قوله: (الحرس) جمع حارس مثل خادم وخدم.

قوله: (والجمهور على أنه تعالى مدها على وجه الماء)، وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء، وهو الجزء المعمور منها، واعتذروا عن قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بأن الكرة إذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم، فثبت بهذا الأمر أن الأرض محدودة مبسوطة وأنها كرة، ورد هذا أصحاب التفسير بأن الله أخبر في كتابه بأنها ممدودة وأنها مبسوطة، ولو كانت كرة لأخبر بذلك، والله أعلم بمراده وكيف مد الأرض. اهـ خازن.

قوله: (جبالاً ثوابت) من رسي الشيء إذا ثبت جمع راسية. قوله: (لانتهاه الكيل إلى الوزن) لأن الصاع والمد مقدران بالوزن.



﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ وَمَنْ لَسْتُمْ لَمْ يَرْزُقِينَ﴾ (٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مَعِيشٌ﴾ ما يُعاش به من المطاعم جمع معيشة (وهي بياء صريحة) بخلاف الخبائث ونحوها (فإن تصريح البياء فيها خطأ) ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَمْ يَرْزُقِينَ﴾، ﴿وَمَنْ﴾ في محل النصب بالعطف على ﴿مَعِيشٌ﴾ (أو على محل ﴿لَكُمْ﴾) كأنه قيل: وجعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم مَنْ لستم له برازقين، أو جعلنا لكم فيها معاش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطئون فإن الله هو الرزاق يرزقهم وإياهم، ويدخل فيه الأنعام والدواب ونحو ذلك. ولا يجوز أن يكون محل ﴿وَمَنْ﴾ جرًا بالعطف على الضمير المجرور في ﴿لَكُمْ﴾ لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢١) ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به، وما نعطيه إلا بمقدار معلوم ف ضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور.

قوله: (وهي بياء صريحة) لكونها ياء أصلية بمنزلة الصاد من مناصر لكون الكلمة من العيش. قوله: (فإن تصريح البياء فيها خطأ) والصواب الهمزة؛ لأن الهمزة فيها زائدة لبناء فعائل كما في نحو قبيلة وقبائل وسحابة وسحائب وحمالة وحمائل. قوله: (أو على محل ﴿لَكُمْ﴾) وهو النصب؛ لأنه مفعول كأنه قيل: جعلناكم معاش، ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَمْ يَرْزُقِينَ﴾ لكن حذف الجار وأوصل الفعل، وإنما قال على محل لكم لِمَا تقرر في النحو من أنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار في حال السعة والاختيار عند البصريين، ويجوز ترك الإعادة حال الضرورة؛ كما في قوله:

فاليوم قد بت تهجوناً وتشمتنا فاذهب وما بك والأيام من عجب

وأجاز الكوفيون ترك الإعادة في حال السعة بقوله تعالى: ﴿نَسَاءُ لَوْ يَهْـؤُلَاءِ لَآزَحَامٌ﴾ [النساء: الآية ١] بالجرّ في قراءة حمزة إذا تقرر هذا فقد ظهر الفرق بين العطف على الضمير المجرور والعطف على محلّ مجموع الجار والمجرور والذي لم يجوزه البصريون حال السعة هو الأول دون الثاني.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاذْلًا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَكُمْوهُ وَمَا أُنْشِرْ لَهُمْ يَحْيَيْنَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ جمع لاقحة أي وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لأنها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة بها من لقحت الناقة حملت وضدها العقيم. ﴿الرِّيحُ﴾ حمزة ﴿فَاذْلًا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَكُمْوهُ﴾ فجعلناه لكم (سقيًا) ﴿وَمَا أُنْشِرْ لَهُمْ يَحْيَيْنَ﴾ نفى عنهم ما أثبتته لنفسه في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ كأنه قال: نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها، وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أي نحوي بالإيجاد ونُميت بالإفناء، أو نُميت عند انقضاء الأجل ونحوي لجزاء الأعمال على التقديم والتأخير إذ الواو للجمع المطلق ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الباقون بعد هلاك الخلق كلهم. وقيل: للباقي وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فئاته.

﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ من تقدم ولادة وموتًا ومن تأخر، أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد، أو من تقدم في الإسلام أو في الطاعة أو في وصف الجماعة أو في صف الحرب ومن تأخر ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ﴾ أي هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (باهر الحكمة) واسع العلم.

قوله: ﴿الرِّيحُ﴾ بالافراد على تأويل الجنس (حمزة) والباقون بالجمع.  
قوله: (سقيًا)<sup>(١)</sup> بضم السين وسكون القاف كبشرى بمعنى مسقى يسقى به الأرض والمواشي، فليس أسقاه بمعنى سقاه، وإن ورد بهذا المعنى أيضًا.  
قوله: (باهر الحكمة) أي عالم بالأشياء على ما هي عليه وفاعل لها كما ينبغي.

(١) أي جعلنا لكم ماء المطر معدًا لسقي أنفسكم وأراضيكم ومواشيكم. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ حَقَنَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ تَارِ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي آدم ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ طين يابس غير مطبوخ ﴿حَمَلٍ﴾ صفة لـ ﴿صَلْصَلٍ﴾ أي خلقه من صلصال كائن من حملاً أي طين أسود متغير ﴿مَسْنُونٍ﴾ مصور وفي الأول كان تراباً فعجن بالماء فصار طيناً فمكت فصار حملاً فخلص فصار سلالة فصور ويبس فصار صلصالاً فلا تناقض ﴿وَالْجَانَّ﴾ أبا الجن كآدم للناس أو هو إبليس وهو منصوب بفعل مضمر يفسره ﴿حَقَنَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل آدم ﴿مِنْ تَارِ السَّمُورِ﴾ من نار الحر الشديد (النافذ في المسام. قيل: هذه السموم) جزء من سبعين جزءاً من سموم النار التي خلق الله منها الجان.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ واذكر وقت قوله: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ أتملت خلقته وهياتها لنفخ الروح فيها ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وجعلت فيه الروح وأحييته (وليس ثمة نفخ) وإنما هو تمثيل والإضافة للتخصيص ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ هو أمر من وقع يقع أي أسقطوا على الأرض يعني اسجدوا له، ودخل الفاء لأنه جواب «إذا» وهو دليل على أنه يجوز تقدّم الأمر عن وقت الفعل ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله:

قوله: (النافذ في المسام) لشدة لطفها وقوة حرارتها، فإذا دخلت في الإنسان قتلته، والمسام هي ثقب البدن جمع سم بكسر السين على غير قياس كمحاسن جمع حسن. قوله: (قيل: هذه السموم) ... الخ. قاله عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

قوله: (وليس ثمة نفخ) ولا منفوخ.

﴿كُلُّهُمْ﴾ وذكر الكل احتمال تأويل التفرق فقطعه بقوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾، ﴿إِلَّا﴾  
 إبليس ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لأن المستثنى يكون من  
 جنس المستثنى منه. وعن الحسن أن الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة.  
 قلنا: غير المأمور لا يصير بالتَّرك ملعوناً. وقال في الكشف: كان بينهم مأموراً  
 معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك: «رأيتهم إلا  
 هنذا» ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ امتنع أن يكون معهم و﴿أَبَى﴾ استئناف على  
 تقدير قول قائل يقول: هلاً سجد؟ فقيل: أبى ذلك واستكبر عنه. وقيل: معناه  
 ولكن إبليس أبى.

﴿قَالَ يَبْنَيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَهُ تَكْرُ لَأَسْخُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتُمْ مِنْ  
 صَلَصِلٍ مِنْ حَمٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَخَرَجَ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَةً إِيَّ يَوْمِ  
 الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ  
 الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

﴿قَالَ يَبْنَيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ حرف الجر مع أن محذوف  
 تقديره ما لك في أن لا تكون مع الساجدين أي أي غرض لك في إباءك السجود  
 ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ﴾ اللام لتأكيد النفي أي لا يصح مني أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتُمْ  
 مِنْ صَلَصِلٍ مِنْ حَمٍ مَسْنُونٍ﴾ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَخَرَجَ مِنْهَا ﴿٣٤﴾ من السماء أو من الجنة أو من جملة  
 الملائكة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لأن اللعنة هو الطرد  
 من الرحمة والإبعاد منها ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَةً إِيَّ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٣٥﴾ ضرب يوم الدين  
 حدّاً للعنة لأنه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم. والمراد به إنك مذموم مدعو  
 عليك باللعنة في السموات والأرض إلى يوم الدين من غير أن تعذب فإذا جاء  
 ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ فأخبرني ﴿إِيَّ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾  
 ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾، ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾  
 و﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ و﴿يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ في معنى واحد، ولكن خولف بين  
 العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة. وقيل: إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه  
 يُبْعَثُونَ لثلاث يموت لأنه لا يموت يوم البعث أحد فلم يُجِبْ إلى ذلك وأنظر إلى  
 آخر أيام التكليف.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَصِّصِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للقسمة و«ما» مصدرية وجواب القسم لأزَيِّنَنَّ لهم ومعنى أقسم بإغوائك إياي ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ المعاصي ونحوه قوله: ﴿إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ [الحجر: الآية ٣٩]، ﴿فَعِرَّكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: الآية ٨٢] في أنه إقسام إلا أن أحدهما إقسام (بصفة الذات) والثاني بصفة الفعل، وقد فرّق الفقهاء بينهما فقال العراقيون: الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة يمين، والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين. والأصح أن الأيمان مبنية على العُرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يميناً وما لا فلا. والآية حجة على المعتزلة في خلق الأفعال. وحملهم على التسبب عدول عن الظاهر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا التي هي دار الغرور، وأراد إني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزيين لأولاده في الأرض أقدر. ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ (الْمُتَخَصِّصِينَ) ﴿٤٠﴾ وبكسر اللام: بصري ومكي وشامي) استثنى المخلصين لأنه علم أن كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه.

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (أي هذا طريق حق علي أن أراعيه) وهو أن لا يكون لك

قوله: (بصفة الذات)... الخ. وصفة الذات ما لا يجوز أن يوصف بضده، وصفة الفعل ما يجوز أن يوصف بضده، فإنه تعالى يرضى بالإيمان ولا يرضى بالكفر. قوله: ﴿الْمُتَخَصِّصِينَ﴾ قرأه نافع وعاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام، أي الذين أخلصهم الله تعالى بالهداية (وبكسر اللام بصري) أي أبو عمرو البصري (ومكي) أي ابن كثير المكي، (وشامي) أي ابن عامر الشامي أي الذين أخلصوا دينك عن الشوائب.

قوله: (أي هذا طريق حق علي أن أراعيه) نحو: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرؤم: الآية ٤٧].

سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته. وقيل: معنى ﴿عَلَى﴾ إلي. ﴿عَلِيَّ﴾ يعقوب) من علو الشرف والفضل.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ الضمير للغاوين ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ من اتباع إبليس ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ نصيب معلوم (مفرز). قيل: أبواب النار أطباقها وأدراكها، فأعلاها للموحددين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصائبين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٤٥﴾ وبضم العين: مدني وبصري وحفص). المتقي على الإطلاق من يتقي ما يجب إتقاؤه مما نهى عنه. (وقال في الشرح: إن دخل أهل الكبائر) في قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ ﴿٤٤﴾ فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر وإلا فالمراد به الذين اتقوا الشرك.

**قوله:** (عَلِيَّ) بكسر اللام وضم الياء منونة (يعقوب) وليس من السبعة، والباقون بفتح اللام والياء بلا تنوين.

**قوله:** (مفرز) في مختار الصحاح: فرز الشيء عزله عن غيره وأفرزه أيضًا وفارز شريكه فاصله وقاطعه. اهـ.

**قوله:** ﴿وَعُيُونٍ﴾ بكسر العين ابن كثير وابن ذكوان وأبو بكر وحمزة والكسائي (وبضم العين مدني) أي نافع (وبصري) أي أبو عمرو (وحفص). **قوله:** (وقال في الشرح: إن دخل أهل الكبائر)... الخ. عبارة التأويلات للإمام أبي منصور الماتريدي رحمة الله عليه: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٤٥﴾ إن دخل أهل الكبائر في قوله لها سبعة أبواب، فيكون المراد بقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا الكبائر، وإن كان أصحاب الكبائر لم يدخلوا في قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾، فيكون المراد بقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا الشرك، والله أعلم. انتهت بحروفها.

﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقْنَصِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

﴿أَدْخُلُوهَا﴾ أي يقال لهم ادخلوها ﴿بِسَلَامٍ﴾ حال أي سالمين أو مسلماً عليكم تسلم عليكم الملائكة ﴿ءَامِينَ﴾ من الخروج منهما ومن الآفات فيها وهو حال أخرى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ﴾ وهو الحقد الكامن في القلب أي إن كان لأحدهم غل في الدنيا على آخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم. وعن (علي) رضي الله عنه: أرجو أن أكون أنا و(عثمان) و(طلحة) و(الزبير) منهم. وقيل: معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التوادد والتحابب ﴿إِخْوَانًا﴾ حال ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقْنَصِينَ﴾ كذلك قيل تدور بهم (الأسرة) حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضاً ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ في الجنة تعب ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فتمام النعمة بالخلود. ولما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه.

**قوله: (علي) بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ** وزوج ابنته من السابقين الأولين المرجح أنه أول من أسلم وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

**قوله: (عثمان) بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي أمير المؤمنين ذو النورين** أحد السابقين الأولين والخلفاء الأربعة والعشرة المبشرة، استشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة وعمره ثمانون، وقيل أكثر وقيل أقل.

**قوله: (طلحة) بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة التيمي أبو محمد المدني** أحد العشرة مشهور استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين، وهو ابن ثلاث وستين. **قوله: (الزبير) بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب أبو عبد الله القرشي الأسدي** أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قُتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل. **قوله: (الأسرة)** جمع السرير.

﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجُونَ ﴿٥٢﴾

﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾  
تقريراً لما ذكر وتمكيناً له في النفوس. قال عليه السلام: «لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه (لبخع نفسه) في العبادة ولما أقدم على ذنب» وعطف ﴿وَنَبِّئَهُمْ﴾ وأخبر أمك. عطفه على ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ﴾ ليتخذوا ما أحلّ من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الأليم ﴿عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي أضيافه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكاً، والضيف يجيء واحداً وجمعاً لأنه مصدر ضافه ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي نسلم عليك سلاماً أو سلّمنا سلاماً ﴿قَالَ﴾ أي إبراهيم ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجُونَ﴾ خائفون لامتناعهم من الأكل أو لدخولهم بغير إذن وبغير وقت.

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٥٣) فَلَا بُشْرَ لَكُمْ عَلَيْهِ ﴿٥٤﴾

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أي إنك مبشر آمن فلا توجل. (وبالتخفيف وفتح النون: حمزة) ﴿بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحق لقوله في سورة هود ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [هود: الآية ٧١] ﴿قَالَ﴾ أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَى أَنَّ مَسِيحَ الْكِبَرِ أي أبشروني مع مسر الكبر بأن يولد لي أي أن الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر ﴿فَبَشِّرُونِي﴾ هي «ما» الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل: فبأي أعجوبة تبشرون، وبكسر النون والتشديد: (مكي)، والأصل «تبشرونني» فادغم نون الجمع في نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت

قوله: (لبخع نفسه) في مختار الصحاح: بخع نفسه قتله غمّاً وبابه قطع، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخْعُ نَفْسِكَ﴾ [الكهف: الآية ٦]. اهـ.

قوله: (وبالتخفيف وفتح النون) أي بفتح النون وسكون الباء وضّم الشين مخففة (حمزة)، والباقون بضمّ النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة. قوله: (مكي) أي ابن كثير المكي.



الكسرة دليلاً عليها. («تبشرون» بالتخفيف: نافع)، والأصل «تبشرونني» فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين، و(الباقون: بفتح النون)، وحذف المفعول والنون نون الجمع.

﴿قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَاطِئِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ قُلْ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾

﴿قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَقِّ﴾ باليقين الذي لا (لُبْس) فيه ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَاطِئِينَ﴾ من الآيسين من ذلك ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾ (وبكسر النون: بصري وعلي) ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون كقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: الآية ٨٧] أي لم أَسْتَكِرْ ذلك (قنوطاً) من رحمته ولكن استبعاداً له في العادة التي أجراها.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلاَّ أَمْرَاتُهُم فَرَدَّانَا إِنَّهُ لَمِنَ الْغَافِرِينَ ﴿٦٠﴾

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ فما شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ أي قوم لوط ﴿إِلاَّ آلَ لُوطٍ﴾ يريد أهله المؤمنين، والاستثناء منقطع لأن القوم موصوفون بالإجرام والمستثنى ليس كذلك، أو متصل فيكون استثناء من الضمير في ﴿مُجْرِمِينَ﴾ كأنه قيل: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم، والمعنى يختلف باختلاف الاستثنائيين لأن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم

قوله: («تبشرون») بكسر النون (بالتخفيف: نافع). قوله: (الباقون: بفتح النون) مخففة.

قوله: (لُبْس) بالضم أي شبهة. قوله: (وبكسر النون: بصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة، (وعلي) الكسائي، والباقون بفتحها. قوله: (قنوطاً) في مختار الصحاح: القنوط اليأس وبابه جلس ودخل وطرب وسلم، فهو قَنِط وقنُوط وقانط وقرىء: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَاطِئِينَ﴾. وأما قنط يقنط - بالفتح - فيهما، وقنط يقنط - بالكسر - فيهما، فإنما هو على الجمع بين اللغتين. اهـ.

الإرسال يعني أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يُرسلوا إلى آل لوط أصلاً، ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال السهم إلى المرمى في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل: إنا أهلكنا قوماً مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم. وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال يعني أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا وينجوا هؤلاء. وإذا انقطع الاستثناء جرى ﴿إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لأن المعنى: لكن آل لوط مُنْجُونَ، وإذا اتصل كان كلاماً مستأنفاً كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم: فما حال آل لوط؟ فقالوا: إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ ﴿إِلَّا أَمْرَاتَهُ﴾ مستثنى من الضمير المجرور في ﴿لَمُنْجُوهُمْ﴾ وليس باستثناء من الاستثناء، لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه بأن يقول: «أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته». وهنا قد اختلف الحكماء لأن آل لوط متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أو بـ ﴿تَجْرِمِينَ﴾ و﴿إِلَّا أَمْرَاتَهُ﴾ متعلق بـ ﴿لَمُنْجُوهُمْ﴾ فكيف يكون استثناء من استثناء. ﴿لَمُنْجُوهُمْ﴾ بالتخفيف: حمزة وعلي ﴿قَدَرْنَا﴾ وبالتخفيف: أبو بكر ﴿إِنَّمَا لِمَنِ الْقَدِيرُ﴾ الباقيين في العذاب. قيل: لو لم تكن اللام في خبرها لوجب فتح «إن» لأنه مع اسمه وخبره مفعول ﴿قَدَرْنَا﴾ ولكنه كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصفات: الآية ١٥٨] وهما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقبهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والامر هو الملك.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَيُّنَا بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ ﴿٦٢﴾ أي لا أعرفكم أي ليس عليكم (زَي السفر) ولا أنتم من أهل (الحضر) فأخاف أن (تطرقوني

قوله: ﴿لَمُنْجُوهُمْ﴾ بالتخفيف) أي بسكون النون وتخفيف الجيم (حمزة وعلي) الكسائي. قوله: ﴿قَدَرْنَا﴾ بتشديد الدال (وبالتخفيف أبو بكر) شعبة، والباقيون بالتشديد وهما لغتان بمعنى التقدير لا القدرة، أي كتبنا.

قوله: (زَي السفر) في المصباح: الزَي - بالكسر الهيئة، وأصله زوى. اهـ. قوله: (الحضر) بفتح الحين خلاف البدو. اهـ مصباح. قوله: (تطرقوني

بشر ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٦٥) أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من أعدائك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أي يشكون ويكذبونك ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ﴾ باليقين من عذابهم ﴿وَأِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ في الإخبار بنزوله بهم.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكَ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (٦٥)

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ في آخر الليل أو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ وسر خلفهم لتكون مطلعاً عليهم وعلى أحوالهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم، أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لأن من يلتفت لا بد له في ذلك من أدنى وقفة ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ﴾ (٦٦)

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ (عدى ﴿قضينا﴾ بـ «إلى» لأنه ضمن معنى أوحينا) كأنه قيل: وأوحينا إليه مقضياً مبتوتاً، وفسر ذلك الأمر بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾ وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر ودابرهم آخرهم أي يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد ﴿مُصْحِحِينَ﴾ وقت دخولهم في الصبح (وهو حال من ﴿هَؤُلَاءِ﴾).

بشر) في تاج العروس<sup>(١)</sup>: طرق القوم يطرقهم طرْقاً وطروقاً جاءهم ليلاً. فهو طارق. انتهى.

قوله: (عدى ﴿قضينا﴾ بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا) وإلا ففعل القضاء لا يتعدى بإلى. قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: الآية ٢٣]، وقد عدى ههنا إلى لوط عليه الصلاة والسلام بكلمة إلى باعتبار المضمن. قوله: (وهو حال من ﴿هَؤُلَاءِ﴾)، وجاز لكون المضاف بعض

(١) وأيضا فيه: يقال: طرقة الزمان بنوائبه ونعوذ بالله من طوارق السوء، وقال الراغب: كنى عن الحوادث ليلاً بالطوارق. اهـ. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَلَمِينَ ﴿٧٠﴾

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ (سدوم) التي ضرب بقاضيهما المثل في الجور ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بالملائكة طمعاً منهم في ركوب الفاحشة ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ بفضيحة ضيفي لأن من أساء إلى ضيفي أساء إليَّ ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ (أي ولا تذلونني بإذلال ضيفي من الخزي) وهو الهوان. (وبالياء فيهما: يعقوب) ﴿قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَلَمِينَ﴾ (٧٠) عن أن نُجبر منهم أحداً أو تدفع عنهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد، وكان عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فأوعده وقلوا: لئن لم تنته يا لوط لتكون من المخرجين أو عن ضيافة الغرباء.

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ﴾ (٦٨) لَعَنَكَ إِنَّهُنَّ لَفِي سَكْرَةٍ يَعْْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ وَخَذَتْهُنَّ لَصِيحَةٌ مُشْرِفِينَ ﴿٧٣﴾

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جائزاً ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ﴾ إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحلَّ الله دون ما حُرِّمَ فقالت الملائكة للوط عليه السلام ﴿لَعَنَكَ إِنَّهُنَّ لَفِي سَكْرَةٍ﴾ أي في غوايتهن التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات ﴿يَعْْمَهُونَ﴾ يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك، أو الخطاب لرسول الله ﷺ وهو قَسَمَ بحياته وما أقسم

المضاف إليه؛ إذ الدابر أصل الشيء وجزؤه باعتبار هؤلاء كلاً، فيكون الدابر جزؤه ولكون الدابر نائب الفاعل باعتبار ضميره المستكن في مقطوع، فكأنه حال من مفعول ما لم يسم فاعله.

قوله: (سدوم) بفتح السين على وزن فعول وذاله معجمة، ورُوي إهمالها، وقيل: إنه خطأ. قوله: (أي ولا تذلون بإذلال ضيفي من الخزي) وهو الهوان، أو ولا تخجلون فيهم من الخزية وهو الحياء. اهـ بيضاوي. (وبالياء فيهما) أي في ﴿تَفْضَحُونِ﴾، و﴿تُخْزُونِ﴾ [الحجر: الآية ٦٩] في الحالين (يعقوب).

بحياة أحد قط تعظيماً له. (والعمر والعمر) واحد وهو البقاء إلا أنهم خصّوا القسم بالمفتوح إشاراً للأخف لكثرة دور الحلف على ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمر كقسمي ﴿فَاخْذَهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل عليه السلام ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في الشروق وهو (بزوغ) الشمس.

﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۖ﴾ (٧٤) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ۖ﴾ (٧٥) ﴿وَأَنهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۖ﴾ (٧٦) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ (٧٧)

﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ رفعها جبريل عليه السلام إلى السماء ثم قلبها والضمير لقري قوم لوط ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۖ﴾ (٧٤) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ۖ﴾ (٧٥) للمتفرسين المتأملين كأنهم يعرفون باطن الشيء (بسمه) ظاهرة ﴿وَأَنهَا﴾ وإن هذه القرى يعني آثارها ﴿لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد. وهم يُبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله: ﴿وَإِنكُم لَكُمُورٌ عَلَيْهِمْ مُّصِحِّينَ﴾ (١٣٧) ﴿وَبِأَيِّ لِّ﴾ [الصفات: الآيات ١٣٧، ١٣٨]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ (٧٧) لأنهم المنتفعون بذلك.

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ۖ﴾ (٧٨) ﴿فَانفَقْنَا مِنْهُم وَإِنَّهُمَا لِيَأْمَامِرٌ مُّبِينٌ ۖ﴾ (٧٩) ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ۖ﴾ (٨٠)

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وإن الأمر والشأن كان أصحاب الأيكة أي (الغيضة) ﴿لَظَالِمِينَ﴾ لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿فَانفَقْنَا مِنْهُم﴾ فأهلكناهم لما كذبوا شعيباً ﴿وَأَنَّهُمَا﴾ يعني قري قوم لوط والأيكة ﴿لِيَأْمَامِرٌ مُّبِينٌ﴾ لبطريق واضح (والإمام اسم ما يؤتم به) فسمي به الطريق (مطر البناء) لأنهما مما يؤتم به ﴿وَلَقَدْ

(والعمر) بفتح العين (والعمر) بضمها. قوله: (بزوغ) أي طلوع.

قوله: (بسمه) أي بعلامة.

قوله: (الغيضة) في الأصل: اسم للشجر الملتف والمراد بها هنا البقعة التي فيها شجر مزدحم. ففي الكلام مجاز من إطلاق اسم الحال على المحل. قوله: (والإمام اسم ما يؤتم به) أي ما يُقتدى به. قوله: (مطر البناء) المطمر بكسر

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ - هم ثمود، والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام - المرسلين يعني بتكذيبهم صالحاً لأن كل رسول كان يدعو إلى الإيمان بالرُّسل جميعاً، فَمَنْ كَذَبَ واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً، (أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين كما قيل «الخببيون» في ابن الزبير وأصحابه).

﴿وَأَلَيْنَهُمْ ءَايَاتٌ فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُوْتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَأَلَيْنَهُمْ ءَايَاتٌ فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها ﴿وَكَانُوا يَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُوْتًا﴾ أي ينقبون في الجبال بيوتاً أو يبنون من الحجارة ﴿ءَامِنِينَ﴾ لوثاق البيوت واستحكامها من أن تنهدم ومن (نقب اللصوص) والأعداء، أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه ﴿فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ العذاب ﴿مُصْحِينَ﴾ (في اليوم الرابع وقت الصبح) ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من بناء البيوت الوثيقة و(اقتناء الأموال النفيسة).

الميم كالمطمار خيط البنائين الذي يقدرّون به البناء. قوله: (أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين) بطريق تغليب صالح على أمته المؤمنين (كما قيل الخبييون في ابن الزبير وأصحابه)، هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو بكر وأبو خبيب بالمعجمة مصغراً، كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين وولي الخلافة تسع سنين، قُتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (نقّب) أي خرق. في المصباح: نقبت الحائط ونحوه نقباً من باب قتل خرقة. اهـ. قوله: (اللصوص) جمع اللصّ السارق بكسر اللام وضمّها لغة حكاها الأصمعيّ. قوله: (في اليوم الرابع وقت الصبح) قال ابن عباس: إنه تعالى لما أمهلهم تلك الأيام الثلاثة فقد رغبهم في الإيمان، ثم قالوا لصالح عليه السلام: وما علامة ذلك؟ قال: تصير وجوهكم في اليوم الأوّل مصفرة، وفي الثاني محمرة، وفي الثالثة مسودة، ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع؛ فلما رأوا وجوههم مسودة أيقنوا حينئذٍ بالعذاب، فتحنطوا واستعدّوا للعذاب، فصبّهم اليوم الرابع. قوله: (اقتناء الأموال النفيسة) في المصباح: اقتنيت اتخذته لنفسي قنية لا للتجارة، هكذا قيّدوه. اهـ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَأَصْفَحْ أَصْفَحَ الْجَبِيلِ ٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (إلا خلقًا ملتبسًا بالحق) لا باطلاً وعبثاً أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ﴾ أي القيامة لتوقعها كل ساعة ﴿لَآتِيَةٌ﴾ وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويُجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك ﴿فَأَصْفَحْ أَصْفَحَ الْجَبِيلِ﴾ فأعرض عنهم إعراضاً جميلاً بحلم (وإغضاء). قيل: هو منسوخ بآية السيف، وإن أريد به المخالفة فلا يكون منسوخاً ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الذي خلقك وخلقهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ التَّائِيَاتِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ٨٧﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا﴾ أي سبع آيات وهي الفاتحة أو سبع سور وهي (الطوال)، واختلف في السابعة ف قيل الأنفال وبراءة لأنهما في حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما، (وقيل: سورة يونس) أو أسباع القرآن ﴿مِنَ التَّائِيَاتِ﴾ هي من التثنية وهي التكرير لأن الفاتحة مما يتكرر في الصلاة، أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء من الله، والواحدة (مثناة) أو (مثنية) صفة للآية. وأما السور أو الأسباع فلما وقع

قوله: (إلا خلقًا ملتبسًا بالحق) أشار إلى أن الباء للملابسة، وبالحق صفة للمفعول المطلق المحذوف. قوله: (وإغضاء) في المصباح: أغضى الرجل عينه بالألف قازب بين جفنيها، ثم استعمل في الحلم، ف قيل: أغضى على القذى، إذا أمسك عنها عنه. اهـ.

قوله: (الطوال) بكسر الطاء جمع طويل ككريم وكرام واقتصر عليه. في الصحاح: وأما بالضم فالرجل الطويل كما صرح به ابن مالك في مثله. قوله: (وقيل: سورة يونس) أي السابعة، هي سورة يونس. قوله: (مثناة) بفتح الميم وسكون الثاء، وهو إما من التثنية، أي من الثني بمعنى التثنية، أو هو من الثناء وهو إما مصدر سُمي به المفعول مبالغة أو اسم مكان سُمي به المفعول مبالغة أيضاً. قوله: (مثنية) بضم الميم وكسر النون اسم فاعل أسند الثناء إليها إسناداً مجازاً لاشتمالها الثناء على الله تعالى.

فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تشني على الله، وإذا جعلت السبع مثاني فـ «من» للتبيين، وإذا جعلت القرآن مثاني فـ «من» للتبعض ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لأنه إذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله: ﴿يَمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: الآية ٣]. يعني سورة يوسف، وإذا أريد به الأسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الثناء والعظم.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

ثم قال لرسوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي (لا تطمح ببصرك طموح راغب) فيه مُتَمَرِّزٌ له ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة وهي القرآن العظيم فعليك أن تستغني به ولا تمدن عينيك إلى متاع الدنيا. وفي الحديث «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

قوله: (لا تطمح ببصرك) الباء المتعدية، وطمح بمعنى ارتفع. قوله: (طموح راغب) قيد به لأنه المنهي عنه. قوله: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) أي مَنْ لم يتغن على أن يكون التغني المقصور وهو اليسار، وقد جاء التغني في الحديث الصحيح وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الخيل لرجل أجر<sup>(١)</sup> ولآخر ستر<sup>(٢)</sup> ولثالث وزر<sup>(٣)</sup>»، ثم قال: «وأما الذي هي له ستر، فرجل ربطها تغنياً وتعقفاً، ثم لم ينس حق الله تعالى في رقابها»، والمشهور حملة على تحسين الصوت بجعله من الغناء الممدود، فإن التغني بهذا المعنى أشهر، كيف وقد قيل لبعض رواة هذا الحديث: يا أبا محمد، رأيت إن لم يكن حسن الصوت؟ قال:

(١) أي ثواب عظيم. ١٢ منه.

(٢) أي كحاله في معيشته لحفظه من الاحتياج والسؤال. ١٢ منه.

(٣) أي ثقل وأثم.



وحديث (أبي بكر) «مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنْ أَحَدًا أُوتِيَ مِنَ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ (فَقَدْ صَغُرَ) عَظِيمًا وَعَظُمَ صَغِيرًا» ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أَي لَا تَتَمَنَّ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ (أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا) فَيَتَقَوَّى بِمَكَانِهِمُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمُونَ ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَتَوَاضَعَ لِمَنْ مَعَكَ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَطَبَّ نَفْسًا عَنْ إِيْمَانِ الْأَغْنِيَاءِ.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (٨٩) كَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى الْمُفْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾

﴿وَقُلْ﴾ لَهُمْ ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ أُنْذِرْكُمْ بَبَيَانٍ وَبِرَهَانٍ أَنَّ عَذَابَ اللَّهِ نَازِلٌ بِكُمْ ﴿كَمَا أُنْزِلْنَا﴾ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ أَي أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ مِثْلَ مَا أُنْزِلْنَا عَلَى الْمُفْتَسِمِينَ وَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (٩١) أَجْزَاءَ (جَمَعَ) عِضَةً وَأَصْلُهَا عِضْوَةٌ) فَعَلَةً (مَنْ عَضَى الشَّاةَ إِذَا جَعَلَهَا أَعْضَاءً) حَيْثُ قَالُوا بَعْنَادِهِمْ:

يَحْسِنُهُ مَا اسْتَطَاعَ، وَيَشْهَدُ لَهُ الْحَدِيثُ الْآخِرُ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ». وَقِيلَ: الْمُرَادُ مِنَ التَّغْنِي بِالْقُرْآنِ الْإِفْصَاحُ بِالْفَافِظِ، وَقِيلَ: إِعْلَانُهُ وَالْجَهْرُ بِهِ، وَقِيلَ: قِرَاءَتُهُ عَلَى خَشْيَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَقَّةً مِنْ فَوَادِهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ كَشَفَ الْغُمُومَ بِقِرَاءَتِهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصَابَهُ غَمٌّ رُبَّمَا تَغْنَى بِالشَّعْرِ فَطَلَبَ بِذَلِكَ وَجْهَ مِمَّا هُوَ فِيهِ، وَالصَّدِّيقُونَ هُمُومُهُمُ الْمَعَادَ وَضِيقُ صُدُورِهِمْ بِمَا يَشْغَلُهُمْ عَنِ اللَّهِ وَلَا يَفْرَجُونَ كَرْبَهُمْ إِلَّا بِذِكْرِ كَلَامِ رَبِّهِمْ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا»، أَي مَنْ لَمْ يَتَفَرَّجْ مِنْ غَمُومِهِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالتَّدَبُّرِ فِيهِ، فَلَيْسَ مِنَّا خَلْقًا وَسِيرَةً.

قَوْلُهُ: (أَبِي بَكْرٍ) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مَرْةِ التَّيْمِيِّ، أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصَّدِّيقُ الْأَكْبَرُ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَاتَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ، وَلَهُ ثَلَاثُ وَسْتُونَ سَنَةً. قَوْلُهُ: (فَقَدْ صَغُرَ)... الخ. عِلَّةٌ لِلْمَحْذُوفِ تَقْدِيرُهُ: فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ خَسْرَانًا مَبِينًا؛ لِأَنَّهُ صَغُرَ عَظِيمًا. قَوْلُهُ: (أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا) بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ بَدَلِ اشْتِمَالٍ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى تَقْدِيرِ اللَّامِ، أَي لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا.

قَوْلُهُ: (جَمَعَ عِضَةً) بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَفَتْحِ الضَّادِ بِمَعْنَى جِزءٍ فَهُوَ مَعْتَلٌ اللَّامِ، وَلِذَا قَالَ: (وَأَصْلُهَا عِضْوَةٌ مِنْ عَضَى الشَّاةِ) بِالتَّشْدِيدِ (إِذَا جَعَلَهَا أَعْضَاءً) وَأَجْزَاءً فَاعِلٌ فَصَارَ عِضَةً.

بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مُخالف لهما فاقسموه إلى حق وباطل وعضوه. وقيل: كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي، ويقول الآخر سورة آل عمران لي. أو أريد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتصموا؛ فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض، والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض، ويجوز أن يكون ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ﴿٩١﴾ منصوباً بـ ﴿الَّذِينَ﴾ أي أُنذر المعصين الذين يجزئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المُقْتَسِمِينَ وهم الاثنا عشر الذين اقتصموا مدخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لِيُنْفِرُوا النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ برسول الله ﷺ يقول بعضهم: لا تغتربوا بالخارج منا فإنه ساحر. ويقول الآخر: كذاب، والآخر: شاعر (فأهلكهم الله). ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ على الوجه الأول اعتراض بينهما، لأنه لما كان ذلك تسلية لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر بأن يُقبل بكليته على المؤمنين.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحداً واحداً من هؤلاء المقتسمين عما قالوه في رسول الله ﷺ أو في القرآن أو في كتب الله ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فاجهر به وأظهره. يقال: صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً من الصديق وهو الفجر، أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في الزجاجة وهو الإبانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله:

أمرتك الخير فافعل ما أُمِرْتَ به

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ هو أمر استهانة بهم.

قوله: (فأهلكهم الله) يوم بدر.

﴿إِنَّا كَفَيْكَ الْمُسْتَهْزِينَ﴾ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

﴿إِنَّا كَفَيْكَ الْمُسْتَهْزِينَ﴾ (٩٥) الجمهور على أنها (نزلت في خمسة نفر) كانوا يبالغون في إيذاء رسول الله ﷺ والاستهزاء به فأهلكهم الله وهم: الوليد بن المغيرة (مر بنبال) فتعلق بثوبه سهم فأصاب عرقاً في عقبه فقطعه فمات، والعاص بن وائل دخل في (أخمصه) شوكاً فانتفخت رجله فمات. والأسود ابن عبد المطلب عمي. والأسود بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات، والحارث بن قيس (امتخط قيحاً) ومات ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٩٦) (عاقبة) أمرهم يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) فيك أو في القرآن أو في الله ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٩٨) (فافزع فيما نابك) إلى الله، والفرع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفيك ويكشف عنك الغم ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ﴾ وُدُّم على عبادة ربك ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي الموت يعني ما دمت حيّاً فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله ﷺ (إذا حزبه) أمر فرع إلى الصلاة.

قوله: (نزلت في خمسة نفر)... الخ. كونهم خمسة قول، وفي شرح البخاري بأنهم سبعة، وفي بعض أسمائهم اختلاف مفصل في كتب الحديث. قوله: (مر بنبال) بفتح النون وتشديد الباء الموحدة من يصنع النبال، أي السهام. قوله: (أخمصه) الأخمص ما دخل في باطن القدم بحيث لا يصيب الأرض. قوله: (امتخط قيحاً) أي خرج قيح من أنفه بدل مخاطه. قوله: (عاقبة) أشار إلى مفعوله.

قوله: (فافزع) الفرع هنا بمعنى الالتجاء. قوله: (ما نابك) بمعنى ما نزل بك. قوله: (إذا حزبه) بالباء الموحدة والنون أيضاً، أي أهمّه ونزل به (أمر فرع إلى الصلاة) أي قام إليها واشتغل بها.

تمت سورة الحجر والحمد لله رب العالمين  
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## (سورة النحل)

(مَكِّيَّة، وهي مائة وثمان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ فَلَا سَتَعَجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَقَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١﴾ يُزِيلُ الْمَلٰٓئِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٢﴾

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيباً بالوعد فقبل لهم: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ﴾ أي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه ﴿فَلَا سَتَعَجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَقَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تبرأً جلٍّ وعزٍّ عن أن يكون له شريك وعن إشراكهم، ف «ما» موصولة أو مصدرية، واتصال هذا باستعجالهم من حيث إن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك ﴿يُزِيلُ الْمَلٰٓئِكَةُ﴾ (وبالتخفيف مكّي وأبو عمرو) ﴿بِالرُّوحِ﴾ بالوحي أو بالقرآن لأن كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أو يُحيي القلوب الميتة بالجهل ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا﴾ أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة النحل) وتسمى سورة النعم جمع نعمة لما ذكر فيها مما أنعم الله به على الإنسان من المآكل والمراكب وغيره. كما ستره. (مَكِّيَّة، وهي مائة وثمان وعشرون آية) وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة، وسبعة آلاف وسبعمئة وسبعة أحرف. قوله: (وبالتخفيف) أي بتخفيف الزاي (مَكِّي) أي ابن كثير المَكِّي (وأبو عمرو)

معنى القول ومعنى أنذروا ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ اعلموا بأن الأمر ذلك (من نذرت بكذا إذا علمته)، والمعنى أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا فاتقون فخفون. (وبالياء: يعقوب). ثم دلّ على وحدانيته وأنه لا إله هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وهو قوله:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٤) ﴿وَالْأَنفَعُ خَلْقُهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَاكُونُونَ﴾ (٥)

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣) (وبالتاء في الموضعين: حمزة وعلي). وخلق الإنسان وما يكون منه وهو قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٤) أي فإذا هو (منطبق مجادل) عن نفسه (مكافح) لخصومه (مبين لحجته) بعدما كان نطفة لا جسّ به ولا حركة، أو فإذا هو خصيم لربه منكبر على خالقه قائل من يحيي العظام (وهي رميم). وهو وصف للإنسان (بالوقاحة) والتمادي في كفران النعمة وخلق ما لا بدّ منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وحمل أثقاله وسائر حاجاته وهو قوله:

﴿وَالْأَنفَعُ خَلْقُهَا لَكُمْ﴾ (هي الأزواج الثمانية)، وأكثر ما يقع على الإبل، وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله: ﴿وَالْقَمَرُ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: الآية ٣٩]، أو

والباقون بتشديدها. (من نذرت بكذا إذا علمته) وإذا دخلت عليه همزة التعدي صار بمعنى أعلمته. قوله: (وبالياء) في الحاليين (يعقوب) وليس من السبعة.

قوله: (وبالتاء في الموضعين حمزة وعلي) الكسائي. والباقون بالياء على الغيبة. قوله: (منطبق) بكسر الميم صيغة مبالغة (مجادل) معنى خصيم والمنطبق لازم متقدّم ثابت باقتضاء النص. قوله: (مكافح) مستقبل. قوله: (مبين لحجته) فهو من أبان المتعدّي. قوله: (وهي رميم) أي بالية ولم يقل بالتاء لأنه اسم جامد لما يلي من العظام لا صفة. قوله: (بالوقاحة) في المصباح: الوقاحة - بالفتح - قلة الحياء. اهـ.

قوله: (هي الأزواج الثمانية) وهي الضأن والمعز والإبل والبقر والغنم اسم لجنس المتناول للضأن والمعز.

بالعطف على الإنسان أي خلق الإنسان والأنعام، ثم قال: خلقها لكم أي ما خلقها إلا لكم (يا جنس الإنسان) ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ هو اسم ما (يدفأ) به من لباس معمول (من صوف أو وبر أو شعر) ﴿وَمَنْفَعٌ﴾ وهي نسلها ودرها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص، وقد يؤكل من غيرها لأن الأكل منها هو الأصل الذي يعتمد به الناس في معاشهم، وأما الأكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر (فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه).

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردونها من مراعيها (إلى مُراحها) بالعشي ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ترسلونها بالغداة (إلى مسارحها). من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانفعا بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي. لأن (الرُعيان) إذا رَوَّحوها بالعشي وسرَّحوها بالغداة تزيَّنت بإراحتها وتسريحها (الأفنية)، وفرحت أربابها وأكسبتهم العجاة والخُرمة عند الناس. وإنما قدِّمت الإراحة على التسريح لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت (ملأى) البطون (حافلة الضروع).

قوله: (يا جنس الإنسان) إشارة إلى أنه التفات من الغيبة إلى الخطاب.  
قوله: (يدفأ) أي يسخن. قوله: (من صوف) للضأن (أو وبر) للإبل (أو شعر) للمعز. قوله: (فكغير المعتد به) في الأغلب (وكالجاري مجرى التفكه) فخرج. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فخرج الأغلب في الأكل من هذه الأنعام.

قوله: (إلى مراحيها) بضم الميم وهو اسم للمكان الذي تأوي إليه الإبل والغنم بالليل، يقال: أراح إبله أي ردها إلى المراح، وذلك لا يكون إلا بعد الزوال. قوله: (إلى مسارحها) جمع مَسْرَح وهو الموضع الذي تسرح إليه الماشية بالغداة للرعي. قوله: (الرُعيان) بالضم جمع راع. قوله: (الأفنية) جمع فناء الدار بالكسر والمد وهو ما حولها من الفضاء. قوله: (ملأى) بفتح الميم وسكون اللام تأنيث ملآن كعطشان وعطشى. قوله: (حافلة الضروع) أي ممتلئة الضروع لبنًا، يقال: حفل الوادي بالسيل أي امتلأ.

﴿وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمَّ تَكُونُوا بِإِلَیْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٧﴾

﴿وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمَّ تَكُونُوا بِإِلَیْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ (وبفتح الشين: أبو جعفر) وهما لغتان في معنى المشقة.

وقيل: المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقاً وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو (الصدع، وأما الشق) فالنصف كأنه يُذهب نصف قوّته لما ينال من (الجهد). والمعنى وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بإِليه لو لم تخلق الإبل إلا بجهد ومشقة فضلاً أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم، أو معناه لم تكونوا بإِليه بها إلا بشقّ الأنفس. وقيل: أثقالكم أبدانكم ومنه الثقلان للجن والإنس ومنه ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ﴿٢﴾ [الزلزلة: الآية ٢] أي بني آدم ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِزْقِهَا وَرَبُّنَا يُخَلِّقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾

﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِزْقِهَا وَرَبُّنَا﴾ عطف على ﴿الْأَنْعَامِ﴾ أي وخلق هذه للركوب والزينة، (وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم) الخيل بأنه علّل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعدما ذكره في الأنعام، ومنفعة الأكل أقوى، والآية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكر في مواضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما. وانتصاب ﴿رَبُّنَا﴾ على المفعول له عطفاً على محل ﴿لِرِزْقِهَا﴾ وخلق ما لا تعلمون من أصناف خلأئقه وهو قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ومن هذا وصفه يتعالى عن أن يُشرك به غيره.

قوله: (وبفتح الشين: أبو جعفر) يزيد بن القعقاع المدني، وليس من السبعة، والباقون بكسرها. قوله: (الصدع) الإبانة والتفريق. قوله: (وأما الشق) بالكسر. قوله: (الجهد) - بالفتح - المشقة.

قوله: (وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم) ... الخ. في حاشية تفسير البيضاوي للعلامة شيخ زاده رحمته الله: رُوِيَ عن أبي يوسف ومحمد رحمهما الله أَنَّهُمَا يَبِيحَانِ أَكْلَ لَحْمِ الْخَيْلِ لِمَا رُوِيَ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ،

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩)

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ (المراد به الجنس) ولذا قال: ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾

والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد. يقال: سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه، ومعناه أن هداية الطريق الموصِل إلى الحق عليه كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل: الآية ١٢] وليس ذلك للوجوب إذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلاً. وقيل: معناه وإلى الله. وقال (الزجاج): معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء إليه بالحجج ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ أي من السبيل مائل عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أراد هداية اللطف بالتوفيق والإنعام بعد الهدى العام.

أنه قال: كُنَّا قد جعلنا في قدورنا لحم الخيل ولحم الحمار، فنهانا عليه الصلاة والسلام أن نأكل لحم الحمار، وأمرنا بأن نأكل لحم الخيل. ورُوِيَ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما أنها قالت: نحرنا فرساً في عهد رسول الله ﷺ، فأكلناه. ورُوِيَ عن حسن عن أبي حنيفة أنه كان يحرم أكلها، والرواية الظاهرة عن أبي حنيفة أنه لا يحرم الأكل بل يكرهه كراهة تنزيه، ولم يصرح بالتحريم لاختلاف الصحابة والسلف، انتهت بحروفها. وفي الدر المختار: وقيل: إن أبا حنيفة رجع عن حرمة قبل موته بثلاثة أيام، وعليه الفتوى عماديه. اهـ. وفي رد المختار على الدر المختار: قوله: وعليه الفتوى، فهو مكروه كراهة تنزيه وهو ظاهر الرواية كما في كفاية البيهقي، وهو الصحيح على ما ذكره فخر الإسلام وغيره قهستاني، ثم نقل تصحيح كراهة التحريم عن الخلاصة والهداية والمحيط والمغني وقاضيخان والعمادي وغيرهم وعليه المتون، وأفاد أبو السعود أنه على الأول لا خلاف بين الإمام وصاحبيه؛ لأنهما وإن قالَا بالحل لكن مع كراهة التنزيه كما صرح به في الشرنبلالية عن البرهان. قال السيد أحمد الطحطاوي رحمه الله: والخلاف في خيل البر، أما خيل البحر فلا تؤكل اتفاقاً. اهـ بحروفه. قوله: (المراد به الجنس) أي هو شامل للمستقيم وغيره، فإضافة القصد بمعنى المستقيم إليه من إضافة الخاص إلى العام لا من إضافة الصفة إلى الموصوف. قوله: (الزجاج) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنف كتاباً في معاني القرآن الكريم توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة



﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِئِهِ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾، ﴿لَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾ (أو خبر لـ ﴿شَرَابٌ﴾) وهو ما يُشْرَب ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يعني الشجر الذي ترعاه المواشي ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ سامت الماشية إذا رعت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة) وهي العلامة (لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض) ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ولم يقل كل الثمرات لأن كلها لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِئِهِ﴾ بنصب الكل: علي وجعل النجوم مسخرات ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ﴾ فقط: حفص ﴿وَالشَّمْسَ

إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة بيغداد رحمه الله تعالى، وقد أناف على ثمانين سنة.

قوله: (أو خبر لـ ﴿شَرَابٌ﴾) والجملة صفة لقوله ماء. قوله: ﴿وَمِنْهُ﴾ أي من الماء ﴿شَجَرٌ﴾ أي ينبت بسببه. قوله: ﴿فِيهِ﴾ أي الشجر ﴿تُسِيمُونَ﴾ أي ترعون مواشيك (من سامت الماشية إذا رعت، فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة) بضم السين كالسمة - بكسرها - بمعنى العلامة، والقراءة المشهورة بضم التاء من الأسماء، وقرئ شاذًا بفتحها على أنَّ الإسناد مجاز عقلي؛ إذ السوم حال المواشي، والمعنى حينئذ تسيم مواشيك. قوله: (لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض) بيان المناسبة، يعني أن المواشي تؤثر علامات في الأرض والأماكن التي ترعاها، فلذا سُميت أسامة.

قوله: ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ﴾ بالرفع فيهما (فقط: حفص) على الابتداء والخبر، فيكون تعميمًا للحكم بعد تخصيصه ﴿وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ شَامِي عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَيْرِ ﴿١٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ جمع الآية. وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًّا تَبْسُوتُهَا وَتَرَى الْفُلُوكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿الْأَلِيلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا﴾ حال ﴿أَلْوَنًا﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿يَتَعَذُّونَ﴾ (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ) لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴿هو السمك، ووصفه (بالطراوة) لأن الفساد يُسرع إليه فيؤكل سريعاً طرياً خيفة الفساد، وإنما لا يحنث بأكله إذا حلف لا يأكل لحماً (لأن مبنى الإيمان على العُرف). وَمَنْ قَالَ لِعَلَامِهِ: اشترِ بهذه الدراهم لحماً، فجاء بالسمك كان حقيقاً

وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ) بالرفع في الأربعة (شامي) أي ابن عامر الشامي (على الابتداء والخبر)، والباقون بنصب الجميع وكسر تاء ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾.

قوله: ﴿وَهُوَ﴾ أي لا غيره، وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها ﴿الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ أي ذلله وهيأه لعيش ما فيه من الحيوان وتكون الجواهر وغير ذلك، قال علماء الهيئة: ثلاثة أرباع كرة الأرض غائصة في الماء، فذاك هو البحر المحيط، وجعل في هذا الربع المسكون سبعة أبحر، قال تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: الآية ٢٧]، والبحر الذي سخره الله تعالى للناس هو هذه البحار، فمن تسخيرها للخلق ما مرّ ومنه جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها بالركوب وبالغوص وبغير ذلك؛ فمنافع البحار كثير، وذكر سبحانه وتعالى منها هنا ثلاثة منافع، الأولى: قوله تعالى: ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾. الثانية: قوله تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًّا تَبْسُوتُهَا﴾. الثالثة قوله: ﴿وَتَرَى الْفُلُوكَ مَوَاحِرَ فِيهِ﴾. اهر خطيب باختصار. قوله: (بالطراوة) هي ضد اليبوسة. قوله: (لأن مبنى الإيمان على العُرف) أي على ما يتفاهمه الناس في عُرفهم لا على الحقيقة اللغوية ولا على استعمال القرآن.

بالإنكار ﴿وَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾ (هي اللؤلؤ والمرجان) ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ المراد بلبسهم ليس نسائهم ولكنهن إنما يتزين بها من أجلهم فكانها زينتهم ولباسهم. ﴿وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَازِجَ﴾ (جواري) تجري جرياً وتشقّ الماء شقاً، والمخر (شقّ الماء بحيزومها) ﴿فِيهِ﴾ في البحر ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ هو عطف على محذوف أي لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ما أنعم عليكم به.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ يَمَيْدَ بِكُمْ وَانْهَرًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ وَيَالْجَنِّمْ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوًى﴾ (جبالاً ثوابت) ﴿أَنْ يَمَيْدَ بِكُمْ﴾ كراهية أن تميل بكم وتضطرب أو لثلا تميد بكم لكن حذف المضاف أكثر. خلق الأرض فجعلت تميد فقالت الملائكة: (ما هي بمقرّ أحد على ظهرها) فأصبحت وقد أُرسيّت بالجبال لم تُدر الملائكة ممّ خلقت ﴿وَأَنْهَرًا﴾ وجعل فيها أنهاراً لأنّ ألقى فيه معنى جعل ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم أو إلى توحيد ربكم. ﴿وَعَلَّمَتِ﴾ هي (معالم) الطرق وكل ما يستدلّ به (السابلة) من جبل وغير ذلك ﴿وَيَالْجَنِّمْ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ المراد بالنجم (الجنس) أو (هو الشريا والفرقدان وبنات

قوله: (هي اللؤلؤ والمرجان) في تهذيب الأسماء: المرجان فسره الواحدى بعظام اللؤلؤ، وقال أبو الهيثم: صغاره، وقال آخرون: هو جوهر أحمر يسمى النسيد، وهو قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وهو المشهور في عرف الناس. قوله: (جواري) فهو جمع ماخرة بمعنى جارية. قوله: (شقّ الماء بحيزومها) بالحاء المهملة والزاي المعجمة، أي بوسط صدرها. قال أهل اللغة: مخر السفينة شقها الماء بصدرها.

قوله: (جبالاً ثوابت) ﴿رَوًى﴾ بمعنى ثوابت صفة لموصوف محذوف. قوله: (ما هي بمقرّ أحد على ظهرها) مقرّ بفتح الميم اسم مكان من القَرار والباء زائدة. قوله: (معالم) جمع معلّم وهو ما يُستدلّ به على شيء. قوله: (السابلة) الفرقة التي تسلك سبيلاً ويُطلق على الطريق نفسها، وليس بمراد هنا. قوله: (الجنس) الاستغراق. قوله: (هو الشريا والفرقدان) نجومٌ معروفة. قوله: (وبنات

نعش) والجددي). فإن قلت: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ مخرج (عن سنن الخطاب) مقدّم فيه النجم مُقَحّم فيه هم كأنه قيل: وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فمن المراد بهم؟ قلت: كأنه أراد قريشاً فلهم اهتداء بالنجوم في مسائرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم، فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصّصوا.

﴿فَمَنْ يَخْلُقْ كَمَنْ لَا يَخْلُقْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٧) وَإِنْ نَعُدُّ نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾

﴿فَمَنْ يَخْلُقْ﴾ أي الله تعالى ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقْ﴾ أي الأصنام وجيء بـ «مَنْ» الذي هو لأولي العلم لزعمهم حيث سمّوها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم، أو لأن المعنى أن مَنْ يخلق ليس كَمَنْ لَا يَخْلُقْ من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده. وإنما لم يقل: أفمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره إياه لكونه إلزاماً للذين عبدوا الأوثان وسمّوها آلهة تشبيهاً بالله لأنهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيهاً بها فأنكر عليهم ذلك بقوله: ﴿فَمَنْ يَخْلُقْ كَمَنْ لَا يَخْلُقْ﴾ وهو حجة على المعتزلة في خلق الأفعال ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفون فساد ما أنتم عليه ﴿وَإِنْ نَعُدُّ نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلاً أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر، وإنما اتبع ذلك ما عدّد من نعمة تنبيهاً على أن ما وراءها لا

نعش) قال الجوهري: اتفق سيبويه والفراء على ترك صرف نعش للمعرفة والتأنيث، قال البدر الدماميني: الظاهر أن المراد ترك الصرف جوازاً لا وجوباً لأنه ثلاثي ساكن الأوسط كهند، فيجوز الأمران. قوله: (الجددي) نجم عند القطب تُعرف به القبلة والمنجمون يقولون له جُذَي بالتصغير فرقاً بينه وبين اسم البرج المعروف. فيصح قراءته في عبارة المصنّف رحمه الله مصغراً ومكبراً. اهـ شهاب. وفي حاشية الفنوي: الجذّي نجم عند القطب يُعرف به القبلة ويُستدلّ به على الطريق المطلوب الواقع في جانب القبلة، وهو ليس بمصغر؛ لأنه من تحريف المنجمين للفرق بينه وبين اسم البرج المعروف. اهـ. قوله: (عن سنن الخطاب) أي عن طريقه إلى طريق الغيبة.

ينحصر ولا يُعَدَّ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم.

﴿وَلِلَّهِ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٩) ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٢٠) ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٢١)

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٩) ﴿من أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد﴾ (٢٠) ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ والآلهة الذين يدعوه الكفار ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (وبالتاء: غير عاصم) ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٢٠) ﴿أَمْوَاتٌ﴾ أي هم أموات ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث، وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث، ومعنى ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس في ذلك. والضمير في ﴿يُبْعَثُونَ﴾ للداعين أي لا يشعرون متى تُبعث عبدتهم، وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بُعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم، وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث.

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (٢٢) ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكَرَةٌ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢٣) ﴿لَا جَرَمَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢٤)

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي ثبت بما مر أن الإلهية لا تكون لغير الله وأن معبودكم واحد ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكَرَةٌ﴾ للوحدانية ﴿وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عنها وعن الإقرار بها ﴿لَا جَرَمَ﴾ (حقاً) ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي سرهم

قوله: (وبالتاء غير عاصم) مناسبة لـ ﴿تُسِرُّونَ﴾ التفاتاً من الخطاب العام إلى الخاص، وعاصم بياء الغيبة على الالتفات من خطاب عام للمؤمنين إلى غيب خاص للكافرين.

قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ (حقاً). الخ. في هذه اللفظة خلاف بين النحاة، فذهب الخليل وسيبويه والجمهور رحمهم الله إلى أن لا جرم اسم مركب مع لا تركيب خمسة عشر، وبعد التركيب صار معناها معنى فعل وهو حق وما بعدهما

وعلانياتهم فيجازيهم وهو وعيد ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن التوحيد يعني المشركين .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ .  
 ﴿مَآذَا﴾ منصوب بـ ﴿أَنْزَلَ﴾ أي أي شيء أنزل ربكم ، أو مرفوع على الابتداء أي أي شيء أنزله ربكم . و﴿أَسَاطِيرُ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، قيل : هو قول المُقْتَسِمِينَ الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله ﷺ إذا سألهم (وفود الحاج) عما أنزل على رسول الله ﷺ قالوا : أساطير الأولين أي أحاديث الأولين وأباطيلهم واحداثها (أسطورة) ، وإذا رأوا أصحاب رسول الله ﷺ يخبرونهم بصدقه وأنه نبي فهم الذين قالوا خيراً .

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ أي قالوا ذلك إضلالاً للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال ، لأن المضل والضال شريكان واللام للتعليل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم (ضلال) ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ محل «ما» رفع .

مرتفع بالفاعلية لمجموع لا جرم لتأويله بالفعل أو بمصدر قائم مقامه وهو حقاً على ما ذكره أبو البقاء رحمه الله ، فقلوه : حقاً تفسير له على مذهب الجمهور على مسلك أبي البقاء فيه ، وقيل : لا نافية لما تقدم ، وجرم فعل معناه حق ، وأن وما في حيّزه فاعله وقيل غير ذلك .

قوله : (وُفُود) جمع وافد . قوله : (الحاج) أن يراد به الجنس ، وقد يكون اسماً للجنس . اهـ . لسان العرب . قوله : (أسطورة) بالضم .

قوله : (ضلال) جمع ضال . قوله : ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ يعني : ألا بُئس ما يحملون .

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآفَ اللَّهُ سُنِّيَهُمْ مِنْ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٦)

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآفَ اللَّهُ سُنِّيَهُمْ مِنْ الْقَوَاعِدِ﴾ أي من جهة القواعد وهي الأساطين، وهذا تمثيل يعني أنهم (سؤوا منصوبات) ليمكروا بها رُسُل الله فجعل هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنياناً وعمدوه بالأساطين، فأتى البنيان من الأساطين بأن (ضعضت) فسقط عليهم السقف وماتوا وهلكوا، والجمهور على أن المراد به (نمرود بن كنعان) حين (بنى الصرح ببابل) طوله خمسة آلاف ذراع - وقيل - (فرسخان) فأهَبَّ الله الريح (فخرَ عليه وعلى قومه) فهلكوا ﴿فَآفَ اللَّهُ﴾ - أي أمره - بالاستتصال ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون.

قوله: (سؤوا منصوبات) سوى بمعنى صنع ورتب والمنصوبة هي الحيلة، كما نقل عن الزمخشري، أي رتبوا حيلًا. قوله: (ضُغَضت) على البناء للمفعول، بمعنى هُدمت. قوله: (نمرود) بضم النون آخره دال مهملة وهو اسم رجل أبله عدو الله خاصم مع إبراهيم خليل الله على نبينا وعليه الصلاة والسلام (ابن كنعان) بكسر الكاف والفتح مروي فيه. قوله: (بنى الصرح) أي أمر ببناء الصرح، أي القصر. قوله: (ببابل) اسم ناحية معروفة مذكورة في القرآن. قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: هي في سواد الكوفة، ومنع صرفها للعلمية والتأنيث.

قوله: (فرسخان) الفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون أصبعًا. قوله: (فخرَ عليه وعلى قومه) فهلكوا يقتضي أن هلاك نمرود إذ ذاك بما ذكر، والمعروف أنه عاش بعده وأهلكه الله تعالى بعبوضة وصلت لدماغه إظهارًا لكمال خسته وعجزه وجازاه من جنس عمله؛ لأنه صعد إلى جهة السماء بالنسور فأهلكه الله تعالى بأخس الطيور، وعلى هذا لا يكون تمثيلًا.

قوله: ﴿فَآفَ اللَّهُ﴾ أي أمره أوله بتقدير المضاف لاستحالة الإتيان له تعالى، فإن الإتيان المجيء بسهولة.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَفِّقُونَ فِيهِمْ قَالَ لِّذِكْ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢٧)

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يدلهم بعذاب الخزي سوى ما عذبوا به في الدنيا ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوثقهم بها على طريق الاستهزاء بهم ﴿كُنْتُمْ تُشَفِّقُونَ فِيهِمْ﴾ تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم. ﴿تُشَفِّقُونَ﴾ نافع أي تشاقوني فيهم لأن مشاققة المؤمنين كأنها مشاققة الله ﴿قَالَ لِّذِكْ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويشاققونهم يقولون ذلك (شماتة) بهم أو هم الملائكة ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ﴾ الفضيحة ﴿وَالسُّوءَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليَنسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢٩)

﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ (وبالياء: حمزة) وكذا ما بعده ﴿ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ بالكفر بالله ﴿فَأَلْقَوْا السَّلَامَ﴾ أي الصلح والاستسلام أي (أخبتوا) وجأؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من (الشقاق) وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ وجحدوا ما وجد منهم من الكفران والعداوة فرد عليهم أولو العلم وقالوا: ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فهو يُجازيكم عليه وهذا أيضًا من الشماتة وكذلك ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليَنسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢٩) جهنم.

قوله : ﴿تُشَفِّقُونَ﴾ بكسر النون (نافع. أي تشاقوني) فحذف إحدى النونين لزوم التخفيف ثم حذف الياء اكتفاء بالكسرة عنها والباقون بفتحها. قوله : (شماتة) في المصباح: شمت به يشمت إذا فرح بمصيبة نزلت به، والاسم الشماتة. اهـ. وفي مختار الصحاح: الشماتة الفرح ببلية العدو، وبابه سليم. اهـ.

قوله : (وبالياء) التحتانية حمزة) وكذا ما بعده؛ إذ لا تأنيث في الملائكة، والباقون بالتاء فوقانية نظرًا إلى لفظ الملائكة. قوله : (أخبتوا) بخاء معجمة وباء موحدة ومثناة فوقية، من قولهم: أخبت الله، بمعنى ذلّ وتواضع. قوله : (الشقاق) الخلاف.



﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَرُ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشُّرَكَ ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ﴾ وإنما نصب هذا ورفع ﴿أَسْطِيرُ﴾ لأن التقدير هنا أنزل خيراً فأطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو أساطير الأولين (فعدلوا بالجواب عن السؤال) ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ أي آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا: لا إله إلا الله ﴿حَسَنَةٌ﴾ بالرفع أي ثواب وأمن وغنيمة (وهو بدل من ﴿خَيْرٌ﴾) حكاية لقول ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي قالوا هذا القول فقدم عليهن تسميته خيراً. ثم حكاها، (أو هو كلام مستأنف) عِدَّةٌ لِلْقَائِلِينَ وجعل قولهم من جملة إحسانهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أي لهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله: ﴿فَقَالَتْ لَهُمُ اللَّهُ تَوَابٌ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابٍ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٨] ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ أَلَمْ نَكُنْهُمْ سَيِّئِينَ يَقُولُونَ سَلَمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أو هو المخصوص بالمدح ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ حَسَالُ ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ أَلَمْ نَكُنْهُمْ سَيِّئِينَ يَقُولُونَ سَلَمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم ﴿يَقُولُونَ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ قيل: إذا (أشرف العبد المؤمن) على الموت جاءه ملك،

قوله: (فعدلوا بالجواب عن السؤال) فقالوا: هو أساطير الأولين، وليس هو من الإنزال في شيء لأنهم عدلوا ولم يعتقدوا كونه منزلاً. قوله: (وهو بدل من ﴿خَيْرٌ﴾) فمحله النصب. قوله: (أو هو كلام مستأنف) أي ابتداء كلام.

قوله: ﴿﴿عَدْنٍ﴾﴾ أي إقامة. قوله: (أشرف العبد المؤمن) في لسان العرب: أشرف على الموت قارب. اهد. وأخرج مالك وابن جرير والبيهقي وغيرهم: «إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك... الخ.

فقال: السلام عليك يا وليّ الله، الله يقرأ عليك السلام، ويُسّرهُ بالجنة ويقال لهم في الآخرة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بعملكم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٣٤﴾

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ (ما ينتظر) هؤلاء الكفار ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم. (وبالياء: علي وحمزة) ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ أي العذاب المستأصل أو القيامة ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل من الشُّرك والتكذيب ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ (بتدميرهم) ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ (جزاء سيئات أعمالهم) ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (وأحاط بهم جزاء استهزائهم).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ أَعْدُوهُمُ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا﴾ هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقاداً لكان صواباً ﴿وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني البحيرة والسائبة ونحوهما ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي كذبوا الرُّسُلَ وحَرَّموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾

قوله: (ما ينتظر) نبّه به على أن ﴿يَنْظُرُونَ﴾ من النظر بمعنى الانتظار، و﴿هَلْ﴾ للإنكار الوقوعي الإبطالي يفيد النفي. قوله: (وبالياء) على التذكير (علي وحمزة) والباقون بالتاء على التأنيث. قوله: (بتدميرهم) أي بإهلاكهم. قوله: (جزاء سيئات أعمالهم) على حذف المضاف. قوله: (وأحاط بهم جزاء استهزائهم) يعني أن ما مصدرية، وفي الكلام مضاف مقدّر.

الْمُبِينُ ﴿٣٧﴾ إِلَّا أَنْ يَبْلُغُوا الْحَقَّ وَيُطْلِعُوا عَلَى بُطْلَانِ الشَّرْكِ وَقُبْحِهِ ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ﴿٣٩﴾ بِأَنْ وَحْدَهُ ﴿٤٠﴾ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٤١﴾ الشَّيْطَانُ يَعْنِي طَاعَتَهُ ﴿٤٢﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ ﴿٤٣﴾ لاختيارهم الهدى ﴿٤٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴿٤٥﴾ أَي لزمته لاختياره إيَّاهَا ﴿٤٦﴾ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ حَيْثُ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ وَأَخْلَى دِيَارَهُمْ عَنْهُمْ. ثُمَّ ذَكَرَ عِنَادَ قَرِيشٍ وَحَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُمْ مِنْ قَسَمٍ مِنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَقَالَ:

﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ إِنْ يَنْتَظِرُ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنََّّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ (بفتح الياء وكسر الدال: كوفي. والباقون: بضم الياء وفتح الدال)، والوجه فيه أن ﴿مَنْ يُضِلُّ﴾ مبتدأ و﴿لَا يَهْدِي﴾ خبره ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ﴾ يمنعونهم من (جريان) حُكْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ويدفعون عنهم عذابه الذي أعدَّ لهم.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ معطوف على ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى﴾ هو إثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم ﴿وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ وهو

قوله: (بفتح الياء وكسر الدال) على البناء للفاعل، أي لا يهدي الله من يضلُّه، فمن مفعول بيهدي ويجوز أن يكون يهدي بمعنى يهتدي، فمن فاعله (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي، (والباقون بضم الياء وفتح الدال) على البناء للمفعول. في البيان للعلامة أبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرِيُّ النحوي المتوفى سنة ست عشرة وستمائة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ يُقْرَأُ بفتح الياء وكسر الدال على تسمية الفاعل و﴿لَا يَهْدِي﴾ خبر إنَّ و﴿مَنْ يُضِلُّ﴾ مفعول ﴿يَهْدِي﴾، ويُقْرَأُ (لَا يُهْدِي) بضم الياء على ما لم يُسَمَّ فاعله، وفيه وجهان أحدهما: أن ﴿مَنْ يُضِلُّ﴾ مبتدأ و﴿لَا يَهْدِي﴾ خبره، والثاني أن ﴿لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ بأسره خبر أن؛ كقولك: إن زيذا لا يضرب أبوه، انتهى بحروفه. قوله: (جريان) بالتحريك.

مصدر مؤكد لما دلَّ عليه ﴿بَلَى﴾ لأن ﴿يَبْعَثُ﴾ موعد من الله ويبيِّن أن الوفاء بهذا الوعد حق ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن وعده حق أو أنهم يُبعثون ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ متعلق بما دلَّ عليه ﴿بَلَى﴾ أي يبيِّنهم لبيِّن لهم، والضمير لـ ﴿مَنْ يَمُوتُ﴾ وهو يشمل المؤمنين والكافرين ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ هو الحق ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ في قولهم: ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي فهو يكون، وبالنصب: (شامي وعلي)، على جواب. كن ﴿قَوْلُنَا﴾ مبتدأ و﴿أَنْ نَقُولَ﴾ خبره و﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ من «كان» التامة التي بمعنى (الحدوث) والوجود أي إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف، وهذه عبارة عن سرعة الإيجاد تبين أن مُرادًا لا يمتنع عليه، وأن وجوده عند إرادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الأمر المُطاع إذا ورد على المأمور المُطيع المتمثل ولا قول ثم. والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات؟ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنُوتَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْرَمُ نَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

(في حقه ولوجهه) ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ هم رسول الله وأصحابه ظلّمهم أهل مكة ففرّوا بدينهم إلى الله، منهم من هاجر إلى (الحبشة) ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين، ومنهم من هاجر إلى المدينة ﴿لَنَنُوتَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ صفة للمصدر أي تبوءة حسنة أو ﴿لَنَنُوتَهُمْ﴾ مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم أهلها

قوله: (شامي) أي ابن عامر الشامي. قوله: (وعلي) الكسائي. قوله: (الحدوث) بالضم كون الشيء لم يكن قبله وبابه دخل. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (في حقه ولوجهه) بتقدير المضاف أو في بمعنى اللام. قوله: (الحبشة) بفتحيتين اسم جنس بمعنى الحبش، وهم جيل معروف ويُطلق على بلادهم، وهو المراد هنا وكأنه مجاز. قوله: (أو) ﴿لَنَنُوتَهُمْ﴾ مباءة حسنة (المباءة

ونصروهم ﴿وَلَا جُرْأَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ الموقف لازم عليه لأن جواب ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ محذوف والضمير للكفار أي لو علموا ذلك لرغبوا في الدين أو للمهاجرين أي لو كانوا يعلمون لزدوا في اجتهادهم وصبرهم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا، وكلاهما مدح أي صبروا على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مستقط رؤوسهم، وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي يُفَوِّضُونَ الأمر إلى ربهم ويرضون بما أصابهم في دين الله.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾  
 بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾  
 قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ مَنَّاسًا أَنْ يُبَيِّنَ اللَّهُ لَهُمْ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي كَانُوا يُكْفِرُونَ بِهَا وَهُمْ لَا يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٥﴾

ولما قالت قريش: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا نزل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ (- يوحى إليهم -) على السنة الملائكة. ﴿نُوْحِي﴾ (حفص) ﴿فَتَسْلُتُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أهل الكتاب ليُعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشرا. وقيل للكتاب الذكور لأنه موعظة وتنبية للغافلين ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ أي بالمعجزات والكتب والباء يتعلق بـ ﴿رِجَالًا﴾ صفة له أي رجالا ملتبسين بالبينات، أو بأرسلنا مضمرا كأنه قيل: بِمَ أرسل الرُّسُلَ؟ فقيل: بالبينات، أو بـ ﴿يُوْحِي﴾ أي يوحى إليهم بالبينات أو بـ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقوله: ﴿فَتَسْلُتُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ اعتراض على الوجوه المتقدمة وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ في الذكر مما أمروا به ونُهِوا عنه ووعدوا به وأُوعِدُوا ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في تنبيهاته فيتبهاوا. ﴿فَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ (أي المكرات السيئات).

بالمد المنزل مِنْ بَوَّاه أنزله، فهو صفة ظرف أو مفعول به إن ضمن الفعل معنى نعطيه. قوله: (يوحى إليهم) بضم الياء من تحت وفتح الحاء مبنيا للمفعول. قوله: ﴿نُوْحِي﴾ بالنون مبنيا للفاعل (حفص) وحده. قوله: (أي المكرات السيئات) هنا صفة المكرات فانتصابها على المصدر، وجمع السيئات إشارة إلى أن

وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام ﴿أَنْ يَخِيفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كما فعل بمن تقدمهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي بغتة.

﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقُلِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾

﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقُلِهِمْ﴾ (متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم) ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ متخوفين وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: الآية ٢٥]. ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم، والمعنى أنه إذا لم يأخذكم مع ما فيكم فإنما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوُا ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ (وبالتاء: حمزة وعلي وأبو بكر) ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ «ما» موصولة بـ ﴿خَلَقَ اللَّهُ﴾ وهو مبهم بيانه ﴿مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوُا ظِلَّهُ﴾ أي يرجع من موضع إلى موضع. (وبالتاء: بصري) ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾

موصوفها يراد به الأنواع، وإلا فالمصدر لا يُثنى ولا يُجمع. قوله: (وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام) يعني أن الضمير في مكروا لأهل مكة، والمراد بالمكر ما مكروا به.

قوله: (متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم) يشير إلى أن قوله: ﴿فِي ثَقُلِهِمْ﴾ [النحل: الآية ٤٦] حال. اهـ شهاب.

قوله: (وبالتاء حمزة وعلي) الكسائي (وأبو بكر) لقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ﴾، والباقون بالغيب لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ﴾. وعبرة تفسير الخطيب وغيره: قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب على نسق ما قبله، والباقون بالياء على الغيبة، انتهت. قوله: (وبالتاء: بصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري

(أي الأيمان) ﴿وَالشَّمَايِلَ﴾ جمع شمال ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ حال من الظلال. عن (مجاهد): إذا زالت الشمس سجد كل شيء ﴿وَهُمْ ذَاخِرُونَ﴾ صاغرون وهو حال من الضمير في ﴿ظِلُّنَّكُمْ﴾ لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل. وجمع بالواو والنون لأن الدخور من أوصاف العقلاء، أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب. والمعنى أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لا ظلال متفينة عن أيمانها وشمائلها أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب، مُنْقَادَةٌ لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام في أنفسها، داخرة أيضًا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها غير ممتنعة ﴿وَلِلَّهِ سَعْدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَاتَةٍ﴾ «من» بيان لما في السموات وما في الأرض جميعًا على أن في السموات خلقًا يذبون فيها كما تدب الأناسي في الأرض، أو بيان لما في الأرض وحده والمراد بما في السموات ملائكتهن، ويقولن: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم. قيل: المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم، ويسجدون غيرهم انقيادهم لإرادة الله. ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد. وجيء بـ «ما» إذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جيء بـ «من» لتناول العقلاء خاصة ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾ هو حال من الضمير في ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي لا يستكبرون خائفين ﴿مِنْ قُوَّتِهِمْ﴾ إن علقته بـ ﴿يَخَافُونَ﴾ فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابًا من فوقهم، وإن علقته بـ ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ حالًا منه فمعناه يخافون ربهم غالبًا لهم قاهرًا كقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: الآية ٦١] ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وفيه دليل على أن الملائكة مكلّفون مدارون على الأمر والنهي وأنهم بين الخوف والرجاء.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَخَّرُوا إِلَهُيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾ ﴿٥١﴾

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَخَّرُوا إِلَهُيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحِدٌ﴾ فإن قلت إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا: عندي رجال ثلاثة، لأن المعدود

وليس من السبعة لتأنيث الجمع، والباقون بالياء لأن تأنيثه مجازي. قوله: (أي الأيمان) إشارة إلى أن اليمين في قوة الجمع؛ إذ المراد به الجنس. قوله: (مجاهد) بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة ثقة إمام في التفسير وفي العلم مات سنة إحدى واثنين أو ثلاث وأربع ومائة، وله ثلاث وثمانون.

عارٍ عن الدلالة على العدد الخاص، فأما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدّ فلا حاجة إلى أن يُقال: «رجل واحد ورجلان اثنان». قلت: الاسم الحامل لمعنى الأفراد والتثنية دالٌّ على شيئين: على الجنسية والعدد المخصوص. فإذا أُريدت الدلالة على أن المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكد فدلّ به على القصد إليه والعناية به، ألا ترى أنك لو قلت: «إنما هو إله» ولم تؤكد بواحد لم يحسن وخُيل إنك تثبت الإلهية لا الوجدانية ﴿فَاتَّيَ فَارَهُبُونَ﴾ نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ في الترغيب من قوله: «فإياي فارهبوا». («فارهبوني» يعقوب).

﴿وَلَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الْبَازِئُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ (٥٢) وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِرَ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَإِنَّهُ يُخَشِّرُونَ ﴿٥٣﴾

﴿وَلَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الْبَازِئُ﴾ أي الطاعة ﴿وَاصِبًا﴾ واجبًا ثابتًا لأن كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل مُنعم عليه، (وهو) حال عمل فيه الظرف، أو وله الجزاء دائمًا يعني الثواب والعقاب ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ (٥٢) وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ (وأي شيء اتصل بكم من نعمة) عافية وغيث (خصب) ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ فهو من الله ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ﴾ المرض والفقر (والجذب) ﴿فَالْيَوْمَ يَخْشِرُونَ﴾ فما تتضرعون إلا إليه، و(الجوار) رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة.

قوله: (فارهبوني) بإثبات الياء في الحاليين (يعقوب) وليس من السبعة.

قوله: (وهو) أي قوله تعالى: ﴿وَاصِبًا﴾. قوله: (وأي شيء اتصل بكم من نعمة) على أن ما شرطية، وفعل الشرط بعدها محذوف، وقوله: ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ جواب للشرط، ويحتمل أن تكون كلمة ﴿مَا﴾ موصولة و﴿يَكُم﴾ صلة، فهي مبتدأ. وقوله: ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ خبرها زيدت الفاء في الخبر لتضمن الموصول معنى الشرط، و﴿مِنَ اللَّهِ﴾ بيان للموصول أو التقدير: والذي استقر بكم من نعمة فهو من الله. قوله: (خصب) في مختار الصحاح: الخِصْب بالكسر ضد الجَذْب. اهـ. قوله: (والجذب) ضد الخِصْب. اهـ مختار الصحاح. قوله: (الجوار) بالضم.



﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ الخطاب في ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ﴾ إن كان عامًّا فالمراد بالفريق الكفّرة، وإن كان الخطاب للمشركين فقوله: ﴿مِّنْكُمْ﴾ للبيان لا للتبعض كأنه قال: فإذا فريق كافر وهم أنتم، ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله: ﴿فَلَمَّا بَجَنَّهُمْ إِلَى الْبَرِّ (فَإِنَّهُمْ مُّقْتَصِدٌ)﴾ [لقمان: الآية ٣٢]، ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم (كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة)، ثم أوعدهم فقال: ﴿فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هو عدول إلى الخطاب على التهديد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تِلْكَ لِسِتٍّ لِّعَمَاءٍ كُتِبَ لَهُمْ أَن يَرَوْا فِيهَا وَيَسْمَعُوا فِيهَا وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أي لآلهتهم، (ومعنى ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾) أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لأنها جماد لا تضر ولا تنفع، أو الضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للآلهة أي

﴿فَإِنَّهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾) متوسط بين الكفر والإيمان، فلا يغلو في كفره لانزجاره بعض الانزجار، ومنهم باقٍ على كفره. قوله: (كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة) إشارة إلى أن اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ لام العاقبة كما في قوله: ﴿فَالْقَظْفَةُ﴾ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴿الْقَصَص: الآية ٨﴾، ولما كان شركهم مؤديًّا إلى كفران النعمة صار الكفران لهم غرضًا مطلوبًا من الشرك، فأدخل عليه لام العلة تشبيها لعاقبة الشيء بعلة.

قوله: (ومعنى ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾) ... الخ. فالمعنى: ويجعلون لآلهتهم التي ليس اعتقادهم في حقها علمًا، فإنهم يعتقدون أنها آلهة وأنها تنفع وتضر وأن طاعتهم إياها تنفعهم وإعراضهم عنها يضرهم، وليس شيء من هذه الاعتقادات علمًا لكونها مخالفة للواقع، فصح أن يقال إنهم لا يعلمونها، فإن من رأى شيئًا واعتقد أنه إنسان وهو شجر أو حجر صح أن يقال: إنه لا يعلم ذلك الشيء، مع أنه يعرف ذاته، ولو كان لا يعلمونها بمعنى لا يعرفون ذاتها يفسد المعنى؛ لأنه

لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيباً في أنعامهم وزروعهم أم لا .  
 وكانوا يجعلون لهم ذلك تقرباً إليهم ﴿تَاللَّهِ لَنُتَنَلَّنَّ﴾ وعيد ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من  
 أنها آلهة وأنها أهل للتقرب إليها ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ كانت (خزاعة وكنانة)  
 الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه (أو تعجب من قولهم)  
 ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني البنين . ويجوز في «ما» الرفع على الابتداء و﴿لَهُمْ﴾  
 الخبر، والنصب على العطف على ﴿الْبَنَاتِ﴾، و﴿سُبْحَنَهُ﴾ اعتراض بين  
 المعطوف والمعطوف عليه أي وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور .

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا  
 بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أي صار فظلاً وأمسى وأصبح  
 وبات تستعمل بمعنى الصيرورة (لأن أكثر الوضع يتفق بالليل) فيظل نهاره مغتماً  
 مُسْوَدَّ الوجه من (الكآبة) والحياء من الناس ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء (حنقاً) على المرأة  
 ﴿يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ يستخفي منهم من أجل سوء المُبَشِّر به ومن  
 أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾ أيمسك ما بُشِّر به على  
 هون وذلك ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ (أم يئده) ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيث يجعلون الولد  
 الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف .

يستحيل أن يجعل الشخص نصيباً من رزقه لمن لا يعلمه . قوله : (خزاعة) حي من  
 الأزد . قوله : (كنانة) قبيلة من مضر، وكنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن  
 مضر . قوله : (أو تعجب من قولهم) بالنسبة إلى العباد .

قوله : و(لأن أكثر الوضع يتفق بالليل) . . . الخ . يعني أن أصل معناه : داوم  
 على الفعل ، فإما أن يكون على أصل معناه ؛ لأن أكثر الوضع يكون ليلاً فيشير به  
 في يوم ليلته فيظل نهاره مغتماً ، أو أنه بمعنى صار كما يستعمل أصبح وأمسى  
 وبات بمعنى الصيرورة . قوله : (الكآبة) - بسكون الهمزة وفتحها ممدودة - الغم  
 وسوء الحال والانكسار من حزن . قوله : (حنقاً) الحَقُّ الغيظ والجمع جناق كجبل  
 وجبال . اهـ مختار الصحاح . قوله : (أم يئده) في مختار الصحاح : وأد بنته دفنها  
 حية وبابه وعد . اهـ .

﴿لَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَبِهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَانَةٍ وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿لَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ﴾ صفة السوء وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث، و(وأدهن خشية الإملاق) ﴿وَبِهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ وهو الغني عن العالمين و(النزاهة) عن صفات المخلوقين ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب في تنفيذ ما أراد ﴿الْحَكِيمُ﴾ في إمهال العباد ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دَانَةٍ﴾ (قط) ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين. عن (أبي هريرة) رضي الله عنه: إن (الحباري) لتموت في (وكرها) بظلم الظالم.

قوله: (وأدهن) أي دفنهن أحياء. قوله: (خشية) مخافة. قوله: (الإملاق) أي الفقر. قوله: (النزاهة) أي البعد. قوله: (قط) مشددة الطاء اسم مبني على الضم، مثل حيث ومنذ والعرب تستعملها فيما مضى من الزمان كما تستعمل لفظة أبداً فيما يستقبل، فيقولون: ما كلمته قط ولا أكلّمه أبداً.

قوله: (أبي هريرة) قد اختلف الناس في اسم أبي هريرة ونسبه اختلافاً كثيراً وأشهر ما قيل فيه: كان في الجاهلية عبد شمس أو عبد عمر، وفي الإسلام عبد الله أو عبد الرحمن، وهو دوسي. قال الحاكم: أبو أحمد أصح شيء عندنا في اسم أبي هريرة. عبد الرحمن بن صخر وغلب كنيته، فهو كمن لا اسم له. أسلم عام خير وشهداها مع النبي ﷺ ثم لزمه وواظب راغباً في العلم راضياً بشيخ بطنه وكان يدور معه حيث ما دار، من أحفظ الصحابة. قال البخاري: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين الصحابة والتابعين، فمنهم ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس. قال النووي: اسمه عبد الرحمن بن صخر على الأصح من خمسة وثلاثين قولاً وبلغ ما رواه خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وستين، والصحيح أنه توفي بالمدينة سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين، ودُفن بالبقيع رضي الله تعالى عنه.

قوله: (الحباري) - بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة - طائر معروف وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى، واحده وجمعه سواء. قوله: (وكرها) في

وعن (ابن مسعود) رضي الله عنه: كاد (الجعل) يهلك في (جحره بذنب ابن آدم).  
وعن (ابن عباس) رضي الله عنهما: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ من مُشْرِك يدب ﴿وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي أجل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَعَمَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿وَعَمَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلمهم، ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ مع ذلك أي ويقولون الكذب ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ عند الله وهي الجنة إن كان البعث حقًا كقوله: ﴿وَلَكِنْ رَجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: الآية ٥٠]، و﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ (بدل من ﴿الْكَذِبَ﴾)، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾، ﴿مُفْرَطُونَ﴾ نافع ﴿مُفْرَطُونَ﴾

المصباح: وَكَرَّ الطَّائِرُ غُشَّهَ أَيْنَ كَانَ فِي جَبَلٍ أَوْ شَجَرٍ، والجمع وكرار مثل سهم وسهام، وأوكرار أيضًا مثل ثوب وأثواب. اهـ. قوله: (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل - بمعجمة وفاء - ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين من كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة، وأمره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة ﷺ. قوله: (الجعل) - بضم جيم وفتح عين - دُوَيْبَةُ سوداء تُذْهِدُ الْخِرَاءَ، أي تديره. قوله: (جحره) الجحر بضم جيم فساكنة ما يحتفره الهوام والسباع. قوله: (بذنب ابن آدم) أي بشؤمه وعدم يُمْنِهِ. قوله: (ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ، وُلِدَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه، مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (بدل من ﴿الْكَذِبَ﴾) بدل كل من كل. قوله: (مُفْرَطُونَ) بكسر الراء مخففة اسم فاعل من أفرط إذا تجاوز (نافع: مُفْرَطُونَ) بكسر الراء مشددة من فرط

أبو جعفر). فالمفتوح بمعنى مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطت فلاناً (وفرطته) في طلب الماء إذا قدمته، أو منسيتون متروكون من أفرطت فلاناً خلفي إذا خلفته ونسيته. والمكسور المخفف من الإفراط في المعاصي، والمشدّد من التفريط في الطاعات أي التقصير فيها.

﴿ثُمَّ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣) ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤) ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٦٥)

﴿ثُمَّ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي أرسلنا رسلاً إلى من تقدّمك من الأمم ﴿فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من الكفر والتكذيب بالرُّسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ أي قرينهم في الدنيا تولي إضلالهم بالغرور، أو الضمير لمُشركي قريش أي زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لأنهم منهم، أو هو على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في القيامة ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ هو البعث لأنه كان فيهم من يؤمن به ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ (معطوفان على محل ﴿لِتُبَيِّنَ﴾) إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب. ودخلت اللام على ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤) ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٦٥) سماع إنصاف وتدبر لأن من لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع.

قصر (أبو جعفر) وليس من السبعة، وفي رواية عنه بالفتح والتضعيف، والباقون بالفتح مع التخفيف. قوله: (وفرطته) من التفريط.

قوله: (معطوفان على محل ﴿لِتُبَيِّنَ﴾) ... الخ. وإنما ينصب مفعولاً له ما كان فعل فاعل الفعل المعلّل بمعنى أنهما انتصبا مفعولاً له والناصب ﴿أَرْزَلْنَا﴾. ولما اتحد الفاعل في العلّة والمعلول وصل الفعل لهما بنفسه، ولما لم يتحد في ﴿لِتُبَيِّنَ﴾؛ لأن فاعل الإنزال هو الله تعالى، وفاعل التبَيِّن الرسول ﷺ وصلت العلّة بالحرف.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِّنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لِّبَنٍّ خَالِصًا سَابِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ (٦٦)

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِمَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ (وبفتح النون: نافع وشامي وأبو بكر). قال (الزجاج): سقيته وأسقيته بمعنى واحد. (ذكر سيبويه الأنعام في الأسماء المفردة) الواردة على أفعال ولذا رجع الضمير إليه مفردًا، وأما في بطونها في سورة «المؤمنين» فلأن معناه الجمع وهو استئناف كأنه قيل: كيف العبرة؟ فقال: ﴿لِّتُنْقِضُوا بِمَا فِي بُطُونِهِمْ﴾. ﴿مِّنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لِّبَنٍّ خَالِصًا﴾ أي يخلق الله اللبن وسيطًا بين الفرت والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخ لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله. (قيل: إذا أكلت) البهيمة العلف فاستقر في (كرشها) طبخته فكان أسفل فرثًا وأوسطه لبنًا وأعلاه دمًا، والكبد مُسَلَّطَةٌ على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرت في الكرش ثم (ينحدر). وفي ذلك عبرة لمن اعتبر. وسُئِلَ (شقيق)

قوله: (وبفتح النون) مضارع سقى (نافع وشامي) أي ابن عامر الشامي (وأبو بكر) شعبة، والباقون بضمتها. قوله: (الزجاج) هو أبو إسحق إبراهيم بن محمد. قوله: (ذكر سيبويه) هو أبو بشر عمرو بن عثمان كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالتحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه (الأنعام) في باب ما لا ينصرف (في الأسماء المفردة)... الخ. قوله: ﴿فَرْثٍ﴾<sup>(١)</sup> في مختار الصحاح: الفَرْث بوزن الفُلُس السَّرجين ما دام في الكرش. والجمع فروث كفلوس. اهـ. قوله: (قيل: إذا أكلت)... الخ. قائله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. قوله: (كرشها) في مختار الصحاح: الكرش وزن الكبِد، والكرش بوزن الكبِد محل مجتر بمنزلة المعدة للإنسان تؤنثها العرب. اهـ. وفي المصباح: الكرش لذي الخفّ والظلف كالمعدة للإنسان. اهـ. وأيضًا فيه خف البعير جمعه أخفاف. مثل قفل وأقفال. اهـ. وأيضًا فيه الظلف من الشاء والبقر ونحوه كالظفر من الإنسان، والجمع أظلاف مثل جمل وأحمال. اهـ. قوله: (ينحدر) في مختار الصحاح: الانحدار الانهباط. قوله: (شقيق) هو أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي من مشايخ خراسان له لسان

عن الإخلاص فقال: (تميز العمل عن العيوب) كتمييز اللبن من بين فرث ودم ﴿سَائِفًا لِلشَّارِبِينَ﴾ سهل المرور في الحلق، ويقال: لم يُعَصَّ أحد باللبن قطّ و«مِنْ» الأولى للتبعض لأن اللبن بعض ما في بطونها، والثانية لابتداء الغاية.

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٦٧)

ويتعلق ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرهما وحذف للدلالة ﴿تَشْفِيكُمْ﴾ قبله عليه، وقوله: ﴿نَتَخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا﴾ بيان وكشف عن كُنه الإسقاء، (أو ﴿نَتَخِذُونَ﴾) ومنه من تكرير الظرف للتوكيد، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ يرجع إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير، والسكر الخمر سُمِّيَت بالمصدر من (سَكِرَ سَكْرًا وَسُكِرًا) نحو رَشَدَ رَشْدًا وَرَشَدًا. ثم فيه وجهان: أحدهما أن الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة، وثانيهما أن يجمع بين (العتاب والمنة). وقيل: السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه، ثم يترك حتى يشتد، وهو حلال عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله إلى حدِّ السُّكْرِ، ويحتجّان بهذه الآية ويقولون عليه السلام: «الخمر حرام لعينها والسُّكْر من كل شراب». وبأخبار (جمّة) ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ هو الخلّ والرُّبّ والتمر والزبيب وغير ذلك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

في التوكل، وكان أستاذ حاتم الأصمّ مات شهيداً في غزوة كولان سنة أربعة وتسعين، وقيل: ثلاث وخمسين ومائة. قوله: (تميز العمل عن العيوب) كذا في نسخة: والصحيح من العيوب مكان عن العمر، كما في النسخ الصحيحة.

قوله: (أو ﴿نَتَخِذُونَ﴾) عطف على محذوف في قوله يتعلق بمحذوف، وفي نسخة: أو بتتخذون أي أو يتعلق بتتخذون. قوله: (سكر سكرًا) بفتحيتين (وسُكْرًا) بالضمّ. قوله: (العتاب) بالنسبة إلى الخمر (والمنة) بالنسبة إلى الرزق الحسن، ولا يبعد أن العتاب بالنسبة إلى شربها والمنة بالنسبة إلى جعلها خلًا، ولما كان العتاب والتهديد أهمّ قدّمه. قوله: (والسكر من كل شراب) حرام. قوله: (جمّة) أي كثيرة. قوله: (الرُّبّ) بالضم سُلالة خُشارة كل ثمرة بعد

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وَالْهَمَّ ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ هي «أن» المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول. قال الزجاج: واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتأنيث باعتبار هذا، و«من» في ﴿مِنَ الْجِبَالِ﴾، ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي (تعسل فيها) للتبعض لأنها لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش، والضمير في ﴿يَعْرِشُونَ﴾ للناس، (وبضم الرائ: سامي وأبو بكر).

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونٍ بِسَبَأٍ مُّخْتَلِفٍ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي ابني البيوت ثم كُلِي كل ثمرة تشتهينها فإذا أكلتها ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ فادخلي الطرق التي أَلْهَمَكِ وَأَفْهَمَكِ في عمل العسل، أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سُبُل ربك لا تضلّين فيها ﴿ذُلَالًا﴾ جمع ذلول وهي حال من السُّبُل لأن الله تعالى ذلّلها وسهّلها، أو من الضمير في ﴿فَاسْلُكِي﴾ أي وأنت ذلل منقاداً لما أُمِرَتْ به غير ممتنعة ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونٍ بِسَبَأٍ﴾ يريد العسل لأنه مما يُشْرَبُ ثَلْثِيهِ مِنْ فِيهَا ﴿مُخْتَلِفٍ أَلْوَنُهُ﴾ (منه أبيض وأصفر وأحمر) من الشباب والكهول والشيب أو على ألوان أغذيتها ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ لأنه من جملة الأدوية النافعة، وَقَلَّ معجون من

اعتصارها. اهـ قاموس. وفي لسان العرب: الرُّبُّ الطَّلَاءُ الخائر، وقيل: هو دبس كل ثمرة وهو سلافة خثارتها بعد الاعتصار والطبخ، والجمع الربوب والرباب. اهـ. وفي غياث اللغات: رب بالضم وتشديد آب انكور وانار وسيب وغيره كه بيز ندتا غليظ شود. اهـ.

قوله: (تعسل فيها) تفعيل من العسل، أي تصنع العسل فيها. قوله: (وبضم الرائ سامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو بكر) شعبة، والباقون بكسرها.

قوله: (منه أبيض وأصفر وأحمر) . . . الخ. فالأبيض لفتيها وصغيرها، وهو أقوى وأنفع؛ فالأصفر لكهلها، والأحمر لمستنها، وهذا معلوم بالاستقرار ولا يرام



المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل . وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك ، وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه ، أو لأن فيه بعض الشفاء لأن النكرة في الإثبات تخصر ، (وشكى رجل استطلاق بطن أخيه) فقال عليه السلام : (اسقه عسلاً) فجاءه وقال : زاده شراً . فقال عليه السلام : («صدق الله وكذب بطن أخيك») اسقه عسلاً» فسقاه فصَحَّ . (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : «العسل شفاء من كل داء . والقرآن شفاء لما في الصدور ، فعليكم بالشفاءين : القرآن والعسل» . ومن بدع الروافض) أن المراد بالنحل عليّ وقومه . وعن بعضهم أن رجلاً قال عند المهدي : إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم . فقال له رجل : جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك (المهدي) ،

له دليل . اهـ قنوي . قوله : (وشكى رجل) . . . الخ . هذا الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه . قوله : (استطلاق بطن أخيه) أي مشيه وهو تواتر الإسهال . قوله : (اسقه) بكسر الهمزة وجوز فتحها أي أطعم أخاك (عسلاً) وظاهر الأمر بسقيه أنه كان صرقاً ، ويحتمل أن يكون ممزوجاً .

قوله : (صدق الله) أي فيما قال : ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (وكذب بطن أخيك) أي أخطأ ، كما تقول العرب : كذب سمعي إذا أخطأ ، وأراد بخطئه عدم حصول الشفاء له بالعسل . قوله : (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : «العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما في الصدور ؛ فعليكم بالشفاءين : القرآن والعسل» ) رواه ابن ماجة والحاكم .

قوله : (ومن بدع الروافض) . . . الخ . في كتاب حياة الحيوان الكبرى : وذهبت طائفة إلى أن هذه الآية : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ إنما يُراد بها أهل البيت من بني هاشم ، وأنهم النحل وأن الشراب هو القرآن ، وقد ذكر بعضهم هذا في مجلس أبي جعفر المنصور ، فقال له رجل : جعل الله طعامه وشرابه مما يخرج من بطون بني هاشم . فأضحك الحاضرين وأبته القائل . انتهى . قوله : (المهدي) هو أبو عبد الله محمد ابن المنصور وُلِدَ سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل : سنة ست وعشرين .

وَحَدَّثَ بِهِ (المنصور) فاتخذوه (أضحوكة) من أضحاحيكم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في عجب أمرها فيعلمون أن الله أودعها علماً بذلك وفطنها (كما أولي) أعطى العقول عقولهم.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَتِنِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّكُمْ﴾ بقبض أرواحكم من أبدانكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ إلى أخسّه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بحكم التحويل إلى الأردل من الأكمل أو إلى الإفناء من الإحياء ﴿قَدِيرٌ﴾ على تبديل ما يشاء كما يشاء من الأشياء ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما زرق ممالئكم وهو بشر مثلكم ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ في الرزق يعني الملاك ﴿بِرَأْدِي﴾ بمُعْطِي ﴿رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساواوا في الملبس والمطعم ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالفاء وتقديره: فما الذين فُضِّلُوا برأدي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق، وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم: أنتم لا تُسَوُّون بينكم وبين عبيدكم فيما أُنْعِمْتُ به عليكم، ولا تجعلونهم فيه شركاء، ولا ترضون ذلك لأنفسكم، فكيف رضيتم

قوله: (المنصور) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وُلد سنة خمس وتسعين وأدرك جدّه ولم يَرَوْه عنه. قوله: (أضحوكة) في مختار الصحاح: الأضحوكة ما يُضحك منه. اهـ. قوله: (كما أولي) أي أعطى.

قوله: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾... الخ. قال ابن عباس: ليس هذا في المسلمين؛ لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة. وقال عكرمة: مَنْ قرأ القرآن لم يرد إلى أَرْدَلِ الْعُمُرِ حتى لا يعلم بعد

أَنْ تَجْعَلُوا عِبِيدِي لِي شُرَكَاءَ؟ ﴿أَفَنِعْمَ اللَّهُ بِمَحْدُونٍ﴾ (وبالتاء: أبو بكر)، فجعل ذلك من جملة جحود النعمة.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتٍ لَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٢)

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي من جنسكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ جمع حافِد وهو الذي (يحفد) أي يُسرِع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت:

وإليك نسعى ونحفد

واختلف فيه فقيل: (هم الأختان على البنات. وقيل: أولاد الأولاد. أو المعنى وجعل لكم حفدة أي خدماً) يحفدون في مصالحكم ويعينوكم ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي بعضها لأن كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا (أنموذج) منها ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ هو ما يعتقدونه من منفعة الأصنام وشفاعتها ﴿وَبِعَمَتٍ لَهُمْ﴾ أي

علم شيئاً. اهـ خازن. قوله: (وبالتاء) على الخطاب (أبو بكر) والباقون بالياء على الغيبة.

قوله: (يحفد) بابه ضرب. قوله: (هم الأختان على البنات) متعلق بمحذوف، أي قوامون على البنات احتراز عن سائر الأختان. اهـ قنوي. وفي مختار الصحاح: الختن كل ما كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ وهم الأختان. هكذا عند العرب. وأما العامة، فختن الرجل عندهم زوج ابنته. اهـ. قال ابن مسعود والنخعي: الحفدة أختان الرجل على بناته، وعن ابن مسعود أيضاً: أنهم أصهاره، فهو بمعنى الأول؛ فعلى هذا القول معنى الآية: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيجعل لكم بسببهم الأختان والأصهار.

قوله: (وقيل: أولاد الأولاد) قائله ابن عباس رضي الله تعالى عنه. قوله: (أو المعنى: وجعل لكم حفدة أي خدماً). الخ. قاله الحسن وعكرمة والضحاك. قوله: (أنموذج) في شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس: (النموذج) بفتح النون والدال المعجمة والميم مضمومة وهو (مثال

الإسلام ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أو الباطل الشيطان والنعمة محمد ﷺ، أو الباطل ما يُسْأَل لهم الشيطان من تحريم (البحيرة والسائبة) وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (١٣) ﴿فَلَا تَضُرُّوهُ بِالْأَمْثَالِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾ (١٤)

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ أي الصنم وهو جماد لا يملك أن يرزق شيئاً، فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق، فإن أردت المصدر نصبت به ﴿شَيْئًا﴾ أي لا يملك أن يرزق شيئاً، وإن أردت المرزوق كان ﴿شَيْئًا﴾ بدلاً منه أي قليلاً، و﴿مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صلة للرزق إن كان مصدرًا أي لا يرزق من السموات مطراً ولا من الأرض نباتاً، وصفة إن كان اسماً لما يرزق، والضمير في ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لما لأنه في معنى الآلهة بعد

(الشيء) أي صورة تتخذ على مثال صورة الشيء ليُعرف منه حاله (معرب) نموده، والعوام يقولون: نمونه، ولم تعربه العرب قديماً ولكن عربه المحدثون. قال البحرني:

أو أبلق يلقي العيون إذا بدا من كل شيء معجب بنموذج

والأنموذج بضم الهمزة لحن كذا قاله الصاغاني في التكملة، وتبعه المصنف. قال شيخنا نقلاً عن النواجي في تذكرته: هذه دعوى لا تقوم عليها حجة، فما زالت العلماء قديماً وحديثاً يستعملون هذا اللفظ من غير نكير حتى أن الزمخشري، وهو من أئمة اللغة سمى كتابه في النحو الأنموذج، وكذلك الحسن بن رشيق القيرواني وهو إمام المغرب في اللغة سمى به كتابه في صناعة الأدب، وكذلك الخفاجي في شفاء العليل نقل عبارة المصباح، وأنكر على من ادعى فيه اللحن، ومثله عبارة المغرب للناصر بن عبد السيد المطرزي شارح المقامات، انتهى بحروفه. قوله: (البحيرة) فعيلة بمعنى مفعولة واشتقاقها من البحر وهو الشق، واختلف فيها، فقيل: هي الناقة تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر، فيشق أذنفا فيترك فلا تركب ولا تحلب ولا تُطرد عن مرعى ولا ماء، وقيل غير ذلك. قوله: (والسائبة) كان يقول الرجل: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها.

ما قال لا يملك على اللفظ، والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ فلا تجعلوا لله مثلاً فإنه لا مثل له أي فلا تجعلوا له شركاء ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أنه لا مثل له من الخلق ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك أو إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك والوجه الأول.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥)

ثم ضرب المثل فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا﴾ هو بدل من ﴿مَثَلًا﴾ ﴿مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ مصدران في موضع الحال أي مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، وبين حر مالك قد رزقه الله مالاً فهو يتصرف فيه وينفق منه ما شاء. وقيد بالمملوك ليميزه من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً إذ هما من عباد الله، وبـ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف. و«من» موصوفة أي وحرّاً رزقناه لطابق عبداً، أو موصولة ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ جمع الضمير لإرادة الجمع أي لا يستوي القليلان ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأن الحمد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦)

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ الأبكم الذي وُلِدَ أخرس (فلا يفهم ولا يفهم) ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ أي (ثقل وعيال) على (من يلي أمره) و(يعوله) ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ حيثما يرسله ويصرفه في

قوله: (فلا يفهم) لعدم السمع (ولا يفهم) غيره من التفهيم لعدم نطقه، والإشارة لا يعند بها لعدم تفهيمها حق التفهيم لكل أحد. قوله: (ثقل) بكسر فسكون بمعنى ثقل. قوله: (وعيال) عيال جمع عبل كجياذ وجيد ويكون اسماً للواحد وعليه استعمال المصنف رحمه الله تعالى. قوله: (من يلي أمره) تفسير لمولاه. وله معان أخر. قوله: (يعوله) في مختار الصحاح: عال عياله قاتهم

مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت (بنجح) ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ على سيرة صالحة ودين قويم، وهذا مثل ثانٍ ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته ونعمته، وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧٧)

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه، أو أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ في قُرب كونها وسرعة قيامها ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ كرجع طرف، وإنما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه ﴿أَوْ هُوَ﴾ أي الأمر ﴿أَقْرَبُ﴾ وليس هذا لشك المخاطب ولكن المعنى، كونوا في كونها على هذا الاعتبار، وقيل: بل هو أقرب. ﴿إِنَّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على أن يُقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ نَبَاتٍ وَجَعَلَ لَكُمُ الشَّجَرَةَ الْأَنْصَرُ وَالْأَفِيدَةَ لَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨)

ثم دل على قدرته بما بعده فقال: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (وبكسر الالف وفتح الميم: علي اتباعا لكسرة النون، وبكسرهما: حمزة، والهاء

وأنفق عليهم وبابه قال وعيالة أيضًا، يقال: عاله شهرًا إذا كفاه معاشه. اهـ. وفي المصباح: عال الرجل اليتيم عولًا من باب قال كفله وقام به. اهـ. قوله: (بنجح) بضم النون وسكون الجيم والحاء المهملة هو الظفر والفوز.

قوله: (وبكسر الالف وفتح الميم علي) الكسائي (إتباعا لكسرة النون، وبكسرهما حمزة) والباقون بضم الالف وفتح الميم. قوله: (والهاء

مزيدة في أمهات للتوكيد) كما زيدت في «أراق» ف قيل: «أهراق» (وشدّت زيادتها في الواحدة) ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ حال أي غير عالمين شيئاً من حق المنعم الذي خلقكم في البطون ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه، واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه. والأفئدة في فؤاد كالأغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة لعدم السماع في غيرها.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ (وبالتاء: شامي وحمزة) ﴿إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب (المؤاتية) لذلك ﴿فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ هو الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ في قبضهن وبسطهن ووقوفهن ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بقدرته، وفيه نفي لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية

مزيدة في أمهات للتوكيد؛ إذ أصلها الأُمات. قوله: (أراق) من أراق يُريق. قوله: (وشدّت زيادتها في الواحدة) في المصباح: الأمّ الوالدة. وقيل: أصلها أمّهة، ولهذا تجمع على أمّهات. وأجيب بزيادة الهاء وأن الأصل أمّات. قال ابن جني؛ دعوى الزيادة أسهل من دعوى الحذف، وكثر في الناس أمّهات وفي غير الناس أمّات للفرق، والوجه ما أورده في البارع أنّ فيها أربع لغات: أمّ بضم الهمزة وكسرهما، وأمة وأمّهة؛ فالأمّهات والأمّات لغتان ليست إحداهما أصلاً للأخرى، ولا حاجة إلى دعوى حذف ولا زيادة. اهـ.

قوله: (وبالتاء) على أنه خطاب (شامي) أي ابن عامر (وحمزة) والباقون بالياء على الغيبة. قوله: (المؤاتية) أي الموافقة، يقال: آتية على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته وطاوعته، والعامّة تقول: وآتية. قوله: ﴿فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ قل كعب الأخبار: إن الطير ترتفع في الجوّ اثني عشر ميلاً ولا ترتفع فوق ذلك. اهـ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بَأَنَّ الْخَلْقَ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْخَالِقِ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ هو فعل بمعنى مفعول أي ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو (إلف) ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ هي (قِباب الأدم) ﴿تَسْتَحْفَوْنَهَا﴾ ترونها خفيفة المَحْمَل في الضرب والنقض والنقل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ بسكون العين: (كوفي وشامي)، وبفتح العين: (غيرهم). والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ قراركم في منازلكم، والمعنى أنها خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر على أن اليوم بمعنى الوقت ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا﴾ أي أصواف الضأن ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ وأوبار الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ وأشعار المعز ﴿أَثْنًا﴾ متاع البيت ﴿وَمَتَعًا﴾ وشيئا ينتفع به ﴿إِلَى حِينٍ﴾ مدة من الزمان.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سُرِيرًا لِّقِيكُمْ الْحَرَّ وَسُرِيرًا لِّقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ كالأشجار والسقوف ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ جمع (كن) وهو ما سترك من (كهف أو غار) ﴿وَجَعَلَ لَكُم سُرِيرًا﴾ هي (القمصان) والثياب من الصوف و(الكتان) والقطن ﴿لِّقِيكُمْ الْحَرَّ﴾

قوله: (إلف) في لسان العرب: الإلف الذي يألفه. قوله: (قِباب) جمع قبة وهي دون الخيمة. قوله: (الأدم) بفتحيتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ أو اسم جمع له. قوله: (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي. قوله: (وشامي) ابن عامر. قوله: (غيرهم) أي نافع وابن كثير وأبو عمرو.

قوله: (كن) بالكسر. قوله: (كهف) في مختار الصحاح: الكهف كالبيت المنقور في الجبل. اهـ. قوله: (أو غار) في المصباح: الغار ما يُنحت في الجبل شبه المغارة، فإذا اتسع قيل: كهف والجمع غيران مثل نار ونيران. اهـ. وفي مختار الصحاح: الغار والمُغار والمغارة كالكهف في الجبل، وجمع الغار غيران وتصغيره غويرة. اهـ. وفي نسخة صحيحة: وغار بالواو. قوله: (القمصان) في مختار الصحاح: القميص الذي يلبس والجمع القُمصان. اهـ. قوله: (الكتان) بفتح الكاف معروف.



وهي تقي البرد أيضًا إلا أنه اكتفى بأحد الضدين، ولأن الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرًا مُحتملًا ﴿وَسَرَّيْلَ تَفِيكُم بِأَسَكُم﴾ ودروعًا من الحديد تَرُدُّ عنكم سلاح عدوكم في قتالكم، والبأس: شدة الحرب والسربال عام يقع على ما كان من حديد أو غيره ﴿كَذَلِكَ يُبَدِّلُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإسلام.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٢) ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٣)

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ أي فلا (تبعة) عليك في ذلك لأن الذي عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ التي عددناها بأقوالهم فإنهم يقولون إنها من الله ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ بأفعالهم حيث عبدوا غير المنعم أو في الشدة ثم في الرخاء ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي الجاحدون غير المعترفين، أو نعمة الله نبوة محمد ﷺ كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادًا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم، و«ثم» يدل على أن إنكارهم أمر مُستبَعِد بعد حصول المعرفة لأن حقَّ مَنْ عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْنُونَ﴾ (٨٤) وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٨٥)

﴿وَيَوْمَ﴾ انتصابه بـ «اذكر» ﴿نَبْعَثُ﴾ نحشر ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ نبيًا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والإيمان والكفر ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار، والمعنى لا حجة لهم فدلَّ بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عُذر ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْنُونَ﴾ ولا هم يُستَرْضَوْنَ أي لا يقال لهم ارضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل. ومعنى «ثم» أنهم (يمنون أي يبتلون) بعد شهادة الأنبياء عليهم السلام بما هو (أطم) وأغلب منها، وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يُؤْذَنُ لهم في إلقاء

قوله: (تبعة) وزان كلمة.

قوله: (يمنون أي يبتلون) قال الجوهري: منوته ومنيته إذا ابتليته. قوله: (أطم) أي أغلب.

معذرة (ولا إدلاء بحجة) ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ أي العذاب بعد الدخول ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يمهلون قبله.

﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أشركوا شركاءهم قالوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ رَدَّتْهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أشركوا شركاءهم أوثانهم التي عبدوها ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا﴾ أي آلهتنا التي جعلناها شركاء ﴿الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾ أي نعبد ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي أجابوهم بالكذب لأنها كانت جمادًا لا تعرف من عبدها، ويحتمل أنهم كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيهاً لله عن الشرك ﴿وَأَلْقَوْا﴾ يعني الذين ظلموا ﴿إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ إلقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ وبطل عنهم ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن الله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في أنفسهم ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وحملوا غيرهم على الكفر ﴿رَدَّتْهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ أي عذاباً بكفرهم وعذاباً بصدّهم عن سبيل الله ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ بكونهم مفسدين الناس بالصدّ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني نبينهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ على أمتك. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (بِسْمِ اللَّهِ) ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور الدين. أما في

قوله : (ولا إدلاء بحجة) في مختار الصحاح : أدلى بحجة، أي احتج بها. اهـ.

قوله : (تبياناً بليغاً) إشارة إلى أن التبيان اسم في معنى البيان كالتلقاء في معنى اللقاء كما نقل عن الزجاج، إلا أنه روى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن

الأحكام المنصوصة فظاهراً، وكذا فيما ثبت بالسنة أو بالإجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس، لأن مرجع الكل إلى الكتاب حيث أمرنا فيه باتّباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: الآية ٩٢] وحثنا على الإجماع فيه بقوله: ﴿وَتَتَّبِعْ عِزَّ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: الآية ١١٥] وقد رضي رسول الله ﷺ لأمته باتّباع أصحابه بقوله: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». وقد اجتهدوا وقاسوا ووظنوا طرق الاجتهاد والقياس مع أنه أمرنا به بقوله: ﴿فَاعْتَرِضُوا يَنَاقِلُوا﴾ [البصير: الآية ٢] فكانت السنة والإجماع وقول الصحابي والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب فتبين أنه كان تبيانا لكل شيء ﴿وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ودلالة إلى الحق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠)

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل ذي حق إلى حقه ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ إلى من أساء إليكم أو هما الفرض والندب لأن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ﴿وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وإعطاء ذي القرابة وهو صلة الرحم ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ عن الذنوب المفترطة في القبح ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما تنكره العقول ﴿وَالْبَغْيِ﴾ طلب التناول بالظلم والكبر ﴿يَعِظُكُمْ﴾ حال أو مستأنف ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون بمواعظ الله. وهذه الآية سبب إسلام (عثمان بن مظعون) فإنه قال: ما كنت أسلمت إلا حياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض عليّ الإسلام، ولم يستقر الإيمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وأنا

البصريين أنهم قالوا: لم يأت من المصادر على تفعال إلا حرفان تبيان وتلقاء، فعلى هذا يجب أن تكون المصادر التي تكون على تفعال كلها مفتوحة التاء؛ كالاستنار والتذكّار والتكرار والتلعاب، وأن يكون ما هو مكسور التاء غير التبيان والتلقاء أسماء نحو التمساح والتمثال، وقوله: بليغا إشارة إلى أن صيغة تفعال سواء كانت مفتوحة التاء أو مكسورة إذا كانت مصدرا أو اسما بمعنى المصدر تكون من أبنية المبالغة وتكرير الفعل؛ فالتكرار والتذكّار والتلعاب بمعنى كثرة الكرّ والذكر واللعب. قوله: (عثمان بن مظعون) بن حبيب بن وهب بن حذافة يكنى أبا

عنده فاستقر الإيمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال: والله إن له

السائب، أسلم أول الإسلام. قال ابن إسحاق: أسلم عثمان بن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلاً وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى مع جماعة من المسلمين فبلغهم وهم بالحبشة أن قريشاً قد أسلمت فعادوا. وعن ابن إسحاق قال: فلما بلغ من الحبشة سجود أهل مكة مع رسول الله ﷺ وأقبلوا، ومن شاء الله منهم وهم برون أنهم قد تابعوا النبي ﷺ، فلما دنوا من مكة بلغهم الأمر فثقل عليهم أن يرجعوا وتخوفوا أن يدخلوا مكة بغير جوار، فمكثوا حتى دخل كل رجل منهم بجوار من بعض أهل مكة، وقدم عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة. قال ابن إسحاق: فحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عثمان حدثه قال: لما رأى عثمان ما يلقي رسول الله ﷺ وأصحابه من الأذى وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة، قال عثمان: والله إن غدوي ورواحي آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل بيتي يلقون البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص شديد في نفسي، فمضى إلى الوليد بن المغيرة فقال: يا أبا عبد شمس وفت ذمتك قد كنت في جوارك وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله ﷺ، فلي به وبأصحابه أسوة؛ فقال الوليد: فلعلك يا ابن أخي أوديت أو انتهكت؟ قال: لا. ولكن أَرْضَى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره، قال: فانطلق إلى المسجد فاردّد عليّ جوارِي علانيةً كما أجرتك علانية، فقال: انطلق فخرجنا حتى أتينا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان بن مظعون قد جاء ليردّ عليّ جوارِي، فقال عثمان: صدق وقد وجدته وفيّاً كريم الجوار. وقد أحببت أن لا أستجير بغير الله عزّ وجلّ، وقد رددتُ عليه جواره. ثم انصرف عثمان بن مظعون وليد بن ربيعة بن جعفر بن كلاب القيسي في مجلس قريش، فجلس معهم عثمان. فقال لبيد وهو يشدهم:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان: صدقت. قال لبيد:

وكل نعيم لا محالة زائل

لحلاوة، وإن عليه (الطلاوة)، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله (لمغدق)، وما هو بقول البشر. وقال (أبو جهل): إن إلهه ليأمر بمكارم الأخلاق وهي أجمع آية في القرآن للخير والشَّر، ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهي.

فقال عثمان: كذبت، فالتفت القوم إليه، فقالوا للبيد: أعد علينا، فأعاد لبيد وأعاد له عثمان بتكذيبه مرةً وبتصديقه مرةً، وإنما يعني عثمان إذا قال: كذبت يعني نعيم الجنة لا يزول، فقال لبيد: والله يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا، فقام سفيه منهم إلى عثمان بن مظعون فلطم عينه فاحضرت، فقال له مَنْ حوله: والله يا عثمان لقد كنت في دمة منيعة، وكانت عينك غنية عما لقيت، فقال عثمان: جوار الله آمَنَ وأعزَّ، وعيني الصحيحة فقيرة إلى ما لقيت أختها ولي برسول الله ﷺ وبمَنْ آمَنَ معه أسوة. فقال الوليد: هل لك في جوارِي؟ فقال عثمان: لا إرب لي في جوار أحد إلا في جوار الله. ثم هاجر عثمان إلى المدينة وشهد بدرًا وكان من أشدَّ الناس اجتهادًا في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل، ويجتنب الشهوات ويعتزل النساء، واستأذن رسول الله ﷺ في التبتل والاختصاص، فنهاه عن ذلك، وهو ممَّن حرم الخمر على نفسه وقال: لا أشرب شرابًا يُذهب عقلي ويضحك بي مَنْ هو أدنى مني، وهو أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين مات سنة اثنتين من الهجرة، قيل: توفي بعد اثنين وعشرين شهرًا بعد شهوده بدرًا، وهو أول مَنْ دُفِنَ بالبقيع. وعن عائشة أنَّ النبي ﷺ قبل عثمان بن مظعون وهو ميّت وهو يبكي وعيناه تهرقان، ولما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «الْحَقَّ بالسلف الصالح عثمان بن مظعون»، ورُوِيَ أنَّ النبي ﷺ قال ذاك لابنته زينب عليها السلام، وأعلم النبي ﷺ على قبره بحجر، وكان يزوره. اهـ أسد الغابة باختصار.

قوله: (الطلاوة) في مختار الصحاح: الطلاوة بضم الطاء وفتحها الحسن يقال ما عليه طلاوة. اهـ. وعبارة الصحاح: الطلاوة والطلاوة الحسن والقبول، يقال: ما عليه طلاوة. اهـ. وفي المصباح: وعليه طلاوة - بالضم والفتح لغة - أي بهجة، انتهى. قوله: (لمغدق) أي مبتل ريان. قوله: (أبو جهل) عمرو بن هشام بن المغيرة، يكنى أبا الحكم فكانه النبي ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية، قتله ابنا عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٩١)

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ هي البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: الآية ١٠]، ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾ أي ايمان البيعة ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ بعد توثيقها باسم الله. و«أكّد» و«وكّد» لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل منها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ شاهداً وريباً لأن الكفيل مُراع لحال المكفول به (مهيمن) عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من البر والحنث فيجازيكم به.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيَسَّيَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَالِفُونَ﴾ (٩٢) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٣)

﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ في نقض الأيمان ﴿كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ كالمراة التي (أنحت) على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته ﴿أَنْكَا﴾ (جمع نكت) وهو ما (ينكت) فتله. قيل: هي (ربطة) وكانت (حمقاء) تغزل هي وجواربها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ﴾ حال ك ﴿أَنْكَا﴾ ﴿دَخَلًا﴾ أحد مفعولي ﴿تَتَّخِذُ﴾ أي ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دَخَلًا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أي مفسدة وخيانة ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ بسبب أن تكون أمة يعني جماعة قريش ﴿هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ هي أزيد عدداً وأوفر مالاً من أمة من جماعة المؤمنين. ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ مبتدأ وخبر، في موضع الرفع صفة لـ ﴿أُمَّةٍ﴾ و﴿أُمَّةٍ﴾ فاعل

قوله: (مهيمن) أي رقيب.

قوله: (أنحت) أي أقبلت. قوله: (جمع نكت) بكسر النون وسكون الكاف بمعنى منكوث، أي منقوص. قوله: (ينكت) أي يحل. قوله: (ربطة) بفتح الراء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الطاء المهملة وهو علم لامراة معروفة. قوله: (حمقاء) أي قليلة العقل.

﴿تَكُونُ﴾ وهي تامة و﴿هِيَ﴾ ليست بفصل لوقوعها بين نكرتين ﴿إِنَّمَا يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ بِهِ﴾ الضمير للمصدر أي إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكّدتُم من أيمان البيعة لرسول الله ﷺ، أم تغترون بكثرة قريش (وثروتهم) وقلة المؤمنين وفقرهم ﴿وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب، وفيه تحذير عن مخالفة ملة الإسلام ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حنيفة مسلمة ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ مَنْ عَلِمَ مِنْهُ اختيار الضلالة ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ مَنْ عَلِمَ مِنْهُ اختيار الهداية ﴿وَلَنُشَاقِلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يوم القيامة فتجزون به.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٤) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيداً عليهم وإظهاراً لعظمه ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ فتزل أقدامكم عن (محجة الإسلام) بعد ثبوتها عليها. وإنما وُحِدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن تثبت عليه فكيف بأقدام كثيرة ﴿وَتَذُوقُوا أَلْسُوَ﴾ في الدنيا ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ﴾ بصدودكم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وخروجكم عن الدين، أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لانتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ ولا تستبدلوا ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ وبيعة رسول الله ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عَرَضًا من الدنيا يسيراً كأن قوماً ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين. ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله ﷺ فثبَّتَهُمُ اللَّهُ ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من ثواب الآخرة ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قوله: (وثروتهم) في المصباح: الثروة كثرة المال. اهـ.

قوله: (محجة الإسلام) بفتح الميم والحاء والجيم المشددة، أي طريقه.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَفْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من أعراض الدنيا ﴿يَفْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من خزائن رحمته ﴿بَاقٍ﴾ لا ينفد ﴿وَلَنَجْزِيَنَ﴾ (وبالنون: مكّي وعاصم) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى المشركين ومشاق الإسلام ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ﴾ «من» مبهم يتناول النوعين إلا أن ظاهره للذكور فيبين بقوله: ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ﴾ ليعم الموعد النوعين ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ شرط الإيمان لأن أعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على أن العمل ليس من الإيمان ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ أي في الدنيا لقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله: ﴿فَقَالَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٨] وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح مؤسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً إن كان مؤسراً فظاهر، وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى. وأما الفاجر فأمر بالعكس؛ إن كان معسراً فظاهر، وإن كان مؤسراً فالحرص (لا يدعه أن يتهنأ) بعيشه. وقيل: الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله، وصدق المقام مع الله، وصدق الوقوف على أمر الله، والإعراض عما سوى الله.

﴿فَإِذَا قرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَإِذَا قرَأَ الْقُرْآنَ﴾ فإذا أردت قراءة القرآن ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فعبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل لأنها سبب له، والفاء للتعقيب إذ القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ يعني إبليس ﴿الرَّجِيمِ﴾ المطرود أو

قوله: (وبالنون) قبل الجيم (مكي) أي ابن كثير المكي (وعاصم) أي:

﴿وَلَنَجْزِيَنَ﴾ نحن، والباقون بالياء: «وليجزين» الله. قوله: (لا يدعه) أي لا يتركه. قوله: (أن يتهنأ) بالهمزة في آخره، وقد تبدل ألفاً.



الملعون. (قال ابن مسعود رضي الله عنه: قرأت) على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي: «قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأه جبريل عليه السلام».

﴿إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩٩) ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُمُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٠) ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّقٌ بَيْنَٰ أَمْثَلٍ كَثِيرٍ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١)

﴿إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ﴾ لإبليس ﴿سُلْطَانٌ﴾ (تسلط وولاية) ﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فالمؤمن من المتوكل لا يقبل منه وساوسه ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُمْ﴾ يتخذونه وليًا ويتبعون وساوسه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (الضمير يعود إلى ربهم أو إلى الشيطان) أي بسببه ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ تبديل الآية مكان الآية هو النسخ، والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ﴾ (وبالتخفيف: مكي وأبو عمرو) ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّقٌ﴾ هو جواب ﴿إِذَا﴾. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ﴾ اعتراض، كانوا يقولون إن محمدًا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدًا فيأتيهم بما هو أهون، ولقد افترؤا فقد كان ينسخ الأشق بالأهون والأهون بالأشق ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ الحكمة في ذلك.

قوله: (قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: قرأت) ... الخ. رواه الثعلبي والواحدي ولم يتعقبه العراقي في تخريجه.

قوله: (تسلط وولاية) إشارة إلى أن السلطان هنا مصدر بمعنى التسلط وهو الاستيلاء والتمكّن من القهر، فعطف الولاية عليه للتفسير.

قوله: (الضمير يعود إلى ربهم) والباء للتعدية (أو إلى الشيطان) والباء للسببية. قوله: (وبالتخفيف) من الإنزال (مكي) أي ابن كثير المكي (وأبو عمرو) والباقون بفتح النون وتشديد الزاي.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٠٢)

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ أي جبريل عليه السلام أضيف إلى القدس وهو الطَّهَر (كما يقال: «حاتم الجود»)، والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد والمقدس المطهر من المآثم ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ من عنده وأمره ﴿بِالْحَقِّ﴾ حال أي نزله مُلتَبَسًا بالحكمة ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ليلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا، والحكمة لأنه حكيم لا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب، حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى﴾ مفعول لهما معطوفان على محل ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ والتقدير تثبيتاً لهم وإرشاداً وبشارة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ وفيه تعريض بحصول أضرار هذه الخصال لغيرهم.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّئَلَّا يُخَذَّ إِلَىٰ عِثَرِ آلِهِ عَمَلٍ﴾ (١٠٣)

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ أرادوا به غلاماً كان (لحويطب) قد أسلم وخسُن إسلامه، (اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب)، أو هو (جبر) غلام رومي (لعامر بن الحضرمي)، أو عبدان: جبر، ويسار، كانا يقرآن

قوله: (كما يقال: حاتم الجود) بمعنى حاتم جواد أو صاحب جود، وكذا روح القدس بمعنى روح مقدس أو صاحب قدس أضيف الموصوف إلى صفته للإشعار باختصاصه بها وأنه ليس له شأن سوى الاتصاف بها.

قوله: (لحويطب) بن عبد العزى القرشي أسلم يوم الفتح وشهد حُنيئاً والطائف مسلماً مات بالمدينة آخر خلافة معاوية، وقيل: بل مات سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة، حديثه في الموطأ في صلاة القاعد، وحويطب بالحاء المهملة والطاء المهملة أيضاً تصغير حاطب وهو جامع الخطب.

قوله: (اسمه عائش) بدون التاء مذكّر عائشة (أو يعيش) بوزن يبيع. قوله: (وكان صاحب كتب) أي كان له دراسة وعلم بالكتب القديمة كالإنجيل. قوله: (جبر) بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة والراء المهملة. قوله: (لعامر بن الحضرمي)

التوراة والإنجيل، فكان رسول الله ﷺ يسمع ما يقرآن، أو (سلمان الفارسي) ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ (وبفتح الياء والحاء: حمزة وعلي) ﴿أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (أي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير مبين، وهذا القرآن) لسان عربي مبين (ذو بيان وفصاحة) ردًا لقولهم وإبطالًا لطمعهم، وهذه الجملة أعني ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ لا محل لها لأنها مُستأنفة جواب لقولهم. واللسان اللغة. ويقال: اللحد القبر. ولحده

بالضاد المعجمة نسبة إلى حضرموت بحذف الجزء الثاني واسمه على ما ذكره السهيلي في الأعلام عبد الله بن عباد. وله من الأولاد العلاء وعمر وعامر. أسلمه العلاء وصحب النبي ﷺ.

**قوله:** (سلمان الفارسي) أبو عبد الله ويُعرف بسلمان الخير مولى رسول الله ﷺ، وسُئِلَ عن نسبه فقال: أنا سلمان ابن الإسلام أصله من فارس من رام هُرْمُز، وقيل: إنه من جيٍّ، وهي مدينة أصفهان أوّل مشاهده الخندق، توفي سنة خمس وثلاثين في آخر خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، وقيل: أوّل سنة ست وثلاثين، وقيل: توفي في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، والأوّل أكثر. قال العباس بن زيد: قال أهل العلم: عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة، فأما مائتان وخمسون فلا يشكّون فيه. قال أبو نعيم: كان سلمان من المعتمّرين يقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم وقرأ الكتابين وكان له ثلاث بنات بنت بأصبهان، وزعم جماعة أنهم من ولدها وابنتان بمصر.

**قوله:** (وبفتح الياء والحاء حمزة وعلي) والباقون بالضم والكسر، أي بضم التحتية وكسر الحاء. **قوله:** (أي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه) أي ينسبون إليه التعليم، وفيه إشارة إلى أن مفعوله محذوف. وقوله: يميلون عن الاستقامة معنى يلحدون. **قوله:** (لسان أعجمي) بمعنى أنه صفة موصوف مقدّر. **قوله:** (غير بين) تفسير لـ ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ لمقابلته بقول ﴿مُبِينٌ﴾. **قوله:** (وهذا القرآن) الحاضر المعلوم لكل مسلم، وقد سبق ذكره في ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾. **قوله:** (ذو بيان) أي المبين من أبان اللازم وهو بيان حاصل المعنى لا إشارة إلى أنه من صيغ النسب. **قوله:** (وفصاحة) عطف تفسير له.

وهو ملحد وملحد إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه، ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا: (لحد) فلان في قوله. وألحد في دينه ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٠٤) ﴿يَتَمَنَّوْنَ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٠٥) ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ عَذَابًا مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦)

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي القرآن ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ ما داموا مختارين الكفر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة على كفرهم ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ على الله ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقاباً عليه وهو رد لقولهم ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾، ﴿وَأُولَٰئِكَ﴾ إشارة إلى ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي وأولئك ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب، أو وأولئك هم الكاذبون في قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ جوزوا أن يكون ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ شرطاً مبتدأ وحذف جوابه لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل: من كفر بالله فعليهم غضب ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ساكن به. ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ أي طاب به نفساً واعتقده ﴿فَعَلَيْنَاهُمْ عَذَابًا مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وأن يكون بدلاً من ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ على أن يجعل ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ اعتراضاً بين البديل والمبدل منه. والمعنى: إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه، واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء، ثم قال: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ عَذَابًا مِنْ اللَّهِ﴾ وأن يكون بدلاً من المبتدأ الذي هو ﴿وَأُولَٰئِكَ﴾ أي ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون، أو من الخبر الذي هو ﴿الكَافِرُونَ﴾ أي وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه، (وأن ينتصب على الذم).

قوله: (لحد) من باب قطع.

قوله: (وأن ينتصب على الذم) بتقدير أعني أو أذم.

رُوي) أن ناسًا من أهل مكة فُتِنُوا فارتدوا. وكان فيهم مَنْ أَكْرَه فَأَجْرَى كلمة الكفر على لسانه وهو مُعْتَقَدٌ للإيمان منهم (عمار بن)، وأما أبواه (ياسر) و(سُمَيَّة) فقد قُتِلَا وهما أول قَتِيلَيْن في الإسلام فقيل لرسول الله ﷺ: إن عَمَّارًا كفر فقال: «كلا إن عَمَّارًا مُلِئَ إيمانًا (من قرنه) إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأَتَى عَمَّار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال: («ما لك) إن عادوا لك فَعِدْ لهم بما قلت». وما فعل أبو عَمَّار أفضل لأن في الصبر على القتل إِعْزَازًا للإسلام.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٠٧) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم ﴿بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا﴾ (أثروها) ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ أي بسبب إيثارهم الدنيا على

قوله: (رُوي)... الخ. خَرَجَ هذا الحديث ابن حجر رحمه الله على اختلاف في طرقه وألفاظه.

قوله: (عمار بن ياسر) بن عامر بن مالك وهو وأبوه، وأُمُّهُ سُمَيَّة من السابقين الأولين إلى الإسلام، وكان إسلام عَمَّار بعد بضعة وثلاثين. شهد بدرًا وأُحُدًا وغيرهما. قوله: (سُمَيَّة) بضم السين وفتح الميم وتشديد التحتية أُمُّ عمار مولاة أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، كانت سابع سبعة في الإسلام وأوَّل الشهداء طعنها أبو جهل رضي الله عنها. قوله: (من قرنه) في لسان العرب: قَرَنَ الرجل حَدَّ رأسه وجانبها. اهـ. قوله: (ما لك) أي ما لك تبكي وتجزع من ذلك، أي لأي شيء تبكي، فلا تبك على ما قلت حتى إن عادوا لك بإكراه تكلم كلمة الكفر فعد إلى طمأنينة القلب وثباته بما قلت، أي بسبب ما قلته من كلمة الكفر.

قوله: (أثروها) بالمد أي اختاروها، وقدّموها وفسّره به إشارة إلى تعدي الاستحباب بعلى لَتَضَمَّنَه معنى الإيثار.

الْآخِرَةَ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ما داموا مُختارين للكفر ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ فلا يتدبرون (ولا يصغون إلى المواعظ) ولا يُبصرون طريق الرشاد ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ﴾ أي الكاملون في الغفلة لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومُنتهاها ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ ﴿١١٩﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَعَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٢٠﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ «يدل» على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ من مكة أي أنه لهم لا عليهم يعني أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميًا متفوعًا غير مضرور ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ بالعذاب والإكراه على الكفر ﴿فُتِنُوا﴾: شامي أي بعد ما عذبوا المؤمنين ثم أسلموا ﴿ثُمَّ جَعَدُوا﴾ المشركين بعد الهجرة ﴿وَصَبَرُوا﴾ على الجهاد ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ من بعد هذه الأفعال (وهي الهجرة والجهاد والصبر) ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية ﴿رَحِيمٌ﴾ لا يعذبهم على ما قالوا في حالة الإكراه.

**قوله:** (ولا يصغون إلى المواعظ) في مختار الصحاح: صغا أي مال، وبابه عدا وسما. ورَمَى وصدى وُصْغِيًا أيضًا. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التخريم: الآية ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَصَغَفَ إِلَيْهِ أَفْعِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الأنعام: الآية ١١٣]، وأصغى إليه مال بسمعه نحوه، وأصغى الإناء أماله. اهـ. **قوله:** ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لا شك.

**قوله:** ﴿فُتِنُوا﴾ بفتح الفاء والتاء مبنياً للفاعل (شامي) أي ابن عامر الشامي، وعليها فيحتمل أن الفعل لازم فيكون فتنوا بمعنى افتتنوا، أي كفروا، ويحتمل أنه متعد أي فتنوا الناس عن الإيمان. وقرأ الباقر بضم الفاء وكسر التاء مبنياً للمفعول. **قوله:** (وهي الهجرة والجهاد والصبر) ولو زاد الفتن كان أظهر، وتركه لدخوله في الصبر.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١١١﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ (منصوب برحيم) أو بـ «اذكر» ﴿كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ وإنما أُضيفت النفس إلى النفس لأنه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي، فالنفس الأولى هي الجملة، والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته (لا يهمله) شأن غيره كل يقول: (نفسي نفسي). ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا﴾ [الأعراف: الآية ٣٨]. ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا﴾ [الأحزاب: الآية ٦٧] (الآية). ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: آية ٢٣]، ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ تُعْطَى (جزاء عملها) وافيًا، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في ذلك.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١١٢﴾

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي جعل القرية التي هذه حالها مثالًا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نعمته، فيجوز أن يراد (قرية مقدرة على هذه الصفة)، وأن تكون في قرى الأولين (قرية) كانت هذه

قوله: (منصوب برحيم) أي على الظرفية، ولا يضّرّ تقييد الرحمة بذلك اليوم؛ لأن الرحمة في غيره تثبت بالطريق الأولى، وهذا أحسن لارتباط النظم به ومقابلته لقوله في الآخرة: ﴿هُمُ الْخَيْرُونَ﴾. قوله: (لا يهمله) من أهمه الأمر أقلقه وأحزنه. قوله: (جزاء عملها) يعني أنه تجوز بجعل الجزاء كأنه عين العمل أو فيه مضاف مقدر. قوله: (نفسي نفسي) مفعول لفعل محذوف أي أطلب خلاص نفسي نفسي والتكرار لمزيد العناية بها أو نج نفسي من العذاب ونحو ذلك، والتكرار لمزيد الضراعة والابتهاال. قوله: (الآية) أي ﴿فَأَصْلُونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: الآية ٦٧] أي طريق الهدى. قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ بالجر نعت والنصب نداء.

قوله: ﴿قَرْيَةً﴾ مقدرة على هذه الصفة غير معينة. قوله: (قرية) معينة.

حالتها فضربها الله مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من القتل والسبي ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ (لا يزعجها) خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من كل بلد ﴿فَكَفَّرَتْ﴾ أهلها ﴿يَأْتِعُمُ اللَّهُ﴾ جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء) كدرع وأدرع، (أو جمع نعم) كبؤس وأبؤس ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ الإذاقة واللباس استعارتان والإذاقة المُستعارَة موقعة على اللباس المُستعار، ووجه صحة ذلك أن الإذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمسّ الناس منها فيقولون: ذاق فلان البؤس والضّر، وأذاقه العذاب شبه ما يُدرك من أثر الضرر والألم بما يُدرك من طعم المرّ (والبشع).

وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث، (وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف) فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويُلَابسُ فكانه قيل: فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف.

**قوله:** (لا يزعجها) في المصباح: أزعجته عن موضعه إزعاجاً أرلته عنه. اهـ.

**قوله:** ﴿يَأْتِعُمُ اللَّهُ﴾ جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء) لأن المطرد جمع فعل على أفعل، فنعمة لا تُجمع على أنعم إلا بملاحظة إسقاط التاء.

**قوله:** (أو جمع نعم) بضمّ النون بمعنى النعمة. **قوله:** (والبشع) في مختار الصحاح: شيء بشع، أي كربه الطعم يأخذ بالخلق. اهـ.

**قوله:** (وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف) ... الخ. لما كان في الآية إشكال من حيث إن الله تعالى أوقع الإذاقة على اللباس، مع أن اللباس ليس مما يُدرك بالذوق، ثم أضاف اللباس إلى الجوع والخوف وليس لهما لباس، فكيف صحت إضافة اللباس إليهما؟ أشار المصنف رحمة الله عليه إلى دفع الإشكال المذكور بأن جعل الذوق مستعاراً لإدراك أثر الضرر بأن شبه إدراك الإنسان أثر ما يضرّه بإحساس طعم الشيء المرّ بالفم الذي هو الذوق، فأطلق



﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِنْمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ أي محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي في حال التباسهم بالظلم قالوا: إنه القتل بالسيف يوم بدر. روي أن رسول الله ﷺ وجه إلى أهل مكة في سني القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع ﴿فَكُلُوا مِنْمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ على يدي محمد ﷺ ﴿حَلَلًا طَيِّبًا﴾ بدلًا عما كنتم تأكلونه حرامًا خبيثًا من الأموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخبائث الكسوب ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ تطيعون أو إن صحَّ زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده. ثم عدَّد عليهم مُحَرَّمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم

على المشبه الذي هو أمر عقلي اسم المشبه به وهو الذوق، وجعل اللباس مستعاراً لِمَا غَشِيَهُمْ واشتمل عليهم من الجوع والخوف بأن شبه ما يغشى الإنسان ويلتبس به من أثر الجوع والخوف باللباس الحقيقي والجامع بينهما كونهما مشتملين على الإنسان وغاشيين له، ثم أطلق اسم اللباس على ما يغشى الإنسان من أثرهما، وجعل إضافته إليهما قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقي، فكل واحد من الإذاقة واللباس استعارة مغايرة لاستعارة الآخرة، ثم أوقعت الإذاقة المستعارة على اللباس المستعار بأن جعل اللباس مفعولاً للإذاقة بالنظر إلى المستعار له، يعني أن الإذاقة بمعنى الإصابة والإيصال، وإن لم تكن ملائمة للمعنى الذي استُعير منه اللباس لكنها ملائمة للمعنى الذي استُعير له اللباس وهو أثر الجوع والخوف الذي يغشى الإنسان كما يغشاه اللباس، فأوقعت الإذاقة بمعنى الإصابة على اللباس، فإطلاق الإذاقة بمعنى الإصابة أو الإيصال على اللباس بالمعنى المجازي بطريق التجريد لكونها ملائمة لما هو أثر الجوع والخوف، فإنَّ الاستعارة على ثلاثة أقسام مطلقة ومجرّدة ومرشحة، فالمطلقة ما لم تُقرن بصفة مما يلائم المستعار له أو المستعار منه، والاستعارة المجرّدة ما

بأهوائهم فقال:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لَيْعٍ اللَّهِ بِهِ. فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاعٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٥)

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لَيْعٍ اللَّهِ بِهِ. فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاعٍ وَلَا عَادٍ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ «إنما» للحصر أي المحرم هذا دون (البحيرة) وأخواتها وباقي الآية قد مر تفسيره.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّبَقَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْحِحُونَ﴾ (١١٦) مَتَّعٌ قَبِيرٌ وَهَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٦﴾

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ هو منصوب بـ ﴿لَا تَقُولُوا﴾ أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرم في قولكم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٣٩] من غير استناد ذلك الوصف إلى الوحي أو إلى القياس المُسْتَنْبَط منه. واللام مثلها في قولك لا تقولوا لما أحل الله هو حرام. وقوله: ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ بدل من الكذب ولك أن تنصب ﴿الْكُذْبَ﴾ بـ ﴿تَصِفُ﴾ وتجعل «ما» مصدرية وتعلق ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ بـ ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام وهذا لوصف ألسنتكم الكذب، أي ولا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم

قُرِنت بما يلائم المستعار له. والاستعارة المرشحة ما قُرِنت بما يلائم المستعار منه.

قوله: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ أي دعت ضرورة المخمصة إلى تناول شيء من ذلك ﴿غَيْرَ بَاعٍ﴾ على مضطرٍّ آخر ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متعذراً قدر الضرورة وسد الرمق، فالله لا يؤاخذ به ذلك. اهـ شهاب.

قوله: (البحيرة) اختلف فيها، فقيل: هي الناقة تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر فيشق أذننها فتترك فلا تُركب ولا تُحلب ولا تُطرد عن مرعى ولا ماء وقيل غير ذلك.

ويجول في أفواهكم لأجل حجة وبينة ولكن (قول ساذج) ودعوى بلا برهان.  
 (وقوله: ﴿تَصِفُ أَلْسِنُكُمُ الْكَذِبَ﴾ من فصيح الكلام) جعل قولهم كأنه عين  
 الكذب فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولك:  
 «وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر». (واللام في ﴿لِفَتْرُوا عَلَى اللَّهِ  
 الْكَذِبَ﴾ من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ

قوله: (قول ساذج) في لسان العرب: حجة ساذجة وساذجة - بالفتح - غير  
 بالغة. قال ابن سيده: أراها غير عربية إنما يستعملها أهل الكلام فيما ليس ببرهان  
 قاطع. وقد يُستعمل في غير الكلام والبرهان. وعسى أن تكون أصلها ساذة  
 فعربت كما اعتيد مثل هذا في نظيره من الكلام المعرب. انتهى.

قوله: (وقوله: ﴿تَصِفُ أَلْسِنُكُمُ الْكَذِبَ﴾ من فصيح الكلام) .. الخ.  
 جواب عما يقال: الكذب مصدر لكذب والألف واللام فيه لتعريف الحقيقة،  
 وألسنتهم لا تصف. أي لا توضح ولا تبين حقيقة الكذب وماهيته. بل تتكلم كلاماً  
 موصوفاً بالكذب. فما وجه كون الكذب مفعول ﴿تَصِفُ﴾؟

وتقرير الجواب: نعم إن مقتضى الظاهر أن يقال: مما تصف ألسنتكم الكلام  
 الكاذب وتظهره إلا أنه جعل الظاهر المتبين بألسنتهم نفس الكذب وحقيقته مبالغة  
 في وصف كلامهم بالكذب، فإن أصل الكلام مما تصف ألسنتكم الكلام الكاذب،  
 ثم عدل عنه فقل: الكلام الكذب مبالغة على طريق رجل عدل ثم حذف  
 الموصوف وأقيم الكذب مقامه، فقل: ﴿لَمَّا تَصِفُ أَلْسِنُكُمُ الْكَذِبَ﴾. كما يقال:  
 وجهها يصف الجمال، مع أن وجهها إنما يظهر الشكل المخصوص الموصوف  
 بالجمال لا نفس الجمال، وحقيقته إلا أن وجهها لما كان في غاية الحسن والجمال  
 صار كأنه عين حقيقة الجمال، فإذا وصف الشكل الجميل صخ أن يقال: إنه  
 وصف نفس الجمال. وكذلك العين لما كانت تشبه الساحر وتصفه كمال المشابهة  
 والتوصيف صخ أن قال: إنها تصف السحر.

قوله: (واللام في ﴿لِفَتْرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ من التعليل الذي لا يتضمن  
 معنى الغرض)، يعني أن اللام فيه لام العاقبة والضرورة لا للتعليل الصريح؛ إذ

الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ هو خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا فَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا فَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ في سورة الأنعام يعني ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا﴾ (كُلُّ ذِي طُفْرٍ) [الأنعام: الآية ١٤٦] (الآية). ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بالتحريم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فحرّمنا عليهم عقوبة على معاصيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم. ومُرّاهم لذة الهوى لا عصيان المولى ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا من بعد التوبة ﴿لَعَفُورٌ﴾ بتكفير ما كثروا قبل من الجرائم ﴿رَحِيمٌ﴾ بتوثيق ما وثقوا بعد من العزائم.

ليس الافتراء على الله غرضاً لهم من التحريم والتحليل من غير حجة، بل كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل إليه تعالى، ويقولون: إنه تعالى أمرنا بذلك، فكان عاقبة قولهم هذا افتراء على الله تعالى.

قوله: ﴿كُلُّ ذِي طُفْرٍ﴾ وهو ما لم تفرق بين أصابعه، أي ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير؛ كالإبل والغنم والإوز والبط.

قوله: (الآية) وهي ﴿الطُّلُوتِ وَالنُّورِ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١] (بمعنى الواو) ﴿الْحَوَايَا﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (الأمعاء) ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (منه وهو شحم الإلية أي المذكور من الأنواع الثلاثة أحلّ لهم) ﴿ذَلِكَ﴾ [الأنعام: الآية ٨٨] (التحريم) ﴿جَزَيْنَاهُمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (به) ﴿بِقِيَّتِهِمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء) ﴿وَأَنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (في أخبارنا ومواعدنا).

﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً﴾ إنه كان وحده أمة من الأمم لكمالهِ في جميع صفات الخير (كقوله:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد)

وعن (مجاهد): كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفّار، أو كان أمة بمعنى مأموم يؤمّه الناس ليأخذوا منه الخير ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ هو القائم بما أمره الله. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن (معاذاً) كان أمة قانتاً لله فقيل له: إنما هو إبراهيم عليه السلام. فقال: الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله، وكان معاذ كذلك. وقال (عمر) رضي الله عنه: لو كان معاذ حيّاً لاستخلفته فإني سمعت

قوله: (كقوله) أي قول أبي نواس الشاعر المشهور يمدح به الفضل بن الربيع الوزير:

(ليس<sup>(١)</sup> على الله بمستنكر)

أي ليس بمستغرب.

(أن يجمع العالم في واحد)

أي خواص العالم في شخص واحد بأن يوجد في هذا الشخص من المناقب والفضائل التي لا توجد إلا مفرقاً في أشخاص العالم.

قوله: (مجاهد) بن جبر - بفتح الجيم وسكون الموحدة - ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. قوله: (معاذاً) أي معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن من أعيان الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، مات بأشياء سنة ثمان عشرة رضي الله تعالى عنه. قوله: (عمر) بن الخطاب بن نفيل - بنون وفاء مصغراً - ابن عبد العزى بن رباح - بتحتانية - ابن عبد الله بن قرظ - بضمة القاف - ابن رزاح - براء ثم زاي

(١) يعني أن الله قادر أن يجمع في واحد ما في الناس من أنواع الفضل والكمال. ١٢ منه رحمه.

رسول الله ﷺ يقول: ((أبو عبيدة) أمين هذه الأمة، ومعاذ أمة الله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون)). ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان إلى ملة الإسلام ﴿وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفى عنه الشرك تكذيباً لكفار قريش لزعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم، وحذف النون للتشبيه بحروف اللين.

﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَحْتَنَةً وَهَدَنَةً إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَبَنَيْنَا فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾

﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾ زُوي أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفاً فأخّر غداءه، فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم إلى الضعاء فخيّلوا له أن بهم جذاماً فقال: الآن وجبت مؤاكلتكم شكراً لله على أنه عافاني وابتلاككم ﴿أَحْتَنَةً﴾ اختصه واصطفاه للنبوة ﴿وَهَدَنَةً إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى ملة الإسلام ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نبوة وأموالاً وأولاداً، أو (تنويه الله بذكره) فكل أهل دين يتولونه، أو قول المصلي منا كما صليت على إبراهيم ﴿وَأَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ لمن أهل الجنة.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ لَسْتُ عَلَىٰ أَيْدِيكَ خَتَمٌ بِهِ وَبِذَلِكَ رَتَّ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا بِهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾ في «ثم» تعظيم منزلة نبينا عليه السلام وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما

خفيفة - ابن عدي بن كعب القرشي العدوي أمير المؤمنين مشهور جم المناقب استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصفاً. قوله: (أبو عبيدة) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيـب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري. أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة، أسلم قديماً وشهد بدرًا، مشهور، مات شهيداً بطاعون عمّواس سنة ثمانى عشرة وله ثمان وخمسون سنة.

قوله: (تنويه الله بذكره) في المصباح: ناه بالشيء نوهاً من باب قال ونوه به تنويهاً رفع ذكره وعظمه. اهـ.

أَوْتِيَ خَلِيلُ اللَّهِ مِنَ الْكَرَامَةِ اتِّبَاعَ رَسُولِنَا مَلَّتَهُ ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أَيُ فَرَضَ عَلَيْهِمْ تَعْظِيمُهُ وَتَرْكُ الْاِصْطِيَادِ فِيهِ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ رُوِيَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا فِي الْأُسْبُوعِ يَوْمًا لِلْعِبَادَةِ وَأَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَبَوْا عَلَيْهِ وَقَالُوا: نَرِيدُ الْيَوْمَ فَرَعَ اللَّهِ فِيهِ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّبْتُ، إِلَّا (شُرْذِمَةً) مِنْهُمْ قَدْ رَضُوا بِالْجُمُعَةِ فَهَذَا اخْتِلَافُهُمْ فِي السَّبْتِ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ اخْتَارُوهُ وَبَعْضُهُمْ اخْتَارُوا عَلَيْهِ الْجُمُعَةَ، فَأَذِنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي السَّبْتِ وَابْتَلَاهُمْ بِتَحْرِيمِ الصَّيْدِ، فَأَطَاعَ أَمْرَ اللَّهِ الرَّاغِبُونَ بِالْجُمُعَةِ فَكَانُوا لَا يَصِيدُونَ، وَ(أَعْقَابُهُمْ) لَمْ يَصْبِرُوا عَنِ الصَّيْدِ فَمَسَخَهُمُ اللَّهُ دُونَ أَوْلَئِكَ وَهُوَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَصِّرَنَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إِلَى الْإِسْلَامِ ﴿بِالْحُكْمَةِ﴾ بِالْمَقَالَةِ الصَّحِيحَةِ الْمَحْكَمَةِ وَهُوَ الدَّلِيلُ الْمَوْضُوحُ لِلْحَقِّ الْمُزِيلُ لِلشُّبْهَةِ ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ وَهِيَ الَّتِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ أَنَّكَ تُنَاصِحُهُمْ بِهَا وَتَقْصِدُ مَا يَنْفَعُهُمْ فِيهَا، أَوْ بِالْقُرْآنِ أَيِ ادْعُهُمْ بِالْكِتَابِ الَّذِي هُوَ حِكْمَةٌ وَمَوْعِظَةٌ حَسَنَةٌ، أَوْ الْحِكْمَةَ الْمَعْرِفَةَ بِمَرَاتِبِ الْأَفْعَالِ وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ أَنْ يَخْلُطَ الرِّغْبَةُ بِالرَّهْبَةِ وَالْإِنْذَارُ بِالْبَشَارَةِ ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ طَرِيقِ الْمَجَادَلَةِ مِنَ الرِّفْقِ اللَّيِّنِ مِنْ غَيْرِ (فَظَاظَةِ)، أَوْ بِمَا يُوقِظُ الْقُلُوبَ وَيَعِظُ النُّفُوسَ وَيَجْلُو الْعُقُولَ وَهُوَ رَدُّ عَلَى مَنْ يَأْبَى الْمُنَازَعَةَ فِي الدِّينِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَصِّرَنَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أَيِ هُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَمَنْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ كَفَّاهُ الْوَعِظُ الْقَلِيلُ وَمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيلُ.

قوله : (شُرْذِمَةً) الشَّرْذِمَةُ الطَّائِفَةُ الْقَلِيلَةُ. اهـ كمالين . قوله : (أَعْقَابُهُمْ) جمع العقب بكسر القاف وبسكونها للتخفيف الولد وولد الولد. اهـ مصباح .

قوله : (فَظَاظَةِ) في مختار الصحاح : الْفَظُّ مِنَ الرِّجَالِ الْغَلِيظُ ، وَقَدْ فَظَّ يَفْظُ - بِالْفَتْحِ - فَظَاظَةً بِفَتْحِ الظَّاءِ . اهـ .

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٢٦)

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ سَمَّى الفعل الأول عقوبة والعقوبة هي الثانية لزدواج الكلام كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: الآية ٤٠] فالثانية ليست بسيئة، والمعنى إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه. رُوِيَ أن المشركين (مثلوا بالمسلمين) يوم أخذ، (بقرؤا) بطونهم وقطعوا مذاكيرهم، فرأى النبي عليه السلام حمزة مبقور البطن فقال: «أما والذي أحلف به لأُمُتٍ (بسبعين مكانك)» فنزلت فكفَّر عن يمينه وكفَّ عما أَراده. ولا خلاف في تحريم المثلة لورود الأخبار بالنهاي عنها حتى (بالكلب العقور) ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ الضمير في ﴿لَهُوَ﴾ يرجع إلى مصدر ﴿صَبَرْتُمْ﴾ والمراد بالصابرين المخاطبون أي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم، فوضع ﴿الصَّابِرِينَ﴾ موضع الضمير ثناء من الله عليهم لأنهم صابرون على الشدائد، ثم قال لرسول الله ﷺ.

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧)  
 إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿وَأَصْبِرْ﴾ أنت فعزم عليه بالصبر ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي بتوفيقه وتشيته ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على الكفار أن لم يؤمنوا وعلى المؤمنين وما فعل بهم الكفار

قوله: (مثلوا بالمسلمين) من التمثيل، في المصباح: مثلت بالقتيل مثلاً من بابي قتل وضرب إذا جذعته وظهرت آثار فعلك عليه تنكيلاً والتشديد مبالغة، والاسم المثلة وزان غرة. اهـ. قوله: (بقرؤا) في المصباح: بقرت الشيء بقرأ من باب قتل شققته. اهـ.

قوله: (بسبعين) حذف مميّزه وهو رجلاً للقرينة عليه. قوله: (مكانك) خطاب لحمزة رضي الله تعالى عنه لتنزيله منزلة الحيّ لكونه سيد الشهداء. قوله: (بالكلب العقور<sup>(١)</sup>) وهو كل سبع يجرح ويقتل ويفترس؛ كالأسد والنمر والذئب سمّاها كلباً لاشتراكها في السبعية.

(١) أي العضوض والحق به كل سبع. ١٢ منه برّد الله مضجعه.



فإنهم وصلوا إلى مطلوبهم ﴿وَلَا تَلُكْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ﴿ضَيْقٍ﴾ مكى . والضيق تخفيف الضيق أي في أمر ضيق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقيل والقول ، والمعنى ولا يضيقتك صدرك من مكرهم فإنه لا ينفذ عليك ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ أي هو ولي الذين اجتنبوا السيئات وولي العاملين بالطاعات . قيل : من اتقى في أفعاله وأحسن في أعماله كان الله معه في أحواله . ومعيته نصرته في المأمور وعصمته في المحذور .

قوله : ﴿ضَيْقٍ﴾ بكسر الضاد (مكى) أي ابن كثير المكي ، والباقون بفتحها . قوله : (والضيق) بالفتح (تخفيف الضيق) المشدد كَمِيت في ميت . قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ قيل لهرم بن حيان عند قرب وفاته : أوص ، فقال : إن الوصية في المال ولا مال لي ، ولكني أوصيك بخواتيم سورة النحل .

تم ما يتعلق بسورة النحل بحسن توفيقه وكمال لطفه وعونه والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً والصلاة والسلام على رسولنا سيد الأنبياء وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى ومن تبعه إلى يوم الحشر والجزاء

## سورة الإسراء

(سورة بني إسرائيل)

(مكية وهي مائة وعشر آيات بصري وإحدى عشرة آية كوفي وشامي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْآيَاتِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)

﴿سُبْحَنَ﴾ تنزيه الله عن السوء (وهو علم للتسبيح) كعثمان للرجل، وانتصابه بفعل مُضمر متروك إظهاره تقديره أُسْبِحَ الله سبحانه، ثم نزل سبحانه منزلة الفعل فسدَّ مسدَّهً ودلَّ على التنزيه البليغ ﴿الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ وسرى وأسرى لغتان ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف وقيد بالليل والإسراء لا يكون إلا بالليل للتأكيد،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة بني إسرائيل) وتسمى سورة إسراء وسبحان (مكية وهي مائة وعشر آيات بصري، وإحدى عشر آية كوفي وشامي) وألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة، وعدد حروفها ستة آلاف وأربعمائة وستون حرفاً. اهـ خطيب.

قوله: (وهو علم للتسبيح) دائماً وهو علم جنس؛ لأن علم جنس كما يوضح للذوات يوضح للمعاني. وقال ابن الحاجب رحمه الله: إنه إذا أُضيف ليس بعلم، لأن الأعلام لا تُضاف إلا شذوذاً، وإذا لم يضاف فهو علم.

أو ليدلّ بلفظ التذكير على تقليل مدة الإسراء وأنه أُسْري به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ﴿مَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: أُسْري به من دار (أم هانئ) بنت أبي طالب. والمراد بالمسجد الحرام لإحاطته بالمسجد والتباسه به. وعن (ابن عباس) رضي الله عنهما: الحرم كله مسجد. وقيل: هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر، فقد قال عليه السلام: «بيننا أنا في المسجد الحرام في (الحجر) عند البيت (بين النائم واليقظان) إذ أتاني جبريل (بالبراق) وقد عُرج بي إلى السماء في تلك الليلة». وكان العروج به من (بيت المقدس) وقد أخبر قريشاً عن (غيرهم) وعدّد (جمالها) وأحوالها. وأخبرهم أيضاً بما رأى في السماء من العجائب. وأنه

**قوله:** (أم هانئ) بالهمز بنت أبي طالب الهاشميّة اسمها فاختة، وقيل: هند، لها صحبة وأحاديث، ماتت في خلافة معاوية رضي الله عنه. **قوله:** (ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وآله بالفهم في القرآن. فكان يُسمّى البحر والخبر لسعة علمه، مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المُكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة. **قوله:** (الحجر) - بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وبالراء المهملة - ما يلي الميزاب من الحوطة المعروفة المفروزة من البيت بحائط قصير.

**قوله:** (بين النائم واليقظان) اليقظان بسكون القاف صفة من اليقظة بفتحها ولا تسكن إلّا في ضرورة الشعر، والمراد بكونه بينهما أنه قد عرضت له سنة وفتور يعتري قبل النوم على ما هو عادته صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي. وهو مستيقظ حقيقة. **قوله:** (بالبراق) - بضم الباء - من دوابّ الجنة سمي به لشدة سرعته كالبرق الخاطف. **قوله:** (بيت المقدس) بالإضافة بوزن مجلس اسم مكان أو مصدر ميمي من القدس وهو الطهر. أي المكان الذي يطهر فيه العابد من الذنوب أو يظهر من عبادة الأصنام، وجاء فيه ضمّ الميم وفتح القاف وتشديد الدال المفتوحة وقد تُكسر، ويقال أيضاً: البيت المقدس بالتوصيف. والأشهر الإضافة. **قوله:** (غيرهم) في المصباح: الغير - بالكسر - الإبل تحمل الميرة ثم غلب على كـ قافلة. **قوله:** (جمالها) في مختار الصحاح: الجمل من الإبل الذكر والجمع جماد وأجمال وجملات وجمائل. اهـ.

لَقِيَ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَبَلَغَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ وَبَدْرَةَ الْمُنتَهَى . وَكَانَ الْإِسْرَاءُ قَبْلَ  
الْهَجْرَةِ بِسَنَةِ وَكَانَ فِي الْيَقِظَةِ ، وَعَنْ (عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : (وَاللَّهُ مَا  
فُقِدَ جَسَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَكِنْ عُرِجَ بَرُوحُهُ) . وَعَنْ (مَعَاوِيَةَ) مِثْلَهُ ، وَعَلَى الْأَوَّلِ  
الْجَمْهُورُ إِذْ لَا فَضِيلَةَ (لِلْحَالِمِ وَلَا مَزِيَّةَ) لِلنَّائِمِ ﴿إِلَّاءَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ هُوَ بَيْتُ  
الْمَقْدَسِ (لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ حِينَئِذٍ وَرَاءَهُ مَسْجِدٌ) ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ يَرِيدُ بَرَكَاتِ الدِّينِ  
وَالدُّنْيَا لِأَنَّهُ مُتَعَبِّدُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَهْطُ الْوَحْيِ وَهُوَ مُحْفُوفٌ بِالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ  
وَالْأَشْجَارِ الْمُثْمَرَةِ ﴿لِزَيَّةٍ﴾ أَيِ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِنْ أَيْتِنَاءٍ﴾ الدَّالَّةُ عَلَى  
وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَصَدَقَ نُبُوتُهُ بِرُؤْيَيْهِ السَّمَوَاتِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾  
لِلْأَقْوَالِ ﴿الْبَصِيرُ﴾ بِالْأَفْعَالِ وَلَقَدْ تَصَرَّفَ الْكَلَامُ عَلَى لَفْظِ الْغَائِبِ وَالْمُتَكَلِّمِ فَقِيلَ :  
﴿أَسْرَى﴾ ثُمَّ ﴿بَرَكْنَا﴾ ثُمَّ ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾ وَهِيَ طَرِيقَةُ الِاتِّفَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ طَرِيقِ  
الْبَلَاغَةِ .

**قوله :** (عائشة) بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين أفقه النساء مطلقاً وأفضل  
أزواج النبي ﷺ إلا خديجة . ففيها خلاف شهير . ماتت سنة سبع وخمسين على  
الصحيح رضي الله تعالى عنهم . **قوله :** (والله ما فُقد جسد رسول الله ﷺ ، ولكن  
عرج بروحه) إن الإسراء كان مرتين : مرة بروحه قبل البعثة ، ومرة بجسده بعدها .  
وبهذا يجمع بين ما في الروايات من الاختلاف مع صحتها ، ثم إنه لكون رؤيا  
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تقع بعينها وتجيء كفلق الصبح أسري به بعد ذلك  
حقيقة ، وكان الإسراء الروحاني مقدمة لهذا وتعليماً لطريق الدخول في حظائر  
القدس . اهـ شهاب . **قوله :** (معاوية) بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية  
الأموي ، أبو عبد الرحمن الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ومات في  
رجب سنة ستين . وقد قارب الثمانين رضي الله تعالى عنه . **قوله :** (للحالم) في  
المصباح : حلم يحلم من باب قتل حُلماً - بضمّتين وإسكان الثاني تخفيف - واحتلم  
رأى في منامه رؤيا . اهـ .

**قوله :** (ولا مزية) أي فضيلة ، في مختار الصحاح : المزية الفضيلة ، يقال :  
عليه مزية أي فضيلة ولا يُبنى منه فعل . اهـ . **قوله :** (لأنه لم يكن حينئذ وراءه  
مسجد) وجه تسميته بالأقصى بمعنى الأبعد ، فهو أبعد بالنسبة إلى مَنْ بالحجاز ثم  
بقي هذا الاسم . وإن كان وراءه مسجد .

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلَنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي الكتاب وهو التوراة ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ (أي لا تتخذوا. وبالياء: أبو عمرو أي لئلا يتخذوا) ﴿مِّن دُونِي وَكِيلًا﴾ (ربًا تكلون إليه أموركم) ﴿ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلَنَا مَعَ نُوحٍ﴾ (نصب على الاختصاص أو على النداء) فيمن قرأ ﴿لَّا تَتَّخِذُوا﴾ بالتاء على النهي أي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلًا يا ذرية من حملنا مع نوح ﴿إِنَّهُ﴾ إن نوحًا عليه السلام ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ في السَّراء والضَّرَاء، والشكر مقابلة النعمة بالشَّاء على المُنعم. وزوي أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا قال الحمد لله، وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آبؤكم أسوتهم، وآية رشد الأبناء صحة الاقتداء بسنة الآباء وقد عرفتم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الأبناء كذلك.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفِيدٌ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾  
 ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفِيدٌ فِي الْأَرْضِ﴾ وأوحينا إليهم وحيًا مقضيًا أي مقطوعًا مبتوتًا بأنهم يُفسدون في الأرض لا محالة، والكتاب التوراة، و﴿لُتْفِيدٌ﴾ جواب قسم محذوف، أو جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون ﴿لُتْفِيدٌ﴾ جوابًا له كأنه قال: وأقسمنا لُتْفِيدٌ في الأرض ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس (أرمياء عليه السلام) حين أنذرهم سخط الله، والأخرى

قوله: (أن لا تتخذوا) مجزوم بحذف النون ولا ناهية وأن زائدة، كما قال: (أي لا تتخذوا). قوله: (وبالياء أبو عمرو) وقرأ غيره بالتاء. قوله: (أي لئلا يتخذوا) يعني أن مصدرية ولام التعليل مقدرة. قوله: (ربًا تكلون إليه أموركم) إشارة إلى أن وكيل فعيل بمعنى مفعول وهو الموكول إليه أي المفوض إليه الأمور، وهو الرب. قوله: (نصب على الاختصاص) هو مفعول لأخض. أو أعني مقدرا. قوله: (أو على النداء) فيا محذوفة فيه.

قوله: (أرمياء عليه السلام) في مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات: هو في بعض النسخ المعتمدة بفتح الهمزة، والذي في القاموس أنه بكسرهما، وعند ابن



طالبوت وقتل داود جالوت. ﴿وَأَمْدَدْنَكُمْ بِأَمُولٍ وَبَنِيكِ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ مما كنتم وهو تمييز جمع (نفر) وهو من (ينفر) مع الرجل من قومه.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلَوُا تَبَرُّرًا﴾ (٧)

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ قيل: اللام بمعنى "على" كقوله: ﴿وَعَلَيْهَا مَا أَكْسَبْتُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦] والصحيح أنها على بابها لأن اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله، حسنة كانت أو سيئة يعني أن الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم. وعن (علي) رضي الله عنه: ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ وعد المرة الآخرة بعثناهم ﴿لِيَسْتَوْا﴾ أي هؤلاء ﴿وَجُوهَكُمْ﴾ وحذف لدلالة ذكره أول عليه أي ليجعلوها (بادية آثار المساء والكآبة) فيها كقوله:

قوله: (نفر) بسكون الفاء. قوله: (ينفر) أي يذهب.

قوله: (علي) بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته، من السابقين الأولين المرحّج أنه أول من أسلم، وهو أحد العشرة مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح. اهـ تقريب.

قوله: (بادية آثار المساء) بنصب بادية منوناً ورفع آثار به، يعني أنه عدى المساء إلى الوجوه وإن كانت عليهم؛ لأن آثار الأعراض النفسانية إنما تظهر في الوجه كنضارة الوجه وإشراقه بالفرح وكلوحوه وسواده بالخوف والحزن، فالوجه عبارة عن الذات لظهور الآثار فيه فهو مجاز مرسل، وقيل: إنه استعارة تبعية، وقيل: الوجوه بمعنى الرؤساء، وهو تكلف، واختير هذا على ليسوؤكم مع أنه أخصر وأظهر إشارة إلى أنه جمع عليهم ألم النفس والبدن المدلول عليه بقوله: ﴿وَلِيُتَبَرَّأُوا﴾. اهـ شهاب.

قوله: (والكآبة) في المصباح: كئيب يكأب من باب تعب كآبة بمد المهمزة وكأبا وكآبة مثل سبب وتمرة حزن أشد الحزن فهو كئيب وكئيب. اهـ. وفي مختار الصحاح: الكآبة - بالمد - سوء الحال والانكسار من الحزن. وقد كئيب من باب

﴿سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الملك: الآية ٢٧). «اليسوء» (شامي وحمزة وأبو بكر)، والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث. («النسوء» علي). ﴿وَلَيَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَيُتَبَرَّأُ مَا عَلَوُا تَتَبَرَّأُ﴾ ﴿مَا عَلَوُا﴾ مفعول لـ «يتبرأوا» أي ليهلكوا (كل شيء غلبوه واستولوا عليه، أو بمعنى مدة علوهم).

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرة الثانية إن ثبتت توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي ﴿وَإِنْ عُدتُمْ﴾ مرة ثالثة ﴿عُدتُمْ﴾ إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله عليهم النعمة بتسليط (الأكاسرة) وضرب (الأثاوة) عليهم. وعن ابن عباس رضي الله

سليم وكأبة أيضًا بوزن رَهْبَةٍ فهو كَثِيبٌ وامرأة كَثِيبَةٌ وكأباء بالمد واکتأب مثله. اهـ. قوله: ﴿سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال المصنف رحمة الله عليه في سورة الملك: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي الوعد، يعني العذاب الموعود ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا منهم وانتصابها على الحال ﴿سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي أساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علَّتها الكأبة والمساء وغَشِيَتْهَا الْقَتَرَةُ والسواد. اهـ. قوله: ﴿لَيُتَبَرَّأُ﴾ بالياء وفتح الهمزة والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي (شامي) أي ابن عامر الشامي (وحمزة وأبو بكر)... الخ. (لنسؤ) بنون العظمة وفتح الهمزة والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي (علي) الكسائي، والباقون بالياء وضَمَّ الهمزة وبعدها واو ضمير الجمع العائد على العباد والنفير وهو موافق بقوله تعالى: ﴿وَلَيَدْخُلُنَّ﴾... الخ. قوله: (كل شيء غلبوه واستولوا عليه) يعني أن ما موصولة والعائد محذوف. قوله: (أو بمعنى مدة علوهم) يعني أن ما مصدرية ظرفية.

قوله: (الأكاسرة) في المصباح: كسرى ملك الفرس، قال أبو عمرو بن العلاء: بكسر الكاف لا غير، وقال ابن السراج كما رواه عنه الفارسي واختاره ثعلب وجماعة: الكسر أفصح، والنسبة إلى المكسور كسري وكسروي بحذف الألف وبقلبها واو النسبة إلى المفتوح بالقلب لا غير، والجمع أكاسرة. اهـ. قوله: (الأثاوة) الخراج. اهـ مختار الصحاح.



عنهما: سَلَطَ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ ﴿مَجْبَسًا﴾.  
يقال: للسنج (محصر) وحصير.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١١﴾

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها وهي توحيد الله والإيمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطريقة ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ حمزة وعلي). ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ بأن لهم ﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أي الجنة ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ﴾ وبأن الذين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أي أعددنا قُلِبَتْ تاء ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يعني النار. والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر (الفسقة).

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ مَحْوَرًا﴾ ﴿آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئَاتِ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُهُ تَقْصِيلًا﴾ ﴿١٢﴾

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ أي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير، أو يطلب النفع العاجل وإن قلَّ بالضرر الآجل وإن جلَّ ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأني فيه تأني المتبصر، أو أريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته الشدة. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ يعني أن العذاب آتية لا محالة فما هذا الاستعجال؟ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو النضر بن الحارث قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: الآية

قوله: (محصر) بفتح الميم وسكون الحاء وكسر الصاد.

قوله: ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ بفتح الياء وسكون الباء الموحدة وضم الشين مخففة (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين مشددة. قوله: (الفسقة) جمع فاسق.

[٣٢٢] (الآية). فأجيب (فَضُرِبَتْ) عُنْقَهُ (صَبْرًا). وسقوط الواو من ﴿يَدْعُ﴾ في الخط على موافقة اللفظ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين (كإضافة العدد إلى المعدود) أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة، أو جعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر، فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعًا كشعاع الشمس فترى الأشياء به رؤية بيّنة، وجعلنا الشمس ذات شعاع يُبصر في ضوئها كل شيء ﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لتتوصلوا ببياض النهار إلى التصرف في معاشكم ﴿وَلِتَعْلَمُوا بِأَخْتِلَافِ (الجديدين)﴾ ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ الْيَتِيمِ وَالْحِسَابِ﴾ يعني حساب الآجال ومواسم الأعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح (حراص)

**قوله:** (الآية) أي: ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْكَ حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ أَنْتَنَّا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: الآية ٣٢]. **قوله:** (فَضُرِبَتْ) عنقه يوم بدر (صَبْرًا) أي مصبورًا. يقال: قُتِلَ فلان صَبْرًا إذا حُسِرَ على القتل حتى يُقتل بخلاف مَنْ قُتِلَ في حرب أو على غفلة منه، وصَبْرًا منصوب على المصدرية، أي قتلا صَبْرًا.

**قوله:** (وسقوط الواو من ﴿وَيَدْعُ﴾ في الخط على موافقة اللفظ). وفي الخطيب: حُذِفَتْ واو يدع أي التي لام الفعل خطأ في جميع المصاحف ولا موجب لحذفها لفظًا في العربية. لكنها لما كانت لا تظهر في اللفظ حُذِفَتْ في الخط ونظيره قوله: ﴿سَدَّعَ الزَّيَّاتَةَ﴾ [الغزل: الآية ١٨]، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِيكَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: الآية ١٤٦]، ﴿يَوْمَ يَأْتِي الْمُنَادُ﴾ [ق: الآية ٤١]، ﴿فَمَا تَعْنِ النَّذْرُ﴾ [القمر: الآية ٥].

قال الفراء: ولو كان ذلك بالواو والياء لكان صوابًا. وقال الرازي: أقول هذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد عظم هذا القرآن المجيد عن التحريف والتغيير. فإن إثبات الواو والياء في أكثر ألفاظ القرآن، وعدم إثباتها في هذه المواضع المعدودة يدل على أن هذا القرآن نُقِلَ كما سُمِعَ وأن أحدًا لم يتصرف فيه بمقدار فهمه وقوة عقله. **قوله:** (كإضافة العدد إلى المعدود) كأربع نسوة مثلاً. **قوله:** (الجديدين) الليل والنهار. **قوله:** (حراص) جمع حريص مثل ظريف وظراف وغلظ وغلظاظ

المكتسبين و (التجار) ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم ﴿فَضَلَّتهُ تَفْصِيلاً﴾ بَيَّاه بياناً غير ملتبس فأزحنا عللکم وما تركنا لكم حجة علينا.

﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْتَهُ طَغِيْرُهُ فِي عُنُقِهِ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ ﴿١٣﴾ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْتَهُ طَغِيْرُهُ﴾ عمله ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ يعني أن عمله لازم له لزوم (القلادة) أو (الغل) للعنق لا يفك عنه ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ﴾ هو صفة لـ ﴿كِتَابًا﴾. (يلقاه شامي) ﴿مَنشُورًا﴾ حال مَنْ ﴿يَلْقَاهُ﴾ يعني غير مطوي ليتمكن قراءته أو هما صفتان للكتاب ونقول له: ﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ﴾ أي كتاب أعمالك وكلُّ يُبْعَثُ قارئاً ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ﴾ الباء زائدة (أي كفى نفسك) ﴿حَسِيبًا﴾ تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليك كذا، أو بمعنى الكافي. وضع موضع الشهيد فعُذِيَ بـ «على» لأن الشاهد يكفي المُدْعِي ما

وكريم وكرام. اهـ مصباح. قوله: (التجار) في المصباح: تَجَرَّ تجرًا من باب قتل واتجر. والاسم التجارة وهو تاجر والجمع تجر مثل صاحب وصحب وتجار بضم التاء مع التثني وبكسرهما مع التخفيف. اهـ.

قوله: (القلادة) بكسر القاف م يُعْلَقُ في العنق. اهـ كمالين. قوله: (الغل) في المصباح: الغل بالضم طوق من حديد يُجْعَلُ في العنق، والجمع أغلال مثل قفل وأقفال. اهـ.

قوله: (يلقاه) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف مضارع لقي بالتشديد (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف مضارع لقي. قوله: (أي كفى نفسك) يعني أن كفى فعل ماض فاعله نفسك والباء زائدة كما في بحسبك درهم. وذكروا إن كان مثله يؤنث؛ كقوله: ﴿مَا ءَامَنْتُ قُلُوبَهُمْ مِنْ قُرْبَى﴾ [الأنبياء: الآية ٦] لأن تأنيثه مجازي. اهـ شهاب. وقال العلامة شيخ زاده عليه الرحمة: على هذا ينبغي أن يؤنث الفعل لتأنيث فاعله. كما في قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [الأنعام: الآية ٤]، إلا أنه ذكر لكونه مسنداً إلى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي، وفي مثله بجوز الأمران. اهـ.

أَهَمَّهُ. وإنما ذكر حسيباً لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير إذ الغالب أن يتولى هذه الأمور الرجال فكأنه قيل: كفى نفسك رجلاً حسيباً، أو تؤول النفس بالشخص.

﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ۚ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝﴾

﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي كل نفس حاملة وزراً فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وما صحَّ منا أن نعذب قوماً عذاب استئصال في الدنيا إلا بعد أن نرسل إليهم رسولاً يلزمهم الحجة ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ أي أهل قرية ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ متنعميها وجابرتها بالطاعة عن أبي عمرو والزجاج ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ أي خرجوا عن الأمر كقولك: «أمرته فعصى» أو أمرنا كثرنا، دليله (قراءة يعقوب أمرنا) ومنه الحديث («خير مال المرء سكة مأبورة ومهرة مأمورة») أي كثيرة النسل ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ فوجب عليها الوعيد ﴿فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ فأهلكناها إهلاكاً ﴿وَكَمْ﴾ مفعول ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ بيان لكم ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ يعني عاداً وثمود وغيرهما ﴿وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ وإن أخفوها في الصدور ﴿بَصِيرًا﴾ وإن أرخوا عليها الستور.

قوله: (قراءة يعقوب) بن إسحاق وليس من السبعة: (أمرنا) بالمد من الأفعال. قوله: (خير المال) ... الخ. في الجامع الصغير: (خير مال المرء مهرة مأمورة أو سكة مأبورة حم طب) يعني رواه الإمام أحمد والطبراني. (عن سويد بن هبيرة) بن عبد الحارث، ورجاله ثقات. اهـ بزيادة. قوله: (سكة) أي نخل مصفوف. قوله: (مأبورة) بالياء الموحدة والراء المهملة أي مؤبرة. قوله: (مُهْرَة) مثل غرفة أنثى الخيل.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩)

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ لا ما يشاء ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ بَدَل من ﴿لَهُ﴾ بإعادة الجار وهو بدل البعض من الكل إذ الضمير يرجع إلى ﴿مَنْ﴾ أي مَنْ كانت العاجلة هَمَّهُ ولم يُرد غيرها - كالكَفَرَة - تفضلنا عليه من منافعتها بما نشاء لمن نريد، فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بإرادته وهكذا الحال، ترى كثيرًا من هؤلاء يتمنون ولا يعطون إلا بعضًا منه، وكثيرًا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حُرِموا فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة، وأما المؤمن التقي فقد اختار غني الآخرة؛ فإن أُوتي حظًا من الدنيا فبها وإلا فربما كان الفقر خيرًا له ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ مَمْقُوتًا ﴿مَدْحُورًا﴾ مطرودًا من رحمة الله ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ (هو) مفعول به (أو حقها من السعي) وكفائها من الأعمال الصالحة ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مصدق لله في وعده ووعيده ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ مقبولا عند الله مثابًا عليه. عن بعض السلف: مَنْ لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مُصيب وتلا الآية. فإنه شرط فيها ثلاث شرائط في كون السعي مشكورًا: إرادة الآخرة والسعي فيما كلف والإيمان الثابت.

﴿كَلَّا نُمَدِّدْ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَظَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٢٠) ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (٢١)

﴿كَلَّا﴾ كل واحد من الفريقين، والتنوين عوض عن المضاف إليه وهو منصوب بقوله: ﴿نُمَدِّدْ هَؤُلَاءَ﴾ بدل من ﴿كَلَّا﴾ أي نمد هؤلاء ﴿وَهَؤُلَاءَ﴾ أي مَنْ أَرَادَ الْعَاجِلَةَ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ﴿مِنْ عَظَاءِ رَبِّكَ﴾ رزقه و«من» تَتَعَلَّقُ بـ «نمد» والعطاء اسم للمعطي أي نزيدهم من عطائنا ونجعل (الآنف) منه مددًا (للسالف) لا نقطعه

قوله: (هو) أي قوله: سعيها. قوله: (أو حقها من السعي) إشارة إلى أن قوله: سعيها مفعول مطلق مبین للنوع.

قوله: (الآنف) بالمد ما استؤنف مرة بعد أخرى. قوله: (للسالف) ما سبق منه.

فَنَرْزُقُ الْمُطِيعَ وَالْعَاصِيَ جَمِيعًا عَلَى وَجْهِ التَّفَضُّلِ ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾  
 مَمْنُونًا عَنْ عِبَادِهِ وَإِنْ عَصَوْا ﴿أَنْظُرْ﴾ بَعِينَ الْإِعْتِبَارِ ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾  
 فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالسَّعَةِ وَالْكَمَالِ ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَةٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ رُوِيَ أَنَّ  
 قَوْمًا مِنَ الْأَشْرَافِ فَمِنْ دُونِهِمْ اجْتَمَعُوا بِبَابِ (عَمْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَخَرَجَ الْإِذْنَ  
 (لِبَلَالٍ) وَ(صَهْبٍ) فَشَقَّ عَلَى (أَبِي سَفْيَانَ) فَقَالَ (سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍ): إِنَّمَا آتَيْنَا مِنْ  
 قَبْلِ. إِنَّهُمْ دَعَاوُا وَدَعَيْنَا - يَعْنِي إِلَى الْإِسْلَامِ - فَأَسْرَعُوا وَأَبْطَأْنَا. وَهَذَا بَابُ عَمْرٍ  
 فَكَيْفَ التَّفَاوُتُ فِي الْآخِرَةِ، وَلِئِنْ حَسَدْتُمُوهُمْ عَلَى بَابِ عَمْرٍ لَمَّا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي  
 الْجَنَّةِ أَكْثَرَ.

**قوله: (عمر) رضي الله تعالى عنه ابن الخطاب بن نفيل - بنون وفاء مصغرا -**  
 ابن عبد العزى بن رباح - بتحتانية - ابن عبد الله بن قرط - بضم القاف - ابن رراح  
 - براء ثم زاي خفيفة - ابن عدي بن كعب القرشي العدوي أمير المؤمنين مشهور  
 جَمَ المناقب، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين  
 ونصفًا. **قوله: (لبلال) بن رباح المؤذن.** وهو ابن حمامة وهي أمه، أبو عبد الله  
 مولى أبي بكر ؓ، من السابقين الأولين شهد بدرًا والمشاهد، مات بالشام سنة  
 سبع عشر أو ثمان عشرة، وقيل: عشرين، وله بضع وستون سنة. **قوله:**  
 (صهيب) بن سنان أبو يحيى الرومي أصله من التمر، يقال: كان اسمه عبد الملك،  
 وصهيب لقب صحابي شهير مات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في خلافة علي، وقيل  
 قبل ذلك. **قوله: (أبي سفيان) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف**  
 الأموي صحابي شهير أسلم عام الفتح، ومات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: بعدها.  
**قوله: (سهيل بن عمرو) هو أبو يزيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن**  
 نصر بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري أحد سادات قريش  
 وأشرافهم وخطبتهم، أسره المسلمون يوم بدر، على يديه أثبرم الصلح يوم الحديبية  
 ثم أسلم يوم الفتح، قال سعيد بن مسلم: لم يكن أحد من كبار قريش الذين  
 أسلموا يوم الفتح أكثر صلاة وصومًا وصدقة واشتغالًا بما ينفعه في آخرته من  
 سهيل بن عمرو وحتى شحب لونه وتغير، وكان كثير البكاء رقيقًا عند قراءة القرآن،  
 كان يختلف إلى معاذ بن جبل يقرئه القرآن ويبيكي حتى خرج معاذ من مكة، فقيل  
 له: تختلف إلى هذا الخزرجي لو كان اختلافك إلى رجل من قومك، فقال: هذا

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (٢٢)

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ فتصير جامعاً على نفسك الذم (الخذلان). وقيل: مشتوماً بالإهانة محروماً عن الإعانة، إذ الخذلان ضد النصر والعون. دليله قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ آل عمران الآية [١٦٠]. حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا تَنْهَاهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣)

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ (وأمر أمراً مقطوعاً به) ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ «أن» مفسرة

الذي صنع بنا ما صنع حتى سبقنا كل السبق، لعمرى اختلف لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية ورفع الله بالإسلام قوماً كانوا في الجاهلية لا يذكرون، فلئيتنا كنا مع أولئك فتقدمنا، وإنني لأذكر ما قسم الله لي في تقدم أهل بيتي من الرجال والنساء فأسر به وأحمد الله عليه وأرجو أن يكون الله نفعني بدعائهم أن لا أكون متاً على ما مات عليه نظرائي، فقد شهدت مواطن أنا فيها معاند للحق، ولما توفي رسول الله ﷺ وبلغ خبره مكة ارتجت مكة لما رأت من ارتداد العرب، فقام سهيل بن عمرو خطيباً فقال: يا معشر قريش، لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد، والله ليتمدن هذا الدين امتداد الشمس والقمر... في خطبة طويلة، وخرج بأهل بيته إلى الشام مجاهداً فاستشهد باليرموك، وقيل: بمرج الصفر، وقيل: توفي في طاعون غمّواس سنة ثمانى على أحد الأقوال في تاريخها، وهو والد أبي جندل رضي الله تعالى عنهما. اهـ تهذيب الأسماء.

قوله: (الخذلان) في مختار الصحاح: خَذَلَهُ - بِالضَّمِّ - خِذْلَانًا - بكسر الخاء - ترك عونه ونصرته. اهـ.

قوله: (وأمر أمراً مقطوعاً به) يعني أن القضاء في أصل اللغة: إتمام الشيء والفراغ منه، وما تم وفرغ منه يلزمه أن يتقرر ولا يتغير، أي لا يقبل النسخ والتغيير. فإذا استعمل القضاء في موضع الأمر والإلزام كما في هذه الآية يفهم منه

﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ نهي (أو بأن لا تعبدوا) ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (وأحسنوا بالوالدين إحسانًا أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا) ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾ «إما هي «إن» الشرطية زيدت عليها «ما» تأكيدًا لها ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت «إن» لم يصح دخولها لا نقول: «إن تكرمن زيدًا يكرمك» ولكن «إما تكرمته» ﴿أَحَدُهُمَا﴾ فاعل ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ (وهو في قراءة حمزة وعلي «يبلغان» بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين) ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ عطف على ﴿أَحَدُهُمَا﴾ فاعلًا وبدلًا ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنْ﴾ مدني وحفص ﴿أَفْ﴾ مكّي وشامي.

أن الإيجاد والتكوين على ذلك الوجه دون الآخر أمر مقرر موافق للحكمة؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [أُفْضِلْتُ: الآية ١٢]، وقد يُطلق القضاء على تعلق الإرادة الإلهية بوجود الشيء من حيث إنه يوجبه، ويُطلق أيضًا على وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ إجمالًا، والقدر: هو تفصيل قضائه السابق بإيجادها في مواد الأحكام الخارجية واحدًا بعد واحد. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ اللهُ. قوله: (أو بأن لا تعبدوا) إشارة إلى أن أن مصدرية مقدّر قبلها الباء، ولا نافية. قوله: (وأحسنوا بالوالدين إحسانًا) على أن يكون قوله: ﴿إِحْسَانًا﴾ واقعًا موقع فعل المحذوف، ويكون ﴿وَالْوَالِدَيْنِ﴾ متعلقًا بذلك المحذوف، وتكون هذه الجملة الأمرية معطوفة على ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾، على أن تكون ﴿أَنْ﴾ فيها مفسرة و﴿لَا﴾ ناهية عطف الجملة الأمرية على النهي، ووجه المناسبة بين تخصيص العبادة به تعالى وبين الوالدين أن السبب الحقيقي لوجود الإنسان هو الله تعالى، والسبب الظاهر الأبوان، فأمر بتعظيم السبب الحقيقي ثم أتبعه بالأمر بتعظيم السبب الظاهري. قوله: (أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا) على أن أن مصدرية ولا نافية، وأن الباء في قوله: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ﴾ متعلقة بقضى. قوله: (وهو في قراءة حمزة وعلي «يبلغان») بألف التثنية قبل نون التوكيد الشديدة المكسورة (بدل) بعض (من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين) وكلاهما عطف عليه بدل كل، ولولا أحدهما لكان كلاهما توكيدًا للألف والباقون بغير ألف وفتح النون على التوحيد لأنها تفتح مع غير الألف وأحدهما فاعله وكلاهما عطف عليه. قوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنْ﴾ بتشديد الفاء مع كسرهما منونة (مدني) أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة (وحفص: ﴿أَفْ﴾) بفتح الفاء من غير تنوين فيها (مكّي) أي ابن كثير المكّي



﴿أَفْ﴾ (غيرهم). وهو صوت يدل على (تضجر)، فالكسر على أصل (التقاء الساكنين)، والفتح للتخفيف، والتنوين (لإرادة التنكير أي أتضجر تضجراً)، وتركه لقصد التعريف أي أتضجر التضجر المعلوم ﴿وَلَا نُنْهَرُهُمَا﴾ (ولا تزجرهما) عما يتعاطيان، مما لا يعجبك والنهي والنهر (أخوان) ﴿وَقُلْ لَهُمَا﴾ بدل التأنيف والنهر ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (جميلًا) لئنا كما يقتضيه حُسن الأدب، أو هو أن يقول: (يا أبتاه) يا أماء ولا يدعوهم بأسمائهما فإنه من (الجفاء)، ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها: (نحلي أبو بكر) كذا، وفائدة ﴿عِنْدَكَ﴾ أنهم إذا صار (كلًا) على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته و(كنفه) وذلك أشق

(وشامي) أي ابن عامر الشامي ﴿أَفْ﴾ بكسرهما بلا تنوين (غيرهم)، ولا خلاف بينهم في تشديد الفاء. قوله: (تضجر) في المصباح: ضجر من الشيء ضجراً فهو ضَجْرٌ من باب تعب اغتمّ وقلق مع كلام منه وتضجر منه كذلك وأضجرت منه فضجر وهو ضجور. اهـ. قوله: (التقاء الساكنين) وهما الفان. قوله: (لإرادة التنكير<sup>(١)</sup>) أي الدال على أن مدخوله غير معين (أي أتضجر تضجراً) ما، وأما إذا لم ينون فيراد التضجر المخصوص في وقت مخصوص. قوله: (ولا تزجرهما) من باب نصر. قوله: (أخوان) أي متقاربان في المعنى قوله: (جميلًا) أي حسنًا. قوله: (يا أبتاه) بإلحاق الألف بعد التاء جمعًا بين العوضين التاء والألف؛ لأنه يجوز أن يكون لشيء عوضان، فكما قالوا بتعويض التاء وحدها: يا أبت، وتعويض الألف وحدها: يا أبا، قالوا بتعويضهما معًا: يا أبتاه، والهاء للسكت. قوله: (يا أباه) بقلب ياء المتكلم ألفًا والهاء للسكت. قوله: (الجفاء) ممدود ضد البر. اهـ. مختار الصحاح. قوله: (نحلي) أي أعطاني، في مختار الصحاح: النحل - بالضم - مصدر نَحَلَه ينحله - بالفتح - نُحَلًا أي أعطاه. اهـ. قوله: (أبو بكر)<sup>(٢)</sup> عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التيمي الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة. قوله: (كلًا) ثقیلاً. قوله: (كنفه) أي منزله. اهـ. وفي مختار الصحاح: كنفه حاطه وصانه وبابه نصر، والكنف - بفتحيتين - الجانب،

(١) أي: لا تقل لهما أف ما في وقعت ما. ١٢.

(٢) ابن أبي قحافة، ١٢.

عليه، فهو مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما «أف» فضلاً عما يزيد عليه، ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة (تنفلت) من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الإنسان معها.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤﴾

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ أي اخفض لهما جناحك كما قال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: الآية ٨٨] فأضافه إلى الذل (كما أضيف حاتم إلى الجود) والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (من فرط رحمتك لهما) وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى مَنْ كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس. وقال الزجاج: وألن جانبك متذلاً لهما من مبالغتك في الرحمة لهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ولا تكتفِ برحمتك عليهما التي لا بقاء لها، وادعُ الله بأن يرحمهما رحمته الباقية، واجعل ذلك جزاء لرحمتكما عليك في صغرك وتربيتهما لك. والمراد بالخطاب غيره عليه السلام. والدعاء مختص بالأبوين المسلمين، وقيل: وإذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية. (وعن النبي ﷺ) «رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما»). ورؤي يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة. وعنه عليه السلام «ياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة يوجد

وتكتفوه واكتفوه وتكنفوه تكنفوا أحاطوا به، والكنف - بكسر الكاف - وعاء يكون فيه أداة الراعي ويتصغيره جاء في الحديث: «كُنُفٌ مُلَىءٌ عِلْمًا»، والكنيف الساتر، ومنه قيل للمذهب كنيف. اهـ. قوله: (تنفلت) في المصباح: انفلت خرج بسرعة.

قوله: (كما أضيف حاتم إلى الجود) أي إضافته إلى الذل من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته. قوله: (من فرط رحمتك لهما) إشارة إلى أن كلمة (من) للتعليل؛ كما في قوله: ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِفُوا﴾ [نوح: الآية ٢٥]، أي واخفض جناحك من أجل الرحمة وفرط الرحمة زيادتها والمبالغة فيها. قوله: (وعن النبي ﷺ): «رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما» أخرجه الترمذي.

ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد عاق ولا قاطع رجم ولا شيخ زان ولا جاز إزاره (خيلاء) إن الكبرياء لله رب العالمين» .

﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غَفُورٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ بما في ضمائرکم من قصد البر إلى الوالدين ومن (النشاط) والكرامة في خدمتهما ﴿إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند (حرج الصدر هنة) تؤدي إلى أذاهما ثم إيشم إلى الله واستغفرتن منها ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غَفُورًا﴾ الأبواب الذي إذا أذنب بادر إلى التوبة فجاز أن يكون هذا عامًا لكل من فرطت منه جنابة، ثم تاب منها ويندرج تحت الجاني على أبويه التائب من جنابته (لوروده على إثره) .

﴿وَأَمَّا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بُدِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَأَمَّا ذَا الْقُرْبَىٰ﴾ منك ﴿حَقُّهُ﴾ أي النفعة إذا كانوا محارم فقراء ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ أي وآت هؤلاء حقهم من الزكاة ﴿وَلَا يُبْدِرْ بُدِيرًا﴾ ولا تسرف إسرافًا . قيل : التبذير تفريق المال في غير الحل والمحل ؛ فعن (مجاهد) : لو أنفق (مداً)

قوله : (خيلاء) وهو الكبر والإعجاب .

قوله : (النشاط) ضد الكسل . اهـ لسان العرب . قوله : (حرج الصدر) ضيقه .

قوله : (هنة) الهن مخففة النون وقد تشدد النون في الشعر كناية عن كل اسم جنس ومعناه شيء يقال هذا هنك ، أي شئتك ، والأنثى هنة . قوله : (لوروده على إثره) أي لوقوعه بعده ، وهو تعليل للاندراج .

قوله : (مجاهد) بن جبر - بفتح الجيم وسكون الموحدة - ثقة إمام في التفسير وفي العلم ، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون سنة . قوله : (مداً) في المصباح : المد - بالضم - كيل ، وهو رطل وثلاث عند أهل الحجاز فهو ربع صاع ؛ لأن الصاع خمسة أرتال وثلاث ، والمد رطلان عند أهل العراق . اهـ . وأيضاً فيه : الرطل معيار يُوزن به وكسره أشهر من فتحه ، وهو بالبعدادي اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية أستار وثلاثا أستار ، والأستار أربعة مثاقيل ونصف مثقال ، والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم ، والدرهم ستة دوانق ، والدانق

في باطل كان تبيذراً. وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه: لا خير في (السرف) فقال: لا سرف في الخير.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّمَا تُعْرَضُونَ عَنْهُمْ اتِّبَاعَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لأنه لا أشر من الشيطان، أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ فما ينبغي أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله.

﴿وَإِنَّمَا تُعْرَضُونَ عَنْهُمْ﴾ إن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ﴿اتِّبَاعَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ أي وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك - فسمي الرزق رحمة - فردهم ردًا جميلًا. فوضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مُتَبِّعٌ له فكان الفقد سبب الابتغاء، والابتغاء مُسَبِّبًا عنه. فوضع المسبب موضع السبب. يقال: (يسر الأمر وعسر) مثل

ثمان حبات وخمسا حبة؛ وعلى هذا، فالرطل تسعون مثقالاً وهي مائة درهم وثمانية وعشرون درهماً وأربعة أسباع درهم، والجمع أرطال. اهـ. وفي مجمع بحار الأنوار: الصاع هو مكيال يسع أربعة أمداد، والمد رطل وثلث بالعراقي، وبه يقول الشافعي وفقهاء الحجاز، وقيل: هو رطلان وبه أخذ أبو حنيفة وفقهاء العراق. فيكون الصاع خمسة أرطال وثلثاً أو ثمانية أرطال. اهـ. قوله: (السرف) في المصباح: أسرف إسرافاً جاز القصد، والسرف - بفتحتين - اسم منه. اهـ.

قوله: (يسر الأمر) بصيغة المجهول وكذا ما بعده، فكأنه لم يسمع إلا مجهولاً إذا تعدى، في المصباح: يَسِرُ الأمرُ يَسِيرُ يسراً من باب تعب<sup>(١)</sup> ويسر يسراً من باب قرب، فهو يسير أي سهل. اهـ. قوله: (وعسر) في المصباح: عسر الأمر عسراً مثل قرب قرباً، وعسارة - بالفتح - فهو عسير أي صعب شديد، ومنه قيل للفقر: عسر، وعسر الأمر عسراً فهو عسر من باب تعب وتعسر واستعسر

(١) وضرب، ١٢ منه.

(سعد الرجل ونُحس فهو مفعول). وقيل: معناه: فقل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم يبسر عليهم فقرهم كأن معناه قولاً ذا ميسور وهو اليسر أي دعاء فيه يسر. ﴿وَبَتَّغَاءُ﴾ مفعول له أو مصدر في موضع الحال و﴿تَجَوَّاهَا﴾ حال.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْ كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَوْتًا مَّحْسُورًا﴾ (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْ كُلَّ الْبَسْطِ﴾ ﴿كُلُّ﴾ نصب على المصدر لإضافته إليه. (وهذا تمثيل لمنع الشحيح) وإعطاء المُسْرِف أمر بالاعتقاد الذي هو بين الإسراف (والتقتير) ﴿فَتَقْعُدَ مَوْتًا﴾ فتصير ملوماً عند الله لأن المُسْرِف غير مرضي عنده. وعند الناس يقول الفقير: أعطى فلاناً وحرمني، ويقول الغني: ما يحسن تدبير أمر المعيشة، وعند نفسك إذا احتجت فندمت على ما فعلت ﴿مَّحْسُورًا﴾ منقطعاً بك لا شيء عندك من حسره السفر إذا أثر فيه أثراً بليغاً أو عارياً

كذلك، وعسر الرجل عسرًا فهو عسر أيضاً وعسارة بالفتح قلّ سماحه في الأمور. قوله: (سعد الرجل) في المصباح: سعد فلان يسعد من باب تعب في دين أو دنيا سعداً. اهـ. وأيضاً فيه: سُعد - بالضم - خلاف شقي. اهـ. قوله: (ونُحس) في مختار الصحاح: النُحس ضد السُّعد وقرئ قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ نَّحْسٍ﴾ [القمر: الآية ١٩] على الصفة والإضافة أكثر وأجود، وقد نُحس الشيء من باب فهم نُحس بكسر الحاء ومنه قيل: أيام نُحسات. قوله: (فهو مفعول) يعني أنه اسم مفعول من يسر كما أن المسعود المنحوس كذلك يقال: سُعد الرجل فهو مسعود ونُحس فهو منحوس. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (وهذا تمثيل لمنع الشحيح) أي لامتناع البخيل عن إنفاق ماله على المحاويع مثل حال مَنْ يده مغلولة إلى عنقه فلا يقدر على شيء من التصريف، وحال من يُسرف بحال من يبسط يده كل البسط فلا يبقى شيء في كَفِّه، ثم استعمل ألفاظ الممثل به في الممثل، والمعنى لا تجعل يدك في الانقباض عن الإنفاق كالمغلولة الممنوعة من الانبساط، ولا تتوسع في الإنفاق توسعاً بحيث لا يبقى في يدك شيء. قوله: (والتقتير) في مختار الصحاح: قتر على عياله أي ضيق عليهم في النفقة، وبابه ضرب ودخل وقتره تقتيراً وأقتر أيضاً ثلاث لغات. اهـ.

من (حسر) رأسه. وقد (خاطرت) مسلمة (ضرتها) اليهودية في أنه - يعني محمداً - عليه السلام - أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذي عليه فدفعه وقعد عرياناً فأقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت. ثم سلى رسول الله ﷺ عما كان يرهقه من الإضافة بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك، ولكن بسط الأرزاق وقدرها مفوض إلى الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ فليس البسط إليك ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي هو يضيق فلا لوم عليك ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ بمصالحهم فيمضيها ﴿بَصِيرًا﴾ بحوائجهم فيقضيها.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَ إِلَهُكُمُ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢)

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ قتلهم أولادهم (وأدهم بناتهم) ﴿خَشِيَ إِلَهُكُمُ﴾ فقر ﴿تَقْرَبُوا الرِّزْقَ﴾ نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ إنما عظيمًا. يقال: (خطيء خطأ كائماً إثماً. ﴿خِطْئًا﴾) شامي وهو ضد الصواب (اسم) من (أخطأ). وقيل: والخطء كالحذر والحذر («خطء» بالمد والكسر: مكى) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ﴾ القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرئ به) وهو نهي عن دواعي الزنا كالمس والقبلة ونحوهما، ولو أريد النهي عن نفس الزنا

**قوله:** (حسر) من باب ضرب. **قوله:** (خاطرت) في تاج العروس: المخاطرة المراهنة. اهـ. **قوله:** (ضرتها) أي امرأة زوجها.

**قوله:** (وأدهم بناتهم) أي دفنها حية كما كانوا يفعلونه في الجاهلية. **قوله:** (خطيء خطأ) بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة بعدها من باب علم (كائماً إثماً) أي لفظاً ومعنى. ويكون بمعنى تعمد الكذب، وليس بمراد هنا. (و﴿خِطْئًا﴾) بفتح الخاء والطاء من غير مد. **قوله:** (اسم) أي اسم مصدر من (أخطأ) إخطاء فهو مغاير الخطأ الذي يقابل العمد. **قوله:** (خطء بالمد والكسر) بوزن قتال (مكى) أي ابن كثير المكى، وقرأ ابن ذكوان بفتح الخاء والطاء ولا مد بعد الطاء، والباقون بكسر الخاء وسكون الطاء. قال الرماني: الخطء بكسر ثم سكون لا يكون إلا تعمداً إلى خلاف الصواب والخطأ أي محرّكاً قد يكون من غير تعمد. اهـ خطيب.

**قوله:** ﴿الرِّزْقَ﴾ القصر فيه أكثر والمد لغة، وقد قرئ به) في مختار الصحاح:

لقال: «ولا تزنوا» ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ فَجِشَةً﴾ معصية مجاوزة حد الشرع والعقل ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ وبشس طريقًا طريقه.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَهُ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣)

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي بارتكاب ما يُبيح الدم ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ غير مرتكب ما يُبيح الدم ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَهُ سُلْطَانًا﴾ تسلط على القاتل في الاقتصاص منه ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية، أو الإسراف المثلة، (أو الضمير للقاتل الأول «فلا تسرف» حمزة وعلي) على خطاب الولي أو قاتل المظلوم ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الضمير للولي أي حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك، أو للمظلوم أي الله نصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب، أو للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فإنه كان منصورًا بيجاب القصاص على المسرف. وظاهر الآية يدل على أن انقصاص يجري بين الحر والعبد وبين المسلم والدِّمِّي لأن أنفس أهل الذمة والعبيد داخله في الآية لكونها محرمة.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٣٤)

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالخصلة والطريقة التي هي أحسن وهي حفظه وتثمينه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ أي ثمانية عشرة سنة ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾

الزنا يمد ويقصر، فالقصر لأهل الحجاز وبه نطق القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾، والمد لأهل نجد. اهـ. وفي لسان العرب قال اللحياني: الزنا مقصور لغة أهل الحجاز، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ بالقصر، والزنا ممدود لغة بني تميم، وفي الصحاح: المد لأهل نجد. اهـ.

قوله: (أو الضمير للقاتل الأول) أي مريد القتل ومباشرة ابتداء أي لا يسرف القاتل المبتدئ. قوله: («فلا تسرف») بالتاء (حمزة وعلي) الكسائي يحمته، والباقون بالياء على الغيبة.

بأوامر الله تعالى ونواهيهِ ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ مطلوبًا (يطلب من المعاهد أن لا يضيّعه) ويقي به، (أو أن صاحب العهد كان مسؤولًا).

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣٥)

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ﴾ (بكسر القاف: حمزة وعلي وحفص)، وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها. (وقيل: هو القرسطون أي القبان) ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ المعتدل ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ عاقبة وهو تفصيل من آل إذا رجع وهو ما يؤول إليه.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦)

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ولا تتبع ما لم تعلم أي لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت. وعن (ابن الحنفية): لا تشهد بالزور. وعن ابن عباس: لا ترم أحدًا بما لا تعلم.

**قوله:** (يطلب من المعاهد أن لا يضيّعه) يعني أن قولك سألته الشيء معناه طلبته منه، وليس المراد من كون العهد مسؤولًا كون ذاته مطلوبًا، بل المعنى أن عدم تضييع العهد كان مطلوبًا من المعاهد، وأن المعاهد كان مسؤولًا مطلوبًا فحذف المضاف والمضاف إليه، وهما العدم والتضييع وكذا المطلوب منه اعتمادًا على دلالة المقام على المراد. **قوله:** (أو أن صاحب العهد كان مسؤولًا) أي يقدر مضاف قبل العهد.

**قوله:** (بكسر القاف حمزة وعلي) الكسائي (وحفص)، والباقون بضمها. **قوله:** (وقيل: هو القرسطون) في لسان العرب: القرسطون أعجمي؛ لأن فعلولاً وفعلولاً ليسا من أبنتهم. اهـ. **قوله:** (أي القبان) كشّاد، في لسان العرب: القبان الذي يوزن به لا أدري أعربي أم معرب. قال الجوهري: القبان القسطاس معرب. اهـ.

**قوله:** (ابن الحنفية) هو محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، واسمها خولة من سبي بني حنيفة، وهي خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلم بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة، كنيته محمد هذا أبو



القاسم، ويقال أبو عبد الله، وُلد لستين بقيتا من خلافة عمر، وقال ابن أبي حاتم: ثلاث بقين، وهو من كبار التابعين دخل على عمر بن الخطاب وسمع عثمان وأباه رضي الله تعالى عنهم، روى عنه بنوه الحسن وعبد الله وإبراهيم وعون وجماعات من التابعين، روي عنه عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله! إن وُلد لي مولود بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك، قال: «نعم»، قال: أحمد بن عبد الله العُقيلي الإمام الحافظ ثلاثة يسمون محمد أرخص في كنيثهم بأبي القاسم: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن عليّ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله. وقال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الحافظ: لا نعلم أحدًا أسند عن عليّ عن النبي ﷺ أكثر ولا أصحّ مما أسند محمد ابن الحنفية، قال عمرو بن علي وأبو نُعيم في روايات عنه: مات محمد ابن الحنفية سنة أربع عشرة ومائة، وقال البخاري: قال أبو نعيم: مات سنة ثمانين، وقال يحيى بن بكير: سنة إحدى وثمانين، وقال المدائني: سنة ثلاث وثمانين. وفي طبقات الفقهاء للشيخ أبي إسحق عن الهيثم بن عدي: سنة ثلاث أو اثنتين وسبعين. وفي تاريخ البخاري عن أبي حمزة - بالحاء - قال: قضينا نُسْكنا حين قُتل ابن الزبير ثم رجعنا إلى المدينة مع محمد ابن الحنفية، فمكث ثلاثة أيام ثم توفي، وهذا يوافق قول الهيثم، فإن ابن الزبير قُتل سنة ثلاث وسبعين، وقيل: سنة اثنتين.

### فصل

(يقال لمحمد هذا) ابن الحنفية، ويقال: محمد بن عليّ، ويقال: محمد بن علي ابن الحنفية، فينسب إلى أبيه وأمه جميعًا؛ فعلى هذا يشترط أن ينون عليّ ويكتب ابن الحنفية بالألف ويكون إعرابه إعراب محمد؛ لأنه وصف لمحمد لا لعليّ، ولهذا نظائر وقد أفردتها في جزء منها عبد الله بن مالك بن بُحينة مالك أبوه، وبحينة أمه، وعبد الله بن أبي ابن سلول المنافق أبي أبوه وسلول أمه، وإسماعيل بن إبراهيم ابن عليّة مثلهما، والمقداد بن عمرو ابن الأسود أبوه الحقيقي عمرو وتبناه الأسود فتُسبب إليه، وإسحق بن إبراهيم ابن راهويه، فراهويه هو إبراهيم، ومثله محمد بن يزيد ابن ماجه صاحب السنن ماجه هو يزيد وآخرون كذلك. اهـ تهذيب الأسماء.

ولا يصح (التثبت به) لمبطل الاجتهاد لأن ذلك نوع من العلم (فإن علمتموهن مؤمنات)، وأقام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كما في الشهادات ولنا في العمل بخبر الواحد لما ذكرنا ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد لأن ﴿أُولَئِكَ﴾ كم يكون إشارة إلى العقلاء يكون إشارة إلى غيرهم كقول (جرير):

**قوله: (التثبت به).** أي التعلق. اهـ مختار الصحاح. **قوله: (فإن علمتموهن مؤمنات)** في سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا حَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ **﴿بِأَلْسِنَتِهِنَّ﴾** **﴿مُهَجَرَتٍ﴾** من الكفار بعد الصلح منهم في الحديبية على أن مَنْ جاء منهم إلى المؤمنين يرد **﴿فَأَمْتَحُونَهُنَّ﴾** بالحلف أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضا لأزواجهن الكفار ولا عشقا لرجال من المسلمين، كذا كان النبي ﷺ يحلفهن **﴿اللَّهُ أَكْبَرُ يَابِسِيْنٌ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾** ظننتموهن بالحلف **﴿مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾** ترددهن (إلى الكفار). اهـ جلالين. قال المصنف رحمه الله عليه: في السورة المذكورة **﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾** العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب لظهور الأمارات. وتسمية الظن علما يؤذن بأن الظن الغالب وما يفضي إليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله: **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾** اهـ.

**قوله: (جرير)** هو أبو خزيمة - بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وفتح الراء بعدها هاء ساكنة - وهي المرة من الحزر، جرير بن عطية بن حذيفة ولقب حذيفة الخطفي - بفتح المعجمة والمهملة والفاء - يزيد بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن زيد الشاعر المشهور، كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجرة ونقائص وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل، ولما مات الفرزدق وبلغ خبره جريرا بكى وقال: أما والله إني لا أعلم أنني قليل البقاء بعده، ولقد كان نجمنا واحداً وكل واحد منا مشغول بصاحبه، وقلما مات ضداً وصديق إلا وتبعه صاحبه، وكذلك كان. وتوفي في سنة عشر ومائة، وفيها مات الفرزدق.

### ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

﴿وَعَنَّهُ﴾ في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسؤولاً عنه، فمسؤول مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: الآية ٢٧]. يقال للإنسان: لم سمعت ما لم يحلّ لك سماعه، ولم نظرت إلى ما لم يحلّ لك النظر إليه، ولم عزمّت على ما لم يحلّ لك العزم عليه؟ كذا في الكشف، وفيه نظر لبعضهم لأن الجار والمجرور إنما يقومان مقام الفاعل إذا تأخرا عن الفعل، فأما إذا تقدّما فلا.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ هو حال أي (ذا مرح) ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ لن تجعل فيها خرقاً بدوسك لها وشدة وطئتكم ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ بتناولك وهو

#### قوله:

ذم<sup>(١)</sup> المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

اللوى موضع بعينه، يعني أن المنزلة الطيبة والعيش الطيب ما مضى بمنزلة اللوى وما سوى ذلك مذموم في جنبه. اهـ شرح أبيات كشاف. وفي تفسير الخطيب: يجوز في ذم فتح الميم وكسرهما وضمّهما، وقوله: بعد منزلة اللوى أي بعد مفارقتها، والإضافة في منزلة اللوى للبيان، وهو ممدود ولكن قصره هنا للضرورة والعيش عطف على المنازل والأيام صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان له. اهـ.

قوله: (ذا مرح) إشارة إلى أن المرح - بفتح الراء - مصدر واقع موقع الحال بتقدير المضاف، والمرح شدة الفرح. يقال: مرح يمرح مرحاً فهو مريح المصدر بفتح الراء والنعت بكسرهما.

(١) أمر من ذم يذم، ومعناه أنه يخاطب صاحبه ويقول له: ادمم كل منزل وكل حياة بعد تلك المنازل وأيامها الخالية منها، واللوى موضع معروف، ١٢ منه رحمه الله تعالى.

تهكّم بالمختال، أو لن تحاذيها قوة (وهو حال من الفاعل أو المفعول) ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ﴾ كوفي وشامي على إضافة سييء إلى ضمير «كل» سيئة غيرهم ﴿عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ ذكر ﴿مَكْرُوهًا﴾ لأن السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات (فلا اعتبار بتأنيثه ألا تراك تقول: «الزنا سيئة»، كما تقول: «السرقة سيئة»)، فإن قلت: الخصال المذكورة بعضها سييء وبعضها حسن قرأ من قرأ ﴿سَيِّئَتُهُ﴾، بالإضافة أي ما كان من المذكور سيئًا كان عند الله مكروهاً، فما وجه قراءة من قرأ ﴿سَيِّئَتُهُ﴾؟ قلت: كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة.

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (٣٩)

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من قوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى هذه الغاية ﴿مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس (بإسوته) ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ مطروداً من الرحمة. عن ابن عباس رضي الله عنهما: هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام، أولها ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وآخرها ﴿مَدْحُورًا﴾ ولقد

قوله: (وهو) أي ﴿طَوَّلًا﴾ (حال من الفاعل أو المفعول) ويجوز أن يكون تمييزاً ومفعولاً له ومصدرًا من معنى ﴿تَلَوَّعَ﴾. قوله: ﴿سَيِّئَتُهُ﴾ بضم الهمزة والهاء وإشباع ضمتها (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف (وشامي) أي ابن عامر الشامي (على إضافة سييء إلى ضمير «كل» سيئة) بفتح الهمزة وبالتاء منونة منصوبة (غيرهم). قوله: (فلا اعتبار بتأنيثه) ولا فرق بين سيئة وسييء (ألا تراك تقول: الزنا سيئة، كما تقول: السرقة سيئة)؛ فلا فرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث.

قوله: (بإسوته) في المصباح: الإسوة - بكسر الهمزة وضمها - القدوة، وتأسيت به واثسيت اقتديت. اهـ. وأيضاً فيه: القدوة اسم من اقتدى به إذا فعل مثل فعله تأسياً، وفلان قدوة أي يُقتدى به، والضم أكثر من الكسر. قال ابن فارس: ويقال إن القدوة الأصل الذي يتشعب منه الفروع. اهـ.

جعلت فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشُّرك لأن التوحيد (رأس كل حكمة وملاكها)، من عدمه لم تنفعه حكمة وإن (بذ) فيها الحكماء وحكَّ (بيافوخه) السماء. وما أغنت عن (الفلاسفة أسفار الحكم) وهم عن دين الله أضلَّ من (النعم). ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله:

﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْإِنِّى وَتَخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتَا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْإِنِّى﴾ الهمزة للإنكار يعني أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون ﴿وَتَخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتَا﴾ واتخذ أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم، فالعبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاهها ويكون أردؤها وأدونها للسادات ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ حيث أضفتم إليه الأولاد وهي من خواص الأجسام، ثم فضلتهم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ أي التنزيل

قوله: (رأس كل حكمة) الرأس معروف. ويُطلق على الأول والأشرف. قوله: (ملاكها) في مختار الصحاح: مَلَاك الأمر - بفتح الميم وكسرهما - ما يقوم به. اهـ. قوله: (بذ) أي غلب. قوله: (بيافوخه) في المصباح: اليافوخ - بهمز - وهو أحسن وأصوب. ولا يهمز ذكر ذلك الأزهرى، فمن همزه قال: هو في تقدير يفعل. ومنه يقال: أفخته إذا ضربت يافوخه، ومن ترك الهمز قال في تقدير فاعول، ويقال: يفخته واليافوخ وسط الرأس. ولا يقال: يافوخ حتى يصلب ويشتد بعد الولادة. اهـ.

قوله: (الفلاسفة) الفلسفة باليونانية محبة الحكمة، والفيلسوف هو فيلا وسوف، وفيلا هو المحب، وسوف هو الحكمة، أي هو مُحِب الحكمة. قوله: (أسفار الحكم) في مختار الصحاح: السَّفَر - بالكسر - الكتاب والجمع أسفار. قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الخنعة: الآية ٥]. اهـ.

قوله: (النعم) المال الراعي وهو جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل. اهـ مصباح.

والمراد ولقد صرفناه أي هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ (وبالتخفيف: حمزة وعلي)، أي كثرناه ليتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق. وكان (الثوري) إذ قرأها يقول: زادني لك خضوعًا ما زاد أعداءك نفورًا.

﴿قُلْ لَوْ كَان مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذْ لَا تَبْعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَعَلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾

﴿قُلْ لَوْ كَان مَعَهُ﴾ مع الله ﴿ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ (وبالياء: مكي وحفص). ﴿إِذْ لَا تَبْعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (يعني لطلبوا) إلى من له المُلْك والربوبية سبيلًا بالمغالنة

**قوله:** (وبالتخفيف) أي بسكون الذال ورفع الكاف من غير تشديد من الذكر الذي هو بمعنى التذكر (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بفتح الذال والكاف مع تشديدها. **قوله:** (الثوري) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر الثوري الكوفي الإمام الجامع لأنواع المحاسن. وهو من تابعي التابعين. وُلد سنة سبع وتسعين. سمع سفيان الثوري أبا إسحق السبيعي وعبد الملك بن عمير وعمرو بن مرة وخلائق من كبار التابعين وغيرهم. روى عنه محمد بن عجلان والأعمش وهما تابعيان. ومعه الأوزاعي وابن أبي إسحق ومالك وابن عيينة وشعبة والفضيل بن عياض وأبو الأحوص وأبو إسحق الفزاري وابن المبارك وزائدة وابن مهدي ووکیع وأبو نعيم ويحيى القطان ومحمد بن يوسف الفريابي وخلائق. واتفق العلماء على وصفه بالبراعة في العلم بالحديث والفقه والورع والزهد وخشونة العيش والقول بالحق وغير ذلك من المحاسن. وأحوال الثوري والثناء عليه أكثر من أن يحصر. وأوضح من أن يشهر. قال محمد بن سعد: أجمعوا على أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة رضي الله تعالى عنه. والثوري بفتح الداء المثناة وبعده و و ساكنة وراء. هذه النسبة إلى ثور بن عبد مناة.

**قوله:** (وبالياء) على الغيبة (مكي) أي ابن كثير المكي (وحفص)، والباقون بالخطاب. **قوله:** (يعني لطلبوا) ... الخ. فقوله: ﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ﴾ معنى إلى

كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض، (أو لتقربوا إليه) كقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ ﴿وَإِذَا﴾ دالة على أن ما بعدها وهو ﴿لَا يَبْتَغُوا﴾ جواب عن مقالة المشركين وجزاء لـ «لو» ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ (وبالتاء: حمزة وعلي) ﴿عُلُوًّا﴾ أي تعالياً والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ﴿كَبِيرًا﴾ وصف العلو بالكبر مبالغة في معنى البراءة والبُعد مما وصفوه به.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا عَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾

﴿تُسَبِّحُ﴾ (وبالتاء: عراقي غير أبي بكر) ﴿لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أي يقول سبحان الله وبحمده. عن (السدي) قال عليه السلام: «ما اصطيد حوت في البحر ولا طائر يطير إلا بما يضيع من تسبيح الله تعالى» ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لاختلاف اللغات أو لتعسر الإدراك أو سبب لتسبيح الناظر إليه، والدال على الخير كفاعله. والوجه الأول ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا﴾ عن جهل العباد ﴿عَفُورًا﴾ لذنوب المؤمنين.

مقابلته ومغالبته. قوله: (أو لتقربوا إليه) فالسبيل بمعنى الوسيلة الموصلة إليه. قوله: (وبالتاء) على الخطاب (حمزة وعلي) الكسائي. والباقون بالياء على الغيبة.

قوله: (وبالتاء عراقي غير أبي بكر) شعبة، وقوله: عراقي إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل عراقي، وعبارة غيث النفع: قرأ الحرميان والشامي وشعبة بالياء، والباقون بقاء التانيث. اهـ. وعبارة علامة شيخ زاده قوله: (وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وأبو بكر ﴿يُسَبِّحُ﴾ بالياء) أي الياء المنقوطة من تحت لإسناد الفعل إلى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي، ولوجود الفصل بين الفعل وفاعله المؤنث، والباقون بقاء التانيث. اهـ. قوله: (السدي) أي إسماعيل بن عبد الرحمن وهو بالضم والتشديد نسبة إلى سدة جامع الكوفة أي باب؛ لأنه كان يبيع عنده. اهـ. لب الأسباب في تحرير الأنساب. وفي المصباح: السدة الباب ويُنسب إليها على اللفظ، فيقال: السدي، ومنه الإمام المشهور، وهو إسماعيل السدي لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدة مسجد الكوفة، والجمع سُدد مثل غرفة وغرف. اهـ. وفي دستور الإعلام بمعارف الأعلام: السدي الكبير الكوفي المفسر الأعور أبو محمد

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِرَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنْ أَدْبَرْتَهُمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ (ذا ستر) أو حجابًا لا يرى فهو مستور ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ جمع كنان وهو الذي يستر الشيء ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ (كراهة أن يفقهوه) ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ (ثقلًا) يمنع عن الاستماع ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِرَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ يقال: وحد يحد وحدًا وحده نحو وعد يعد وعدًا وعدة فهو مصدر سدّ مسدّ الحال (أصله يحد يحد وحده) بمعنى واحدًا ﴿وَلَوْ أَنْ أَدْبَرْتَهُمْ﴾ رجعوا على أعقابهم ﴿نُفُورًا﴾ مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعده وقعود أي يحبون أن تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا.

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة التابعي، روى عن أنس بن مالك وابن عباس، روى له الجماعة إلا البخاري والصغير الكوفي المفسر صاحب الكلبي وهو متروك الحديث محمد بن مروان. اهـ. مات إسماعيل سنة سبع وعشرين بعد المائة. اهـ.

**قوله:** (ذا ستر) على أن مستورًا من باب النسب كلابن وتامر، وهو وإن اشتهر في فاعل فقد جاء في مفعول أيضًا، كما نبّهوا عليه وله نظائر كرجل مرطوب، أي ذي رطوبة، ومكان مهول وجارية مغنوجة أي ذي هول وذات غنج، وكان وعده مأتيا بمعنى ذي إتيان، لا أنه يؤتى إليه والحجاب ليس بمستور بل المستور ما وراءه، فلذلك جعل المستور للنسب، ويحتمل أن يكون توصيف الحجاب بكونه مستورًا عبارة عن كونه غير مرئي على طريق إطلاق الملزوم وإرادة لازمه؛ لأن ما يكون مستورًا يلزمه أن لا يرى. **قوله:** (كراهة أن يفقهوه) يعني أنه مفعول به بتقدير مضاف. **قوله:** (ثقلًا) بفتح القاف ضد الخفة، وأما بسكونها، فهو واحد الأثقال، أي الأحمال، ويمكن إرادته هنا أيضًا. **قوله:** (أصله يحد وحده) فيحد فعل مضارع حال من ربك، فوحده مفعول مطلق فحذف يحده ووضع وحده موضعه.



﴿نَحْنُ أَعْمَرُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٤٧) اَنْظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

﴿نَحْنُ أَعْمَرُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ أي نحن أعلم بالحال أو الطريقة التي يستمعون القرآن بها، فالقرآن هو المُستمع وهو محذوف و﴿بِهِ﴾ حال وبيان لـ «ما» أي يستمعون القرآن هازئين لا جاديين والواجب عليهم أن يستمعوه جاديين ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ نصب بـ ﴿أَعْلَمُ﴾ أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ وبما يتناجون به إذ هم (ذوو نجوى) ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ بدل من ﴿إِذْ هُمْ﴾ ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ سَجَرَ فَجَرٍ ﴿اَنْظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ (مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون)، ﴿فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقًا فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع.

﴿وَقَالُوا أَوَدَّ كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنًا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٤٩) ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾ (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُقْضَوْا إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُوا مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥٢)

﴿وَقَالُوا﴾ أي منكرو البعث ﴿أَوَدَّا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنًا﴾ أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا أي مجددًا و﴿خَلْقًا﴾ حال أي مخلوقين ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾ (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ أي السموات والأرض فإنها تكبر عندكم عن قبول الحياة ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ﴾ يعيدكم ﴿الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعيدكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة بعد ما كنتم عظامًا يابسة مع

قوله: (ذوو نجوى) إشارة إلى تقدير المضاف. قوله: (مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون) أي قالوا تارة هذا وتارة هذا، مع علمهم بخلافه؛ فإنما قصدوا تشبيه حالك فيما قلته ونطقت به من القرآن بحال هؤلاء، فمثلوك بمعنى شبهوك إما على أن الأمثال: جمع مثل بفتحيتين، أو مثل بكسر فسكون.

قوله: ﴿وَرَفْنًا﴾ الرفات ما بلي فتفتت، وقيل: إنه تراب.

أن العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يُبنى عليه سائرُه، فليس يبدع أن يردّها الله بقدرته إلى الحالة الأولى، ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة وهو أن تكونوا حجارة أو حديدًا لكان قادرًا على أن يردكم إلى حال الحياة ﴿فَسَيَنْفُضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ فسيحركونها نحوك تعجبًا واستهزاء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ أي البعث استبعادًا له ونفيًا ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي هو قريب و«عسى» للوجوب ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى المحاسبة وهو يوم القيامة ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ أي تُجيبون حامدين والباء للحال. عن (سعيد بن جبیر): ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك ﴿وَتَقْتُلُونَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لبثًا قليلًا أو زمانًا قليلًا في الدنيا أو في القبر.

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٥٣) ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (٥٤)

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾ وقل للمؤمنين ﴿يَقُولُوا﴾ للمشركين الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وألين ولا يخاشنهم وهي أن يقولوا يهديكم الله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ يُلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليوثق بينهم المشاقة. والنزع: إيقاع الشر وإفساد ذات البين. وقرأ طلحة ﴿يَنْزِعُ﴾ بالكسر وهما لغتان ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ظاهر العداوة أو فسر ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بقوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ إن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ بالهداية والتوفيق ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ (بالخذلان) أي يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر. وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ اعتراض

قوله: (سعيد بن جبیر) الكوفي أحد أعلام التابعين، قُتل بين يدي الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين للهجرة بواسط، ومات الحجاج بعده في شهر رمضان من السنة المذكورة، ولم يسلمه الله عز وجل بعده على قتل أحد إلى أن مات.

قوله: (بالخذلان) في مختار الصحاح: خَذَلَهُ يَخْذُلُهُ - بِالضَّمِّ - خَذْلَانًا - بكسر الخاء - ترك عونَه ونصرته. اهـ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ حافظًا لأعمالهم وموكلًا إليك أمرهم وإنما أرسلناك بشيرًا ونذيرًا (فدارهم) ومُر أصحابك بالمُداراة.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾  
﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ. فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا غَوْيَلًا ﴿٥٦﴾

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وبأحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم. ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ فيه إشارة إلى تفضيل رسول الله ﷺ وقوله: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ دلالة على وجه تفضيله وإنه ختم الأنبياء. وأن أمته خير الأمم لأن ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء الآية ١٠٥). وهم محمد وأمته. ولم يعرف الزبور عند وعرفه في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ لأنه (كالعباس وعباس والفضل وفضل) ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ إنها ألهمتكم ﴿مِن دُونِهِ﴾ من دون الله وهم الملائكة، أو عبسى وعزير، أو نفر من الجن عبدهم نس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا غَوْيَلًا أي ادعواهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب، ولا أن يحلوه من واحد إلى آخر.

قوله: (فدارهم) في المصباح: داريته مداراة لاطفته ولايته. اهـ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ كتاب داود عليه السلام ﴿مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ (التوراة) ﴿الْأَرْضِ﴾ أي الشام، كذا أفاده المصنف رحمه في سورة الأنبياء. قوله: (كالعباس، وعباس) في تقريب التهذيب: عباس بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ مشهور، مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها، وهو ابن ثمانين وثمانين. اهـ. (والفضل، وفضل) في تقريب التهذيب: الفضل بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وأكبر ولد العباس، استشهد في خلافة عمر ؓ. اهـ. يعني أن الزبور عم لكتاب داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام. فكيف عَرَف تارة ونَكَر أخرى، والنعريف العلمي يُغني عن التعريف الالامي. وأجاب عنه: بأنه ليس من الأعلام المتجعة، بل هو من الأعلام المتقولة، فيه منقول عن اسم صفة كعبد أو عن اسم معنى كفضل؛ لأنه اسم فعول بمعنى

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ صفة أي يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ يعني أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القرية إلى الله عز وجل ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل من واو ﴿يَبْتَغُونَ﴾ و«أي» موصولة أي يبتغي من هو ﴿أَقْرَبُ﴾ منهم الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل: يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ حقيقة بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلاً عن غيرهم.

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْفِكَمَةٍ أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْفِكَمَةٍ أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قبل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً. وعن (مقاتل): وجدت في كتب (الضحاك) في تفسيرها: أما مكة فيخربها الحبشة، وتهلك المدينة بالجوع، والبصرة بالغرق، والكوفة بالترك.

مفعول كحلوب، أو بمعنى المصدر كقبول وبعدهما نقل إلى العلمية جاز تعريفه تلميحاً وإشارة إلى أصله، وجاز تنكيره اعتباراً للعلمية؛ كالعباس وعباس والفضل وفضل.

قوله: (مقاتل) بن سليمان، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور، وكان من العلماء الأجلاء. حكى عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: الناس كلهم عيال على ثلاثة: على مقتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام. توفي سنة خمسين ومائة بالبصرة رحمه الله تعالى. قوله: (الضحاك) بن مزاحم الهلالي، أبو القسم أو أبو محمد

و(الجبال) بالصواعق والرواجف. أما (خراسان) فعذابها ضروب، وأما (بلخ) فتصيبهم (هذة) فيهلك أهلها، وأما (بدخشان) فيخربها أقوام، وأما (ترمذ) فأهلها يموتون بالطاعون، وأما (صفانيان) إلى (وأشجرد) فيقتلون بقتل (ذريع)، وأما (سمرقند) فيغلب عليها (بنو قنطور) فيقتلون أهلها قتلاً ذريعاً، وكذا

الخراساني صدوق كثير الإرسال، مات بعد المائة. **قوله:** (الجبال) في أخبار الدول وآثار الأول: الجبال ناحية مشهورة يقال لها بالفارسية كوهستان شرقياً مفازة خراسان وفارس وغربياً آذربيجان، وأهلها أصح الناس مزاجاً وأحسنهم صورة، قالوا: إنها تربة ديلمية لا تقبل العدل والإنصاف. ومن وليها عصى ومُعظم بلادها أصفهان والري وهمدان وقروين وبها من الجبال والأودية ما لا يُحصى. اهـ. **قوله:** (خراسان) في أخبار الدول وآثار الأول: خراسان بلاد مشهورة فيما وراء النهر<sup>(١)</sup> من أحسن أرض الله وأعمرها وأكثرها خيراً وأهلها أحسن الناس صورة وأكملهم عقلاً وأكثرهم رغبة في الدين والعلم وبها الثعلب الطيَّار وهو صنف من الثعلب له جناحان يطير بهما. اهـ. **قوله:** (بلخ) في أخبار الدول وآثار الأول: بلخ مدينة عظيمة من أمهات بلاد خراسان بناها منوچهر بن أيرج بن أفريدون، وكان بها بيت النار وهو من أعظم بيوت الأصنام، وكان في خدمته برمك جد البرامكة، وكان يحكم في تلك البلاد إلى أن فُتحت خراسان في أيام عثمان بن عفَّان رضي الله تعالى عنه، وانتهت السدانة إلى برمك أبي خالد فرغب في الإسلام وسار إلى عثمان رضي الله تعالى عنه وضمن منه المدينة. اهـ. **قوله:** (هذة) الهذ الهزم الشديد والصوت الغليظ، والهذة المرة. **قوله:** (بدخشان) في أخبار الدول وآثار الأول: بدخشان مدينة مشهورة بأعلى طخارستان بها معدن البلخس وبها معدن اللاجورد ومعدن البلور الخالص. اهـ. **قوله:** (ترمذ) مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له: جيحون. **قوله:** (صفانيان) في القاموس: صفانيان كورة عظيمة بما وراء النهر. **قوله:** (وأشجرد) بكسر الجيم وسكون المعجمة قبلها والراء المهملة وراء النهر. اهـ لب الأسباب في تحرير الأنساب. **قوله:** (ذريع) أي فظيع. **قوله:** (سمرقند) مدينة مشهورة بما وراء النهر. اهـ أخبار الدول وآثار الأول. **قوله:** (بنو قنطور) في القاموس: بنو قنطوراء الترك أو السودان، أو هي جارية

(١) يُراد به ما وراء نهر جيحون. ١٢ أخبار الدول.

(فرغانة) و(الشاش) و(أسبيجاب) و(خوارزم)، وأما (بخارى) فهي أرض الجبابة فيموتون قحطاً وجوعاً، وأما (مرو) فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد، وأما (هراة) فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلاً. وأما (نيسابور) فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم، وأما (الري) فيغلب عليها (الطبرية والديلم) فيقتلونهم. وأما (أرمينية) و(أذربيجان) فيهلكها

لإبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، من نسلها الترك. اهـ. قوله: (فرغانة) في أخبار الدول وآثار الأول: فرغانة ناحية مشتملة على بلاد كثيرة متاخمة لبلاد الترك. اهـ. قوله: (الشاش) مدينة وراء نهر جيحون. اهـ. لب الأسباب. قوله: (اسبيجاب) بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية ثم جيم ثم ألف ثم باء موحدة، ويقال: بالفاء موضع الباء الأولى بلدة كبيرة من ثغور الترك. قوله: (خوارزم) ناحية مشهورة ذات مدن وقرى كثيرة. اهـ. أخبار الدول وآثار الأول. قوله: (بخارى) مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر. اهـ. أخبار الدول وآثار الأول. قوله: (مرو) من أشهر مدن خراسان وأقدمها وأكثرها خيراً وأحسنها منظرًا. اهـ. أخبار الدول وآثار الأول. قوله: (هراة) في أخبار الدول وآثار الأول: هراة مدينة ببلاد فارس قرب إصطخر كثيرة البساتين والخيرات. اهـ. وأيضاً فيه: وهراة أيضاً مدينة عظيمة من مدن خراسان بها بساتين كثيرة ومياه غزيرة بناها الإسكندر. اهـ. قوله: (نيسابور) في أخبار الدول وآثار الأول: نيسابور مدينة من مدن خراسان. اهـ. قوله: (الري) مدينة مشهورة. قوله: (الطبرية) اسم مدينة، انتهى. لسان العرب. وفي أخبار الدول وآثار الأول: طبرية موضعان، الأول: مدينة جليلة قديمة، وهي من أعظم مدن الشام مشرفة على بحيرة طبرية، وهي قصبة كورة الأردن والنسبة إليها طبراني، والثاني قرية من قرى واسط والنسبة إليها طبري، انتهى باختصار. قوله: (والديلم) كحيدر جيل<sup>(١)</sup> معروف وهم أصحاب الشور الأعاجم من بلاد الشرق، وقال كراع: هم الترك وهم بنو الديلم بن باسل بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، قاله ابن الكلبي. قوله: (أرمينية) بلدة حصينة بأذربيجان. قوله: (أذربيجان) ناحية واسعة ومملكة متسعة بها مدن كثيرة

(١) الجئل كل صف من الناس، الترك جيل، والصير جيل، والعرب جيل، والروم جيل؛ كذا في لسان العرب. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

(سَنَابِك) الخيول والجيوش والصواعق والرواجف، وأما (هَمْدَان) فالديلم يدخلها ويخرّبها، وأما (حَلَوَان) فتمرّ بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من (جَهينَة) فيدخل (مَصْر)، فويل لأهلها ولأهل (دَمَشَق). وويل لأهل (إفريقية) وويل لأهل (الرَّملة)، ولا يدخل بيت المقدس. وأما (سَجِسْتَان) فيصيبهم ريح عاصف أيامًا ثم هذّة تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما (كِرْمَان) وأصْبَهَان وفارس) فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة تنخلع القلوب وتموت الأبدان.

وقرى وجبال وأنهار كثيرة. **قوله :** (سَنَابِك) أي حوافر. **قوله :** (هَمْدَان) مدينة مشهورة من مدن الجبال بناها همدان بن علوج بن سام بن نوح عليه السلام. اهـ أخبار الدُول وآثار الأول. **قوله :** (حَلَوَان) بضم الحاء وسكون اللام أربعة مواضع: الأول: مدينة بين همدان وبغداد، وهي آخر مدن العراق، وهي الآن خراب. والثاني: حلوان قرية عند فسطاط مصر. والثالث: بليدة من نواحي نيسابور. والرابع: قرية من قرى كوهستان. اهـ أخبار الدول وآثار الأول. **قوله :** (جَهينَة) اسم قبيلة. **قوله :** (مَصْر) مدينة مشهورة. **قوله :** (دَمَشَق) كحَضْر وقد تكسر ميمه قاعدة الشام. اهـ قاموس.

**قوله :** (إفريقية) مدينة كبيرة بالمغرب. **قوله :** (الرَّملة) مدينة بفلسطين. **قوله :** (سَجِسْتَان) ناحية كبيرة واسعة عمرها سَجِسْتَان بن فارس. اهـ أخبار الدُول وآثار الأول. **قوله :** (كِرْمَان) أربعة مواضع بفتح الكاف ومنهم من يكسرهما. الأول: ناحية مشهورة بين فارس وخراسان يُنسب إلى كِرْمَان بن فارس بن طهمورث، وهي بلاد واسعة الخيرات وافرة الغلات بها خشب لا تحرقه النار. ولو تُرك أيامًا، وبها معدن التوتيا تحمل منها إلى جميع الدنيا تشتمل على مدن كثيرة. والثاني: بلد بين غرس وبلاد الهند. والثالث: بلد بحجر اليمامة من ديار العرب. والرابع: كِرْمَانِيَة محلة بنيسابور. اهـ أخبار الدول وآثار الأول.

**قوله :** (إصْبَهَان) بكسر أوله وفتح الباء، ويقال: بالفاء، وأصْبَهَان أشهر بلاد الجبال. اهـ لبّ الأسباب في تحرير الأنساب. **قوله :** (فارس) ناحية مشهورة سُميت باسم فارس بن الأسور بن سام بن نوح عليه السلام. اهـ أخبار الدول وآثار الأول.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاثِنَا ثُمُودَ النَّافَةِ مُبْصِرَةً فَظَنَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ استعير المنع لترك إرسال الآيات. و«أن» الأولى مع صلتها في موضع النصب لأنها مفعول ثانٍ لـ ﴿مَنَعْنَا﴾ و«أن» الثانية مع صلتها في موضع الرفع لأنها فاعل ﴿مَنَعْنَا﴾ والتقدير: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين. والمراد بالآيات التي اقترحتها قریش من قلب الصفا ذهباً ومن إحياء الموتى وغير ذلك وسُنَّة الله في الأمم أن مَنْ اقترح منهم آية فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يُعاجل بعذاب الاستئصال. والمعنى: وما منعنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وشمود، وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل، وقد حكمنا أن نؤخر أمر مَنْ بعث إليهم إلى يوم القيامة. ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا (واحدة) وهي نافقة صالح عليه السلام، لأن آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يُبصرها صادرهم وواردهم فقال: ﴿وَأَيْنَا ثُمُودَ النَّافَةِ﴾ باقتراحهم ﴿مُبْصِرَةً﴾ (آية بيّنة) ﴿فَظَنَمُوا بِهَا﴾ فكفروا بها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ إن أراد بها الآيات فالمعنى لا نرسلها ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ من نزول العذاب العاجل (كالطليعة والمقدمة له)، فإن لم يخافوا وقع عليهم، وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفاً وإنذاراً بعذاب الآخرة وهو مفعول له.

قوله: (واحدة) مفعول ذكر. قوله: (آية بيّنة) قدر الموصوف ليُشعر بأنها من الآيات التي كذب بها الأولون، وهي منصوبة على الحال. قوله: (بيّنة) يشير إلى أن المُبصرة للنسبة بمعنى ذي بصارة.

قوله: (كالطليعة) في المصباح: الطليعة القوم يُبعثون أمام الجيش يتعرفون طلع العدو بالكسر أي خبره، والجمع طلائع. اهـ. قوله: (والمقدمة له) في المصباح: مقدّمة الجيش للذين يتقدّمون بالثقل اسم فاعل، ومقدّمة الكتاب مثله. اهـ.



﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّثْيَا الَّتِي أَرَبْتَنَا إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحِفُّهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ ﴿٦٠﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّثْيَا الَّتِي أَرَبْتَنَا إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش علماً وقدره فكلهم في قبضته، فلا تُبالِ بهم وامض لأمرك وبلغ ما أُرسلت به، أو بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله: ﴿سَيَبْرُهُمُ الْجَمْعُ﴾ (وَيُؤَلُّونَ الذُّبْرَ) ﴿٤٥﴾ [القمر: الآية ٤٥]، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُغْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ (وَيَنْسُ الْإِمَهَادُ) ﴿١٢﴾ [آل عمران: الآية ١٢]. فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على سُنَّتِهِ في إخباره، ولعل الله تعالى أراه (مصارعهم) في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر «والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» وهو يُومئ إلى الأرض ويقول: «هذا مَصْرَعُ فلان» (فتسامعت) قريشاً بما أوحى إلى رسول الله ﷺ من أمر بدر وما أُرِي في منامه من مَصَارِعِهِم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء. ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، فإنهم حين سمعوا بقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ﴾ ﴿٤٦﴾ طَعَامُ الْأَشْيَمِ ﴿٤٤﴾ [الدخان: الآية ٤٣] جعلوها سخرية قالوا: إن محمداً يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة، ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قَدَرُوا الله حَقَّ قدره إذا قالوا ذلك فإنه لا يمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار، (فوبر السمندل) - وهو دُوْبِيَّةٌ ببلاد الترك - يتخذ منه مناديل إذا اتَّسَخَتْ طُرِحَتْ في النار فذهب (الوسخ) وبقي المنديل سالماً لا تعمل فيه النار، وترى النعامة تبتلع (الجمر) فلا يضرها، وخلق في كل شجرة نازاً فلا تحرقها، فجاز أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها. والمعنى أن الآيات إنما تُرْسَلُ تخويفاً للعباد، وهؤلاء قد خُوفُوا بعذاب الدنيا

قوله: ﴿وَيُؤَلُّونَ الذُّبْرَ﴾ أي الأدبار، وإنما أفرد محافظة للفواصل على إرادة الجنس، أو لأن كلَّ أحدٍ يُولِّي دبره. اهـ كمالين. قوله: ﴿وَيَنْسُ الْإِمَهَادُ﴾ [الفراس هي. قوله: (مصارعهم) المصارع جمع مصرع وهو محل صرع فيه القتل. قوله: (فتسامعت) قريش أي سمعوه، فالتسامع ليس على بابه. قوله: (فوبر) أي صوف. قوله: (السمندل) بفتح السين والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ولام في آخره. قوله: (الوسخ) الذَّرَن. قوله: (الجمر) جمع جَمْرَةٍ من النار.

- وهو القتل يوم بدر - وخُوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم. ثم قال: ﴿وَنُفِثَهُمْ﴾ أي بمخاوف الدنيا والآخرة ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات؟ وقيل: الرؤيا هي الإسراء، والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول: كان الإسراء في المنام، ومن قال: كان في اليقظة، فسر الرؤيا بالرؤية. وإنما سماها رؤيا على قول المُكذِّبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها استبعاداً منهم كما سمى أشياء بأسمائها عند الكفرة كقوله: ﴿فَرَأَى إِلَهُ الْهِنَمِ﴾ [الصافات: الآية ٩١]. ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ [النحل: الآية ٢٧]، أو هي رؤيا أنه سيدخل مكة، والفتنة الصّد بالحدبية. فإن قلت: ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم. قلت: معناه والشجرة الملعون أكلها وهم الكفرة لأنه قال: ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقومٍ﴾ ﴿٥٢﴾ فَيَلْوَنُ مِنْهَا الْبَطُونَ ﴿٥٣﴾ فوصفت بلعن أهلها على المجاز، ولأن العرب تقول: لكل طعام مكروه ضارّ ملعون، ولأن اللعن هو الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ هو تمييز أو حال من الموصول، والعامل فيه ﴿أَسْجُدُ﴾ على أسجد له وهو طين أي أصله طين ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي﴾ الكاف لا موضع لها دُكرت للخطاب تأكيداً، هذا مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي ﴿كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أي فضلته، لِمَ كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فحذف ذلك اختصاراً لدلالة ما تقدّم عليه. ثم ابتداء فقال: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ (وبلا ياء: كوفي وشامي). واللام موطئة للقسم المحذوف ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْنِكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾ لاستأصلهنه

قوله: (وبلا ياء: كوفي وشامي) أي ابن عامر الشامي وفقاً ووصلاً اتباعاً للرسم، وقرأ نافع وأبو عمرو بزيادة ياء بعد النون في «أخترتني» عند الوصل، وحذفها في الوقف، وأثبتها ابن كثير وصلاً ووفقاً.

بِإِغْوَائِهِمْ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهم المخلصون. قيل: من كل ألف واحد. وإنما علم الملعون ذلك بالإعلام أو لأنه رأى أنه خلق شهواني.

﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَلْجَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْكَ وَرَجْلِكَ وَشَارَكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿٦٤﴾

﴿قَالَ أَذْهَبَ﴾ ليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته (خذلانًا) وتخلية. ثم عقبه بذكر ما جرّه سوء اختياره فقال: ﴿فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ والتقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل ﴿جَزَاؤُكُمْ﴾ وانتصب ﴿جَزَاءً﴾ ﴿مَوْفُورًا﴾ أي موفراً بإضمار تُجازون ﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾ استزل أو استخف استفزّه أي استخفّه والفز الخفيف. ﴿مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزمار ﴿وَأَلْجَبَ عَلَيْهِمْ﴾ اجمع (وصح) بهم من (الجلبة) وهو الصياح ﴿بِخَيْكَ وَرَجْلِكَ﴾ بكل راكب وماش من أهل (العيث)، فالخيل (الخيالة)، والرجل اسم جمع للراجل) ونظيره الركب والصحب ﴿وَرَجْلِكَ﴾ حفص على أن فعلاً بمعنى فاعل كتب وتاعب، معناه (وجمعك الرجل) وهذا لأن أقصى ما يُستطاع في طلب الأمور والخيل والرجل. وقيل: يجوز أن يكون لإبليس خيل (ورجال) ﴿وَشَارَكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ قال (الزجاج): كل معصية في مال وولد وإبليس شريكهم فيها كالربا والمكاسب

قوله: (خذلانًا) بكسر الخاء. قوله: ﴿مَوْفُورًا﴾ أي موفراً، وفي الجلالين: ﴿مَوْفُورًا﴾ وافرًا كاملاً، انتهى. أشار إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل، والفز الخفيف ضد الثقل. قوله: (وصح) بالكسر أمر من صاح يصيح صيحة. قوله: (الجلبة) بفتح الحاء. قوله: (العيث) الإفساد. اهـ مختار الصحاح. قوله: (الخيالة) - بفتح الخاء وتشديد الياء - ركبان الخيل وأصحابها. قوله: (والرجل اسم جمع للراجل) . . الخ. لا جمع لغلبة وزنه في المفردات، والراجل خلاف الفارس. قوله: ﴿وَرَجْلِكَ﴾ بكسر الجيم مع فتح الراء (حفص) والباقون بسكون الجيم. قوله: (وجمعك الرجل) أي الرجال، والرجل مفعول جمعك لأنه مصدر. قوله: (ورجال) جمع راجل. قوله: (الزجاج) هو أبو إسحق إبراهيم بن

المحرمة و(البحيرة) و(السائبة) والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس ﴿وَعِدُّهُمْ﴾ المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وإيثار العاجل على الآجل ونحو ذلك ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ هو تزيين الخطأ بما يؤهم أنه صواب.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ الصالحين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ يد بتبديل الإيمان ولكن (بتسويل) العصيان ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك أو حافظاً لهم عنك، والكل أمر تهديد فيعاقب به أو إهانة أي لا يخل ذلك بملكه.

﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ﴾ يجري ويسير ﴿لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني الربح في التجارة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ أي خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ذهب عن أوهامكم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه، أو ضلَّ من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع ﴿فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الإخلاص بعد الخلاص ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ أي الكافر ﴿كَفُورًا﴾ للنعم.

محمد ﷺ. قوله : (البحيرة) فعيلة بمعنى مفعولة، واشتقاقها من البحر، وهو الشو، واختلف فيها، فقيل : هي الناقة تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر. فيشق أذنهما فتترك فلا تُرك ولا تُحلب ولا تُطرد عن مرعى ولا ماء، وقيل غير ذلك. قوله : (السائبة) بوزن فاعلة بمعنى مستبينة مفعولة من باب ساب يسوب إذا ذهب كانوا يسبونها، أي يرسلونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء.

قوله : (بتسويل) أي بتزيين.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ﴿٦٨﴾

﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾ (الهمزة للإنكار) والفاء للعطف على محذوف تقديره: أنجوتم فأمنتم (فحملكم) ذلك على الإعراض ﴿أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ انتصب ﴿جَانِبَ﴾ بـ ﴿يُخْصِفَ﴾ مفعولاً به كالأرض في قوله: ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصر: الآية ٨١] و﴿بِكُمْ﴾ حال، والمعنى أن يخسف جانب البر أي يقلبه (وأنتم عليه)، والحاصل أن الجوانب كلها في قدرته سواء، وله في كل جانب برأ كان أو بحرًا سبب من أسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصاً به، بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر الخسف، وهو تغييب تحت التراب والغرق تغييب تحت الماء، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ هي الرياح التي تحصب أي (ترمي بالحصباء) يعني أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يصرف ذلك عنكم.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ نَبِيًّا﴾ ﴿٦٩﴾

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي أم أمنتم أن يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم ﴿قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ وهي الرياح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد أو هو الكاسر للفلك ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفرانكم النعمة هو

قوله: (الهمزة للإنكار) بمعنى أنه لا ينبغي إلا من. قوله: (فحملكم)... الخ. إشارة إلى أن الفاء تفيد سببية لما قبله، كما تقول: تأهب الشتاء فقد دنى وقته فهو معطوف عليه، والجملة معترضة. اهـ شهاب.

قوله: (وأنتم عليه) معنى بكم؛ لأن الباء للملابسة حال من جانب البر، أي مصحوبًا بكم، قوله: وأنتم عليه حاصل المعنى. اهـ قنوي. قوله: (ترمي بالحصباء) وهي الحجارة الصغار.

إِعْرَاضِكُمْ حِينَ نَجَاكُمْ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عَيْنًا يَهْتَبِعَا﴾ (مطالبًا) من قوله ﴿فَأَنبَأَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: الآية ١٧٨] أي مطالبة، والمعنى إنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا أحدًا يطالبنا بما فعلنا انتصارًا منا ودرَكًا (للثأر) من جهتنا وهذا نحو قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: الآية ١٦] «أَنْ نَخْشَفَ» «أَوْ نَرْسَلَ» «أَنْ نَعِيدَكُمْ» «فَنَرْسَلَ» «فَنَفْرَقَكُمْ» بالنون مكِّي وأبو عمرو.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠)

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الأشياء وتناول الطعام بالأيدي. وعن (الرشيد) أنه أحضر طعامًا فدعا (بالملاعق) - وعنده

**قوله :** (مطالبًا) ففعل بمعنى مفاعل . **قوله :** (للثأر) وهو طلب الدم . **قوله :** ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ تعالى ﴿عُقْبَاهَا﴾ تبعتها كما يخاف الملوك عاقبة ما يفعله . اهـ . جلالين مع الكمالين . وفي الجمالين : قوله تبعتها أي عاقبة الدمدمة أو عاقبة هلاك ثمود ، فيبقي بعض الإبقاء . اهـ . **قوله :** «أَنْ نَخْشَفَ» «أَوْ نَرْسَلَ» «أَنْ نَعِيدَكُمْ» «فَنَرْسَلَ» «فَنَفْرَقَكُمْ» بالنون) في الأفعال الخمسة (مكِّي) أي ابن كثير المكِّي (وأبو عمرو) البصري ، والباقون بالياء .

**قوله :** (الرشيد) هارون أبو جعفر ابن المهدي محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، استُخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقية من ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وكان أبيض طويلًا جميلًا مليحًا فصيحًا له نظر في العلم والأدب . وكان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعلّة ويتصدق من صُلب ماله كل يوم بألف درهم ، وكان يحب العلم وأهله ويعظم حرّات الإسلام ويبغض المرء في الدين والكلام في معارضة النصّ ، ومات في الغزو بطوس من خراسان ، ودُفن بها في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وله خمس وأربعون سنة ، وصلى عليه ابنه صالح . اهـ تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي بالتقاط . **قوله :** (بالملاعق) الملعقة - بكسر الميم - آلة معروفة ، والجمع الملاعق . اهـ مصباح .

(أبو يوسف) رحمه الله تعالى - فقال له: جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردّها وأكل بأصابعه ﴿وَحَلَلْنَاهُمْ فِي أَلْبَرٍ﴾ على الدواب ﴿وَالْبَحْرَ﴾ على السفن ﴿وَوَرَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيْنِ﴾ باللذيزات أو بما كسبت أيديهم ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ أي على الكل كقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ [الشعراء: الآية ٢٢٣] قال (الحسن): أي كلهم، وقوله: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [يونس: الآية ٣٦] ذكر في الكشف أن المراد بالأكثر الجميع. وعنه عليه السلام: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة»، وهذا لأنهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة، وفي البهائم شهوة بلا عقل، وفي الآدمي كلاهما، فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم، ولأنه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابُهُ بِمِيزَانِهِ فَاُولَٰئِكَ يَفْرَوْنَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٧١)

﴿يَوْمَ نَدْعُوا﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ الباء للحال والتقدير مختلطين بإمامهم أي (بمن ائتموا به) من نبي، أو مقدّم في الدين أو كتاب أو دين فيقال: يا أتباع فلان، يا أهل دين كذا أو كتاب كذا. وقيل: بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر ﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ من هؤلاء المدعوين ﴿كِتَابُهُ بِمِيزَانِهِ فَاُولَٰئِكَ يَفْرَوْنَ كِتَابَهُمْ﴾ وإنما قيل أولئك لأن «من» في معنى الجمع ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء). ولم يذكر الكفار

قوله: (أبو يوسف) يعقوب بن إبراهيم الأنصاري صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وكانت ولادة أبو يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة، وتوفي يوم الخميس أول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد. (الحسن) البصري، كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، توفي بالبصرة مستهلّ رجب سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (بمن ائتموا به) أي بمن اقتدوا به. قوله: (ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء) يعني أن المراد من المظلومية المنفية نقص ما يستحقّونه من الثواب

وإيتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله :

﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۖ﴾ (٧٢)

﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ كذلك ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ من الأعمى أي أضل طريقًا، والأعمى مُستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة، أما في الدنيا فلقد فقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه. (وقد جؤزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل) بدليل عطف ﴿وَأَضَلُّ﴾ ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول مُمالًا والثاني مَفْحَمًا، لأن أفعال التفضيل تمامه بـ «من» فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلا يقبل الإمالة وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف فقبلت الإمالة، وأمالهما حمزة وعلي وفخَّمهما الباقون.

ولما قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك نزل:

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَٰنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرٌ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ۖ﴾ (٧٣)

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ «إن» مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية، والمعنى (إن الشأن قاربوا) أن يفتنوك أي يخدعوك فاتنين ﴿عَنِ الَّذِي أُوحِيَٰنَا﴾

الموعود بإزاء عملهم وأن الفتيل مستعار للشيء التافه الحقيق، وهو في الأصل اسم للقشرة الرقيقة التي تكون على ظهر النواة، وسُميت فتيلًا لأنه إذا أراد الإنسان استخراجها انفطلت، وقيل: الفتيل هو الوسخ الذي يفتله الإنسان بين سبابه وإبهامه، وهو فعيل بمعنى مفعول.

قوله: (وقد جؤزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل) يعني قيل: إن لفظ أعمى في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ ليس أفعال التي للصفة، بل هي صيغة التفضيل بمعنى أشد عمى.

قوله: (إن الشأن) إشارة إلى أن اسمها ضمير شأن مقدر. قوله: (قاربوا) بمعنى كادوا.



إِلَيْكَ ﴿٧٤﴾ من أوامرنا ونواهيها ووعدنا وعيدنا ﴿لَفَقَرَىٰ عَلَيْنَا غَيْرَةً﴾ لتتقوّل علينا ما لم نقل يعني ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدًا والوعيد وعدًا ﴿وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا﴾ (أي: ولو اتبعت مرادهم) لاتخذوك خليلًا ولكنك لهم وليًا وخرجت من ولايتي.

﴿وَلَوْلَا أَن تُنِيتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٥﴾ إِذَا لَا ذَقْنَكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ﴿٧٦﴾

﴿وَلَوْلَا أَن تُنِيتَكَ﴾ ولولا (تثبتنا) وعصمتنا ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ لقاربت (أن تميل) إلى مكرهم ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ركونا قليلاً، وهذا تهيج من الله له وفضل تثبت ﴿إِذَا﴾ لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة ﴿لَا ذَقْنَكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظيم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ فَيُحِشِرُهُ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٠] (الآية). وأصل الكلام لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان: عذاب في الممات وهو عذاب القبر، وعذاب في الآخرة وهو عذاب النار. والعذاب يُوصَفُ بالضَّعْفِ كقوله: ﴿فَقَاتِلْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: الآية ٣٨] أي مضاعفًا فكأنه أصل الكلام لأذقناك عذابًا ضِعْفًا في الحياة وعذابًا ضِعْفًا في الممات، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف، ثم أُضيفت الصفة إضافة الموصوف ف قيل: ضعف الحياة وضعف الممات. ويجوز أن يُراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا، وبضعف الممات مما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار. وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب

قوله: (أي: ولو اتبعت مرادهم) إشارة إلى أن إذا حرف جواب وجزاء، فأقام أداة الشرط مقامها دليلاً على تضمينها معنى المجازاة، وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُوكَ﴾ جواب قسم مقدّر تقديره: إذن والله لاتخذوك، وليس مراد المصنّف أن كلمة لو مقدّرة في النظم ﴿وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ﴾ جواب لها؛ إذ لا حاجة إلى تقديرها، وإنما المراد تفسير المعنى وهو لا يُوجِبُهُ الإعراب.

قوله: (تثبتنا) إشارة إلى أن المصدرية. قوله: (أن تميل) تفسير للركون. قوله: (الآية) أي مبنية يضاعف لها العذاب ﴿ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

المضاعف في الدارين دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله، ولما نزلت كان عليه السلام يقول: «اللَّهُمَّ (لا تكلني) إلى نفسي (طرفة عين)». ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مُعِينًا لَكَ يَمْنَعُ عَذَابَنَا عَنْكَ.

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

﴿وَإِنْ كَادُوا﴾ أي أهل مكة ﴿لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾ ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ من أرض مكة ﴿لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ﴾ لا يبقون ﴿«خَلْفَكَ»﴾ بعدك أي بعد إخراجك ﴿«خَلْفَكَ»﴾ كوفي غير أبي بكر وشامي بمعناه ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ زمانًا قليلًا فإن الله مهلكهم وكان كما قال، فقد أهلكوا بدر بعد إخراجهم

قوله: ﴿لا تكلني﴾ من الوكول من باب ضرب، أي لا تسلمني ولا تفوضني بترك الفضل والتوفيق. قوله: (طرفة عين) لحظة ولمحة.

قوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا﴾ أي أهل مكة ﴿لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾ أي وأن الشأن قرب أهل مكة ليزعجونك من أرض مكة على أن مخففة واللام فارقة، والاستفزاز هو الإزعاج بسرعة جعل اسم كاد مشركي مكة، وحمل الأرض على أرض مكة، على ما قاله مجاهد وقتادة؛ لأن الآية مكية وما قبلها إخبار عن أحوال مكة، يعني هم المشركون أن يخرجوه من مكة، فكفهم الله تعالى عنه وأمره عليه الصلاة والسلام بالهجرة فخرج بنفسه، فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَةٍ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ [محمد: الآية ١٣] يعني أهلها، وهو صريح في أنهم أخرجوه، وذكر ههنا: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ فكيف الجمع بينهما على قول من قال: المراد بالأرض ههنا مكة؟ أجيب بأن قوله: ﴿أَخْرَجْنَاكَ﴾ [محمد: الآية ١٣] من قبيل إسناد الحكم إلى سببه، فإنهم هموا بإخراجه عليه الصلاة والسلام منها إلا أنه عليه الصلاة والسلام ما خرج بإخراجهم، وإنما خرج بأمر الله تعالى، فزال التناقض. قوله: ﴿«خَلْفَكَ»﴾ بفتح الخاء وإسكان اللام بلا ألف نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر، (بعدك، أي بعد إخراجك) ﴿«خَلْفَكَ»﴾ بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها (كوفي غير أبي بكر) أي حفص وحزمة والكسائي (وشامي) ابن عامر الشامي (بمعناه) أي هما بمعنى.

بقليل ، أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا (عن بكرة أبيهم) ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربّه . وقيل : من أرض العرب أو من أرض المدينة ﴿سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا﴾ يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسُنَّة الله أن يُهْلِكهم ، ونصبت نصب المصدر المؤكد أي سنّ الله ذلك سُنَّة ﴿وَلَا تَحْدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تبديلاً .

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨)

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ لزوالها . وعلى هذه الآية جامعة للصلوات الخمس ، أو لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ هو الظلمة هو وقت صلاة العشاء ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الفجر سُمِّيت قرآناً وهو القراءة لكونها ركناً كما سُمِّيت ركوعاً وسجوداً ، وهو حجة على (الأصم) حيث زعم أن القراءة ليست بركن ، أو سُمِّيت قرآناً لطول قراءتها وهو عطف على ﴿الصَّلَاةِ﴾ ، ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار ، أو يشهده الكثير من المصلّين في العادة .

قوله : (عن بكرة أبيهم) بفتح الباء وسكون الكاف ، وهي التي يستقى عليها الماء ، وهذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفير العدد ، أي لم يبق منهم أحد .

قوله : (الأصم) هو أبو عبد الرحمن حاتم<sup>(١)</sup> بن علوان هو من قدماء المشائخ بخراسان من أهل بلخ صحب شقيقاً البلخي وهو أستاذ أحمد بن خضرويه ، مات بواشجرد سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ودُفن عند رباط يقال له سروند على جبل فوق واشجرد . اهـ طبقات شعراني رحمه الله . وفي الرسالة القشيرية : قيل : لم يكن أصم وإنما تصامم مرّة فسُمِّي به سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول : جاءت امرأة فسألت حاتمًا عن مسألة فاتفق أنه خرج منها في

(١) حاتم بن علوان . ويقال : حاتم بن يوسف الأصم . اهـ الرسالة القشيرية . ١٢ منه رحمه الله .

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ. نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧٩)

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ وعليك (بعض الليل) ﴿فَتَهَجَّدْ﴾ (والتهجد ترك الهجود) للصلاة (ويقال في النوم أيضًا: تهجد) ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس، وضع ﴿نَافِلَةً﴾ موضع «تهجدًا» لأن التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد، والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوع لهم ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ نصب على الظرف أي عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقامًا محمودًا، أو ضمن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة عند الجمهور، ويدل عليه الأخبار أو هو مقام يُعطى فيه لواء الحمد.

﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ (٨٠)  
﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١)

﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ (هو مصدر) أي ادخليني القبر إدخالًا مرضيًا على طهارة من الزلات ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ أي أخرجني منه عند البعث إخراجًا مرضيًا (ملقى بالكرامة) آمنًا من الملامة، دليله ذكره على أثر ذكر البعث. وقيل: نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة، أو هو عام في كل ما يدخل فيه ويلا بسه من أمر ومكان ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ حجة

تلك الحالة صوت فخرجت، فقال حاتم: ارفعي صوتك، فأرى من نفسه أنه أصم فسُرت المرأة بذلك، وقالت إنه لم يسمع الصوت، فغلب عليه اسم الصمم. اهـ.

قوله: (بعض الليل) إشارة إلى أن من تبعية. قوله: (والتهجد ترك الهجود) بالضم أصل معناه النوم والتفعل للسلب كئاتم بمعنى ترك الإثم. قوله: (ويقال في النوم أيضًا: تهجد) عبارة حاشية تفسر البضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: وقيل: الهجود من الأضداد يكون بمعنى اليقظة والنوم. اهـ.

قوله: (هو مصدر) ميمي. قوله: (ملقى بالكرامة) أي بإكرام الله والملائكة عليهم الصلاة والسلام.

تَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي أَوْ مُلْكًا وَعِزًّا قَوِيًّا نَاصِرًا لِلْإِسْلَامِ عَلَى الْكُفْرِ مُظْهِرًا لَهُ عَلَيْهِ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الْإِسْلَامُ ﴿وَزَهَقَ﴾ وَذَهَبَ وَهَلَكَ ﴿الْبَاطِلُ﴾ الشُّرْكُ أَوْ جَاءَ الْقُرْآنُ وَهَلَكَ الشَّيْطَانُ ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ كَانَ مُضْمَحَلًّا فِي كُلِّ أَوَانٍ.

﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بَغْيَانَةً وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكْرَةٍ فَرِيقُكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

﴿وَنُزِّلُ﴾ (وبالتخفيف): أَبُو عَمْرٍو ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ («من» للتبيين) ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ وَتَفْرِيجٌ لِلْكُرُوبِ وَتَطْهِيرٌ لِلْعُيُوبِ وَتَكْفِيرٌ لِلذُّنُوبِ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَفِي الْحَدِيثِ «مَنْ لَمْ يَشْتَشِفْ بِالْقُرْآنِ فَلَا شِفَاءَ لَهُ» ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ ضَلَالًا لِتَكْذِيبِهِمْ بِهِ وَكَفَرِهِمْ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بِالصَّحَّةِ وَالسَّعَةِ ﴿أَعْرَضَ﴾ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْ أَنْعَمْنَا بِالْقُرْآنِ أَعْرَضَ ﴿وَنَا بَغْيَانَةً﴾ تَأْكِيدٌ لِلْإِعْرَاضِ لِأَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنِ الشَّيْءِ أَنْ يُوَلِّيَهُ عَرْضَ وَجْهِهِ وَالنَّأْيَ بِالْجَانِبِ أَيْ يَلُوي عَنْهُ (عَظْفُهُ) وَيُوَلِّيهِ ظَهْرَهُ، أَوْ أَرَادَ الْاسْتِكْبَارَ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَادَةِ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿وَنَا﴾ بِالْإِمَالَةِ حِمْزَةٌ (وَبَكْسَرِهَا عَلِي) ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الْفَقْرُ وَالْمَرَضُ (أَوْ نَازِلَةٌ) مِنَ النَّوَازِلِ ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾ شَدِيدُ الْيَأْسِ

قوله: (وبالتخفيف) أي بإسكان النون وتخفيف الزاي، أبو عمرو البصري، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. قوله: («من» للتبيين) فإن قيل: من البيانية لا بد أن يتقدمها ما يحتاج إلى البيان لا أن تُقَدِّمَ هي عليه، وهاهنا قد تقدمت عليه، فكيف تكون بيانية؟ فالجواب: أن المبيِّن لا يجب تقدمه لفظًا، بل يكفي تقدمه رتبة وهو حاصل هاهنا، فإن قوله: من القرآن، بيان لمفعول ﴿وَنُزِّلُ﴾، وهو قوله: ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾، وحال منه كما أنَّ ﴿مِنَ الْأَوْتَانِ﴾ [الحج: الآية ٣٠] في قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾ [الحج: الآية ٣٠] من الأوثان حال من الرجس وبيان له، وذو الحال متقدم من حيث الرتبة على الحال. قوله: (عظفه) بكسر العين أي جانبه.

قوله: ﴿وَنَا﴾ بفتح النون (بالإمالة) أي إمالة الهمزة مثل رمي حمزة (وبكسرهما) أي بكسر النون (علي) الباقون بفتحيتين كَرَمَى. قوله: (أو نازلة) في

من (روح الله) ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ أي كل أحد ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَتِهِ﴾ على مذهبه وطريقته التي تُشاكِل حاله في الهدى والضلال ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ أسد مذهباً وطريقة.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥)

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي من أمر يعلمه ربي، الجمهور على أنه الروح الذي في الحيوان، سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي مما استأثر بعلمه. وعن (أبي هريرة): لقد مضى النبي ﷺ وما يعلم الروح، وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد اتفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه. والحكمة في ذلك تعجيز العقل من إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على أنه عن إدراك خالقه أعجز، ولذا رد ما قيل في حده أنه جسم دقيق هوائي في كل جزء من الحيوان. وقيل: هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو جبريل عليه السلام: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٣) ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: الآيتان ١٩٣، ١٩٤]. وعن الحسن: القرآن دليله. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: الآية ٥٢]، ولأن به حياة القلوب ﴿وَمِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر. وزوي أن اليهود

المصباح: النازلة المصيبة الشديدة تنزل بالناس. اهـ. قوله: (روح الله) بفتح الراء بمعنى رحمة.

قوله: (أبي هريرة) الدوسي الصحابي الجليل حافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه، قيل: عبد الرحمن بن صخر، وقيل: ابن غنم، وقيل: عبد الله بن عائذ، وقيل: ابن عامر، وقيل: ابن عمرو، وقيل: سكين بن رزمة، وقيل: ابن هانيء، وقيل: ثرمل، وقيل: ابن صخر، وقيل: عامر بن عبد شمس، وقيل: ابن عمير، وقيل: يزيد بن عسرة، وقيل: عبد نهم، وقيل: عبد شمس، وقيل: غنم، وقيل: عبيد بن غنم، وقيل: عمرو بن غنم، وقيل: ابن عامر، وقيل: سعيد بن الحارث هذا الذي وقفنا عليه من الاختلاف في ذلك، ويقطع بأن عبد شمس وعبد نهم غيره بعد أن أسلم واختلف في أيها أرجح؛ فذهب الأكثرون إلى الأول، وذهب جمع من النسابين إلى عمرو بن عامر مات سنة سبع. وقيل: سنة ثمان،

بعثت إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح، فإن أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي، فبيّن لهم القصتين وأبهم أمر الروح (وهو مبهم) في التوراة فندموا على سؤالهم. وقيل: كان السؤال عن خلق الروح يعني أهو مخلوق أم لا. وقوله: ﴿مَنْ أَمَرَ رَبِّي﴾ دليل خلق الروح فكان هذا جواباً ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الخطاب عام فقد روي أن رسول الله ﷺ لما قال لهم ذلك قالوا: نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال: «بل نحن وأنتم لم نُؤْت من العلم إلا قليلاً»، وقيل: هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي ﷺ: قد أُوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩]، فقيل لهم: إن علم التوراة قليل في جنب علم الله. فالقلة والكثرة من الأمور الإضافية، فالحكمة التي أُوتِيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أُضيفت إلى علم الله تعالى فهي قليلة. ثم نبّه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على أذى الجدل في السؤال بقوله:

﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ (٨٦) ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ (٨٧)

﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، ﴿لَنُدْهَبَنَّ﴾ جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط. واللام الداخلة على «إن» توطئة للقسم، والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحواه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرًا ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظًا مسطورًا ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ (٨٧) أي إلا إن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد، أو يكون على الاستثناء المنقطع أي ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهب به، وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظًا بعد المئة العظيمة في تنزيله وتحفيظه ونزل جواباً لقول النضر: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأفال: الآية ٢١].

وقيل: تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة. اهـ تقريب التهذيب. قوله: (وهو مبهم) أي غير مبين في التوراة يشير إلى أن عدم بيانه لا ينافي النبوة.

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٨٨﴾

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٨٨﴾ مُعِينًا وَلَا يَأْتُونَ ﴿جواب قسم محذوف، (ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابًا للشرط كقوله:

يقول لا غائب مالي ولا حرم)

لأن الشرط وقع ماضيًا أي لو (تظاهروا) على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحُسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الإتيان بمثله.

قوله: (ولولا اللام الموطئة) فإن القسم مقدّر معها. قوله: (لجاء أن يكون) قوله: ﴿لَا يَأْتُونَ﴾ (جوابًا للشرط) غير مجزوم بناءً على أن حرف الشرط إذا لم يعمل فيما هو أقرب منه فلاّن لا يعمل في الأبعد أولى كما في البيت، فإنه رفع يقول فيه مع أنه جواب الشرط لما ذكرنا. قوله: (كقوله) أي زهير بن أبي سلمى<sup>(١)</sup> بن رباح المزني الشاعر المشهور:

(يقول لا غائب مالي ولا حرم)

أوله:

وإن أتاه خليل يوم مسألة

يمدح به هَرَمَ بن سنان المرّي أحد أمراء العرب في الجاهلية، والخليل الفقير من الخلّة - بالفتح - أي الحاجة أو الحبيب من الخلّة - بالضم - يوم مسألة أي يوم يسأل الناس فيه لقحطهم، وفي رواية: يوم مسغبة أي جوع، والمال واحد يقول: أي هَرَمَ بن سنان بالرفع وهو محل الاستشهاد، والحرَم بكسر الراء كحذر صفة مشبهة من الحرمان، والمعنى إن سأله سائل لم يتعلّل بل أعطاه وأغناه، والمناسب أن يجعل المصدر بمعنى المفعول، أي لا غائب مالي ولا محروم من حرمة المال إذا جعلته ممنوعًا عنه. قوله: (تظاهروا) بمعنى اجتمعوا وتعاونوا.

(١) بضم السين وليس في العرب سلمى بالضم غيره. ١٢ منه كقوله.



﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٨٩)

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ رددنا وكررنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا. (وإنما جاز) ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ولم يجز «ضربت إلا زيدًا» لأنَّ أباي مُتَأَوَّل بالنفي كأنه قيل: فلم يرضوا إلا كفورًا. ولما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الآخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير.

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٌ فَتَفْجِرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالِهَةٍ وَلَمَّا تَكُنْ قَبِيلًا﴾ (٩٢)

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾ (وبالتخفيف: كوفي) ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي مكة ﴿يَنْبُوعًا﴾ عينًا (غزيرة) من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع، يفعل من نبع الماء ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٌ فَتَفْجِرَ﴾ (والتشديد هنا مجمع عليه) ﴿الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾ (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ (بفتح السين: مدني وعاصم). أي قطعًا يقال: أعطني كسفة من هذا الثوب. وبسكون

قوله: (وإنما جاز)... الخ. يعني أن قوله: ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ مستثنى مفرغ في الكلام الموجب، وقد تقرّر أن عدم ذكر المستثنى منه إنما يجوز في غير الموجب لفساد المعنى، فكان القياس أن لا يجوز أن يقال: أبى أكثر الناس إلا كفورًا، إلا أنه جاز من حيث إن قوله: أبى أكثر الناس في قوة لم يفعلوا ولم يرضوا إلا كفورًا.

قوله: (وبالتخفيف) أي بفتح التاء وسكون الفاء وضّم الجيم مخففة مضارع فجر الأرض شقها (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي، والباقون بضمّ التاء وفتح الفاء وكسر الجيم مشددة مضارع فجر للتكثير. قوله: (غزيرة) كثيرة الماء. اهـ مصباح. قوله: (والتشديد هنا مجمع عليه) للتصريح بمصدرها. قوله: (بفتح السين: مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني (وعاصم) وكذا ابن ذكوان<sup>(١)</sup>

(١) يروي عن ابن عامر كما يروي عنه هشام بن عمار. ١٢ منه بفتح.

السين: غيرهما (جمع كسفة كسدره وسدر) يعنون قوله: ﴿إِنْ شَأْنُ نَخِيفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ تُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [سبأ: الآية ٩٩]، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ كقبلاً بما تقول شاهداً بصحته، (والمعنى: أو تأتي بالله قبيلًا وبالملائكة قبلاً كقوله: «كنت منه ووالدي بريئاً» أو مقابلاً) كالعشير بمعنى المعاشر ونحو: ﴿لَوْ لَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ [الفرقان: الآية ٢١]، أو جماعة حالاً من الملائكة.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرْفٍ أَوْ تَرْفٍ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَذَا كُنتُ إِلَّا شَرًّا رَسُولًا﴾ (٩٣)

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرْفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْفٍ فِي السَّمَاءِ﴾ تصعد إليها ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ﴾ لأجل رفقك ﴿حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ (وبالتخفيف: أبو عمرو) ﴿كِتَابًا﴾ أي من السماء فيه تصديقك ﴿نَقْرُؤُهُ﴾ صفة كتاب ﴿قُلْ﴾ (قَالَ) مكي وشامي

جمع كسفة كقطعة وقطع. قوله: (جمع كسفة) أيضاً (كسدره وسدر). قوله: (والمعنى: أو تأتي بالله قبيلًا وبالملائكة قبلاً) بضمّتين جمع قبيل بمعنى كفلاء وشهداء، فهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها، أي والملائكة قبلاً؛ (كقوله: كنت منه ووالدي بريئاً) أي كما حذف الخبر في قول الفرزدق:

رمانى بأمرٍ كنت منه ووالدي بريئاً ومن جُول الطَّوِي رمانى

الجول<sup>(١)</sup> - بضم الجيم - جدار البئر. قال أبو عبيدة: وهو كل ناحية من نواحي البئر من أعلاها إلى أسفلها، وفي المثل: رمانى من جُول الطَّوِي، أي رمانى بما هو راجع إليه. قوله: (أو مقابلاً) والمعنى: أو تأتي بالله مقابلاً وبالملائكة مقابلين.

قوله: (وبالتخفيف أبو عمرو) ويعقوب، الآخرون بالتشديد. اهـ تفسير النيسابوري. قوله: ﴿قَالَ﴾ بصيغة الماضي (مكي) أي ابن كثير المكي (وشامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون: ﴿قُلْ﴾ بصيغة الأمر من الله تعالى لنبيه ﷺ.

(١) البئر من داخل. ١٢ منه كقوله.

أي قال الرسول: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب من اقتراحاتهم عليه ﴿هَذَا كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ أي أنا رسول كسائر الرُّسُل بشر مثلهم. وكان الرُّسُل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إليّ إنما هو إلى الله، فما بالكم تتخيرونها عليّ.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشِّوْنَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ يعني أهل مكة، ومحل ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ نصب بأنه مفعول ثانٍ لـ ﴿مَنَعَ﴾ ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ النبي والقرآن ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ فاعل ﴿مَنَعَ﴾ والتقدير: وما منعهم الإيمان بالقرآن ونبوة محمد ﷺ إلا قولهم ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ أي إلا شبهة تمكنت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر، والهمزة في ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ﴾ للإنكار (وما أنكروه ففي قضية حكمته منكر).

ثم ردّ الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشِّوْنَ﴾ على أقدامهم كما يمشي الإنس، ولا يطَّيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ حال أي ساكنين في الأرض قارين ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ يعلمهم الخير ويهديهم المرشد، فأما الإنس فإنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم و﴿بَشَرًا﴾ و﴿مَلَكًا﴾ حالان من ﴿رَسُولًا﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أنني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتهم وعاندتم ﴿شَهِيدًا﴾ تمييز أو حال ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ﴾ المنذرين والمنذرين ﴿خَبِيرًا﴾ عالمًا بأحوالهم ﴿بَصِيرًا﴾ بأفعالهم فهو مجازيهم وهذه تسليّة لرسول الله عليه السلام ووعد للكفرة.

قوله: (وما أنكروه، ففي قضية حكمته منكر) عبارة تفسير الكشاف: وما أنكروه، فخلافه هو المنكر عند الله؛ لأن قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء. اهـ.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا ۖ إِنَّهُمْ ضَالُّوا وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَهُوَ ضَالٌّ كَلِمًا خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٩٧)

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ (وبالياء: يعقوب وسهل، وافقهما أبو عمرو)، (ومدني في الوصل) أي مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِقَبُولِ مَا كَانَ مِنَ الْهُدَى فَهُوَ الْمُهْتَدِي عِنْدَ اللَّهِ ﴿وَمَنْ يُضِلِّ﴾ أي وَمَنْ يَخْذِلْهُ وَلَمْ يَعِصْهُ حَتَّى قَبِلَ وَسَاوِسَ الشَّيْطَانِ ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي أَنْصَارًا ﴿وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ﴾ أي (يُسْحَبُونَ) عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ﴾ [القمر: الآية ٤٨]، (وقيل لرسول الله عليه الصلاة والسلام): كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إِنْ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمَشِّيَهُمْ عَلَى وَجُوهِهِمْ» ﴿عُمِيًّا وَبُكْمًا وَضُمًّا﴾ كما كانوا في الدنيا لَا يَسْتَبْصِرُونَ وَلَا يَنْطِقُونَ بِالْحَقِّ وَيَتَصَامُونَ عَنْ اسْتِمَاعِهِ، فَهُمْ فِي الْآخِرَةِ كَذَلِكَ لَا يُبْصِرُونَ مَا يَقَرُّ أَعْيُنُهُمْ وَلَا يَسْمَعُونَ مَا يَلِدُّ مَسَامِعَهُمْ وَلَا يَنْطِقُونَ بِمَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كَلِمًا خَبَتْ طَفَىءٌ لَهَا﴾ ﴿زِدْنَهُمْ سَعِيرًا﴾ (توقدا).

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٩٨)

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٩٨) أي ذَلِكَ الْعَذَابُ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ كَذَبُوا بِالْإِعَادَةِ بَعْدَ الْإِفْنَاءِ فَجَعَلَ اللَّهُ جَزَاءَهُمْ أَنْ سَلَّطَ النَّارَ عَلَى أَجْزَائِهِمْ تَأْكُلُهَا ثُمَّ تُعِيدُهَا، لَا يَزَالُونَ عَلَى ذَلِكَ لِيَزِيدَ فِي تَحْشَرِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمُ الْبَعْثَ.

قوله: (وبالياء) بعد الدال في الحالين (يعقوب) بن إسحاق (وسهل) بن محمد وليس من السبعة، (وافقهما أبو عمرو) البصري (ومدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة (في الوصل) دون الوقف والباقون بحذف الياء وقفًا ووصلًا. قوله: (يُسْحَبُونَ) يُجَرَّوْنَ. قوله: (وقيل لرسول الله ﷺ) ... الخ. حديث صحيح، ووقع في البخاري بمعناه عن أنس رضي الله تعالى عنه، والمشي على الوجه هو الزحف منكسًا. قوله: (توقدا) إشارة إلى أن السعير مصدر بمعنى التسعير، وهو التوقد والتلهب كالنذير والتكثير بمعنى الإنذار والإنكار.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۝٩٩﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ۝١٠٠﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ (أو لم يعلموا) ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ من الإنس ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو الموت أو القيامة ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا مع وضوح الدليل ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ تقديره: لو تملكون أنتم لأن «لو» تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها فأضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل - وهو الواو - ضمير منفصل - وهو أنتم - لسقوط ما يتصل به من اللفظ ف ﴿أَنْتُمْ﴾ فاعل الفعل المضمر و ﴿تَمْلِكُونَ﴾ تفسيره، وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب. وأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن ﴿أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشَّح المُتَبَالِغ ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ رزقه وسائر نعمه على خلقه ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ أي (لبخلتم) خشية أن يفنيه الإنفاق ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ بخيلًا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ بِمُوسَى مَسْحُورًا ۝١٠١﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم (والحجر) والبحر والطور الذي

قوله: (أو لم يعلموا) إشارة إلى أن رأى هنا علمية؛ لأنه المناسب. قوله: (لبخلتم) إشارة إلى أن أمسكتم لا يقدر له مفعول ويجعل لازماً لتضمنه معنى بخلتم. ويجوز أن يجعل متعدياً ويقدر له مفعول أي ﴿لَأَمْسَكْتُمْ﴾ المال والخيرات التي ملكتموها إلا أنه لما حصل المقصود بدون التقدير استغنى عنه، و ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ مفعول له لقوله: «أمسكتم».

قوله: (والحجر) قيل: كان الرجل منهم مع أهله في الفراش، وقد صاراً حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجراً، وزُوي أن عمر بن عبد العزيز سأل

(ننقه) على بني إسرائيل. وعن الحسن: الطوفان و (السنون) ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور ﴿فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فقلنا له أسأل بني إسرائيل أي سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني إسرائيل. وقوله: ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ متعلق بقوله المحذوف أي فقلنا لهم سلهم حين جاءهم ﴿فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ سَجَرْتُ فخلوط عقلك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوعُوثُ مَثْبُورًا﴾ ﴿١٠٢﴾

﴿قَالَ﴾ أي موسى ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون ﴿مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما ﴿بَصَائِرُ﴾ حال أي بينات مكشوفات إلا أنك مُعَانِد ونحوه ﴿وَجَمَّوْا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُْلُورًا﴾ [النمر: الآية ١٤]. ﴿عَلِمْتَ﴾ بالضم: (علي) أي إني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الأمر، وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض. (ثم قارع ظنه بظنه) بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوعُوثُ مَثْبُورًا﴾ كأنه قال: إن ظننتني مسحورًا فأنا أظنك مثبورًا هالكًا وظني أصح من ظنك لأن له أمانة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته ومكبرتك لآيات الله بعد وضوحها، وأما ظنك (فكذب بحت)، لأن قولك مع علمك بصحة أمري ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ قول كذب. وقال (الفراء): مثبورًا مصروفًا عن الخير من قولهم: «ما تبرك عن هذا» أي ما منعك وصرفك؟

محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس، فقال عمر: هذا يجب أن يكون الفقيه، ثم قال: يا غلام أخرج ذلك الجراب، فأخرجه فإذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وبصل وعدس كلها حجارة. اهـ خازن. قوله: (ننقه) أي رفعه من أصله. قوله: (السنون) أي القحط.

قوله: ﴿عَلِمْتَ﴾ (بضم التاء مسندًا لضمير موسى (علي) الكسائي، والباقون بالفتح على جعل الضمير للمخاطب، وهو فرعون. قوله: (ثم قارع ظنه بظنه) أي قابله به لدفعه كما يتقابل المتقارعان بالرماح، فهو استعارة. قوله: (فكذب بحت) بفتح الباء الموحدة والحاء المهملة والتاء الفوقية، أي خالص لا يطاق واقعا ولا اعتقادا ولا أمانة عليه، وإنما سمي ظنًا لتعبيره به. اهـ شهاب. قوله: (الفراء) هو

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ ﴿١٠٣﴾ وَقُنَّا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَتَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾ يُخْرِجُهُمْ أَي مُوسَى وَقَوْمَهُ ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أَي أَرْضَ مِصْرَ أَوْ يَنْفِيهِمْ عَنْ ظَهْرِ الْأَرْضِ بِالْقَتْلِ وَالِاسْتِثْصَالِ ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ فَحَاقَ بِهِ مَكْرُهُ بِأَنْ اسْتَفْزَهُ اللَّهُ بِإِغْرَاقِهِ مَعَ قَبْطِهِ ﴿وَقُنَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ مِنْ بَعْدِ فِرْعَوْنَ ﴿لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَتَسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ الَّتِي أَرَادَ فِرْعَوْنَ أَنْ يَسْتَفْزِكَ مِنْهَا. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أَي الْقِيَامَةِ ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ جَمْعًا مُخْتَلِطِينَ إِيَّاكُمْ وَإِيَاهُمْ ثُمَّ نَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَنُمَيِّزُ بَيْنَ سَعْدَانِكُمْ وَأَشْقِيَانِكُمْ. وَاللَّفِيفُ الْجَمَاعَاتُ مِنْ قِبَالِ شَتَى.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿١٠٥﴾

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ إِلَّا بِالْحِكْمَةِ وَمَا نَزَلَ إِلَّا مُلْتَبَسًا بِالْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ لِاسْتِمَالِهِ عَلَى الْهَدَايَةِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، أَوْ مَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا بِالْحَقِّ مُحْفُوظًا (بِالرَّصَدِ) مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَا نَزَلَ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا مُحْفُوظًا بِهِمْ مِنْ تَخْلِيضِ الشَّيَاطِينِ. قَالَ الرَّاوِي: اشْتَكَى (مُحَمَّدُ بْنُ السَّمَائِكِ) فَأَخَذْنَا مَاءَهُ وَذَهَبْنَا بِهِ إِلَى طَيْبِ نَصْرَانِي، فَاسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ حَسَنَ الْوَجْهِ طَيْبَ الرَّائِحَةِ نَقِي الثَّوْبِ فَقَالَ لَنَا: إِلَى أَيْنَ؟ فَقُلْنَا لَهُ: إِلَى فَلَانِ الطَّيِّبِ تُرِيهِ مَاءَ ابْنِ السَّمَائِكِ. فَقَالَ: سَبَّحَانَ اللَّهِ تَسْتَعِينُونَ عَلَى وَلِيِّ اللَّهِ بَعْدَهُ! اضْرِبُوهُ عَلَى الْأَرْضِ وَارْجِعُوا إِلَى ابْنِ السَّمَائِكِ

أَبُو زَكْرِيَّا يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْظُورٍ الْأَسْلَمِيِّ الْكُوفِيِّ كَانَ أَبْرَعَ الْكُوفِيِّينَ وَأَعْلَمَهُمْ بِالنُّحُوِّ وَاللُّغَةِ وَفَنُونَ الْأَدَبِ، تَوَفِيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَتَيْنِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً رَحِمَهُ اللَّهُ، وَالْفَرَاءُ بَفَتْحِ الْفَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَبَعْدَهَا أَلْفٌ مَمْدُودَةٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ فَرَاءٌ وَلَمْ يَكُنْ يَعْمَلُ الْفَرَاءَ وَلَا يَبِيعُهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَفْرِي الْكَلَامَ.

قَوْلُهُ: (بِالرَّصَدِ) جَمْعُ رَاصِدٍ كَحَرَسٍ وَحَارَسٍ لَفْظًا وَمَعْنَى. قَوْلُهُ: (مُحَمَّدُ بْنُ السَّمَائِكِ) كَانَ زَاهِدًا عَابِدًا حَسَنَ الْكَلَامِ صَاحِبَ مَوَاعِظٍ جَمَعَ كَلَامَهُ وَحَفِظَ وَلَقِيَ جَمَاعَةً مِنَ الصُّدُرِ الْأَوَّلِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ مِثْلَ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ وَالْأَعْمَشِ وَغَيْرِهِمَا، وَرَوَى عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَأَنْظَارُهُ وَهُوَ كُوفِيٌّ قَدِمَ بَغْدَادَ زَمَنَ هَارُونَ الرَّشِيدِ. فَمَكَثَ بِهَا مَدَّةً ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَمَاتَ بِهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةً رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَالسَّمَائِكُ بَفَتْحِ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمِيمِ الْمَشْدُودَةِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ كَافٌ،

وقولوا له: ضع يدك على موضع (الوجع) وقل: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ﴾ ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجه قال ما قال الرجل وعوفي في الوقت وقال: كان ذلك الحضر عليه السلام ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار.

﴿وَقَرَأْنَا مَا فَرَّقَهُ لِقِرَاءَةٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ (١٠٦) ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (١٠٧)

﴿وَقَرَأْنَا مَا﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَّقَهُ﴾ أي فصلناه أو فرّقنا فيه الحق من الباطل ﴿لِقِرَاءَةٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّثٍ﴾ على (تؤدة) وثبت ﴿وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ على حسب الحوادث ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أي اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الأليم. ثم علّل بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي التوراة من قبل القرآن ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ حال.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (١٠٨) ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (١٠٩)

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (١٠٨) لقوله: ﴿ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أي أعرض عنهم فإنهم إن لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فإن خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب قد آمنوا به وصدقوه، فإذا تلى عليهم خروا سُجَّدًا وسبحوا الله تعظيما لأمره لإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور. «إن» بمعنى «إنه» وهي تؤكد الفعل كما أن «إن» تؤكد الاسم، وكما أكدت «إن» باللام في ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصفات: الآية ١٥٨] أكدت «إن» باللام في ﴿لَمَفْعُولًا﴾ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ ومعنى الخروا للذقن السقوط على الوجه، وإنما خصّ الذقن لأن أقرب

هذه النسبة إلى بيع السمك وصيدته. قوله: (الوجع) في مختار الصحاح: الوجع الم والجمع أوجاع ووجاع مثل جبيل وأجبال وجبال. اهـ.

قوله: (تؤدة) بضم التاء وفتح الهمزة والبدال المهملة هي التائي والتمهل في الفعل.



الأشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن. يقال: خرَّ على وجهه وعلى ذقنه، وخرَّ لوجهه ولذقنه. أما معنى «على» فظاهر، وأما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخرور، واختصَّ به إذ اللام للاختصاص. وكرر ﴿يَخْرُجُونَ لِلْذِّقَانِ﴾ لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين ﴿وَيَزِيدُهُمُ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ لين قلب ورطوبة عين.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا يَهَىٰ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١١٠)

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ لما سمعه (أبو جهل) يقول يا الله يا رحمن قال: إنه نهانا أن نعبد إلَّهين وهو يدعو إلَّها آخر فنزلت. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذلك الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت. والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، وأو للتخيير أي سموا بهذا الاسم، أو بهذا أو اذكروا إما هذا وإما هذا، والتنوين في ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾ عوض من المضاف إليه و«ما» زِيدَتْ للتوكيد و«أَيَّا» نصب بـ ﴿تَدْعُوا﴾ وهو مجزوم بأي أي هذين الاسمين ذكرتم وسميتم ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ والضمير في ﴿فَلَهُ﴾ يرجع إلى ذات الله تعالى، والفاء لأنه جواب الشرط أي أيًّا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله: ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ لأنه إذا حُسُنَتْ أسماؤه حُسُنَ هذان الاسمان لأنهما منها، ومعنى كونها أحسن الأسماء إنها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ﴾ بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس، إذ الجهر والمخافتة تعتقبان على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله ﷺ يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأُمِرَ بأن يخفض من صوته، والمعنى ولا تجهر حتى تُسمع المشركين ﴿وَلَا تَخَافُوا يَهَىٰ﴾ حتى لا تسمع من خلفك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بين الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾ وسطًا، أو معناه ولا

قوله: (أبو جهل) عمرو بن هشام بن المغيرة، يكنى أبا الحكم، فكناه النبي ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية. قتله ابنا عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر.

تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلاً بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَثِيرٌ نُّكْبَرُ﴾

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾ كما زعمت اليهود والنصارى و﴿بنو مليح﴾ و﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما زعم المشركون و﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا﴾ أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر أو لم يوال أحداً (من أجل مذلته به ليدفعها) بموالاته و﴿كَثِيرٌ نُّكْبَرُ﴾ وعظمه وصفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبي الآية آية العز (وكان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية).

قوله: (بنو مليح) بطن. اهد لسان العرب. وفي تاج العروس: بنو مليح كزبير حي من خزاعة، وهم بنو مليح بن عمرو بن ربيعة وعمرو هو جماع خزاعة. اهد. قوله: (من أجل مذلته به) يشير إلى أن من هنا تعليلية. قوله: (ليدفعها) أي ليمنعها عنه قبل لحوقها أو بعده. قوله: (وكان إذا أفصح الغلام) أي أنطق لسانه بالكلام وفهم ما يلقي إليه (من بني عبد المطلب علمه هذه الآية)، والمراد بهذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: الآية ١١١] إلى آخر السورة، وهذا الحديث رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق وغيرهما، والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتم.

تمت سورة بني إسرائيل بحمد الله وعونه

وبليه شرح سورة الكهف

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

وسلم تسليمًا كثيرًا، كثيرًا

## فهرس المحتويات

٣	سورة التوبة
١٩١	سورة يونس <small>عليه السلام</small>
٢٦٠	سورة هود <small>عليه السلام</small>
٣٢٢	سورة يوسف <small>عليه السلام</small>
٣٩٦	سورة الرعد
٤٢٥	سورة إبراهيم <small>عليه السلام</small>
٤٥٥	سورة الحجر
٤٨٠	سورة النحل
٥٤٢	سورة الإسراء